

الإمام يحيى وبناء الدولة اليمنية الحديثة
١٣٣٧/١٩١٨ - ١٤٤٢ هـ / ١٩٢٢ م

سيرة الإمام
يحيى بن محمد حميد الدين
المسماة
كنية الحكيم من سيرة إمام الأمة

تأليف
المؤرخ السادة القاضى
عبد الكريم بن أحمد مطهر
ت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م

الجزء الثاني

دراسة وتحقيق
الأستاذ الدكتور محمد عيسى بكنازي
جامعة الكويت



الإمام يحيى وبناء الدولة اليمنية الحديثة

١٣٣٧/١٩١٨ - ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م

سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين

المسماة
كنية الحكم من سيرة إمام الأمة

تأليف

المؤرخ العلامة

عبد الكريم بن أحمد مطهر

ت ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م

الجزء الثاني

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد عيسى ضالحية

جامعة اليرموك

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

رقم التـصنيف: ٢١٠٩٢
المؤلف ومن هو في حكمه: عبد الكريم بن أحمد مطهر
تحقيق د. محمد عيسى صالحية
عنوان الكتاب: سيرة الامام يحيى بن محمد حميد الدين
المسماه كتيبة الحكمة من سيرة امام الامة
الموضوع الرئيسي: ١- الديانات
٢- العلماء المسلمون - تراجم
رقم الإيداع: (١٩٩٧/١٠/١٥٦٨)
بيانات النشر: عمان: دار البشير
* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر (١٩٩٧/١٠/١٢٣٩)

مركز جوهرة القدس التجاري - العبدلي - هاتف: ٦٥٩٨٩١/٦٥٩٨٩٢ - فاكس: ٦٥٩٨٩٣
تلکس: ٢٣٧٠٨ بشير - ص.ب: ١٨٢٠٧٧ / ١٨٣٩٨٢ - عمان ١١١١٨ الأردن

Dar Al-Bashir

For Publishing & Distribution

Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali - Tel: 659891 / 659892 - Fax: (659893)
Tlx. (23708) Bashir - P.O.Box. (182077) - (183982) - Amman 11118 Jordan

دار البشير

كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة أمير المؤمنين
وسيد المسلمين ودرة تاج الأئمة
الهادين مولانا الإمام
المتوكل على الله المعين
أبي أحمد يحيى
بن

الإمام المنصور بالله رب العالمين محمد بن يحيى حميد الدين ضاعف الله أيامه
وأدام سلطانه وسلامه جمع الفقير إلى عفو باريه
وغفرانه احقر خدامه عبدالكريم بن أحمد
بن عبدالله مطهر ستر الله عيوبه
ومحى ذنوبه وملا من
زلال العفو
ذنوبه
آمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي يَسَّرَ بمواهب العقولِ فتحَ كنوزِ الاعتبارِ والمكنونِ، وأنشَقَّ
النفوسَ الزاكيةَ من أَرَجِ النظرِ الصحيحِ نفحاتِ اليقينِ المصونِ، وأرشدَ بوحيه
المتلوَّ إلى ما في التفكيرِ في الكائناتِ من العلمِ المخزونِ، وتتويجِ المداركِ
الإنسانيةِ بإكليلِ الوقوفِ على سنةِ الله، التي قد خَلَّتْ في عبادِهِ، وبمثَلِها يتحلَّى
العارفونَ، وأشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ، لا شريكَ له، شهادةً تكفلُ بالنجاةِ
حينَ يخسرُ المبطلونَ، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله الشافعُ المشفعُ الأمينُ
المأمونُ، صلى اللهُ وسلَّم عليه صلاةً وسلاماً يجدو بهما حادي الاعترافِ بالقصورِ،
وإن كنتُ لا أرضى بالدونِ، ويتضاعفُ تعدادُهما بمقدارِ ما تتعدَّدُ إليه الأحيانُ
والأيامُ والسنونُ، وعلى آلِهِ قرناءً وحيه، وأكرِمُ به وبهم من قرناءً ومقرونَ، ورضي
اللهُ عن صحابَتِهِ الراشدين الذين جاهدوا في سبيله إلى أن أتاهم ريبُ المنونِ،
وبعد،

فإنه لما كان التاريخُ ديوانَ العِبَرِ ومطمَحَ أنظارِ ذوي الفكرِ، ومسرحاً
للتجاربِ العديدةِ وآلةً لتثقيفِ العقولِ بمعرفةِ الآراءِ السديدةِ، رَفَعَتْهُ النفوسُ
إلى ما لا يخفى من عظمِ المكانةِ، وَوَجَدَتْهُ خَيْرَ كَفِيلٍ بسرِّ أخبارِ العصورِ على
شريطةِ الأمانةِ، وإنما المرءُ حديثٌ بعده، إذا انقضتِ المدةُ. وفي كلِّ من الأخبارِ
عظائمٌ، والمنقولُ من السيرِ الحسنةِ وضدُّها يستوي في إفادةِ تلكِ الغاياتِ،
وكفى بكتابِ اللهِ مرشداً فيما قَصَّ علينا من الأخبارِ، وأردفها بوجوبِ التأملِ
بمصدقٍ، فاعتبروا يا أولي الأبصارِ، ولا يكونُ التدوينُ كافلاً بنصبِ هذه
الموازينِ إلا إذا خلصَ من أدرانِ الاختراعِ، وثبتَ على أساسِ البراهينِ، وإلا

كان من الأفك المذموم، والتضليل المشوم، وأين مرتبة الكذب الصراح من الصديق الوضاح، ولم تزل أيادي من سلف من أعلام العلماء ومهرة الأدباء تسدي إلينا من أحاديث سير الأئمة الراشدين من أهل البيت النبوي عليهم السلام، ومعاصريهم ما تشنف به المسامع وتستلذه الأفواه، وتردده الألسن استحساناً كلما مرت ذكراه: - الطويل -

اعذ ذكر نعمان لنا إن ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

لا جرم، كان من الحسن المقبول، أن يحدو الخلف حدوهم فيما تلقى بالقبول.

وفي العصور الأخيرة من حوادث الزمان. ما يربو على العصور السالفة لدى الإمامين. ولا سيما عصر من نظم الله به شتات المسلمين وعمر بسعوده الخارقة معالم الدين وأقام بسطوته القاهرة أساطين / شرعه المبين، وحفظ بعزائمه الصادقة ثغور المؤمنين، تاج هام الأئمة الأكرمين، والشمس الساطعة في فلك الآل الميامين، المتقدم رتبة وإن تأخر عصرًا، والقائم بما استعصى على غيره من الأئمة الجهابذة عدلاً وذخراً، والممنوح من عناية الباري - سبحانه - بخوارق الأسعاف وغرائب العجائب، ولطائف الاتحاد، مولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين، وفذلكة تعداد الأئمة الهادين، إمام الزمان، وحجة الله النيرة بهذا الأوان، المتوكل على الله المعين^[١] يحيى^٢ بن أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين^٢، ضاعف الله مدته، وعمر بالنصر العزيز سدة، وتمتع الإسلام والمسلمين بأعوامه المسعودة، وأيامه الزاهرة المحمودة، فإنه عصر اشتمل من

[١] سقطت من س.

[٢ - ٢] في س، محمد بن يحيى حميد الدين

وقائع الجهاد على ما أشرق به وجه الدين، ومن مواطن الصدام والمصابرة على ماقرت به عيون المؤمنين، وعظمت به النكابة في الظالمين والضالين، فالملاحم تلو الملاحم، والعزائم الصادقة على أثر العزائم، إلى أن عاد وجه الزمان مبيضاً، وجمع المخذولين منفصلاً، وصين ناموس الشرع القويم من الابتدال، وأصبحت -ولله الحمد- شوكة الدين مرموقة بعين الأجلال، واعتقد الخاسرون أن أمام مطامعهم منزلة كل أسد رئبال، لا يهاب معامع الوغى وأهوال النزال، وانضم إلى ذلك ما انتظم في لبة الأوان من عنايته بجمع ما تشتت من آثار الإحسان، وظهر ظهور العقد الفريد في عنق الحسنة لكل إنسان، فحيثما وجهت رائد الطرف وجدت الصالحات في طور الحياة وأصناف الجانحات مرمية إلى حفرة الوفاة. وهيئات أن يكفل بتعدادها حساب، أو يحوي جم مناقبها دفتر كتاب.

وقد غني جمع من الأفاضل الأعلام بجمع سيرته، عليه السلام، فإنه مجدّد هذه العصور، المعني بالحديث المشهور^(١)، وأتوا بالعجاب من منح الرب الوهاب، وما اشتملت عليه أيام المعارك والسلم من مظاهر صنع الله الجميل الذي لا يتكف بتجنيد الجنود وحشر كل قبيل، ووصفوا تجلي السعادة في هيولها^[١] البديعة، وإقبال الأمان والمطالب إلى معالي كنفه السعيد بخطوتها السريعة، وما ظهر عنه في مواطن الأزمة من الصبر والثبات، والوقوف أمام الشدائد بقلب لا يتزلزل وإن مادت الراسيات، لا يهّمه غير السعي في مطابقة

(١) الحديث المقصود «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها» انظر، حلية الأولياء، ٩/ ٩٧، توالي التأسيس للحافظ، ٤٨ الحاكم، ٤/ ٥٢٢، الخطيب البغدادي، ٢/ ٦١، مناقب البيهقي، ١/ ١٣٧، والحديث: «إن في هذه الأمة محدثين» انظر، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي، ٣٤، صحيح البخاري، ٤/ ١٤٩، صحيح مسلم، ٧/ ١٤٥ (ط الاستانة، ١٣٢٩هـ)، مسند أحمد، ٢/ ٣٣٩، ط مصر.

[١] في س، هيولاه.

/ مراد الله عز وجل، كَثُرَ جمع الأنصار أو قل. وعرفَ بذلك المتأمل أن الله سبحانه قد رزقه خصائص رفعت قدرته العظيم وأقعدته على الرفرف الأعلى من مقام الهداة إلى الصراط المستقيم. فالحثُّ على الوقوف على مواقف جهاده وأيامه وما نظمته سيرته المباركة من متين أحكامه وإحكامه من شأن ذوي العرفان وحلفاء التقوى والإيمان.

ولما كانت أواخر سنة ست وثلاثين بعد ثلثمائة وألف، وهي السنة الخامسة عشر من خلافته -^[١] عليه السلام - تقريباً خفيت أنوار جمع السيرة فيما علمت، فانتدبت للقيام بهذا الواجب بعد الإيعاز، والإلزام ممن طاعته فرض لا زب، وطالما ثبطني العجز والقصور ونهاني عن التقرب من شواطئ هذه البحور حتى عرفت أني لست بمعدور، فأقدمت إقدام من خالطه الوجُل، مستعيناً بالله تعالى، وقلت: مكره أخوك لا بطل. وهل عند رسم دارس من معول؟ فمن وقف مني على عثرة أو زلة، فليعذر لأنه قد بطل العجب بمعرفة العلة وقد جعلت مبدأها تاريخ انتقال مولانا الإمام -أيده الله- من محروس السودة^(١) إلى حمر^(٢). ولغاية ما شاء الله إن طال أمد العمر،

(١) السودة: بلدة عامرة في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ١٠٧ كم، وتبعد عن عمران، ٥٨ كم، وتدعى سودة شظب، وسودة ابن المعافى، بذروة جبل يطل على وادي أخرف ولقيمان الشهيرين في بلاد حاشد مقر قيادة الإمام، والسودة أيضاً من خارف من بلاد حمر، انظر، فرجة الهموم، ٣٦، البدر الطالع، ١٠٣/٢، نشر العرف، ١٧٤/٢، اليمن الكبرى، ٨١، هجر العلم ومعاقلة، ٩٨٥، حياة الأمير، ٦٢٢.

(٢) حمر: بلدة في حاشد، وهي مركز بين صريم، وحمر الحالية شرق المدينة القديمة، وهي شمال صنعاء، انظر، الإكليل، ١٦١/٨، نشر العرف، ٧٨٠/٢، معالم الآثار، ٦٧، معجم الحجري، ١/٣١٠، معجم المحقفي، ٢١٩.

[١ - ١] في س، أيده الله.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي عَمَلًا مَبْرورًا، وَسَعِي فِي هَذِهِ السَّبِيلِ سَعِيًّا مَشْكُورًا.
إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ، فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

إِنَّهُ كَانَ انْتِقَالُ مَوْلَانَا^(١) الْإِمَامِ^(٢) -أَيَّدَهُ اللَّهُ-، بِمَوَكِبِهِ الْعَالِي مِنْ مَدِينَةِ
السُّودَةِ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ مَدِينَةِ حَجَرٍ فِي بَقِيَّةٍ مِنْ نَهَارِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ خَامِسَ عَشَرَ شَهْرِ
شَوَّالِ سَنَةِ ١٣٣٦، فَوَصَلَهَا^(٣) فِي بَقِيَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ الْمُسْفِرَةِ عَنْ صَبَاحِ الثَّلَاثَاءِ مِنْ
الْيَوْمِ الَّذِي يَلِي يَوْمَ عَزَمِهِ الْمُبَارَكِ^(٤). وَلَمَّا اسْتَقَرَّ هُنَاكَ وَفَدَتْ إِلَيْهِ وَفودُ الْقِبَائِلِ
مِنْ حَاشِدِ^(٥) وَغَيْرِهِمْ، حَتَّى ضَاقَتْ الْمَدِينَةُ بِالرَّوَّافِدِينَ وَالْأَجْنَادِ.

وَقَدْ كَانَ فِي أَثْنَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَمَوْلَانَا الْإِمَامُ مُقِيمٌ
بِالسُّودَةِ، ظَهَرَ مِنْ يَزِيدِ الظَّاهِرِ^(٦) إِخْلَالٌ بِالطَّاعَةِ، وَشَدُوذٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ، فَتَعَدَّوْا
عَلَى بَعْضِ الْمَسَافِرِينَ فَنَهَبُوهُمْ، وَلَمْ يَزُلْ مَوْلَانَا الْإِمَامُ يُوَالِي لَهُمُ النَّصَائِحَ، وَبَيْنَاهُمْ
عَنِ التَّوَرُّطِ فِي مَضَائِقِ الْقِبَائِلِ. فَلَمْ يَنْتَهَوْا، فَعَزَمَ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ وَمَعَاكِفِهِ شَرَارِهِمْ.

وَفِي خَامِسِ وَعَشْرِينَ شَهْرِ شَوَّالٍ وَجَّهَ مَوْلَانَا الْإِمَامُ السَّيِّدَ الْمُقَدَّمَ
الْمُجَاهِدَ / الْمَشْهُورَ فِي مَيَادِينِ الصُّدَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى أَبُو مَنْصَرٍ^(٧)، وَمَعَهُ خُمْسُ ٤ /

(١) حاشد: إحدى كبريات قبائل همدان، تنسب إلى حاشد بن جُشَم، قبيلة ذات أراضٍ
واسعة، تشمل جبال الأهنوم وظُلَيْمَةَ وَعُدْرَ وَالْعُصَيَّاتِ وَخَارِفَ وَغَيْرَهَا، حَوْلَهَا انْظُرْ،
معجم الحجري، ٢/ ٢١٣ - ٢٢٦، معجم المقحفي، ١٤٣ - ١٤٥ اقرة العيون، ٣٢٢،
صفة جزيرة العرب، ٢٤٢ - ٢٤٦.

(٢) يزيد الظاهر: تسيع الظاهر من اتساع بني صُرَيْم، ويشمل مدينة حَجَرٍ وَالْوَادِي وَيَشِيعَ
وَالْعَقِيلِي، وَالْمَقْصُودُ جِبَالُ عِيَالِ يَزِيدَ مِنْ بِلَادِ الظَّاهِرِ شِمَالِ صَنْعَاءَ، انْظُرْ، معجم
الحجري، ٢/ ٥٦٣، أئمة اليمن، ٣/ ٧٣ (سيرة الإمام يحيى).

(٣) عبدالله بن يحيى بن غالب، أَبُو مَنْصَرٍ: مِنْ مَنْ قَوَادِ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ عَامِلَ مَدِينَةِ ثَلَا
وَنَاحِيَّتِهَا حَتَّى مَاتَ ثُمَّ خَلَفَهُ ابْنُهُ عَبْدِ اللَّهِ ت ١٣٧٨ هـ، انْظُرْ، حَيَاةُ الْأَمِيرِ، ٥٦٤،
هجرة العلم ٢٨٤.

[١ - ١] فِي سِ، الْمُتَوَكَّلُ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ حَمِيدِ الدِّينِ. [٢ - ٢] سَقَطَتْ مِنْ سِ.

مئة رام، وأمره بالعزم بمن معه إلى عيال يحيى وأصبحه بأحد المدافع، فحطَّ رحالُه هنالك، ورثبها جميعاً، ثم تابع مولانا الإمام إرسال الجنود إليه حتى غصت القرى بجنود الحق.

وفي ثالث شهر ذي القعدة الحرام، انتقل مولانا الإمام من حَجْر إلى دَعَّان^(١)، إحدى قرى جبل عيال يزيد^(٢)، ومعه من عُقَّالٍ حاشد وبكيل^(٣) وأفرادهم ما ينوف على ألف نفر، فامتلاَّت تلك الناحية بالجنود وغيظ الحسود، وهنالك شرع الإمام بتأديب مَنْ تظاهر بإخلال الطاعة، وألزم أهل الجبل كافة بتسليم ما لديهم من الغرامات وقروض عين المال، وما لديهم من السلاح لبیت المال، فانقادوا رهبة ورغبة، وألزمهم أيضاً بإيصال المعتدين على المسافرين، فأوصلوا غالبهم، وأوصلوا أيضاً ما أمروا به من الرهائن المختارة من أفلاذ أكبادهم فوق رهائنهم التي كانت بمحروس السودة، حتى جاوز عدد رهائنهم ثمانين. ومن فرَّ من المعتدين أخربت بيوتهم إلى القرار، وذاقوا بذلك

(١) دَعَّان: بلدة في ظهر جبل عيال يزيد من همدان في الشمال الغربي من مدينة عَمْران بمسافة ١٨ كم، انظر، الأكليل، ٨ / ١٦٢، اليمن عبر التاريخ، ٣٦٩، معجم المصحفي، ٢٣٥.

(٢) عيال يزيد: جبال لقبائل بكيل في ناحية عَمْران، من قراهم، جَوْب، الخدرة، عيال يحيى، الأكهوم، الصرارة، بنو قطيل وغيرها، يتصل من شماله ببلاد عبد وحاشد والسودة، ومن شرقه بناحية ريده والبون ومن جنوبه ببلاد عَمْران وثُلا ومن غربيه بثلا وقارن وما إليها، انظر، معجم الحجري، ١ / ١٢٥، ٢ / ٧٨٢ معجم المصحفي، ٧١١.

(٣) بكيل: بطن من همدان، بنو بكيل بن جُشَم، بلادها ما بين صنعاء وصعدة في الجانب الشرقي، وهي بلاد واسعة فيها كثير من النواحي ولها فروع كثيرة، مشهورة معروفة، انظر، معجم الحجري، ١ / ١٢٥-١٢٨، معجم المصحفي، ٨٣-٨٤.

كأس الدمار. وسيقَّ بعض المعتدين إلى حبس شُهارة^(١) المحروسة. وكُمل بذلك ضبطُ أمورِ الجبل كافة، وتقريّرُ أحواله. وإزالةُ ما استعصى من إشكاليه، وتأهبَ مولانا الإمامُ لتقويضِ خيامِ الإقامة من دَعَّان والعزم في كنفِ العناية إلى مدينةِ الرُّوضَةِ البهية^(٢). ولما قربَ ارتحالُ مولانا الإمام من هنالك. خاطبه السيدُ البليغُ عباسُ بنُ علي بن أحمد بن اسحق^(٣)، وكان من المصاحبين للحضرة الشريفة في تلك المواطن، بأبياتٍ يحثُّ بها مولانا الإمام على الرحيل، جاء منها بيت التاريخ.

أدود^(٤) إن في العزم من دَعَّان خيرا. سنة ١٣٣٦ .

(١) شُهارة: جبل مشهور في بلاد الأهنوم، شمالي حجة، من معاقل اليمن المشهورة، منها شهارة الأمير نسبة إلى الأمير ذي الشرفين وشُهارة الفيش، الجبل المقابل لشُهارة الأمير، انظر، صفة جزيرة، ٢٣٨، البدر الطالع، ١/ ٢٥٨ نيل الوطر، ١/ ٢٩٩، نشر العرف، ١/ ١٢، معالم الآثار، ٧٠، معجم المقحفي، ٣٦٦ .

(٢) الرُّوضَة: متنزه صنعاء، كانت تسمى المناظر، روضة حاتم، شمالي صنعاء بمسافة ٨ كم، تنسب إلى السلطات حاتم بن أحمد بن عمران الهمداني، انظر، صفة جزيرة، ١٥٣، المفيد، ٣٣٥، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٣١٥، نشر العرف، ٢/ ١٦١، صفحات مجهولة، ٢٠، معالم الآثار، ٢٧، اليمن عبر التاريخ، ٢١٨، حياة الأمير الوزير، ٦٢١، معجم المقحفي، ٣٧٦ .

(٣) عباس بن علي بن أحمد اسحق بن المهدي بن أحمد من نسل القاسم بن محمد، ولد بالجراف سنة ١٣٠٢ هـ، تولى أعمالاً عسكرية ومدنية كثيرة للإمام يحيى، منها كتابة الإنشاء، خرج مع البدر الأول إلى روما، تعين بعدها في مناخة، ت ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٥ م بعدن، كان عالماً كبيراً وإدارياً ماهراً، انظر، نزهة النظر، ١/ ٣٢٧، حياة الأمير، ٥٥٥، هجر العلم، ١/ ٣٥٧ .

(٤) أدود: قرية صغيرة في جبل صبر الغربي، وتطل على وادي الضباب، انظر، حياة الأمير، ٩٤، معجم المقحفي، ٢٣ .

[١] في الأصل، أدود.

وفي اليوم الخامس عشر من شهر ذي العقدة الحرام، انتقل مولانا الإمام بموكبه السعيد إلى مدينة عَمْران^(١)، فبات بها ليلته، وباكّر في صباح الجمعة بالمسير والانتقال إلى بني ميمون^(٢) من قرى عيال سُريح^(٣)، ونزل هنالك ضيفاً على الشيخ ظُهر الدين، راجح بن سعد، شيخ مشاريخ عيال سُريح، وأقام هنالك صلاة الجمعة.

وفي اليوم الثاني، توجه وقد تزايدت الجموع، وصار الموكب يأخذ بالأبصار أبهةً وجلالا. ولم تزل وفود القبائل تبادرُ بتلقيه في أثناء طريقه. كلهم يريدون التبرك برؤية طلعتهم المباركة، ويلتمسون الدعاء، وما وصل -أيده الله- إلى قرية المعمر^(٤) إلا وقد وصل إلى هنالك الوفد الذي عُيِّن لاستقباله من أمراء الحكومة العثمانية، وهرع الكبراء من السادة والعلماء، والأعيان، وأفراد الناس ألوفاً حتى الصبيان، وكذلك أمراء الأتراك قاطبة/ من ملكيين^(٥) وعسكريين وقضاة، وخرج الناس من صنعاء أفواجا، وكان دخوله إلى الروضة البهية نهار ذلك

/ ٥

(١) عَمْران: مدينة شمال صنعاء بمسافة ٤٨ كم، بأعلى البون، مركز القضاء، يمتد أمامها سهل البون الخصيب، انظر، الأكليل، ١٨٥ / ٢، صفة جزيرة، ١٦٧، المفيد، ٢٦٣، مراصد الاطلاع، ٩٦٠ / ٢، صفحات مجهولة، ٢٩، معالم الآثار، ٦٢، اليمن الكبرى، ٨١، ١٨٤، حياة الأمير، ٦٢٧، معجم المحقفي، ٤٦٤ .

(٢) بنو ميمون: قرية من عُزل عيال سُريح، انظر، معجم الحجري، ٤١٩ / ٢، معجم المحقفي، ٣١٤ .

(٣) عيال سُريح: من قبائل همدان، شمالي صنعاء بمسافة ٢٨ كم، ينسبون إلى سُريح بن سهل بن ضباع، انظر، صفة جزيرة، ١٣٧، معالم الآثار، ٦٣، تاريخ اليمن الثقافي، ٦٣ / ٣، معجم المحقفي، ٣١٣ .

(٤) المعمر: من قرى همدان، إحدى نواحي صنعاء، انظر، معجم الحجري، ٧١٤ / ٢ .

(٥) المقصود الذين يقومون بالوظائف المدنية غير العسكرية.

اليوم دخولاً معظماً، قل أن تظفرَ العيونُ بمثله^[١] أو تكتحلَ بإثمدٍ شكله^[٢]، لما اشتملَ عليه من جلالِ الموكبِ وعمومِ السرورِ في القلوبِ،^[٣] ومناطحتِه للنجومِ بالمنكبِ^[٤]، ونزل -أيده الله- بعد أن تلقى المستقبلين بالطلاقة التي خصه الله بها^[٥] التي خصَّه الله بها، حتى عادَ كلُّ مَنْ لم يعرفه، وقد أخذ حُبّه -عليه السلام- -بمجامع قلبه-^[٦] بقصره العامرِ بمدينة الروضة البهية. وقد كان إكمالُ ما احتاج إلى إصلاح فيه، بعد أن شري مولانا الإمام من ورثة الشيخ محمد البليلى. ولما استقرَّ ركابُه العالى هنالك أقبلت إلى الإمام وفودُ القبائل من كلِّ صوبٍ، ولا سيما قبائل الجهاتِ المجاورة لصنعاء، فكانوا يفدون إليه كبارهم ويتلقاهم الإمامُ بما جُبِلَ عليه من الخلقِ الحسنِ،^[٧] وحلوا اللسنَ^[٨]، ويزودهم بالدعاء، ويأمرهم بما يحتاجون إليه أثناء إقامتهم، ولم تزل وفودُ أمراء الأتراك تتعاقبُ بالوصولِ إليه إلى داره السعيدة، لقضاء حقِّ التهئة بالقدوم، وإظهارِ آثارِ الولاءِ المروم، وكذلك الأعيانُ والعلماءُ والساداتُ والفضلاء حتى أهلُ الذمة.

وقد كان وصولُ مولانا الإمام إلى هذه الجهاتِ نعمةً من نعمِ الله تعالى على عباده، ومنَّةً من المننِ الجسامِ التي خلَّصَ بها جسمَ الأحوالِ من فسادٍ، فإنَّ بعضَ قبائلِ هذه الجهاتِ قد كانوا شرعوا في التعادي بينهم. وسُفِكَت دماءٌ، وهبَّ كلُّ ذي شرٍّ لإظهارِ ما في خلدِه من الميلِ إلى الشرِّ، والترجيعِ على منصَّةِ الجوارِ المذموم. فلما وصل مولانا الإمامُ خدَّتْ تلك النيرانُ، وانطفأت من تلقاءِ نفسها، ببركةِ قدومه -عليه السلام- وتلك آيةٌ من آياتِ سعوده

[١-١]، سقطت من س.

[٢-٢]، سقطت من س.

[٣-٣]، سقطت من س.

[٤-٤]، سقطت من س.

الخوارق، وعلامة على ما له عند الله من الفضل السابق، ورفعت إلى جنبه العظيم قصائد التهاني من الأفاضل والأدباء وهي كثيرة،^{١٦} منها ما نظمه جامع هذه الكلمات - سامحه الله - وقد وقع الاستطراد لذكر مجمل ما كان من همته -أيده الله - وضبطه لأحوال جبل يزيد، وهي:

[الطويل]

وأنتم لها شأؤ يطول وعنوان
فشمس الهدى لاحت وللدن سلطان
تصول على أفق الضمائر فينان
أساس وأشتات المناقب أركان
ومن دون منهاها المشيد كيوان
على اليمن إلا كان للأرض رجحان
ربيع ونعماكم بها الأرض نعمان
من الجيش أجناد تحف وأعوان
يزلزل أكناف الطغاة إذا خانوا
من الحسن والإشراق أذناه فتان
وفي طي ما أجملت للمخ تبيان
فغودر بالشاطي وقد عام إمعان
يروم وفي طوع القرية عصيان
عرفنا به كيف الضخامة تزدان
كما راع ما فوق المشاهد إمكان

مواهب حسن الصنع فيكم هي الشأن
ومهما تبدى من محياكم سني
وممدود ظل الملك والهيبة التي
وحيث نزلتم فالعلا في قصورك
تتبع بكم يفض المغاني فتشني
وما قبلت أرضاً سنا بك خيلكم
عليكم جلال المجد باد وطولكم
تسير العالي حيث سرتكم كأنها
ويقدم علياكم من النصر موكب
ويكسوه لألاء الفتوح غلالة
وفيكم لصنع الله سر ومظهر
وكم رام مني الفكر خوض عباها
وألفى سفن النظم تجري بدون ما
إمام الهدى لله بهجة مقدم
يقول أصحابي وقد راق موكباً

/ ٦

[١] ، سقطت من س.

أما تنظرُ البدرَ المنيرَ كأنَّه
ولو لم يكنْ^١ غيثاً يصبُ^١ ورحةً
ولا أبصرَ الرائي سحابَ مظلةٍ
وهل عرفتَ عيناك قبل كتابنا
وقد ضاقَ منها الرحبُ واتسعتْ بها
يشوقُهم روحُ الهنا ويسوقُهم
وتسقيهمُ البشرى كؤوسَ سرورها
وقد نشطوا في سيرهم وتمايلوا
لعمرك ما بالغتُ إن كنتُ قائلاً
وإن لِساني مثْلُ فِكْري ومُقلتي
فقلْ عنده يا موكبَ العزِّ والسنا
والبستِ جثمانَ الإمامةِ خِلةً
ويا روضةً فازتْ بعودِ قديمها
وهبتْ عليك اليومَ نسمةً سَاحِجَ
ورقِ الهوى حتى لقد كادَ لطفُكُ
وقد لبستْ أيدي الغصونِ خواتماً
أتدريين مَنْ في قصرِكَ اليومَ نازلٌ
يُلَوِّحُ على عرشِ الخلافةِ نورُهُ
لقد شرفتُ منك البقاعُ بما جِدِ
إمامُ الهدى ذاكَ المتوجُّ بالتقى

على الهندِ طودٌ لا يوازيه ثهلاً
لما سمعتُ رعدَ المدافعِ آذانُ
عليه وطرفُ الشمسِ في الأفقِ يقظانُ
تراءتْ كما لاحَتْ تلالٌ وكثبانُ
صدورٌ وقرَّتْ بالمهابةِ أعيانُ
نسيمُ اللَّقا فالحالُ رَوْحٌ وريحانُ
فكلُّ لَدَى ذاكَ التدافعِ نشوانُ
حُبوراً كما مالتْ من الريحِ أغصانُ
بأنَّ قُصاري الأُمَرِ في الوصفِ نقصانُ
بموقفٍ مبهُوتٍ وقلبي حيرانُ
تعاظمتْ حتى خرَّ للتاجِ تيجانُ
مِنَ الفضلِ لا ما كانَ يهواه ساسانُ
من اللطفِ قد طابتْ بجوِّكُ أزمانُ
سعيدٍ لها قلبُ التشوِّقِ حَنانُ
يسيلُ ومالتْ للتحيةِ قضبانُ
من الزهرِ كالياقوتِ أو هي مرجانُ
على الطائرِ الميمونِ يعلّوه لمعانُ
كما لاحَ فوقَ العرشِ قبلَ سليمانُ
هو الدينُ والدنيا إذا حارَ إنسانُ
وأَيُّ تقى هذا له الخلقُ قد واتوا

٧ /

[١-١] الأصح، غيثُ الصبوبِ

طلسمُ كنزِ المنحِ والتَّجحِ كلِّما
 له كلُّ حينٍ في أعاديهِ فتكةٌ
 وسلَّ زُمَرَ الباغين في الجبل الذي
 دَعَاهُمُ إلى العدوانِ شيطانٌ بغيهِم
 فَخَابُوا وما نَالُوا سِوَى الخَسَفِ خطَّةً
 عيالٌ يزيدُ ما يزيدُ شرورَكُم
 أرى لؤمَ هذا الأثمِ أغْرَاكُم على
 ولولا أناءُ للإمامِ لكتنمُ
 ولكنَّ مَوْلَانَا الإمامَ وحِلْمَهُ
 وما زال بالرحمى عَطُوفاً وقلْبُهُ
 وكمْ من يدٍ جارت على الدينِ بالبنا
 فيا سَنَدَ الآمالِ والآلِ إنَّما
 وأنتَ عمادُ الدينِ إنَّ زَالَ زَالَ ما
 وأنتَ أميرُ المؤمنين فهل يُرى
 فلا زلتَ في عرشِ التهاني مباركاً
 وعُمُرْتُم ما عاشَ نوحٌ بقومِهِ
 وهَاك من الوشيءِ اليمايِّ حِلَّةً
 إذا أنشدتُ قالَ الخبيرُ بشأنِها
 ومن جنبِها أسنى صلاةٍ يزفُها
 محمدٍ المختارِ والآلِ كلَّهم

/ ٨

أرادَ أتى المأمولُ يزجيه إذعانُ
 لها المثلُ المضروبُ بالنصرِ برهانُ
 تمنَّعَ ما ذاقوا وما ذاقَ خَوَّانُ
 وقد ضلَّ من يدعوه للغى شيطانُ
 ورعَّهم الإذلالُ مَذْهُدَّ دَعَّانُ
 سوى النقصِ تدنيه رماحُ وأشطانُ
 سلوكِ غرورٍ فيه للمرىءِ خسرانُ
 حصيداً وتلك الدورُ لليومِ أكنانُ
 حباكم زلالَ العفوِّ والعفوِّ إحسانُ
 رؤوفاً وأوصافُ الهدى فيه أفنانُ
 ونعمى تراءت وهي للخلقِ بُستانُ
 بقاؤك للآمالِ بالخيرِ إيذانُ
 يقومُ بهِ والحقُّ ما فيه كتمانُ
 لذا اللقبِ المحروسِ في الناسِ صنوانُ
 عليك وأصنافُ الهنا فيك ألوانُ
 لأنَّ نداكم في الحقيقة طوفانُ
 ينمُّ عليها من ثنائِكِ ريحانُ
 إلى مثلِها تصبو مشاةً وركبانُ
 سلامٌ على من شَرُفَتْ منه عدنانُ
 وأصحابه ما باكرَ الروضِ هَتَّانُ

وممن هنا مولانا الإمام -أيده الله تعالى- القاضي الضياء لطف بن محمد الزبيري^(١) حاكم سنحان^(٢) بقصيدة فائقة. وقد وصلت إلى الحضرة الشريفة والدوحة المنيفة تهاً عديدة رقمها نبلاء السادة وفضلاء الأعيان، ولم تصل إلى أيدي التقييد، وهي لو ظفرت بها لنالت ما تريد.

٩ / ورفع السيد الهمام حسين بن علي عبد القادر^(٣) إلى مولانا الإمام قصيدة بديعة في غرض التهئة بالقدوم، وغيره من الأفاضل^(٤)، وكان الإمام -أيده الله- قد استصحب في أشغاله المباركة جماعة من الأعلام [مثل]^[٢] السيد الأجل الأمير عبد الله بن يحيى أبو منصر، والقاضي الوجيه عبد الرحمن بن حسين المحبشي^(٤) من حكام

(١) لطف بن محمد بن الطف بن سعد الزبيري ت ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٤ م، كان عالماً ذكياً، كامل المروءة، كثير التواضع عمل بالتدريس والقضاء في سنحان والحديدة وكان الحاكم الأول بصنعاء ومن ثم من أعضاء محكمة الاستئناف، انظر، نزهة النظر، ٤٩١ / ١، حياة الأمير، ٥٨٤.

(٢) سنحان: قبيلة موطنها في الجنوب الشرقي من صنعاء، ناحية من نواحي قضاء صنعاء، ومناطقها سهلة، يحدها شمالاً صنعاء، وغرباً بنو مطر وجنوباً بلاد الروس، وشرقاً حوْلان، من أشهر جبالها كَنَن. انظر، الاكليل، ٢ / ٢٤٦، صفحات مجهولة، ٤١، معالم الآثار، ٣٦، ٣٩، أئمة اليمن، ٢ / ٤٠٥، حياة الأمير، ٦٢٢.

(٣) حسين بن علي عبد القادر ت ١٣٧٧ هـ، عامل صنعاء، كان شاعراً أديباً، تولى للأتراك أعمالاً بصنعاء، كان مدير ناحية شبام ثم قائم مقام ذمار وكذا قضاء أنس، وعضواً في مجلس المبعوثان سنة ١٣٣٠ هـ ثم تولى رئاسة بلدية صنعاء ورئاسة القمسيون أي إدارة تكوين الجيش النظامي، كان مستشاراً للإمام، ولد بصنعاء سنة ١٢٩٦ هـ، انظر، نزهة النظر، ٢٧٨، هجر العلم، ١٩٠٥ - ١٩٠٩ م. حياة الأمير، ٥٤٧.

(٤) عبد الرحمن بن حسين بن عبد الرحمن المحبشي الشهاري ت ٢٩ ربيع الثاني ١٣٦٦ هـ. أحد كبار الحكام في مقام (ديوان الإمام يحيى)، لازم الإمام يحيى في حمر والسؤدة القفلة والروضة، ولد بشهارة في صفر ١٢٩٢ هـ، انظر، نزهة النظر، ٣٣٦.

[١-] سقطت من س.

[٢] الإضافة من س.

الحضرة الشريفة وغيرهم^[١] من الأعيان، وأما المولى سيف الإسلام، أحمد بن قاسم بن [عبدالله بن]^[٢] الإمام^(١)، والمولى شيخ الإسلام القاضي العلامة علي بن علي اليماني^(٢) فكانا قد قَدِمَا قبل مَقْدَم الإمام، وكانَا من جُمْلَةِ مَنْ استقبل مولانا الإمام في جمع كثير من علماء صَنَعَاء وساداتِها كالقاضي العلامة شرف الدين الحسين بن علي العُمري^(٣)، وولده القاضي عبدالله بن حسين العُمري^(٤)،

(١) أحمد بن قاسم بن عبدالله بن يحيى حميد الدين ت ٢٢ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ، كان مجتهداً، له نبوغ في القيادة العسكرية وفنون الحرب، تولى أعمالاً كثيرة برداع وأنس، ولد بقرية القابل في صفر ١٢٧٧ هـ، انظر، نزهة النظر، ١٢٠، تحفة الإخوان، ٥٢، شرح أجود المسلسلات، ٣٤، حياة الأمير، ٥٣٢.

(٢) علي بن علي بن أحمد بن علي اليدومي اليماني ت بصنعاء في ٢٧ شوال ١٣٥٠ هـ، شيخ الإسلام، عالم محقق في كثير من العلوم، هاجر إلى القفلة ١٣٠٨ هـ، مناصراً للإمام المنصور، كان مقصوداً لطلبة العلم، لازم الإمام يحيى، وكان يستشير، دوام على التدريس وخاصة في المدرسة العلمية التي أنشأها الإمام يحيى بصنعاء سنة ١٣٤٤ هـ، ولد بصنعاء في صفر ١٢٧٢ هـ، انظر نيل الوطر، ١١٩/٢، نزهة النظر، ٤٣٨، شرح أجود المسلسلات، ٧١، المدارس الإسلامية، ٤١٥، هجر العلم، ٨٠٥، حياة الأمير، ٥٧٦ وفيه أنه توفي سنة ١٣٤٠ هـ.

(٣) الحسين بن علي بن محمد العُمري ت بصنعاء في ٢ شوال ١٣٦١ هـ، شيخ الشيوخ، عالم محقق، اشتغل بالتدريس، تولى نظارة الأوقاف في العهد العثماني، أسهم في عقد صلح دَعَّان. ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م وتولي في عهد الإمام يحيى رئاسة محكمة الاستئناف، ولد بصنعاء ١٢٦٥ هـ، انظر، نزهة النظر ٢٦٥، نشر العرف، ٢/٢٤٩، شرح أجود المسلسلات، ٦١، هجر العلم، ١٤٥٩، حياة الأمير، ٥٤٧.

(٤) عبدالله بن الحسين بن علي بن محمد العُمري ت قتيلاً ٧ ربيع الآخر ١٣٦٧ هـ، في المؤامرة التي استهدفت الإمام يحيى، عالم ذو دراية عالية بالعلم والسياسة والإدارة، =

[١] في س، وغيرهما.

[٢] عبدالله بن، إضافة من س.

وسيدي عبد الله بن علي عبد القادر^(١) وأخويه سيدي عبد الرحمن^(٢) وسيدي حسين. وعلى الإجمال كان الاستقبال فخياً و^١الموكب عظيماً^(٣)، ولم يكن في المستقبلين والي اليمن محمود نديم بك، ولا قائد الجيوش توفيق باشا؛ لأنها كانا غائبين في جهة^(٤) لواء تعز^(٥) وزيد^(٦)، عزمًا معاً قبل قدومه -أيده الله- لمداركة استحصال حاجات العساكر وغيرهم من البلاد المذكورة.

ولما استقر مولانا الإمام بالروضة وفدت إليه الأفاضل والعمال من الجهات

= كان الإمام يعهد إليه بكثير من أمور الدولة كأنه رئيس الوزراء، ولد بصنعاء في جمادي الأولى ١٣٠٤، انظر، نزهة النظر، ٣٧٥، تحفة الإخوان، ٧٨، هجر العلم، ١٤٦٠، حياة الأمير، ٥٦٢.

(١) عبد الله بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد القادر ت ١٣٥١ هـ، بلغ مرحلة عالية من العلم، تولى قضاء يريم ونظارة الوصايا، رافق وفد العلماء إلى استانبول سنة ١٣٢٥ هـ، بدعوة من السلطان عبد الحميد للتباحث في إصلاح أمور اليمن، ثم عمل حاكماً في عهد الإمام يحيى انظر، أئمة اليمن، ٣٢٠، هجر العلم، ١٩٠٤، حياة الأمير، ٥٦٦.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله عبد القادر ت ٢٧ جمادى الأولى ١٣٣٧ هـ بصنعاء، عالم مشارك تولي بلدية صنعاء في العهد العثماني، ولد سنة ١٢٨٨ انظر، نزهة النظر، ٣٤٦، هجر العلم، ١٩٠٥.

(٣) لواء تعز: مدينة مشهورة، أول من مدّنها ومصرّها الملك المظفر، توران شاه الأيوبي سنة ٦٥٣ هـ، في السفح الشمالي لجبل صبر، مركز القضاء تتبعها الجند وجبا وجبل صبر وغيرها، معجم الحجري، ١/١٤٥، معجم المقحفي، ٩١، البلدان اليمانية، ٥٥، اليمن الخضراء، ٨١، اليمن الكبرى، ٣٣، نشر العرف، ١/٢٢١، حياة الأمير، ٦١٣.

(٤) زيد: وادي زيد، مشهور يصب في ثهامة ثم في البحر الأحمر، خصب، واطلق اسم الوادي على المدينة التي كانت تسمى الحُصْب، يقال أن محمد بن زياد هو الذي اختطها، انظر، الاكليل، ١/٣٠١، الفضل المزيد، المقدمة، البلدان اليمانية، ٨٩، معجم الحجري، ١/٢٦٢، معجم المقحفي، ١٧٦.

[١-١] سقطت من س. [٢] في س، جهات.

المتوسطة كذمار^(١) ويريم^(٢) وكوكبان^(٣) وحجة^(٤). وما برح منذُ وصوله يباشر الأعمال ويحلُّ عقد الأحوال،^١ وما اتفق من العجائب أنه عقيب قدومه -أيده الله- رفع إليه بعض الفضلاء أن ابنة السيد الفاضل محمد بن قاسم الظفري^(٥)

(١) ذمار: جنوب شرق صنعاء على بعد ١٠٠ كم من صنعاء، بها كثير من المساجد والآثار، مركز اللواء، انظر، صفة جزيرة، ٧٩، الاكليل، ١/ ٥٥٢، صفحات مجهولة، ٢١، أئمة اليمن، ١/ ٤٦، اليمن الكبرى، ٥٤ معجم المقحفي، ٢٥١، حياة الأمير، ٦٢٠.
(٢) يریم: مدينة تقع إلى الجنوب من ذمار، في قاع الحقل، تبعد عنها ٤٠ كم، تتبع إدارياً إب، في سفح جبل يصبح، انظر، الاكليل، ١٩/ ٢، صفة جزيرة، ١٣٢، طبق الحلوى، ٦٨ صفحات مجهولة، ٢١، معالم الآثار، ٩٧، تاريخ اليمن الثقافي، ١/ ١٠١، اليمن الكبرى، ٤٥، حياة الأمير، ٦٣٤.

(٣) كوكبان: جبل قرب صنعاء والمدينة شمال غرب صنعاء بمسافة ٥٠ كم، وإليه يُضاف شبام، انظر، الاكليل، ٢/ ٢٠٧، معجم البلدان، ٤/ ٤٩٤، مراصد الاطلاع، ١١٨٨/ ٣، قرة العيون، ٢٩٥، البلدان اليمانية، ٢٣٣، معالم الآثار، ٧٤، نشر العرف، ٥٤، ٢٧٢، هجر العلم، ١٨٧٠، حياة الأمير، ٦١٥.

(٤) حجة: مدينة، شمال غرب صنعاء بمسافة ١٥٠ كم، بها حصن القاهرة على جبل يطل على مناطق بني قيس ووادي موروثهامة من الغرب، وعلى جبل مسور والشغادرة من الجنوب، وظفير حجة ومبين من الشمال وشرس وكحلان عفار من الشرق، وهي مركز لواء حجة، انظر، معجم المقحفي، ١٥٧، البلدان اليمانية، ٨٣، اليمن الكبرى، ١٠٠، حياة الأمير، ٦١٦.

(٥) محمد بن قاسم الظفري، جاء في نزهة النظر، ٥٦٩، ٥٧٠، اثنان بهذا الاسم الأول: محمد بن قاسم بن محمد بن محمد بن الحسن بن عبدالله بن محمد بن ناصر شمس الدين الظفري ت في حُبِيش ١٣٨٥ هـ.

والآخر: محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن ناصر شمس الدين الظفري ت صنعاء شوال ١٣٣٨ هـ.

[١] سقطت من س.

أحد سادة صنّعاء ألفها جنيّ، وأنه قد تكلم: أنه لا يُفارقُ المذكورة إلا بأمر الإمام، واستمدَّ من مولانا الإمام الإذن لأبيها بإيصال ابنته إلى جهة الإمام السعيدة لأجل ذلك، فأذن له مولانا الإمام رغبةً في المثوبة ووقاية تلك المسكينة من مصابها. ولما حضر مولانا الإمام إلى المحلّ الذي قد أنزلت به مع حضور أبيها، تكلم الجنيّ وحضر معه إخوته وأبوه إلى عشرة، وكانت المراجعة بينهم وبين الإمام. وفي النهاية ألزمه مولانا الإمام بترك التعرّض للشريفة المذكورة، وأخذ عليه العهود وعلى من حضر معه بذلك، وقفل السيد بابنته راجعاً إلى صنّعاء مسروراً بما تمّ / ببركته عليه السلام^[١]. وفي أثناء إقامة مولانا الإمام ١٠ / بالروضة، أقيمت صلاة الجمع فيها مرات في الصحراء لعدم إمكان إقامتها بجامعها^(١) المشهور لكثرة الحاضرين لأدائها من القبائل القريبة^[٢]. واهراع كافة أهل صنّعاء لحضورها عامّتهم وخاصّتهم^[٣]. ولا تسل عن منظر اجتماعهم العجيب ووقوف تلك الخلائق بين يدي الخلاقي الرقيب^[٤]، وأدرك

= كان الأول عالماً، انتقل إلى منّاخة للتدريس، ونصبه الإمام يحيى حاكماً في بلاد صغفان وبنى سعد من بلاد حراز وعيّن أيضاً عاملاً على بلاد همدان من أعمال صنّعاء، وتولى القضاء في بلاد الحشا وحبيش من اليمن الأسفل وتوفي في محل وظيفته، وأما الآخر فقد كان عالماً، واسع المعرفة لازم التدريس في جامع صنّعاء وتوفي في شوال سنة ١٣٣٨ هـ، والخبر الوارد حوله يفيد بأن الثاني هو المقصود أما الأول فقد سار ذكره في باقي الحوادث بعد سنة ١٣٣٨ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٩، ٥٧٠.

(١) جامع صنّعاء: المسجد الجامع، بني في السنة السادسة للهجرة، بأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بناه وبر بن يُحَنَس أو فروة بن مُسَيْك المزدني أو أبان بن سعيد، انظر، جامع صنّعاء، ٩-٢٣، حياة الأمير، ٦١٤، مساجد صنّعاء لمحمد الحجري، ٢٣، طبق الحلوى، ١١٨.

- [١] سقطت من س. [٢] في س، المجاورة.

- [٣-٢]، سقطت من س.

الإمام عيد الأضحى وهو بالروضة، فأقام صلاة العيد بمشهدها^(١) المبارك وحضرها خلائق لا يُحصى. وخرج من صنعاء أمراء الحكومة العثمانية أجمع لحضور الصلاة وأداء السلام على الإمام، ووقفت ثلثة من الجنود التركية لأداء رسم الاحترام على أسلوبهم المعروف، وأنفض الجمع بعد ذلك، وقد شاهد الناس من كمال الأبهة وفخامة الإمامة ما لم يعهدوه والقلوب مملوءة بالأفراح ومعاني الانسراح، ثم انقضت أيام السنة المذكورة.

ودخلت سنة ١٣٣٧، والإمام مقيم بالروضة، والبلاد التي تحت طاعة مولانا الإمام وأمرها إليه، خاصة صعدة^(٢) وجهاتها إلى أطراف بني جماعة^(٣)، وأطراف رازح^(٤) وكافة الجهات القبليّة [والأهنوم^(٥)] وحجوز

(١) المشهد: مصلى العيد في جهة مسجد فروة، وهي حارة من ظاهر شعوب بصنعاء، تنسب إلى المسجد الكائن فيها، انظر، مذكرات المؤيد بالله، ٤٤، جامع صنعاء، ١١-١٠.

(٢) صعدة: شمال صنعاء على بعد ٢٤٣ كم، كانت تسمى قبل الإسلام جُماع، انظر، صفة جزيرة، ٥٣، مراصد الاطلاع، ٨٥٤ / ٢، البلدان اليمنية، ١٦٣، نزهة النظر، ٢١ / ١، نشر العرف، ١٩٠ / ١، فرجة الهموم، ٣٦، حياة الأمير، ٦٢٣.

(٣) بنو جماعة: بطن من خولان، لهم بلاد واسعة من أعمال صعدة، تعرف ببلاد بني جماعة، انظر، قبائل العرب، ٢٠١ / ١، حياة الأمير، ٦١٣، ٦١٥، معجم المقحفي، ١٢٧.

(٤) رازح: من بطون خولان الشام، والجليل المشهور فيها، جبل رازح، غرب شمال صنعاء، أحد قضوات صعدة، انظر، أئمة اليمن، ٣١ / ٢، نشر العرف، ٧٨٨ / ١، مذكرات المؤيد بالله، ٨٩، معجم المقحفي، ٢٥٨، صفة جزيرة، ٢٥٠.

(٥) الأهنوم: جبال شاذحة في بلاد حجة في الشمال الغربي من صنعاء، سُميت بالأهنوم بن الحارث، أغلب قبائلها من بكيل، انظر، شرح أجود المسلسلات، ٢١، معجم المقحفي، ١٥، حياة الأمير، ٦١٠، معجم الحجري، ٩٥-٩٩.

الشام^(١) والشَّرَفَيْن^(٢) وبلادُ السُّودَةِ وكُحْلان تاج الدين^(٣) وعَقَّار^(٤) [١] والجهاتُ المتوسطةُ إلى أطرافِ يَرِيم، وأطرافُ مَخلاف العَوْد^(٥) بالاشتراك^[٢] بينه وبينَ الدولةِ العثمانيةِ على وَفْقٍ ما جرى، عليه الصلحُ^[٣] بينه وبينَ الدولةِ العثمانيةِ على يدِ الوزيرِ أحمد عزت باشا الواصلِ إلى اليمن في أَثْناءِ سنةٍ واحدٍ وعشرين

(١) حَجُور: منطقة واسعة بالشمال الغربي من اليمن، من أوديتها مور، جبالها فصائل من جبال الشرفين، وتتبع حَجَّة إدارياً من قبائلها أسلم وأفلح وحجور الشام، والأهنوم والقَفْلَة وشُهارة، من أقسامها حجور الشام وحجور اليمن وحجور البُشْرى، وبلاد الشرف الأعلى والأسفل، انظر، معجم المصحفي، ١٥٦، تاريخ اليمن الثقافي، ١/ ٥٥، مصادر الفكر الإسلامي، ٤١٠، اليمن الكبرى، ١٦٦، حياة الأمير، ٦١٦.

(٢) الشَّرَفَيْن: شرف حَجُور الأعلى والأسفل، في الشمال الغربي من حَجَّة، ويتبعه كُحْلان الشرف، والشرف كثير في اليمن، انظر، الاكليل، ١٠/ ٨٦، صفة جزيرة، ١٢٦، المفيد، ١٤٨، نشر العرف، ١/ ٦٧، نيل الوطر، ١/ ٥٨، معجم الحجري، ٢/ ٤٥٠، معجم المصحفي، ٣٥١.

(٣) كُحْلان تاج الدين: مدينة جبلية في الشرق الشمالي من حَجَّة بمسافة ١٧ كم، ويُقال لها، كُحْلان عَقَّار، نسبة إلى تاج الدين، محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة، شقيق عبد الله بن حمزة، انظر، معجم المصحفي، ٥٣٤، معجم الحجري، ٢/ ٦٦٣، هجر العلم، ١٨٠٨ وفيه تقع في سفح حصن كُحْلان من جهة الشرق، تبعد عن صنعاء ٩٠ كم.

(٤) عَقَّار: بلد من نواحي حجة شمالي شرق، على مقربة من كُحْلان تاج الدين، ينسب إليها بنو عَقَّار يفصلها عن حَجَّة وادي شَرَس انظر، صفة جزيرة، ١٨٣، الاكليل، ٢/ ٨٨، معالم الآثار، ٧٦، نشر العرف، ٢/ ٦٨٥.

(٥) العَوْد: مَخلاف واسع من ناحية النادرة، شرق شمال إب انظر، صفة جزيرة، ٢٠٠، الاكليل، ٢/ ١٤٧، ٢/ ٣٦٧، معجم الحجري، ٢/ ٦١٨، معجم المصحفي، ٤٥٣.

[١] الإضافة من س.

[٢] ف س، للاشتراك.

[٣] في ص، السلام.

وثلاث مئة ألف، وحكام مولانا قائمون بأعمالهم في حَراز^(١) ويرِيم وذَمَار وأنس^(٢) وصنعاء وعَمْرانَ وَحَجَّة وكوكَبان والنادرة^(٣) والجهات المجاورة لصنعاء وغيرها. ووالي اليمن من قَبْل الدولة العثمانية محمود نديم بك وقائدُ الجيوش التركية أحمد توفيق باشا وقائدُ الجيوش المِرابطة بلحج سعيد باشا، ومن أطرافِ قضاء اللُّحَيَّة^(٤) إلى نهاية قضاء المَخَا^(٥) تحت أيدي العثمانية، والمستولي على قضاء أبي عريش^(٦) وصَبِيَّا^(٧) وبني

(١) حَراز: صقع متسع غربي صنعاء بمسافة ٨١ كم، مركزه مَنَاحَة، وهو قضاء تابع لصنعاء، ويتكون من مناطق جبلية، انظر، الأكليل، ٢٠٣/١، صفة جزيرة، ٢٠٩، صفحات مجهولة، ٤٥، معالم الآثار، ٧٧ نيل الوطر، ٣٥٧/١، حياة الأمير، ٦١٧.

(٢) أنس: بلد واسع في الجنوب الغربي من صنعاء بمسافة ٦٠ كم، قاعدته ضُوران، انظر، معجم الحجري، ١/ ٢١-٣١، معجم المقحفي، ٥-٧.

(٣) النَادِرَة: اسم قضاء ناحية من قضوات إب شرق شِمال إب ويشمل ناحية النادرة وخبان ودمت وقَعَطْبَة، جنوب صنعاء، في وادي بَنَّا، انظر، معجم المقحفي، ٦٥١، معجم الحجري، ٢/ ٧٢٧، حياة الأمير، ٦٣٢.

(٤) اللُّحَيَّة: ميناء يماني يقع على شاطئ البحر الأحمر إلى الشمال من ميناء الحُدَيْدَة، تقع عند مصب وادي مور في ساحل المحالب، في الوسط بين الحُدَيْدَة جنوباً وبين ميدي شمالاً، انظر، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٠٠، المفيد، ٤٢، طبق الحلوى، ٩٠، اليمن الكبرى، ٩٨، اليمن الخضراء، ٩٠، معجم المقحفي، ٥٤٨، هجر العلم، ١٩٢٩.

(٥) المَخَا: مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر إلى الشمال من باب المندب، غربي مدينة تعز بمسافة ٩٤ كم، قديمة، ذكرتها النقوش باسم موزا، انظر، معجم المقحفي، ٥٧٠، معجم الحجري، ٢/ ٦٩٤. طبق الحلوى، ٥٨، البلدان اليمانية، ٢٥٦.

(٦) أبو عريش: بلدة مشهورة في المخلاف السلياني، في الشرق من جيزان، تبعد عن مرفأ جيزان بنحو ٣٥ كم هجر العلم، ١٤٢٣، اليمن الكبرى، ١١٧-١١٩.

(٧) صَبِيَّا: بلدة عامرة في المخلاف السلياني، ذكرها ياقوت، وقال: صبيا من قرى عَثْر من ناحية اليمن، شمال جازان بنحو ٦٥ كم، وشمال شرقيها جبل عُكُوة القريب من بلاد الزرائب، انظر، هجر العلم، ٣/ ١١٥٤، البلدان اليمانية، ١٧٣.

مروان^(١) وتلك الجهة السيد محمد بن علي الإدريسي^(٢) وهو موالٍ للنصارى إلا على المسلمين، ومنابذ الموحدين، وكافة جهات لواء تعز تحت يد الدولة العثمانية، وأما أحوال ما عدا اليمن، فالحرب الطاحنة بين الدولة العثمانية وموافقيها من أمم الافرنج كدولة الألمان،/ والنيمسا والبلغار وبين / ١١ الإنكليز والفرانسة والاياليان والجابون من أمم الشرق الأقصى وأمريكا، ومن انضم إليهم من دول النصرانية غير من ذكرنا فلم تزل مشتعلة الوقود في كافة أنحاء المسكونة تقريباً، من أثناء سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة إلى هذه الغاية. وقد تلف من الفريقين^{١١} أمم لا تُحصى وتحاربوا في البر بالمدافع والبنادق والجيش جرارة التي لم يُعْهَدْ مثل جموعها منذ كانت الحروب، حتى قُدرت جيوش كل دولة بمتعدد الملايين، والمليون ألف ألف مقاتل. وفي البحار بالبوابير العظيمة المصفحة بالحديد والفولاذ التي يقل الواحد منها الآفاً من الجنود والمدافع الضخمة التي لا يُرمى بها ولا تُدار ولا تدخل فيها مرمياتها إلا بالآلات الهندسية، والبابور عبارة عن السفين العظيمة المسيرة بقوة البخار المتولد من شدة غليان الماء بالنار، وفي الهواء بالطيارات التي بلغ ما تحملهُ إلى العشرات والمئة من الرجال مع مقذوفاتها الجهنمية، وهي مصنوعة من الفولاذ تطير بقوة البخار المذكور بآلات سريعة الدوران فيتولد من سرعة

(١) بنو مروان: من قبائل تُهامة الشمالية وهم من بني مالك بن شهر، تسكن جبال السراة الغربية الشمالية الواقعة على تهامة اليمن، انظر، حياة الأمير، ٦١٢ .

(٢) محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي ت ١٣٤١هـ، حاكم عسير والمخلاف السلياني، أصله من فاس درس، في الأزهر ثم جاء إلى عسير، تعاون مع الإنجليز والطلليان، وشاغل الإمام يحيى بحروبه بمساعدة الإنجليز والطلليان حتى احتل الحُدَيْدَة، حول حروبه وعلاقاته انظر، تاريخ سينا لنعوم شقير، ٦٦٦، ملوك العرب لأمين الريحاني، ١/ ١٩٨، هجر العلم، ١١٥٧، الاعلام للزركلي، ٦/ ٣٠٣ .

[١-١]، سقطت من س.

دورانها صعودها بما أقلته في الهواء، وغير ذلك من الاختراعات العجيبة والأدوات الغريبة.

وكان الحرب بين الفريقين^(١) مستمراً، ولم تظهر الغلبة التامة لأحدهما مع بذل كل فريق ما في وسعه، ولقد نُقِلَ إلينا أنَّ القتلى الذين استشهدوا في جناق قلعة^(٢) أمام مضيق بحر مرمرة، الموصِل إلى استانبول^(٣) من العساكر العثمانية نحو من مئة وخمسين ألفاً، وهذا في معارك محل واحد.

فما بالك بسائر محال الحرب، وقد أصاب اليمن من نار هذا الحرب شرارة، فإنَّ أمراء الحكومة العثمانية باليمن بعد إعلان الحرب المذكورة وجهوا عساكرهم ومعداتهم إلى الحج^(٣)، وهي إذ ذاك بأيدي بني العبدلي^(٤)، وهم داخلون تحت حماية الإنكليز ورعايتهم، فصبّحوها بغاراتهم الشعواء، واشتعل الحرب بينهم وبين أجناد الإنكليز والعبدلي، فانهزم الإنكليزيون،

(١) جناق قلعة: اسم لمدينة وقلعة Canakkale، تربط بحر مرمرة ببحر ايجة (المتوسط)، عُرفت في العهد العثماني باسم القلعة السلطانية.

(٢) استانبول: عاصمة الدول العثمانية، ترتبط آسيا بأوروبا، معروفة ومشهورة، من أسماؤها القسطنطينية وبيزنطة والاستانة.

(٣) الحج: مخلاف ومدينة، في نهايته من الجنوب عدن، تبعد عن عدن بمسافة ٤٠ كم، ومركزها الحوطة، كثيرة الخيرات، وفيرة المياه، انظر، البلدان اليمنية، ٢٤٥، اليمن الكبرى، ١٦٠، طبق الحلوى، ١٤٠، معجم الحجري، ٦٧٧/٢.

(٤) بنو العبدلي (ويجوز بالفتح)، سلاطين الحج ينسبون إلى عبدل، أحد أسماء حضرموت، وسلطان لحج منهم عبد الكريم بن فضل، الذي تسلطن سنة ١٣٣٦ هـ، انظر، حياة عالم وأمير، ٢٥٣.

[^١] وقُتِلَ سلطانُ لحج^١ وفَرَّ الباقيون إلى عدن^(١) وثَبَتَ الجندُ العثمانيُّ في لَحْجَ وما جاورَهُ إلى الغربِ من عَدَنَ، وما زالَ الجندُ العثمانيُّ مرابطاً هنالك، ومعهم كثيرون من أهلِ اليمنِ متطوعون للجهادِ، وكلَّمَا خَرَجَ الإنكليزُ من عَدَنَ أغاروا عليهم وردُّوهم إلى أَمَاكِينِهِم وغنموا من معدَّاتِهِم والآتِيهِم / وأَعْيَاهُم أمرَهُم.

١٢ /

[^٢] وفي أَثْنَاءِ شَهْرِ الحَرَامِ مِنَ العَامِ الجَدِيدِ رُفِعَتْ إلى المولى الإمامِ التّهاني من الأفاضلِ، وهي كثيرةٌ، وَمِنَ أَرَخَ العَامَ الحَاجُّ الجمالي عليُّ بنُ أحمدَ صلاحَ الدين^(٢)، البَادِرَةُ في التواريخ، والذي رفعه إلى المولى الإمامِ قوله: [الكامل]

بُشِّرِي بِإِقْبَالِ الإِمَامِ فَإِنَّهُ	فِي عَصْرِنَا وَافِي بِأَفْرَاحِ الْمُهْجِ
فَاللَّهُ يَنْصُرُهُ عَلَى كُلِّ الْعَدِي	وَيَدِيمُ دَوْلَتَهُ لِإِبْلَاحِ الْحُجَجِ
وَقَدُومُهُ بِالْفَتْحِ جَاءَ مُبَشِّراً	وَالنَّاسُ حِينَ أَتَى أَتَوْا مِنْ كُلِّ فِجْ
وَالْحَمْدُ لِلْبَارِي عَلَى إِقْبَالِهِ	فَلَقَدْ أَزَالَ بِيَمِينِهِ حَرَجَ الْهَرَجِ
وَبَشَائِرُ التَّائِيدِ أَشْرَقَ نُورُهَا	وَالْعُسْرُ زَالَ وَأَمْرُهُ عَنَّا عَرَجَ
وَالْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ فِي رَاحَةٍ	وَالنَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ فِي أَعْلَا دَرَجِ
وَلِذَلِكَ الْبُشْرَى أَتَى التَّارِيخُ قَدْ	لَا حَتَّ لِكُلِّ النَّاسِ أَنْوَارُ الْفَرَجِ

(١) عَدَنَ: مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن في الجنوب، مرفأ المراكب القادمة من الهند والحجاز والحبشة، يحميها جبل شمسان وبها قلعة حصينة، انظر، صفة جزيرة، ٥٣، معجم البلدان، ٨٩/٤، مراصد الاطلاع، ٩٢٣/٢، معجم الحجري، ٥٨٢/٢، طبق الحلوى، ٧٣.

(٢) علي بن أحمد صلاح الدين ت ١٣٧٩ هـ، عالم، أديب شاعر، له ولع بالتاريخ ونظم الألغاز، تولى الكتابة على بعض أعمال الوقف في نظارة السيد قاسم بن حسين أبو طالب، قاسم العزي، ولد في صنعاء في صفر ١٢٩٠ هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٢٠.

[١-١]، سقطت من س. وعليها تعليق: فليُنظر ذلك. كان السلطان هو أحمد بن علي العبدلي الذي مُنِحَ لقب "Sir" سير، وقد انسحب من عدن، وقد أصيب برصاصة أثناء الهرج والفوضى التي دبت في المعسكر، ووصل عدن جريحاً، وهناك فارق الحياة، انظر، جيڪب، ملوك شبه الجزيرة العربية ١٠٣-١٠٤.

[٢] سقط من س حوالي ثلاث أرواق

وفيه وصل أوائل حجّاج بيت الله الحرام، ووصفوا بعض ما بلغهم من أخبار الشام والعراق، والخلاصة من ذلك:

أنّه قبل سنتين من هذا التاريخ حصل الانحراف من الشريف حسين بن علي^(١) من ذوي عون، أشراف مكة، عن طاعة الدولة العثمانية، ولم يزل أسلافه تحت طاعة الأتراك من بداية استيلائهم على القطرين الشامي والمصري في القرن العاشر في زمن السلطان سليم بن بايزيد^(٢)، فانتموا إلى العثمانيين بعد أن كانوا في زمن الغورية المتملكين للشام ومصر، ينتمون إليهم، فلما أزالهم السلطان سليم بادروا بالانتماء إلى الأتراك، واستمروا كذلك والأشراف لهم الحل والعقد في الحجاز بالاشتراك مع ولاية الأتراك.

ولما حصل الحرب العظيم، وكانت أمم الإفرنج قد أظهرت سيطرتها على الأمم وعلى الخاصة، ما تمكنت منه الإنكليز، فإنهم قد كانوا أغووا كثيراً من رؤساء المسلمين في جزيرة العرب واستهؤوهم واستمالوهم إليهم في صفة المعينين لهم، وكانوا يمدونهم بالأسلحة نكاية بالأتراك.

(١) الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون، من أحفاد أبي نُمي ابن بركات الحسني الهاشمي ت ١٣٥٠ هـ في عمان، ودفن في القدس، آخر من حكم مكة من الهاشميين ونادى باستقلال العرب والانفصال عن الدولة العثمانية، حارب الأتراك، وقاد الثورة العربية الكبرى، خدعه الانجليز وأفشلوا آماله في وحدة العرب، انظر ملوك العرب، ٢٣/١، وما رأيت وما سمعت، ١٠٩، قلب جزيرة العرب، ٣١٦، الاعلام، ٢٤٩/٢

(٢) سليم بن يايزيد: يا ووز سلطان سليم بن يايزيد الثاني، تاسع سلاطين بني عثمان حكم من ١٥١٢ - ١٥٢٠ انظر Osman Lilar Albumu 1:49.

ففي نجد استهزؤا بني سعود^(١). وفي البحرين وعمان استمالوا مَنْ فيه من الخوارج، حتى دخلوا تحت حمايتهم. وفي الكويت ابن الصّباح^(٢)، وفي حضرموت^(٣) والشحر^(٤) ومكلاً^(٥) القعيطي^(٦) وهو تحت حمايتهم، واحتلوا عدن من البلاد اليمنية، واستمالوا العبدليين وغيرهم من قبائل السواحل، وكان القطر المصري تحت أيديهم، وكذلك الخليج الذي وقع حفره.

وكان الوصلُ به بين البحر الرومي وهو البحر الأبيض وبحر القلزم المسمى الآن بالبحر الأحمر فكان أيضاً تحت أيديهم، وقد كان الأتراك أرادوا اجتيازَه من الجهة الشامية، ليتوصلوا به للدّخول إلى مصر، فصدّوا مراراً بما أعدّه الانكليز هنالك من القلاع والجنود، وساعدهم المصريون على ذلك فتيسّر لهم بهذا الغزو المهول / استمالة الشريف حسين بن علي للخروج عن طاعة العثمانيين، ١٣ /

(١) عبد العزيز عبد الرحمن بن فيصل بن سعود ١٢٩٣هـ - ١٣٧٣هـ، مؤسس المملكة العربية السعودية، انظر، الاعلام ١٩ / ٤٢ وسيرته، أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث، فؤاد حمزة: البلاد العربية السعيدة، حافظ وهبة: جزيرة العرب، ومراجعته كثيرة.

(٢) المقصود بابن الصباح: الشيخ سالم بن مبارك الصباح (حكم ١٩١٧-١٩٢١م / ١٣٣٦هـ - ١٣٤٠هـ)، انظر، تاريخ الكويت الحديث، أحمد مصطفى أبو حاكم، ٣٤٢. (٣) حضرموت: تعرف بالأحقال قديماً، بلاد واسعة في جنوب اليمن، تقع إلى الشرق والشمال الشرقي من مدينة عدن، نسبت إلى حضرموت بن حمير الأصغر انظر، معجم الحجري، فرجة الهموم، ٣٧، المقتطف، ١٦، معجم المقحفي، ١٧٧، اليمن الخضراء، ١٢٦.

(٤) الشّحر: مدينة من حضرموت، تطل على البحر الهندي، ميناء هام من موانئ حضرموت، ينسب إليها العنبر الشحري انظر اليمن الكبرى، ١٧٣، معجم البلدان، ٣٢٧ / ٣، اليمن الخضراء، ١٢٨، قرة العيون، ٣٠٤، معجم الحجري، ٢ / ٤٤٧.

(٥) المكلاً: على ساحل بحر اليمن، ميناء مشهور.

(٦) المقصود السلطان غالب بن عمر القعيطي.

وإعلان الانفصال عنهم، فثار بمن في مكة من الجند التركي وأسرهم، واستولى على ذخائرهم ومهماتهم الحربية، وساق الأسرى إلى جدة^(١). وسلمهم إلى الانكليز، ثم جهّز أولاده إلى الجهات بقبائل الحجاز، فوجّه ولده فيصل^(٢) إلى العقبة^(٣)، وهي آخر مرسى للبحر الأحمر مقابل للقطر الشامي. وجاء إليها بحراً على بوابير الإنكليز، وبعضهم على المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - وما زالت الحروب بينهم ومعهم الانكليز يمدّونهم بالمال والذخائر والرجال وبين الأتراك سجلاً، تارة لهم وتارة عليهم، حتى ثبتت أقدام الشريف فيصل ومن معه، واستولوا على العقبة، وأسرّوا من فيها من جنود الأتراك ثم تقدّموا إلى أن وصلوا إلى معان^(٤)، وهي بلدة كانت أعمالها مربوطة بولاية دمشق، واستولوا عليها، وتمكنوا بذلك من قطع السكة الحديدية^(٥) التي كانت ممتدة من دمشق إلى المدينة المنورة. قلت: وهذه السكة الحديدية اعتنى بتشيدّها وبنائها السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد العثماني في أواسط سلطنته، وتمّت بعد أعوام، أنفق فيها السلطان المذكور الأموال الوفيرة، والسكة

(١) جدة: تقع على ساحل البحر الأحمر، ميناء تجاري للسفن القادمة من الهند وعدن واليمن وعيذاب وسواكن ودهلك، معروفة من الحجاز، انظر، الروض المعطار، ١٥٧، الحضراوي، الجواهر المدة، ١١، السلاح والعدة، لابن فريج، ٣٦.

(٢) فيصل بن الحسين بن علي ت ١٣٥٢ هـ، قاد قوات الشريف الحسين في معاركه ضد العثمانيين ونودي به ملكاً على سوريا ومن ثم على العراق، انظر عمر أبو النصر، فيصل بن الحسين، أمين الريحاني، فيصل الأول، الاعلام ٥ / ١٦٥.

(٣) العقبة: في جنوب الأردن، تقع على ساحل البحر الأحمر، ميناء الأردن، انظر، الروض المعطار، ٧٠.

(٤) معان: مدينة في بلاد الشام إلى الطريق إلى المدينة، هي في جنوب الأردن.

(٥) المقصود سكة حديد الحجاز، انظر حجاز تيمور يولي ط ١٣٢٨ هـ.

الحديدية عبارة عن بناءٍ ممرٍ للبوابير المسماة في اللغةِ الفرنجية بالشمندوفار^(١)، تُشَيَّدُ أولاً برصّ الأحجارِ بعدَ الترابِ ثم بالحشْبِ ثم بالحديدِ، ليكونَ مرورُ عجلاتِ البوابيرِ البريَّةِ فيها، ولها في سرعةِ السيرِ الغايةُ القصوى، فقد كانَ المسافرُ يصلُ من دمشقَ إلى المدينةِ المنورةِ في أربعةِ أيامٍ بعدَ أن كانت لا تقطعُها الرواحلُ إلا في أربعين يوماً والمسافرُ مع ذلك في البابورِ البري قاعدٌ كأنه في مكانٍ منْ غُرفِ بيتِه لا يُصيبُه ألمٌ ولا مشقةٌ.

وهذه البوابيرُ البريَّةُ مسيرةٌ بقوةِ البخارِ المتولِّدِ من فرطِ غليانِ الماءِ بالنارِ، وبواسطتها تمكَّنَ الأتراكُ من البقاءِ في المدينةِ المنورةِ لجلبِهم الجنودَ والذخائرَ والنفقاتِ للجنودِ على هذا البابورِ، فلما وصلَ الشريفُ فيصلٌ إلى مَعانَ، وتمكَّنَ من قطعِ السَّكةِ الحديديةِ، زحفَ الشريفُ فيصلٌ وجنودُه والإنكليزُ وجنودُهم والفرانسويون على دمشقَ، وقد كان الإنكليزُ -بعدَ أن صدوا العثمانيين من اجتيازِ القنال- أنزلوا جنودَهم إلى مدينةِ غزة^(٢) والعريش^(٣)، ووقعتْ بينهم وبينَ الأتراكِ ومَنْ أعانهم من الألمانين، معاركٌ شيبُ منها الوليدُ، وزحفوا منها إلى فلسطينَ، واستولوا على بيت المقدسِ وجميعِ بلادِ فلسطينَ، ثم زحفوا منها إلى الشامِ وجرتْ بينَ الفريقينِ معاركٌ كبرى على أريحا^(٤) وبحيرةِ طبرية^(٥).

(١) الشمندوفار: Chemins Defer، الكلمة فرنسية وتعني خطوط السكك الحديدية.

(٢) غزة: مدينة في جنوب فلسطين، على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بها قبر هاشم بن عبد مناف، انظر الروض المعطار، ٤٢٨.

(٣) العريش: من مدن مصر، على الساحل، أول مدن مصر من فلسطين، الروض المعطار، ٤١٠، صبح الأعشي، ٣/٣٨٢، ياقوت، معجم البلدان مادة عريش.

(٤) أريحا: مدينة فلسطينية قديمة، أقرب مدن فلسطين إلى نهر الأردن، مشهورة معروفة.

(٥) طبرية: مدينة من بلاد الأردن بالشام، بناها طياريسوس أحد ملوك الروم، تقوم على بحيرة، وهي معتبرة من مدن فلسطين المحتلة، انظر، الروض المعطار، ٣٨٥، البلدان لليعقوبي، ٣٢٧.

وفي نهايتها تقهقر العثمانيون، ووقع جنود الأتراك في أيدي الإنكليز أسرى، حتى لقد قيل: إنه بلغ عدد أسرى الأتراك في الشام إلى ما ينوف على سبعين ألفاً، والأمر لله وحده، ولما تم لهم ذلك اجتمع على دمشق ودخلوها، وأسروا / ١٤ من فيها من الجنود، وانتهبوا ما فيها من المعدات. وتقلص ظل سلطنة الأتراك عن البلدان الشامية جميعاً، فإنهم بعد ذلك تبّعوها بلداً بلداً، واستولوا على مثل بيروت وطرابلس وحمص وعكا وصيدا وصور و نابلس. وزحفوا منها جميعاً إلى ولاية حلب، وتم لهم ما أرادوا من الاستيلاء عليها، وعلى جهاتها واستقبلهم سكانها بالترحيب، وهكذا انقضى زمن دولة الأتراك من تلك الأقطار.

ولما تم من الحوادث المهولة هذه ما تم، وصادف وقوع أكثرها في موسم الحج، كان الحجاج يشاهدون إشعال النيران من طرف الشريف حسين وأعوأيه. وضرب المدافع وغير ذلك، مما هو علامة على ورود البشائر فيسألون عن ذلك، ويقال لهم: إن الشريف فيصلاً استفتح بلد كذا، فوردوا بهذه الأخبار، ورفع إلى مولانا الإمام -أيده الله- بعض منها، فاهتم لها اهتماماً عظيماً، وظهر عليه أثر الأسف لما تحويه من وقوع الدولة العثمانية في شبكة مكر النصارى، ومن أعانتهم مغترأ بعودهم الكاذبة وإمدادهم له بالأموال في سبيل سعيه في مصلحتهم، لا قوة إلا بالله.

ولقد بذل الإنكليز غاية مجهودهم في استمالة مولانا الإمام إلى نقض ما بينه وبين حكومة الأتراك من الصلح، فأبت نفسه الكريمة وحميته الدينية وأنفته الهاشمية إلا الوفاء بالعهود والاستمرار على السعي المحمود. بل لم تنزل يده الطولى تمد إلى الأتراك - في أثناء هذا الحرب العظيم، بالجُم من الأموال، ولا سيما بعد

إحكامهم حلقات الحصار البحري على مَنْ باليمن وانقطاع المدد عنهم من كل جهة، وهكذا شأن مَنْ كل أعماله يُرادُّها وجهُ الله عزَّ وجل، ولا يشوبها وزنُ الطمع المُفْضي للوقوع في مزالق الزلل، فجزاه الله عن المسلمين خيراً، فلقد أبقى للديار اليمنية الداخلة تحت طاعته سمعةً يتعطرُ منها جيبُ الزمان، ويستنشقُ عند ذكرها نفحاتِ مدادِ الرحمن^[١].

وفي اليوم التاسع من شهرِ صفر، وصلَ والي اليمن محمود نديم بك ورئيسُ الجنودِ التركيةِ وقائدها أحمد توفيق باشا إلى صنعاء عائدين من اليمن الأسفل وجهاتِ زَبِيد، وكانت طريقهما من الجهةِ العدنية^[١] إلى إب^(١) فيرَيم وذمار وما بعدها إلى صنعاء^[١]، وخرجَ الناسُ لاستقبالهما وظهرَ عليهما بعضُ إماراتِ الانزعاج.

وفي اليوم الثاني، وهو عاشرُ الشهرِ بادرا بالوصولِ إلى مولانا الإمام وتشرفا بزيارته، وأبلغا مولانا الإمامَ ما قد وصلَ إليهما من الأخبارِ المدهشةِ السريعةِ، وكانت حقيقةُ ما وصلا إليهما أنها في أثناءِ عودهما إلى صنعاء لم يَرُعهما إلا ورودُ نبأ تلغرافي في كتبٍ مِنْ لحج، بعدَ أن تُلقي من عدن بواسطة الإنكليز، وكان عليه اسمُ الصدرِ الأعظم أحمد عزت باشا^(٢)، وهذا اللقبُ في الدولةِ العثمانية لرئيس وزراء السلطان، ولم يكنِ محرراً بأحرفِ الكتابة وقواعدها بل بالآلةِ المسماة بالشفيرة، فلما صار حل تلك الأعداد،/ كان ما تَضَمَّنَه^[٢] عبارةً عن / ١٥

(١) إب: مدينة عامرة تبعد عن صنعاء ٢٠٠ كم جنوباً غرباً في رأس ربوة متصلة بجبال بَعْدَان، وعلى بُعد ٦٥ كم من تعز، انظر، مرصد الاطلاع، ١٠/١، معجم البلدان، ١/٦٤، تاريخ مدينة صنعاء، ٦١٧، البلدان اليمنية، ١١٥، حياة الأمير، ٦٠٧.

(٢) حول الهدنة والتلغرافات انظر، هدية الزمن ٢٤٢-٢٦٠ والوثائق ص ٣٠٣-٣١٤، وقد ناقشنا هذه التلغرافات في الدراسة وأوضحنا رأي الإمام فيها.

[١-١] سقطت من س. [٢] في ص، نصه.

الإفادة بوقوع الهزائم المتوالية على الدولة العثمانية والألمان، ومن إليهم، وأن الدولة قد اضطرت بعد فرار وزرائها الذين تولوا أمر الحروب إلى ترتيب الوزراء الآخرين والمبادرة إلى طلب الصلح من الإنكليز والفرانسويين ومن إليهم، وكان عقد الهدنة بين الفريقين مدة ثلاثة أشهر، وجاء من شروط عقد الهدنة^[١] التي رُتبت بين الفريقين^[١] أن على الدولة العثمانية أن تضع قوتها البحرية والبرية ومعداتها تحت تسلط الإنكليز ومن إليهم، وأن يحتل الإنكليز ما أرادت من بلدان الدولة العثمانية الباقية تحت يد الدولة العثمانية إلى وقت عقد الهدنة. وأن الجنود الباقية في مثل اليمن والمدينة المنورة وعسير ونحوها، يكون منهم تسليم أنفسهم ومعداتهم إلى يد الإنكليز، وغير هذا من الشروط التي لا يطبق تحملها ذو حياة، وألزم الصدر الأعظم أمير الجنود التركية ههنا - أعني في اليمن - بالعمل بمقتضاها^[٢] والترامي إلى أحضان العدو الكافر، نسأل الله السلامة من الخذلان، ولما أفاض المذكوران حديثهما^[٣] ورفعاه إلى مسامع مولانا الإمام، قابلهما بالثبوت ولزوم التأني والتعميم على عدم التسلم^[٣] إلى الكافر، ووعدهما الإمام بكل جميل والتزم لهما بالإنفاق على الجنود، وبقاء الأمور جارية على محورها المعهود، وأفادهما بأنه لا ينبغي الاطمئنان إلى خبر كان مصدره العدو، وأما كونه بالشفيرة السرية فتطرق إليه احتمال عثور الإنكليز في البلدان الشاميّة أو العراقية، التي استولوا عليها، على مفتاح حلّها^[٤]، وبعد بذل المجهود من مولانا الإمام في صد المذكورين عن العمل بمقتضى ذلك البناء، استقرّ الحال على أن يكون من مولانا الإمام الدخول إلى

[١] في س، بمقتضى هذا.

[٣-٣] سقطت من س.

[٤] في س، سرها وحلها.

[٣-٣] سقطت من س.

صنعاء واستلام قصر غمدان^(١)، والمعدات الموجودة فيها، وكذلك في سائر الجهات، وأرسل مولانا الإمام أمراً شريفاً إلى قائد الجنود التي بلحج سعيد باشا يلزمه فيها بالتوقف عن تسليم نفسه، ومن معه من الجنود والمعدات الحربية، وكانت شيئاً، وعدداً وفيراً، وكان أرسله بواسطة التلغراف، وقابل مولانا الإمام -أيده الله- هذه الحوادث المريعة بثبات الجأش التي لا تزغزغ زوابع الحادثات الكوارث، وكان ذلك ديدنه -عليه السلام- فلم يكن ممن يغرّه الانتصار ولو عظم، ولا يقعد همته الصادقة مهول الانكسار وإن جَسَم.

لا زال يتلقى الأمور بترؤ وبصيرة، فيبرزها في أكمل خطة منيرة، وكان من عناية الله -سبحانه- بشأنه وشأن المسلمين، ما ألهمه الله للقيام به من دون عادة مألوفة، وهو عزم ذاته الشريفة على الوصول إلى الرّوضة قبل أن يظهر أثر من آثار هذه الكوارث، فصادف وقوعها وهو مقيم بالرّوضة وعلى قرب تمكّن به من تلافي رمق هذه الأقطار ووقايتها من أخطار الكفار، ولولا وجوده -أيده الله- لتمكّن الكافر من الاستيلاء على البلاد، / صفواً عفواً لخلوها من المدافع / ٦ وعموم الدهشة بالخبر الفاجع، فكان قربّه - عليه السلام - ووجوده رحمة من الله لعباده، ولطفاً أزال عنهم خطر الكفر وفساده.

وفي صباح اليوم الثاني من تلك الملاقاة، وهو يوم الجمعة، حادي عشر الشهر المذكور، بادر مولانا الإمام بإرسال السيد العلامة الهمام، جمال الإسلام، عليّ بن عبد الله الوزير، ومعه عصا نافعة إلى جهات حراز لاستلام حصونها

(١) غُمدان: قصبة صنعاء، كان الضحاك بناء على اسم الزهرة بجوار جامع صنعاء، حرّبه عثمان بن عفان، كان يتكون من أربع عشرة طبقة، وإذا قعد فيه ملوك اليمن واشعلت السّرج، رئي ذلك على مسيرة أيام، انظر، الروض المعطار، ٤٢٩ صبح الأعشى ٤٠ / ٥، الاكليل، ١٢ / ٨، معجم ما استعجم، ٣ / ١٠٠٢، البلدان اليمانية، ٢١٩ .

وترتيبها خوفاً عليها من الباطنية^(١)، سكان حراز، لأنهم كانوا يُظهرون الانحراف عن الموالاة، ولاستلام ما هنالك من المدافع والذخائر الحربية، فتمّ ذلك في أقرب مدّة على أحسن ما يرام، وضُبطت تلك الجهات ورُتبت حصونها، ودخل الباطنية، الذين هنالك، تحت الطاعة والموالاة.

وبعد صلاة الجمعة أرسل مولانا الإمام السيّد العلامة عبد الله بن أحمد الوزير^(٢)، وكان مقيماً بحضرة الإمام منذ وصوله من ذمار، بعصابة نافعة إلى صنعاء، وأمره الإمام بترتيب قصر صنعاء وأبوابها، وأعقبه بأخرين للنظر فيما يُخشى فواته من المهمات.

(١) الباطنية: يقصد بها الاسماعيلية، حيث انفصلت عن الجعفرية واعتبرت الأئمة من نسل إسماعيل، ويطلق عليهم في بعض الأحيان، المكارمة، والمكارمة طائفة اسماعيلية يسمون السليمانية نسبة إلى سليمان بن حسن، من أعيان المئة الحادية عشرة، سكنوا حراز وغراس من يريم والمزاحن من العدّين، وطيبة من همدان، ورئاستهم في يام نجران وطائفة أخرى هي الدّود نسبة إلى داود بن قطب شاه ويسكنون بالشرقي، اليعابر وبني مقاتل في حراز ورئاستهم بيد سلطان البهرة في الهند، انظر، هجر العلم، ١٦٩٤، حياة الأمير ٦٣٩، ٦٤٠.

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمد الوزير ت ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٦٧ هـ في ساحة حورة في حجة إعداماً، ولاه الإمام يحيى الحكم والقضاء في ذمار سنة ١٣٣٤ هـ وقد مهّد الحدّ وعُثِّمَ ووصاب العالي والسافل وجبل راس من أعمال زبيد وخيس والمخا، وامتدّ نفوذه إلى إب وحاشد وأرحب وتهامة، وشهر أمر حملاته العسكرية وخاصة في معارك البيضاء، وكان الممثل للإمام في اتفاقية الطائف ٦ صفر ١٣٥٣ هـ، وكان لأحداث ١٣٦٨ هـ/ أثرها إذ غدا الإمام ومن ثم القي القبض عليه وأُعدم، انظر، هجر المعلم، ١٩٦ - ٢٠٧، مجلة المنار مجلد ٣٤ ج ٣ تاريخ ٣٠ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ، ١٩١، حياة الأمير، ٥٦١.

وفي نهارِ الأحدِ الموافق ثالثَ عشرَ الشهرِ المذكورِ، كان دخولُ مولانا الإمام، أيده الله، إلى صنعاء دخولاً معظماً، لم يُعْهَد مثله وخرجَ الناسُ زرافاتٍ لتلقّيه، وكان مع مولانا الإمام كثيرون من عُقَّال حاشد وأرحب^(١) ونهم^(٢) وخولان^(٣)، فقصّدَ مولانا الإمامُ جامعها المقدّس، فصلّى به صلاة العصر، ثم انتقلَ من هنالك إلى دار القاضي العلامة حسين بن علي العمري بمحروس، بئر العزب^(٤)، واستقرَّ بها. وواجهَ هنالك كافةَ الأفاضل والعلماء والأشراف وكافةَ أمراء الأتراك وقضاةِهم، وشرعَ في ضبطِ الأمورِ وتحريِ مصالح الجمهورِ،

(١) أُرْحَب: قبيلة كبيرة من همدان، واطلقت على ناحية تابعة لمحافظة صنعاء تبعد عنها بمسافة ٥٠ كم شمال شرقيها، يحدها شمالاً وادي ذيبين وجنوباً بني الحارث وشرقاً بلاد الجوف وبعض نهم وغرباً همدان وطرفاً من حاشد، انظر، الأكليل، ١٣٤/١٠، البلدان اليمانية، ٢١، اليمن الكبرى، ٧٣، نشر العرف، ٢/٢٧٤، معجم المقحفي، ٢٤، حياة الأمير، ٦٠٩.

(٢) نهم: قبيلة من بكيل الهمدانية، مساكنها في الشرق الشمالي من صنعاء، على بعد ٥٨ كم، تتصل من شمالها بالجوف وبلاد سُفيان ومن شرقيها بالجوف ومن جنوبها ببلاد حشيش وخولان العالية، ومن غربيها ببلاد أرحب، انظر، الأكليل، ٤٥٣/٢، صفة جزيرة، ١٥٤، نشر العرف، ٢/١٩٤، معجم الحجري، ٢/٧٤٦، اليمن الكبرى، ١٩٤، معالم الآثار، ٣٧.

(٣) خولان: من القبائل اليمنية الكبرى وهي ثلاث أقسام، خولان صنعاء وخولان صعدة وخولان قضاة وهي خولان ابن عامر ولكل فرع بلادها الواسعة، انظر، معجم الحجري، ٣١٣/١، معجم المقحفي، ٢٢٢-٢٢٥ نشر المحاسن اليمانية، ٨١، البلدان اليمانية، ١٠٤، اللباب، ١/٤٧٢.

(٤) بئر العزب: بالغرب من صنعاء القديمة، وكان يفصله سور قصر السعادة ومباني حكومية، ويصله بصنعاء باب السباح، يحده غرباً قاع اليهود وشرقاً صنعاء وشمالاً بني الحارث وجنوباً بعض قاع صنعاء، انظر، صفات مجهولة، ٣٦، حياة الأمير، ٦١٢.

وبثَّ الأمانَ وكفَّ أيدي الرُّعاع، وصدرَ أمرُه الشريفُ بمنع الدخول من أبواب صنعاء بالسلاح، ورثب هنالك أمناءً لقبض سلاح كلِّ واصل، وكان الأمر الشريفُ يتضمَّنُ منعَ البنادقِ لا ما عداها، فجرى ذلك على أكمل أسلوبٍ، وكان في ذلك من المصلحة العامة ما ظهر أثره المحمودُ من منع وقوع الحوادثِ والفتنة بين أهل صنعاء، ومنَّ وردَ عليها أو منَّ الواصلين فيما بينهم على كثرة من يردُّ إليها من البلادِ المجاورة لها، ومن سائر الجهات، ولا سيما وقت اجتماع الجنودِ وبلوغ عددهم، إلى الآلاف العديدة.

وفي يوم وصوله - عليه السلام - تلقى الوافدين إليه من أعيان لواء تعز، وهم السيد أحمد بن علي عبد الجبار^(١)، وكان يُلقَّب بالباشا، والقاضي عبد الرحمن بن علي الحداد^(٢) حاكم لواء تعز من قبل / الدولة العثمانية، والشيخ إسماعيل / بن محمد باسلامه^(٣)، عامل قضاء إب من قبل الأتراك، وأربعة من

(١) أحمد بن علي بن عبد الكريم بن عبد الجبار المجاهد ت ربيع الأول، ١٣٦٧ هـ، عالم في كثير من العلوم، تولى القضاء في سن مبكرة وتدرج حتى صار حاكماً للواء تعز، وكان خطيب جامع الملك المظفر، ومدير المدرسة العلمية بتعز، شارك في الحرب الكونية الأولى إلى جانب العثمانيين كان يلقب بالباشا من ذرية أحمد بن المتوكل على الله قاسم بن حسين، ولد سنة ١٣١١ هـ، نظر، هجر المعلم، ١١٧٨.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن ناجي الحداد توفي سنة ١٣٤٠، أديب، شاعر، تعين للفتوى في إب، رافق وفد العلماء إلى استانبول سنة ١٣٢٥ هـ، وعينه الإمام لقضاء تعز، نظم الاختيارات الامامية للإمام يحيى وشرحها، وله تحفة الأصفياء وتحفة الإخوان، ولد في إب سنة ١٢٩٣ هـ، انظر نزهة النظر، ٣٤٧، حياة الأمير، ٥٢٦ وفيه خلاف في الولادة والوفاة.

(٣) إسماعيل بن محمد بن سلامة ت ١٣٥٢ هـ كتب محمد بن علي الأكوخ كتاب عالم وأمير ط ١٤٠٧ والعالم هو أحمد بن عبد الله بن يزيد بن صلاح مطهر هجر العلم ٤٣٩، حياة الأمير، ٥٣٨، عامل قضاء إب وحاتم اليمن للأتراك ترقى حتى رتبة قائم مقام، عينه الامام بعد انضمامه عليها.

أولاد الشيخ علي بن عبدالله بن سعيد بن أحمد بن علي سعد من مشايخ
 العُدَيْن، والشيخ محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن قاسم، والشيخ محمد بن
 عبد الواحد بن محمد بن قاسم، والشيخ عبد الواسع نعمان^(١) من مشايخ
 الحُجْرِيَّة^(٢)، والشيخ علي ناصر الكمراني نائباً عن الشيخ محمد ناصر باشا^(٣)،
 عامل القماعة^(٤)، وغيرها من الجهات المتاخمة لها، والحاج محمد عايض
 العقاب^(٥) من مشايخ حُبَيْش^(٦)، فتلقاهم مولانا الإمام أحسن تلقى، وأكرمهم
 أوفر إكرام، وكثرت المراجعة بينهم وبين مولانا الإمام فيما يكون به الموالة،
 وانتظام أمر الطاعة وصيانة البلاد من أخطار الكفار، وإيقاف العساكر التركية
 المقيمة بلحج من التسلم إلى أيدي الانكليز، ووقوفهم في مكانهم.

(١) عبد الواسع أحمد نعمان: من شيوخ الحجريّة، وعامل ناحية المقاطرة ت ١٣٣٩ هـ. في
 معركة المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٥٦٩.

(٢) الحُجْرِيَّة: بلاد واسعة جنوب تعز، كانت تسمى قديماً باسم المعافر، مركزها اليوم
 «الثربة» من قرى مخلاف ذبحان، أنظر معجم المحقفي، ١٥٥، معجم الحجري،
 ٢٣٢ / ١ - ٢٤٢.

(٣) محمد ناصر مقل، (باشا القماعة): ولاية الأتراك الضالع سنة ١٣٣٣ هـ بالإضافة إلى قائم
 مقامية القماعة، وأقبل الامام يحيى بعد دخوله صنعاء ١٣٣٧ هـ، كان متقلب الولاء، حتى
 كان له اتصال بالانجليز، انظر حوله، هدية الزمن، ٢٧٦، حياة الأمير، ٥٩٩.

(٤) القماعة: قضاء من ألوية تعز على بعد ٥٠ كم، يقع بين قعدة شمالاً والقيطة جنوباً، ولواء
 تعز غرباً، على مقربة من الجند، مركزها ماوية، أنظر، معجم الحجري، ٢ / ٦٥٧، معجم
 المحقفي ٥٢٣، حياة الأمير، ٦٢٨، وهي عزلة من ناحية ماوية وأعمال تعز.

(٥) محمد عايض العقاب: أحد مشايخ حُبَيْش الأقوياء، أنهى تمردّه في غضون ثلاثة أيام
 بعد ثورة، وفر إلى طرف الإدريسي ويقال أنه مات هناك، أنظر، حياة الأمير، ٥٩٢.

(٦) حُبَيْش: ناحية من أعمال إب في الشمال الغربي، انظر، اليمن الكبرى، ٤٤، نشر
 العرف، ١ / ٧٦٩، معجم المحقفي، ١٥١.

و^[١] من حين^[١] دخول مولانا الإمام - أيده الله - إلى صنعاء لم يزل موجهاً لهمته المباركة في استلام المهمات، وهي وإن كانت قليلة بالنسبة إلى ما كان بلحج، إلا أنها لا يُستهانُ بها، ومع ذلك، لم يزل باذلاً لغاية النصح والإرشاد لأمير الجنود التركية أحمد توفيق باشا في صرف نظره عن فكرة التسليم، وهو ومن معه من أمراء العساكر في اضطراب، تارة يميلون إلى ما قاله الإمام، وتارة يصممون على الإلقاء بأنفسهم إلى قبضة الانكليز.

وقد كان مولانا الإمام وجه السيد الهمام محمد بن علي الشامي^(١)، ومعه ما ينوف على سبع مئة رام، من المجاهدين على بني بُحَيْت^(٢) وأشرار الحدأ^(٣) بعد أن ظهر منهم العدوان، والامتناع عن إيفاء الواجبات، وكان تجهيزه في أوائل شهر صفر والإمام مقيم الروضة، فورد كتابه في سابع عشر الشهر المذكور، مخبراً بما من الله به عليه وعلى من معه من المجاهدين من النصر العظيم وهزيمة

(١) محمد بن علي بن أحمد عبد الله الشامي ت في الحدأ، ربيع الأول ١٣٤٦ هـ، أديب كاتب، وقائد محنك، كان من كتبة الامام يحيى بالقفلة، ثم عينه عاملاً على الحدأ سنة ١٣٣٤ هـ، وله حملة على ريمة والبيضاء، ولد بجحانة ٢٩٣ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٧، هجر العلم، ٣٢٤.

(٢) بنو بُحَيْت: غزلة مشهورة من ناحية الحدأ، بالجنوب الشرقي من صنعاء نسبت إلى قبيلة من قبائل الحدأ، ومشايخ بني البُحَيْتي ينسبون إليها، انظر صفحات مجهولة، ٤٧، معالم الآثار، ٨٧، معجم الحجري ١ / ١٠٤، معجم المقحفى، ٦٤.

(٣) الحدأ: اسم قبيلة من بكيل وناحية من نواحي صنعاء، بالجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة ٥٠ كم، مركزها زراجة، يقع غربها سهل جهران، انظر صفة جزيرة، ١٠٢، مراصد الاطلاع، ١ / ٣٨٦، فقهاء اليمن لابن سمرة، ٣١٢، صفحات مجهولة، ٣٢، نشر العرف، ١ / ١٤٨، اليمن الكبرى، ١٦٦، حياة الأمير، ٦١٧.

الأشرار، بعد أن تَجَمَّعوا إلى بني عيسى^(١) وما حولها من بني بُخَيْت، وأظهروا الفسادَ وركبوا غاربَ الإصرارِ على الفساد، وتحصَّنوا في المحلاتِ المذكورة، وكان القدومُ عليهم وإخراجُهم من محلاتِ تحصُّنهم وقُتِلَ من أعيانهم ورؤسائهم تسعةُ أشخاص، وجُرح منهم كثيرون واحتزَّ رأسُ الشيخ أحمد بن علي عاطف، ولم يقعْ من المجاهدين غيرُ شهيدٍ واحدٍ وجريح، وتفرَّقَ الباغون منهزمين لا يَلُؤُون على شيء، وغنم المجاهدون ما معهم. وحضر هذه الواقعة كثيرٌ من مشايخ الحدا الصالحين، وأقبلت عقايرُ^(٢) الطاعة من كلِّ جهة، وانقادَ بهذه المعركة كلُّ أبيٍّ من شياطينهم، وهالهم ما رأوه من أثرِ رمي المدافع، وإقدام المجاهدين إليهم إقدامَ الأسودِ الضواري، وظهرتْ شوكةُ الحقِّ في تلك البلادِ وطُهرتْ من أدرانٍ/ أولي البغي والفساد، وخَضَعَتْ أعناقُ المتكبرين، ولم يَقمْ / ١٨ بعدها لأهلِ الطاغوت^(٣) قائم، وكانوا قد أَلِفُوا أذِيَّةَ مجاورهم والعدوان عليهم حتى ضُربَ المثلُ بعدوانهم وإلْفِهِم للغزو والتسلُّقِ إلى الدور، فصاروا من بعد ذلك أطوعَ الناس. وتمَّ بسعي عاملها الهمام وسعادة مولانا الإمام صلاحهم وإصلاحهم،^[١] وسيأتي لتمام انتظامِ أمورِ تلك الجهة مزيدُ بيانٍ في أوامه^[٢].

وفي السابع والعشرين من هذا الشهر، بعد أن كملت المراجعةُ بينَ مولانا الإمام وأعيانِ الجهةِ التعزية، جهَّزَ مولانا الهمام السيدَ أحمدَ بنَ علي عبد الجبار

(١) بني عيسى: من مخلاف بني بُخَيْت من ناحية الحدا، انظر، معجم الحجري، ٦١٩/٢، معجم المصحفي، ٤٧٦.

(٢) عقيرة: ذبح بقرة اعترافاً بالخطأ والذنب، أمام منزل والي الأمر.

(٣) الطاغوت: الأعراف والتقاليد التي يلجأ إليها أبناء القبائل لحل مشاكلهم بما لا يتفق والشريعة الإسلامية، مثل المبالغة في تقدير الدية أو عدم توريث النساء مقابل إعطائهن الزيارة والعبارة، انظر، وثائق يمنية، ٥٤.

المذكور آنفاً، ينتهي نسبه إلى المولى أحمد بن المتوكل على الله قاسم بن الحسين، وسكن هو وسلفه مدينة تعز بخمس مئة رام من حاشد، وأمره بالعزم إلى تعز لترتيب ما يلزم من حصونها وجهاتها، وأناط به الإمام أعمال تعز ومحقاتها وبلاد العدنين^(١)، وعزم معه القاضي عبدالرحمن الحداد بعد أن أمره مولانا الإمام بإبقاء وظيفة القضاء والإشراف على كافة اللواء التعزي والسعي في توقيف سعيد باشا عن التسليم إلى الإنكليز وغير ذلك من المصالح العامة مثل القيام بإرسال نفقة من في كحج من الجند التركي، وعزم معها أيضاً الشيخ إسماعيل بن محمد باسلامه.

وقد وجه مولانا الإمام أعمال عمالة قضاء إب وجهاته إليه وتحرر الرأي الشريف له بذلك. وفي اليوم المذكور وردت البشري من سيدي العلامة يحيى بن محمد بن عباس بن الإمام^(٢)، وكان قائماً بأعمال ناحية النادرة، بأنه قد أجرى ترتيب حصن حب^(٣) المشهور بمخلاف بعدان وضبط أموره والشروع في إصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح منه. وكان ذلك من أمر مولانا الإمام، ووردت الكتب أيضاً من سيدي العلامة علي بن عبدالله الوزير^(٤) باستكمال ترتيب

(١) العدنين: قضاء من لواء إب، كان يتبع لواء تعز، ومدينة العدنين تبعد ٤٠ كم عن إب، انظر، معجم المقحفي، ٤٣٤، معجم الحجري ٢/ ٥٩٠، حياة الأمير، ٦٢٦، اليمن الكبرى، ٤٤، نشر العرف، ١/ ٧٢٠.

(٢) يحيى بن محمد بن عباس بن عبدالرحمن (أمير الجيوش) ت ١٢٨ ربيع الآخر، ١٣٨٢ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م، له ترجمة واسعة في ص ٣٩ من المخطوط.

(٣) حصن حب: حصن منيع، يبلغ ارتفاعه ٣٥٠٠ م، في سرة جبل بعدان من إب، انظر، صفة جزيرة، ١٠١، مراصد الاطلاع، ١/ ٣٨٥، تاريخ بهرام، ٥، معالم الآثار، ١٠٤، اليمن الخضراء، ٤٤.

(٤) علي بن عبدالله بن محمد عبدالله الوزير ت اعداماً في ٢٣ شعبان ١٣٦٧ هـ، وقد وردت له ترجمة واسعة في ص ٣٩ من المخطوط.

حصون جهات حراز، وآخر ما رتبه منها حصنُ شبام^(١) المشهور.

وفي أوائل شهر ربيع الأول، وجّه مولانا الإمام إلى حراز القاضي الهمام عليّ بن عبد الله الأكوخ^(٢)، عاملاً في قضاء حراز جميعه ومنه جبل صَعْفَان^(٣) وناحية الحَجِيلَة^(٤)، فعزم لذلك وباشر الأعمال، وقام بها أتمّ قيام وضبط أمورها وقرّر أعمالها.

وفيه أيضاً تواترت الأخبارُ بخروج جند الانكليز من بوابيرهم الحربية إلى بندر الحُدَيْدَة^(٥) واحتلالهم له، وذلك بعد أن أخفق سعي قومندان العساكر

(١) حصن شبام: المقصود هنا شبام حراز وهناك شبام كوكبان وشبام حضرموت وشبام الغراس ثم شبام حراز وهو جبل يطل على مناخه من الجنوب، ارتفاعه ٣٠٠ م، حصن منيع، انظر، معالم الآثار، ٧٣، نشر العرف ١/ ٢٨٢، معجم الحجري، ٤٤١/ ٢، معجم المحقفي، ٣٤٣.

(٢) علي بن عبد الله الأكوخ: كان عاملاً للأتراك على يريم، وهو الذي وفد بمشايع اليمن الأسفل إلى مقام الامام في صنعاء لاطهار التأييد والموالاته، وعينه الامام عاملاً على حراز سنة ١٣٣٧ هـ، وكان سياسياً قديراً، انظر حياة الأمير، ٥٧٤.

(٣) جبل صَعْفَان: صفعان أحد ناحيتين يشملهما قضاء جبل حراز، الواقع غرب صنعاء بمسافة ٨١ كم ومركزه مناخة، وهي الناحية الثانية، انظر، صفة، ٢٠٩، الاكليل، ٢٠٣/ ١، معالم الآثار، ٧٧، صفحات مجهولة، ٤٥، معجم الحجري، ٤٨٠/ ٢.

(٤) الحَجِيلَة: شمال صنعاء من أرحب أسفل حصن القاهرة من الغرب، انظر، معالم الآثار، ٥٩، اليمن الكبرى، ٥٩.

(٥) الحُدَيْدَة: مدينة معروفة على البحر الأحمر، على بعد ٢١٦ كم، شمال غرب صنعاء، فيها ميناء كبير للتجارة، كلواء يحده، تعز من الجنوب، ولواء حجة من الشمال والبحر الأحمر من الغرب، ولواء صنعاء من الشرق انظر، حوليات النعيمي، ٣٥، أئمة اليمن، ١٦٢/ ١، صفحات مجهولة، ١٩، حياة الأمير، ٦١٧ معجم المحقفي، ١٦٢، معجم الحجري، ٢٥٠/ ٢، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ٢٢٢.

التركية، أحمد توفيق باشا والوالي محمود نديم بك، وغيره في إرجاع سعيد باشا قائد الجيوش بلحج عن عزمه على تسليم نفسه ومن معه من الأجناد، وما لديه من المهمات والذخائر الحربية والمدافع على اختلاف أنواعها، / والأسلحة الكثيرة والبغال والجمال / فتم تسليمه إلى الانكليز في هذا الشهر هو ومن معه من الأمراء والأجناد، واستولى الانكليز على جميع ما معهم، وكانت شيئاً كثيراً، لأن الدولة العثمانية قد كان من أمرائها بسبب المrapطة في لحج سوق أكثر المهمات الحربية إلى تلك الجهة. / ١٩

ولم يبق في صنعاء وجهاتها إلا القليل بالنسبة إلى ما ساقوه إلى هنالك، وكان فعله هذا من إمارات الخذلان، لأنه لم يوجد ما يلجيه إلى ذلك. لا سيما بعد أن لا قوا من مولانا الإمام أوكد وعد ببرهم والقيام بنفقاتهم، وكل ما يحتاجون إليه، فخلت الجهة اللحية بعد استلامهم من الحامي، ووثب الانكليز والعبديون^(١) على لحج، ورتبوا أطرافها، وشرع الانكليزيون بمد السكة الحديدية إلى لحج من عدن، وتم لهم ذلك بعد أشهر، حتى صارت عدن ولحج في حكم البلد الواحد.

ولقد بلغنا عن الإمام - عليه السلام - أنه كان إذا ذكر لديه^[١] سعيد باشا وأعماله في أثناء مرابطته بلحج وأعماله في جهاد الانكليز، وهو في ذلك الوقت موضع ثناء الجميع على أعماله، لا يظهر من الإمام الارتياح إلى ذكره، فتحقق سر نفرة طبع الإمام عنه بما ظهر من خاتمة أعماله وتراميه إلى أحضان العدو الذي قد مكث خمسا من السنين. وهو يناضل ويقتل جنوده وزاد في الطين بلة

(١) المقصود بالعبديين نسبة إلى مدينة عبدا وهي مدينة حضرموت ومن سلاطينها، فضل بن علي بن محسن بن فضل بن علي العبدي وولده عبدالكريم الذي تولى السلطنة سنة ١٣٣٦ هـ، انظر، حياة عالم وأمير، ٢٥٣، معجم المقحفي، ٤٢٤.

[١] في س، عنده.

ما تعمّده من تسليم كافة الذخائر والأسلحة إلى عدوّ الدين وهو يعلمُ باحتياج أهل اليمن إليها للمدافعة عن أنفسهم من تسلّط الكافر عليهم. فنسأل الله التوفيق^[١] وخاتمة الخير والأخذ بالنواصي إلى ما فيه رضاه^[٢].

ولعلّ قارئاً يقول: إنّه إنَّما عملَ بموجب ما أمَرَ به من استانبول من دون نظر إلى ما يجرّمه الدين؟ والجوابُ أنّ ذلك ليس بعُذر له، فقد عرفَ الناسُ جميعاً أنّ الدولة العثمانية إنّما اضطُرَّت إلى إبرام تلك الهدنة المشؤومة بتحكّم الانكليز ومنّ معه عليهم، ويودّون لو رأوا من المذكورِ وأمثاله، الامتناع عن قبول ذلك مهما وجَدوا المنعة من أنفسهم، والقدرة على القيام بذلك وهو غيرُ مؤاخِذٍ في نظر الدولة، وشواهدُ التاريخ تؤيّد ذلك، وسعيد باشا قد كان في حصنِ حصين من اضطاراه إلى ما ارتكبه من الإثم وتولّى كبره.

ولما جرى منه ما جرى وأوجع النفوس بذلك الاجترار، اضطرب حال الاتراك الموجودين في صنعاء، وفي جهات تُهامية، وكانت لهم محطةٌ في قصبة الزُّهرة^(١) من أطراف اللُّحَيّة، وفي أكثر جهاتها منهم حاميات من الجنود قائمة بحفظ البلاد.

وفي النهاية، بعد إصرارٍ شديد من مولانا الإمام - عليه السلام - عليهم بالبقاء / ودوام مراعاتهم، ورجّح مولانا الإمامُ بقاهاً لما فيه من المصلحة العامة، بإبقاء البلاد تحت أيديهم ومحافظتهم وللانتفاع بهم في ذلك، ريثما يتهيأ

(١) الزُّهرة: مدينة تهامية، تقع بين الزيدية وعبس، مركز آل هيج، من أطراف اللُّحَيّة على بعد ٤٠ كم، بوادي مور اختطها الشريف حمود بن محمد سنة ١٢٢٠ هـ، انظر معجم الحجري، ٣٩٧/١، حياة الأمير، ٦٢١، اليمن الكبرى، ٩٩، اليمن الخضراء، ٩٠، يرى الدكتور يوسف محمد عبدالله بأنها قديمة الاختطاط، حيث وردت في النقوش القديمة باسم «سهرتم» جريدة الثورة، ٥ مارس ١٩٨٤.

[١ - ١] سقطت من س.

لمولانا الإمام إمكان إرسال الجنود مكانهم، وتعيين ذوي الكفاية لإدارة الأحوال؛ لأن في خلّو البلاد منهم ومن أمرائهم دفعة واحدة ما لا يخفى من الاضطراب، وصعوبة الضبط لها في آن واحد، فأصرّ رئيس الجيوش التركية على اللّحاق بسعيد باشا في التسليم إلى الانكليز، ولكنه كان دونّه في الخذلان فقد سلّم إلى مولانا الإمام ما بقي من الأسلحة والمدافع والذخائر ولم يسلم إلى الانكليز كما فعل سعيد باشا، وكان منه إبلاغ أوامره إلى أمراء الأجناد في تهمامة بالوصول إلى الحديّدة وفعل هو كذلك فسافر من صنعاء ومن معه من الأمراء. وأولادهم^[١] إلى الحديّدة والترامي على أحضان الانكليز ولما وصلوا إليه حملهم في البوابير إلى عدن وعاملهم بمعاملة^[٢] الأسرى، وذاقوا من أفعال الإنكليز الأمرين، ولم تنفعهم عقولهم ولا دهاؤهم، وقد كان مولانا الإمام بقصد التثبيت لهم بعد دخوله إلى صنعاء، ألف وفداً لملاقاة أمراء الإنكليز في عدن ومفاوضتهم في تمسك الإمام بإبقاء الأتراك في اليمن، وعدم السماح لهم بالذهاب بحجة ما لمولانا الإمام من الأموال الطائلة التي أقرضها إياهم في أثناء الحرب، وأنّه لا يمكن السماح لهم إلا بعد تسليم ما لديهم من الأموال، فلما وصل الوفد إلى عدن، لم يجد من الإنكليز إقبالا لفتح المفاوضة بما خامرهم من سكرة النصر، واعتذر من بعدن من أمراء الإنكليز بأنهم لم يكن في وسعهم وصلاحتهم الدخول في مثل هذه المراجعة، وعاد الوفد إلى مولانا الإمام يحمل مثل هذه الأعذار، ولكن الإنكليز عرفوا أنه لا يتم لهم المرام من التسلط على البلاد، وفيها مولانا الإمام، فتهيّأوا الإقدام إلى غير الحديّدة، وأصروا على دوام مطالبة الأتراك بالوصول إليهم، حتى تمّ سفر أحمد توفيق باشا ومن معه. ولم يبق إلا جماعة من أمرائهم وقليل من الجنود، وكان ذلك بسعي الوالي محمود

[١] في س، بأهلم وأولادهم. [٢] في س، الانكليز معاملة.

نديم بك، وهو من الذين صمّموا على عدم العزم، وأحبوا البقاء تحت ظلّ مولانا الإمام.

ولقد لاقى العازمون والمقيمون من مكارم مولانا الإمام وعنايته بهم ما بهرهم، وكفاهم مؤنة الاحتياج إلى الأقوات، فمكثوا في أنعم حال وأرخصى بال وزود الراحلين في سفرهم وأعانهم وأزال كُرْبَهُمْ، ووعد المقيمين بكل^[١] إكرام، ولم يبق وسيلة^[٢] من وسائل^[٣] / الرعاية إلّا قام بها مولانا الإمام، وكان ذلك من ٢١ / الآيات البيّنات على مكارم مولانا الإمام وعلوّ قدره، وبينما الإمام - عليه السلام - في الاشتغال العظيم بهذه الأمور العظام، لم تفتّر همّته الصادقة وعزائمه الخارقة عن الاهتمام بضبط أحوال البلاد، وإزالة كلّ فساد.

ففي الشهر المذكور، شهر ربيع الأول، جهّز مولانا الإمام السيّد الكامل علي بن محمد المطاع^(١) ومعه خمس مئة من المجاهدين لضبط بلاد رّداع^(٢) وجُبْن^(٣) ومخاليقهما، وتقرير الأمور هنالك، وصون الأطراف من حوادث العدوان والاضطراب. ووجه مولانا الإمام السيّد العلامة عبد الله بن أحمد الوزير

(١) علي بن محمد بن أحمد المطاع: ت بصنعاء سنة ١٣٧١هـ، كان عضواً في مجلس الإدارة في العهد العثماني، وتولى في عهد الامام يحيى نظارة الأوقاف، زار استانبول في عهد السلطان عبد الحميد، وعينه الامام لأعمال رّداع، كان معروفاً بحنكته السياسية انظر، نزهة النظر، ٤٦٦، هجر العلم، ٦١٤.

(٢) رّداع: مدينة وقضاء بالجنوب الشرقي من صنعاء، ورداع، مدينة كبيرة شرقي ذمار بمسافة ٣٥ كم، تعرف برداع العرش، انظر، الاكليل، ١/ ٢٠٤، صفة، ١٠١، فرجة الهموم، ٣٣، نشر العرف، ١/ ١٨، اليمن الكبرى، ٤٨، حياة الأمير، ٦٢٠، معجم المقحفّي، ٢٦٥.

(٣) جُبْن: بلدة عامرة، مركز ناحية جُبْن من أعمال رّداع، جنوباً، وتقع في وادٍ ضيق بين جبلين أحدهما في الشمال، ويوجد في أعلى الجبل حصن مشرف على المدينة وضواحيها، انظر، صفة، ٣١٥، معالم الآثار، ٩٣، معجم المقحفّي، ١١٠، البلدان اليمنية، ٧٣، معجم الحجري، ١/ ١٧٨.

[١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س.

إلى دَمارٍ وَيَرِيمٍ وبلادٍ عُثْمَةٍ^(١) لتقرير أمورٍ واجباتها، وحفظِ نظامِ أمورِها، وعيَّن مكانه في إمارة القصر السعيد السيد محمد بن أحمد الوزير^(٢) أخاه، ثم وجه مولانا الإمام أيضاً الشيخ عبد الواسع بن نعمان مقبل أحد مشايخ قضاء الحَجَرِيَّة إلى بلده ومعه مئتان من خَوْلان. وقد حَظِيَ بإقبال مولانا الإمام وإسعاده، ونال الالتفات الكلي وأرسل معه الرأي الشريف بتعيين أخيه الشيخ عبد الوهاب بن نعمان^(٣) لعماله قضاء الحَجَرِيَّة.

وفي هذا الشهر توفي سيدي، عزُّ الاسلام، محمد بن إبراهيم بن الإمام، وكان حاكماً لمولانا الإمام في الجهة الأنسية، وكان رجلاً سرياً وسيداً هماماً لودعيّاً^[١]، اشتغل بوظيفة القضاء في جهاتٍ عديدة بالتعيين من حكومة الأتراك، ولما حصل الاتفاق، وجه الإمام إليه حكومة قضاء عَمْران، فلبث بها مدَّة، ثم نقله الإمام إلى وظيفة القضاء بالجهة الأنسية، فقام بها أتمَّ قيام إلى أن

(١) عُثْمَة: بلدة مشهورة بالغرب الجنوبي من دَمار بمسافة ٦٣ كم، انظر، طبق الحلوى، ٦٩، معالم الآثار، ٨١، معجم الحجري، ٥٧٦/٢، معجم المقحفي، ٤٢٨.

(٢) محمد بن أحمد بن محمد الوزير (شقيق عبدالله) ت ١٣٧٥ هـ عالم كبير، تولى القضاء والأعمال بدمار، أبقاه الامام لإمارة القصر ثم عينه عاملاً على وصاب وجهاتها، شغل عدة مناصب، عاش بقية عمره مشغلاً بالعلوم والدرس، ولد سنة ١٣٠٥ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥١٤، حياة الأمير ٥٨٧.

(٣) عبد الواسع بن نعمان وأخوه عبد الوهاب أعدم في ٥ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٧ هـ يذكر اسماعيل بن علي الأكوع في كتابه هجر العلم ومعاقله في اليمن، ٦٨٩ أنه ظهر في قرية الجبَّانة، إحدى قرى عُزْلة دُبْحان أسرة آل نعمان، والذي كان جدهم قد قدم إليها من وادي بنا، ويتسبون إلى نُعمان مقبل على شمسان، أما عبد الواسع فكان من ذوي النزعة الصوفية، قتل في معركة الأكاحلة قرب المقاطرة، وأما عبد الوهاب نعمان فقد خلف أخاه في مذهبه حتى سنة ١٣٤٠ هـ، إلى أن اعتقله أمير لواء تعز، علي بن عبدالله الوزير بتهمة التآمر لقتله مع آخرين، وبعد اعتقاله والإفراج عنه، عينه الإمام يحيى عاملاً على بلاد البستان، انظر، هجر العلم، ٦٩٠، حياة الأمير، ٥٦٩.

[١] سقطت من س.

وافاه الحِمام،^[١] وانتقل إلى جوارِ الملكِ العلام^[٢].

وفيه وجّه مولانا الإمامُ عمالةَ الجهةِ الأنسيةِ إلى القاضي أحمدَ بن أحمد الجرافي^(١) فتوجّه إليها، وباشرَ أعمالها وقامَ بأموورها،^[٢] وظهرت فيها كفايته ونجابتُهُ^[٣].

ولما خلت الثغورُ من جنودِ الأتراك، ورأى مولانا الإمامُ صعوبةَ تلافي الحوادثِ بما تحتاجُ إليه من الجنودِ، وسرعةِ إرسالها وعلى الخصوص منذ شاهدَ الخللَ بانتظارِ مَنْ يطلبُهُ للجهادِ من القبائل عندَ حدوثِ ما أسلفنا ذكره من الحادثِ الفجائي بتقلُّصِ ظلِّ الأتراك، أمعنَ مولانا الإمامُ نظرُهُ الثاقبَ فيما يدفعُ ذلكَ الخللَ ويصونُ البلادَ من مزالقِ الزلزلِ، فاقتضى رأيه الصائبُ لزومَ توجيهِ النظرِ الشريفِ إلى العنايةِ بالجندِ وتنظيمِ أموره وتأهيبه، بحيثُ يمكنُ / ٢٢ الانتفاعَ به عندَ عروضِ الحوادثِ وفي إقامةِ الشريعةِ والانتصافِ للمظلومين وإرهابِ الظالمين، وردعِ ذوي النفوسِ الطائشةِ والعقولِ الضعيفةِ، وزجرِ أولى العدوانِ مِنْ سلوكِهِمْ فِي تلكِ السُّبُلِ المخيفةِ، وكان مولانا الإمامُ - أيدَهُ اللهُ - من ابتداءِ دعوتِهِ المباركةِ يتَّخِذُ جنداً ملازماً لحضرتهِ الشريفةِ، وإنما كانت عادتهُ - عليه السلام - الاقتصارُ على طلبِ الأجنادِ عندَ الحاجةِ إلى الجهادِ وترتيبِ البلادِ، فالجندُ الإماميُّ لأجلِ ذلكَ لا يزالُ مفرّقاً في الجهاتِ، ولا يوجدُ

(١) أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي الجرافي ت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، عالم محقق في الفقه وعلوم العربية، له مشاركة في علم الحديث، عينه الامام يحيى كاتباً لحاكم صنعاء بعد صلح دَعَّان ١٣٢٩هـ، ثم عاملاً على بلاد آنس ١٣٣٧هـ، ذو دراية إدارية وحنكة سياسية، أصلح أحوال رِيْمة، واستمر عاملاً حتى سنة ١٣٥٣هـ، ثم عين عاملاً على بلاد البستان، انظر، تحفة الاخوان، ٤٥، نزهة النظر، ٥٣، هجر العلم، ٣٦٧.

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س.

في الحضرة الشريفة مقيماً غير عصابة الحرس الشريف^(١)، وما أكد لزوم العناية بذلك والاهتمام به ما ثبت من حال أُمم الإفرنج وعنايتهم بتنظيم الجنود وتعاليمهم، حتى صاروا لا يرهبون إلاَّ الجند المنظم وإن قلَّ عدده، ويعدون الجيش العرمم، الذي لم تدرب أفرادُه التدريب المألوف غير مهاب الجانب، وسريع الانحلال والاختلال، ومنذ تقلص ظل الأتراك قوي طمع الانكليز في الأقطار اليمنية، وأصبح واقفاً بالمرصاد في عدن والحديدة ومن جميع جهات الجزيرة العربية يتحين الفرص ويزيد أطماعه قوة، ما يقال عن حال دولة مولانا الإمام أنه لا يوجد لدينا جيش مدرب، فلهذه الموجبات صدر الأمر الشريف من الحضرة الامامية إلى عمال الجهات المجاورة لصنعاء بجمع الجنود من قبائل الجهات. وفي أقرب مدّة تألف من سنحان وبلاد البُستان^(٢) وبني الحارث^(٣) وبني حشيش^(٤) وغيرهم ما ينوف على ألفي مقاتل، وعيّن مولانا الإمام لقيّد

(١) عصابة الحرس الشريف ما أطلق عليه عُقفة المقام فيما بعد وجاءت عُكفة في لغة خطأ.
 (٢) بلاد البستان (بنومطر): بلاد واسعة، فيها مخاليف عديدة، منها تمر الطريق إلى الحديدة، يحدها شرقاً قاع صنعاء وسنحان وبلاد الروس، وغرباً بلاد الحيمة، وجنوباً أنس وشمالاً كوكبان ومحمدان، بها أعلى جبل في الجزيرة العربية، حضور مدين، انظر، رياض الرياحين، ١٢٢، صفحات مجهولة، ٣١٢، اليمن الكبرى، ٧٦، حياة الأمير، ٦١١، معجم الحجري، ١١٨/١.

(٣) بنو الحارث: قبيلة مشهورة تقع ديارها شمال صنعاء بنحو ٥ كم، من قراها، القابل، علّمان، ثقبان، جدر، الحتارش، بيت القشم، الغولة، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٥٧/١، اليمن الكبرى، ١٦٦، معالم الآثار، ٢٥، معجم المحففي، ١٤٢.

(٤) بنو حشيش: قبائل تلحق بخولان الطيال تابعة لمحافظة صنعاء في الشمال الشرقي، تتصل بجبل نُقم، وبرايش من شرقيها، ومن شمالها بلاد نهم وبني الحارث ومن غربيها تتصل ببني الحارث وصنعاء بها هجرة آل الوزير، انظر، طبق الحلوى، ٨٨، تاريخ اليمن الثقافي، معجم المحففي، ١٧٤، حياة الأمير، ٦١١.

أسمائهم وكفلائهم والنظر في أمورهم هيئة مؤلفة من رئيسها سيدي شرف الإسلام حسين بن علي عبدالقادر وأعضائها القاضي لطف بن محمد الزيري^(١) والقاضي حسن بن أحمد الشوكاني^(٢) وغيرهم، وأمر مولانا الإمام بإسكانهم في المباني التي كانت تسكنها جنود الأتراك الموجودة في الجهة العدنية من وراء سور صنعاء المسماة في عرف الناس بالعرضي^(٣) وهي مبانٍ عظيمة شيدها الأتراك خلال إقامتهم باليمن، وتلاحق فيها البناء بأيام الولاية ووزراء العسكرية / واحداً بعد واحد حتى بلغت غايتها من الاتساع والضخامة ٢٣ / واتقان البناء وحسن الأسلوب^[١].

قلت: ولفظة عرضي معربة عن لفظة أردوي بالتركية، ومعناها الفيلق والجيش، فأطلقت عرفاً على مكان الجيش، وبعد اجتماعهم صار ترتيبيهم زمراً على قواعد الجيش التركي، حيث عُرف أن ذلك من أكبر دعائم الانتظام، فجعل الجيش منقسماً إلى طوابير متعددة، يُطلق على الأول منها الطابور الأول والثاني الطابور الثاني وهكذا ويجمع الثلاثة من الطوابير اسم الآي وخمسة من الألايات اسم فرقة، والمجموع يجمعه اسم الجيش المظفر، وكل طابور يكون

(١) لطف بن محمد بن لطف بن سعد الدين الزيري ت بصنعاء، محرم ١٣٦٤ هـ، كان عالماً ذكياً شاعراً، كامل المروءة متواضعاً، عينه الامام يحيى حاكماً قضائياً على سنحان ثم الحديدة ثم الحاكم الأول بصنعاء، وعضو محكمة الاستئناف، انظر، نزهة الناظر، ٤٩١، حياة الأمير، ٥٨٤.

(٢) حسن بن أحمد صلح بن رزق الشوكاني ت بعد سنة ١٣٦٥ هـ، عينه الامام يحيى لشهادة الحكم بالمحكمة الثالثة بصنعاء ثم قاضياً لقضاء الحجريّة ثم الحديدة، اعترته المرض وأثناء علاجه في عدن توفي، ولد بصنعاء سنة ١٢٩٣، أنظر، نزهة الناظر، ٢١٠، حياة الأمير، ٥٤٣.

(٣) العرضي: جنوبي سور صنعاء، كان مقراً لعسكر الأتراك، انظر، أئمة اليمن، ٢/ ٣٢٣.

[١ - ١] سقطت من س.

مؤلفاً من أربعة بلوكات، والبلوك الواحد عبارة عن مئة رجل مُعَنُون كُلُّ واحدٍ منها بالأول والثاني وهكذا، ويوجد في البلوك الواحد عريفة وشاوش ونقيب وأمير يُسمى بالملازم الأول أو الثاني وتارةً يوزباشي، ومعناه بالعربية أمير مئة، وعلى الطابور أمير يُطلق عليه أمير الطابور، أو لفظة بيكباشي ومعناها أمير ألف. وكان هذا أُحْدِثَ في دولة الأتراك حينَ كان الطابور ألفاً، فبذلَ مولانا الإمام - شرح الله صدره - في هذا السبيل غايةَ المجهود، واهتمَّ به اهتماماً عظيماً، حتى كَمُلَ والله الحمدُ على غاية ما يُرام، ورتَّبَ الأمراءَ على الجندِ كما وَصَفْنَا، وكان غالبُهم من الأتراك الذين اختاروا البقاء، وبعضُهم من أبناء اليمن الذين كانوا قد قاموا بالوظائف المذكورة في جند الأتراك، واختار مولانا الإمام لإمارة الجيش المظفر الشريف المجاهد الهمام عبد الله بن محمد الضمين^(١) من أشرف الجوف الحمزات، فأسندَ إليه إمارة الجيش، وكان المذكورُ قبلَ أن ينتمي إلى مولانا الإمام قد أقامَ بخدمة الأتراك في الجندية مدةً مديدةً إلى أن مُنَحَ من الدولة العثمانية بلبق بيكباشي، فله وقوفٌ تامٌ وإطلاعٌ على أساليب الانتظام، ورتَّبَ مولانا الإمام أيضاً في الجيش ما يحتاج إليه من الكتابِ بمعية الأمير، وفي الطوابير وفي البلوكات وهيئة أركان الحرب، وإلى هذه الهيئة وظيفة تدبير حركات الجيش، حال القيام بالمدافعة والإقدام/ وغير ذلك، وشرعَ الأمراءُ والمتعلمون من العسكر يعلمون أفرادَ الجيش التدريبَ المرغوب، وانتظام الحركات وأصول تعبئة الجيش^١ وكيفية الإقدام والتأخير والمهاجمة والتوصُّل إلى ارتقاء الحصون والمحال العالية^٢، ولم يمضِ عليهم غيرُ أشهرٍ

/ ٢٤

(١) عبد الله بن محمد الضمين: ولد سنة ١٢٨٢ هـ من نسل الإمام عبد الله بن حمزة، أول من عين قائداً للجيش المتوكلي المظفر، أميراً، نظم الجيش، وله معارك كثيرة في حاشد وتهامة والجوف وغيرها في ذي القعدة ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣، انظر، حياة الأمير، ٥٦٣، وثائق يمنية، ٢٩٩.

[١ - ١] سقطت من س.

يسيرة حتى تمرّتوا على تلك التعاليم، وصاروا يفهمون أصوات النفير،^[١] وهو آلة تشبه الأبواق، إذا أرسل فيها النفس خرج صوت يبلغ إلى المكان البعيد، وربما جاوز الميل^[٢]، وقد وقع الإصطلاح بها على أصوات معلومة بكيفيات مختلفة، وكل صوت يكون دليلاً على الإرشاد بأمر من أمور الجند،^[٣] فإذا سمعوا ذلك الصوت فعلوا ما يشير إليه، وله دخل عظيم في الانتظام وتدبير حركات الجيش حال الحرب، وانتقال الجند من مكان إلى مكان وإجراء المهاجمة أو التوقف على حسب ما يراه مدبر الجيش وأمير حال الحرب، وفائدته مشهودة، فإنه في اللحظة الواحدة يبلغ إلى أسماع الآلاف من الجند ما يُراد منهم، فيأتونه، ولو وقع التبليغ بذلك بدون واسطته لاستغرق الساعات، وتعلم الثبت به من الجند من يحتاج إليه على قدر اللزوم^[٤]، وأفرد من العسكر كثيرون فخصوا بجعلهم رماة للمدافع، ويطلق عليهم طوبجية، وهذا اللفظ تركي معناه طوب المدفع، وجي، أداة نسبة فمعنى^[٥] الطوبجي - ويعرب إلى طبشي - مدفعي^[٦]، واستكثر في الجند من هذا النوع، حتى بلغوا إلى الطواير^[٧] وعين مولانا الإمام لهم أميراً، أطلق عليه قوماندان الطوبجية^[٨]، ولكل مدفع جماعة منهم وأمير صغير وشاوش، وأمير على الطابور يكون تحت نظره عدة من المدافع^[٩]، وصار تعليم الفريقين: فريق المشاة وفريق الطوبجية فن الرمي على أصوله حتى مهر الجميع وأصبح الكل رماة يعرفون كيف يديرون المدافع في حركاتها، وكيف يرمون بها، ورتب مولانا الإمام للأمرء والأفراد الرواتب الكافية والجرايات اللازمة والملابس للأفراد، وعظمت بذلك النفقات وتزايدت، ورأى مولانا أنه لا يتم إنفاذ أوامر الله سبحانه والقيام بشريعته وصون البلاد/ من أطماع ذوي الإلحاد

٢٥ /

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س. [٣] في س، فمعناه.

[٤ - ٤] سقطت من س. [٥ - ٥] سقطت من س.

والإفساد إلا بذلك، فبذل مجهوده في ترتيب جميع الأمور حتى كُمل على الأسلوب الذي مرَّ ذكره في أقرب مدة، ولما كان الأمراء الذين أدخلوا في الجيش لم تكن إقامتهم باليمن إلا ريثما يتسنى لهم السفر بدون الوقوع في أسر الإنكليز، عني مولانا الإمام بإنشاء محل أطلق عليه المكتب الحربي، ورتب به معلمين، ومنح السادة الدخول فيه لدراسة بعض الفنون المتعلقة بما تكتسب به المهارة في تدبير الجيش ولوازمه، والحركات الحربية، على أن من أكمل دراسة ما يحتاج إليه، ونال الإجازة من معلميه مُنح من مولانا الإمام أن يُعين أميراً على بلوك، وكان بذلك سدُّ حاجة الجيش إلى الأمراء والضباط،^[١] وقد شرع المتخرجون يتعلّمون فيه ما يُراد منهم، وخرج جماعة بعد إكمال تعليمهم، فوظفوا في الجيش المظفر^[٢].

ومن عناية الله سبحانه - بمولانا الإمام^[٣] وتجلي صورة ألطافه ورعايته في المبادئ والختام^[٤]، أن الدولة العثمانية على فرط عنايتها بالجيش ولوازمه لم تفكر يوماً من الأيام في أعداد معمل في اليمن لأجل إصلاح الأسلحة والمدافع وصفة مرمياتها ونحو ذلك، حتى جاءت الحرب العامة، وكان ما يحتاجون إليه من المؤنة والباروت وجميع الأشياء اللازمة للجيش وحيواناتها يُرسل من الآستانة، فلما حصلت الحرب العامة وأعلن الإنكليز الحصار البحري على جميع الموانئ البحرية التي بيد الدولة العثمانية تعذر إرسال شيء من المهمات^[٥] وانقطعت المواصلات والحرب قائمة على ساق بلحج وفي تُهامة مع الإدريسي الموالي للفرنج، وبكل من أعلن حرباً للمسلمين^[٦]، فاضطرّ أولو الأمر من أمراء العسكر العثماني للتفكير في القيام بإيجاد قتل المدافع وتعويض رصاصات

[٣ - ٣] سقطت من س.

[٢ - ٢] سقطت من س.

[١ - ١] سقطت من س.

البنادق وجمعوا لذلك من ذوي المهارة جمعاً من ضباط الجيش ذوي التفنن، وعُين رئيساً لهم رجلٌ من ذوي الخبرة فيهم يسمى ناظم بك وساعدهم مهندسٌ نصراني يسمى جورجى، خرج من الآستانة قبل الحرب مهندساً لآلات الطحن البخارية، وبقي في / اليمن حتى حصل الحرب وتعدّر عليه العود، وأصله من طائفة المجر^١ وهم طائفة عظيمة من طوائف الإفرنج^٢، كانوا في حال الحرب وقبله، من جملة الداخلين تحت طاعة دولة النمسا المشاركة للعثمانيين في محاربة الإنكليز، فهو يتوقّد غيظاً على الإنكليز، ويودّ أن يظهر العثمانيون عليهم، فبذل مجهوده في إعداد معدّات المعمل، واستخدام الآلات البخارية فيما يريدونه من صنع القلّل للمدافع وتعويض رصاص البنادق^٣ على كيفية تقارب من المرميات الأصلية المجلوبة من محلّ صنعيتها^٤ وبذل الجميع مجهودهم في إحكام قابسون المدافع، وقابسون البنادق، وفي صنعة ما تحتاج إليه بغال المدافع وغيرها من المراكب وآلاتها ولحمها ومجراتها،^٥ وفرقوا العاملين إلى طوائف، كلّ طائفة لهم مكانٌ مخصوص وعملٌ مخصوص، وكانوا يقومون بإصلاح المدافع والبنادق. وفي أواخر أيام الحرب انحصر القيام بما تحتاج إليه المحطات على ما يصنعونه، وكانوا يرسلون بذلك إلى الحج وغيرها، واستمرّ الأمر على ذلك إلى أن كان ما كان من دخول مولانا الإمام إلى صنعاء، وانصرام دولة العثمانيين على ما سردناه، فوجّه مولانا الإمام همته التي ما زالت مشغوفة بتنظيم مصالح الإسلام والمسلمين ولو كان في ذلك أصعب المتاعب إلى إبقاء ما في القصر السعيد من المعمل على ما كان عليه، وبذل مزيد الوسع في ترقّيته معرفته - عليه السلام - بضرورة بقائه والاحتياج إليه. وإن الإنكليز لتحكّمه على البحر الأحمر سيمنع دخول المهتمات الحربية إلا إذا رأى الإسعاد إلى ما يرومه من التحكم في البلاد والرضوخ لتلاعبه بالمسلمين، ولتصوّر المنصف

[١ - ١] سقطت من س.

[٢ - ٢] سقطت من س.

[٣ - ٣] سقطت من س.

حالة اليمن إذا كان أهله لا يجدون ما يُدافعون به عدوهم الطامع فيهم إلا من يد عدوهم، ففي ذلك من حرج الموقف وصعوبة المقام والقيام ما تذهل منه العقول وتطيش به الأحلام^[١٣]. وبهمة مولانا الإمام والعناية الإلهية التي ما زالت مصاحبة له في الإيراد والإصدار تيسر إبقاء المعمل المذكور كما كان وساعده جورجى المهندس المذكور بالبقاء، ورُتب له مولانا الإمام مرتباً كافياً، وضم إليه جماعة من ذوي الخبرة والمهارة من الأتراك من السابقين وغيرهم.

و^[١٧] أدخل مولانا الإمام، عوضاً عن أفراد النظام الذين يقومون بأعمال المعمل المذكور، أناساً من أهل صنعاء وغيرهم، فمُرّنوا على الأعمال في أقرب مدة، وقاموا بها أتم قيام، وتوسعت الأعمال إلى صورة كانت أحسن من صورته/ التي كان عليها أيام ناظم بك، لأنه كان من جملة من عزم من الأتراك، وتعددت فيه الآلات المسماة بالمكاين، ولها من القوة ما يقف لديها الناظر إليها باهتاً ويقول سبحان الملهم، فإنك ترى إحداها فتجد بيت النار فيها، وهي إما يوقد لها بالأحطاب وغيرها مما يُوقد به، أو توقد بالكاز، وهو المعدن الذي وُجد في العصور الأخيرة سائلاً، وهو دهن النفط، وانتفع به في إشعال المصابيح مكان الزيوت وسائر الأدهان، فيغلى ذلك الوقود ما فوقه من الماء، ويتولد من الغليان بخاره ويجمع ويتراحم للخروج من أنبوب مخصوص، وقد قابلته آلة ضخمة من الحديد، فتتحرك بقوة اندفاع البخار، وينتج من تحرك تلك الآلة دوران آلات أخرى، فيستعمل بذلك الدوران فيما يُراد من كشط الحديد ونحوه ومنها ما دورانه، وقوته مستفادة من اشتعال نار الغاز مباشرة بدون واسطة الماء والبخار وقد كان يوجد من قتل المدافع الكبيرة في مخازن القصر كثيراً، وقد بطل استعمال تلك المدافع بوجود غيرها أقوى منها وأبعد مسافة في إبلاغ

[١ - ١] سقطت من س، حوالى صفحتين.

مقدوفاتها إلى هدفها، فكانوا يأتون بتلك القلل إلى تلك المكاين، ويدخلونها في آلة مخصوصة تشبه عمود المخرط، وذلك العمود يتحرك بآلات المكنة المتحركة، ويوضع بإزاء القلة مكشط حديدي صلب، فيدور العمود الذي فيه القلة فيمس ذلك المكشط والقوة الموجودة في الذي يدور به ذلك العمود، وترى المكشط ينحط من جسم الرصاصة الحديد بصورة منتظمة متساوية حتى يظن من يراه في تلك الحالة أن الحديد قد صار في لين مفرط، وإذا مس المنحوت وجده في صلابته المعهودة. وكان مما تسلمه مولانا الإمام من المعسكر العثماني أربعة مدافع كبار انكليزية غنمها العثمانيون من اللحية وجوارها حينما استردوها من جيوش الإدريسي. وكان الانكليز سلموها إليه، فاهتموا بها وبإصلاحها، لأنها لم تكن قامات، وهي الآلة التي عليها مدار إمكان الرمي بالمدفع، وفيها مكان القلة ودافعها وعملوا لها قامات بدعة، وكذلك غيرها من المدافع الصغيرة المسماة بعادي جبل، وكانوا يقومون بإصلاح البنادق على اختلاف أنواعها وآلاتها ويصلحون ما اختل من القلل وما يراؤ إصلاحه منها وتحويله من كونه مرمياً لمدفع مخصوص إلى مدفع آخر، وإيجاد ذلك من البداية فيرتبونه على ما يرام، فترى القلة بعد إكمالها فلا تظنها إلا من صنعة البلاد / ٢٨

الفرنجية التي هي / محل اختراع تلك المهمات الحربية، وتوزعت الأعمال على العملة وأسائدتهم وصار كل فريق له عمل مخصوص؛ فهذا الفريق عليهم القيام بتعويض مقدوفات البنادق، وهذا الفريق في أعمال رصاص المدافع، وفريق عليهم القيام بتنظيم القابسون، وفريق عليهم القيام بتحليل المواد النارية التي تتخذ للقابسون، وجميعها إلى أن تصير قابلة للاشتعال بمجرد ضربها بآلتها، وفريق يقومون بإصلاح الآلات الخشبية التي يحتاج إليها في

المدافع ومراكب البغال والسيارات التي تجرّها الحيوانات لحمل الأثقال، وفريق يعملون في صنّع الآلات التي يُحتاج إليها في جميع تلك الأعمال وآخرون يصنعون اللبّاد من الصوف على أحكم صناعة، وصنّف يشتغلون بعمل السرج ومراكب البغال من الجلود غير أولئك كثيرون، يعملون أعمالاً هي من اللوازم الضرورية، ورتّب مولانا الإمام لجميع أولئك رواتب مخصوصة تقوم بأودهم، وعلى الإجمال إنّ مولانا الإمام تيسّر له بهذا العمل إقالة عشرة اليمن وأهله من الاحتياج إلى النصارى وخنوعهم لتحكمه، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وأعظم له المثوبة، شرفاً وذخراً، ولم يخرج عن الاعتقاد أن قيام العثمانيين بترتيب ذلك العمل قبيل رحيلهم، بعد أن مكثوا أزمنة متطاولة لا يفكرونها به ليس إلا من جملة سعود مولانا الإمام، والعناية الربانية المرافقة له في جميع حالاته وحركاته وسكناته، بل هي إرهاب لما طرأ من الحوادث والتطور الكوني، ومقدمة لنتيجة احتياج مولانا الإمام إلى ذلك، ولم يكن في وسعي وصف حُثانٍ ذلك العمل وأعماله وإنما أثبتُّ ههنا ما قدرتُ عليه وانتصبَ بفكري حال تحرير هذا السطور، ومما تمّ ترتيبه وتنظيمه في هذه الأيام مادة الخيول التي تجرّ المدافع الكبيرة والبغال والجمال، فقد كان من مولانا الإمام العناية بجمعها بعضُها استلمها الإمام من المعسكر العثماني مثل غيرها، وبعضُها بالشراء من أحمد توفيق باشا ومن غيره، إلى أن بلغت عدداً وفيراً ومئات متعددة، وجعل لها عرضي الطوبشية مكاناً لإقامتها ورتّب لها القائمين بخدمتها على قدر الاحتياج والكتاب المتولين للانتباه عليها وأمراء كذلك، وأبقى من أمراء الأتراك أميراً ذا رتبة عالية في المعسكر العثماني بيطرياً يتولّى فحصها وترتيب مأكولها ومعالجة أمراضها^١، ورتّب لهم جميعاً ما يحتاجون إليه من الجرايات وضبط أمورها ضبطاً محكماً، فلا تخرج بغلة أو غيرها من محلّها لاستعمالها إلا بأمره - عليه السلام -.

/ ٢٩

[١ - ١] سقطت من س.

وحيث كانت منفعة الطب في أعلا درجات المنافع الضرورية للبلاد والعباد، وصادف ذلك ما عليه حالة اليمن من خلوها من عارف بفن الطبابة،^[١] وعدم وجود من يتصف بذلك أو يدلي بكونه تلقى ذلك عن استاذ، بل لا يوجد الاستاذ أصلاً، ومن ادعى الطبابة^[٢] والمعرفة، فإنما هم أناس يتطفلون على موائده وغاية ما يستندون إليه المطالعة في أحد كتب الطب بدون معرفة العلل وأحكامها. فرأى مولانا الإمام - أيده الله - لزوم استبقاء بعض الأطباء من العثمانيين لأجل حفظ تلك المصلحة العامة، ولا سيما بعد أن ترك العثمانيون من الأدوية شيئاً كثيراً كانت مودوعة في مخازن المستشفى العسكري الكبير، وفي مخزن المستشفى البلدي، وتلك الأدوية^[٣] غالبها بل كلها^[٤] لا يمكن استعماله إلا بمعرفة الطبيب الماهر العارف بفن الطب الحديث، فإن فن الطب قد كان تغير عن أصوله القديمة، وصار الطب القديم وأصوله، لا يمتنع بها لما دخله من تغير الأساليب في كيفية معرفة العلل، وكيفية مداواتها، وجنس الأدوية الجديدة، التي أكثرها قد استخرجت بالتحليل الكيماوي، وانتزعت من أجسامها، واثبتت أرواحها في ظروف من الزجاج والقوارير، فتم الأمر على بقاء رئيس أطباء المعسكر العثماني عزيز بك وحسني بك من ذوي المهارة لا في الطب فقط، بل وفي غيره من الأمور الهندسية، وسليمان بك وغيرهم من الجراحين، ورتب لهم مولانا الإمام المرتبات الواسعة، وأجرى عليهم الجرايات الفاضلة، وانتظم أمر المستشفى كما كان في أيام الدولة العثمانية بالأطباء والصيادلة والجراحين والخدم القائمين بأمور المرضى ومصالحهم وانتفع الناس بذلك كثيراً^[٥] وأقبلوا يهرعون إليه من كل فج، وأمر مولانا الإمام بقبول^[٦] ذوي الفقر والحاجة من المرضى في المستشفى بدون أجر^[٧] فيمكث فيه المريض

[١ - ٢] سقطت من س.

[١ - ٢] سقطت من س.

[٣ - ٤] سقطت من س.

[٣ - ٤] سقطت من س.

للمعالجة وأدويته وكفايته تُسلم إليه مجاناً وبدون عوض، إلى أن يحصل له الشفاء ويزول عنه الداء، ويصل ذو الحاجة إلى الدواء إلى الحكيم، فيصف له المرض أو يذهب معه الحكيم إلى دار المريض فيجري فحص علته ويكتب له ورقة فيها ما يحتاجه من الدواء فيوصلها إلى الصيدلي فيرتب له العلاج والدواء كما يرام، ويخبره بكيفية استعماله، فكان ذلك من حسنات مولانا الإمام وجليل مبراته التي / فانت على من تقدمه من الأئمة الهادين - رضوان الله عليه عليهم - وأمر مولانا الإمام، لما رأى فرط الاحتياج إلى وجود ذي الطبابة، وتكثير عددهم، ولا سيما في الجيش في أوقات ارتحاله وأسفاره، بأن يخصص جماعة من الجيش وغيرهم لتعلم فن الطب من الأطباء المذكورين، وتم ذلك بمعونة الله سبحانه، وهو من جليل المآثر وأعظم المناقب المشتملة على مصالح الدنيا والدين، ولم يكن تيسر مثل هذه المزايا والمصالح يخطر على بال أحد، ولا سيما قد كان ذلك في أقرب مدة، وعلى حين اشتغال عظيم، بمدافعة خطر العدو واحبولاته مما لا ينسى ذكره ويتخلد فخره. وله في إقامة ناموس الدولة رتبة بقاء، وفي تشييدها المقام الأعلى^١ ما وجه إليه مولانا الإمام مزيد العناية والاهتمام، وهو دوام بقاء التلغراف بأسلاكه وآلاته ومعداته ومأموريه وخدمته، على تباعد الأقطار التي مَدَّ إليها وتعدد المراكز ومكائين المخابرة، فكان من مولانا الإمام - أيده الله - ترتيب المأمورين في صنعاء وحراز وسوق خميس مذيور^(١) وفي مثن^(٢)، وفي الجهة العدنية إلى تعز وما بينها من المدن، في كل واحد

/ ٣٠

(١) خميس مذيور: قرية من عزلة المخلاف بالحيمة الخارجية، غربي صنعاء. والخميس من بلاد أرحب ثم بني زهر، انظر، اليمن الكبرى، ٢١، معجم الحجري، ١ / ٣٣٠، معجم المحققي، ٢١٩.

(٢) مثن: قرية غربي صنعاء في حقل سُهمان من ناحية بني مطر، على طريق الحديدة - صنعاء، تبعد حوالي ٥٠ كم، انظر، صفحات مجهولة، ٥٤، معجم المحققي، ٥٥٧، حياة الأمير، ٦٢٩.

منها مركزٌ للتلغرافِ حتى معبر^(١). وحصلَ من ذلك النفعُ العظيمُ والسهولةُ في إجراءِ مصالحِ العبادِ على الوجهِ السليمِ،^[١] فترى العاملَ في تعزٍ مثلاً يرفعُ إلى مولانا الإمامِ بما يلزمُ رفعُه من الأمورِ في صباحِ يومِهِ، وبعدَ سويعةٍ يعودُ إليه جوابُ الإمامِ، وقد حصلَ المقصودُ. ولو أرسلَ بذلكَ بريداً لما عادَ إليه الجوابُ إلا بعدَ اثني عشرَ يوماً إن جدَّ في سفره من دونِ اعتبارِ تأخرِ في المقامِ الشريفِ، فكُم ما بينَ ذاكَ وهذا من مراتبِ الفرقِ العظيمِ والبونِ الشاسعِ الجسيمِ! وكم بينهما من الاختلافِ في ضمانِ مصالحِ العبادِ وسهولةِ القيامِ بها، وفضلِها على أحسنِ منوالٍ، حتى إنه يتأتى للعاملِ الفطنِ أن يعرضَ كافةَ أعمالِ يومِهِ آخرَ نهارِهِ، أو أوَّلَ ليلِهِ على مولانا الإمامِ قصةً قصةً من دونِ تكلفٍ، ويستوعبَ بذلكَ رَفَعَ جزئياتِ أعمالِهِ.

قلت: وهذا التلغرافُ من المخترعاتِ التي أبرزها أولاً الإفرنجُ ثم نُفِلَتْ إلى سائرِ الأقطارِ ورأتها الدولُ من الضرورياتِ التي لا مندوحةَ في تركِها، وكانت الدولةُ العثمانيةُ في إبانِ قدومِها واستيلائِها على اليمنِ قامتَ بمدَّ خطوطِهِ من صنعاءَ إلى الحديدة، ومن هنالكَ إلى الآستانةِ.

وفي سنة إحدى وعشرين وثلثمائة / بذل المشيرُ عبدُ الله باشا الجركسي هَمَّتَهُ / ٣١
بمدَّ خطوطِهِ إلى الجهةِ العدنيةِ كذمار ويزيم وإب وتعز ويُسمَّى، إذا عُرِّبَ اسمه، بالبرقِ، وبآلةِ البرقيةِ، والقوةُ التي بها تجري المخابرةُ، يُقالُ إنها القوةُ المسماةُ بالقوةِ اليقتريقيةِ، ولفظُ اليقتريق لفظُ أفرنجي معناه القوةُ الجاذبةُ،

(١) مَعْبَرٌ مدينةٌ بالجنوبِ من صنعاءَ بمسافة ٦٨ كم، في وسطِ جَهْرانِ عليها تشريعُ طريقِ صنعاء - تعز، وقيل أنها سميت كذلك لأن الطريق كان يفترق عندها إلى صنعاء شمالاً وإلى عدن جنوباً، انظر، معجم المصحفي، ٦٠٩، معجم الحجري، ٧١٢/٢، حوليات الجرافي، ١٩٤، مذكرات المؤيد بالله، ١٨٠.

[١ - ١] سقط من ص حوالى صفحتين.

ويعبر عنها بالقوة الكهربائية نسبةً إلى ما اشتهر فيه أولاً وجود قوة الجذب وهو الكهرباء، وحاصل الأمر فيه كيفية استعمال هذه القوة: أن الماكينة الموجودة في صنعاء في مركزها، بما أعدَّ فيها من الآلات التي توجد فيها تلك القوة، إذا وضع المأمور إصبعه على آلتها للضرب خرج منها صوت ليس بالصوت الكبير، فلربما لم يسمعه من في خارج المكان الذي فيه الماكينة فتجري قوة الضرب في السلك المربوط بها إلى الماكينة التي في تعز مثلاً، فتسمع تلك النقرات من الماكينة التي في تعز في آن واحد حتى لا يوجد فرق بين الفقرات المسموعة في ماكينة صنعاء، وماكينة تعز، وذلك لسرعة القوة وفرط اختراقها للهواء، فهما حاصلان في آن واحد. وقد وقع الاصطلاح على نقرات مخصوصة، لكل حرف، من حروف الهجاء، فيعرف المأمور ما هو المراد، وبالإدمان على ذلك ترى المأمور يكلم غيره، وهو يستملي وكذلك في حالة مخبرته لغيره، وبالجملة أمره عجيب، وتأتيه مستغرب، ولولا وجوده للعيان لما صدق أحد بحصوله في درجة الممكن المتبدل المعروف، ولم تكن القوة المذكورة مما يُدرك بالطرف، ولا يرى على السلك الحديدي التي تجري فيه أقل تحرك.

وقد سمعنا من جنسه ما هو أغرب منه، وهو ما اخترعوه أخيراً وسَمَّوه بالتلغراف اللاسلكي، واستخدموا فيه الهواء فتخرج النقرات من الماكينة المعدة له، فلا يبذلها الهواء إلى أن تصل إلى الماكينة الأخرى، فتسمع منها تلك النقرات. وقد شاهدته في بعض بوابير العثمانية الحربية الموجود فيها مولد القوة الكهربائية، وهذا من أعجب العجائب الدالة على عظم ملكوت الله، وعظم ما أودعته القدرة الإلهية من الأسرار في مخلوقاته، فهذه قوة ضعيفة باعتبار بادي النظر لا تدرك ولكنها عند استعمالها وجدت لا تماثلها قوة في اختراق الأقطار

السعيدة في آنٍ واحد، وبأَمِّ اللحظة.

ولقد حكى لي بعضُ الماهرين فيه أنه لا يوجدُ فرقٌ بين سماعِ تلكِ النقراتِ ودقِّها ولو كانتِ المخابرةُ بينَ صنعاءِ والآستانةِ مثلاً، وقد احترقتِ تلكِ القوةُ برَّ اليمينِ من صنعاءِ إلى الحُدَيْدَةِ ثم البحرَ الأحمرَ إلى منتهاه ثم البحرَ الرومي وغيره والبرَّ الموصِلَ إلى الآستانةِ من بيروتَ إلى اسكدار، إحدى مدن الآستانةِ، فما هذه القوةُ العظيمةُ؟ جلّتِ قدرةُ/ الله الذي خلقَ تلكِ القوةَ وألهمَ النوعَ الإنسانيَّ / ٣٢ - للانتفاعِ بها، ولما كان المأمورون من الأتراك - ولوحظ أن بقاءهم مؤقَّتٌ - صدرَ الأمرُ الشريفُ من مقامِ الإمامِ العظيم بفتحِ مكتبٍ لتعلُّمِ التلغرافِ، فانخرط في سلكه جماعةٌ من صنعاءٍ ومن غيرهم، ولم تمضِ برهةٌ يسيرةٌ إلّا وقد تعلَّموا ذلك، وانفعَ بهم، وعيَّنوا في مركزِ التلغرافِ مأمورين كالسابقين، ومُرتبوا على ذلك ومهروا فيه، وتعدَّدتِ أفرادُهم وصينتِ تلكِ المصلحةُ العامةُ من الاضمحلالِ والزوالِ. فهذا ما تمَّ إجراؤه في المدةِ اليسيرةِ بهمةِ مولانا الإمامِ وسعودِهِ الخارقة^(١). وقد ضمَّ مولانا الإمامُ إلى مشاةِ الجيشِ أعدادَ جماعةٍ من الخيالةِ، ورَتَّبَ لهم أميراً مخصوصاً، وأجرى لهم ولخيولهم الجراياتِ الكافلةَ بانتظامٍ معيشتهم.

ففي موكبِ الإمامِ لأداءِ صلاةِ الجمعةِ في الجامعِ المقدَّسِ، ترى الجيشَ يقدِّمُ مولانا الأمامَ بطواييره وقد انتظموا صفوفاً، وصاروا^(١) وقبلهم طبولُ الجيشِ وأبواقُه التي استحسَنَ مولانا الإمامُ بقاءَها كما كانت في المعسكرِ العثماني، والكلُّ على انتظامٍ تعبئةِ الحربِ، وبعدَ الجيشِ المدافعُ ثم الخيالةُ ثم عكفة^(١) مولانا الإمامِ وحرُسُه مشاة، ومن وراءِ الكلِّ مولانا الإمامُ، ومن معه من

(١) عكفة الامام، حرسه الخاص، أي حرس المقام الأمامي، وتكتب عُكفة.

[١] خطأ املائي «وساروا».

السادات والعلماء والخاصة راجلاً قبل الصلاة، وعلى ظهر جواده بعد الصلاة، حتى إذا وصل إلى داره ببئر العزب أو إلى دار الصنائع السعيدة، وقف في مكان وأشرف عليهم من إحدى طاقاته واستعرضهم فمرّوا صفوفاً، كل صف وراء الآخر، ومع كل بلوك وطابور والأبي أمراؤه يقدّمونهم، فتأتي المدافع الصغار محمولة على بغالها بالآلاتها وبعض مؤنتها، فالهاونات، وهي المدافع التي يرمى بها على الحصون، فالمدافع الكبار التي تجرّها الخيول بواسطة العجلات، ومع كل مدفع مأموره وطبشيّة إلى أن ينتهي ذلك، بمرور الخيالة على أحسن انتظام وأرصن إحكام وهكذا في كلّ جمعة فيشاهد الناظر موكباً فخياً وجلالاً جسيماً يتحدث به الركبان، ويرتدغ به كلّ مارق شيطان.

وقد حكى غير واحد من الواصلين من عدن، أنّ الانكليزيين هنالك ما برحوا يسألون عن أمرين من أحوال دولة الإمام، أولهما: المعمل. والثاني: انتظام الجيش وتدريبه ويظهرون لذلك مزيد الاهتمام، كأنّ الأمرين المذكورين هما السدّ المحكم المانع من وصول ضرر مطامعهم إلى هذه الجهات^١ ولعلّ / ٣٣ يقول: قد امتدّ شوط الكلام على ما أجراه مولانا الإمام من المصالح التي عزّ بها الاسلام، والعدرّ ظاهر لمن تأمل بعد ذلك الأمور، ومن نظرها بعيني رأسه يقول: لم نخرج عن دائرة القصور، ففي ذلك غرائب وعجائب يحسن الوقوف عليها^٢، وفي بيانها أوضح الأدلة على ما لمولانا الإمام من علو المكانة ومزيد الاهتمام بمصالح المسلمين والاسلام، متّع الله المسلمين بطول أيامه، وضاعف أمد أعوامه.

وفي أواخر شهر ربيع الأول من هذه السنة، بلغ إلى مولانا الإمام حصول الاضطراب في جهات اليمن الأسفل، وعدم ثبات أقدام الذين توجهوا من

[١ - ١] سقطت من س.

المقام الشريف، بعد أخذ العهود عليهم، فوقف أكثرهم موقفَ المتردد، وكثرت الإشاعاتُ عن الشيخ محمد بن ناصر مقبل قائممقام القماعة، وما إليها من البلدان بتردده، وذلك بعد أن كان من سعيد باشا ما كان وتضاعفَ القلقُ بتردد المذكور لما كان قد استلمه من سعيد باشا من المدافع والمهات الحربية، فإن المذكور أرسل إلى الشيخ محمد المذكور عدة مدافع ومهات قبيل دخوله إلى عدن، ومنها المدفع الكبير المسمى بالأبوس، وهم اسمُ افرنجي لحكيم افرنجي اخترع هذا المدفع فسُمي المدفع باسمه.

فلما بلغ إلى مسامع مولانا الإمام تلك الأخبار، بادر بتجهيز المولى العلامة سيف الإسلام، أحمد بن قاسم بن الإمام إلى اللواء التعزي وجهاته لتلافي إخماد ذلك التردد^[٢] والاضطراب، وحفظ الأطراف وتسكين روعة المستضعفين، وأرسل معه من المجاهدين نحواً من ألف مقاتل وبمعيته أيضاً جماعة من السادة مثل السيد علي بن أحمد الحملي^(١)، فتوجه إلى إب واستقر بها مدة ثم توجه منها إلى القاعدة^(٢) من المخلاف الجندی، ومكث بها برهة ثم عزم بمن معه من الجند^(٣)، وقد تضاعف عددهم بمن أنضاف إليهم

(١) علي بن أحمد الحملي ت بصنعاء ١٣٤٤ هـ: ينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين زيد بن علي، نسبة إلى هجرة الحمل الواقعة جنوب صنعاء، تولى عدة مناصب شرعية في الحيمة ثم في ناحية همدان، أنظر حياة الوزير، ٥٧١، أئمة اليمن، ٣/ ٣٠٢ (سيرة الامام يحيى).

(١) القاعدة: مدينة بالشمال الشرقي من تعز، على أكمة مطلة على الجند، انظر، اليمن الكبرى، ٤٥، اليمن الخضراء، ١/ ٨٤، معجم الحجري، ٣/ ٦٤٥، معجم المقحفى، ٥٠٤.

(٢) الجند: بلدة شرق شمال تعز بمسافة ٢٢ كم، سميت بجند بن شهران (أحد بطون المعافر)، أحد أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، أسس معاذ بن جبل الصحابي مسجداً فيها، انظر، صفة، ٩٩، معجم الحجري، ١/ ١٩٤، الاكليل، ١٠/ ٥٧ اليمن الخضراء، ١/ ٨١، اليمن الكبرى، ٣٦، معجم المقحفى، ١٣١، البلدان اليمانية، ٨١.

[٢] في س، الغزو.

من بَعْدَان^(١)، ودخل إلى تعز، وحصل من الجندِ عدْمُ التوقّفِ على الطاعة، وذلك بإغراء من لا خيرَ فيهم، وصادفَ في ذلك الحين وصولَ اسماعيل الأسود، أحد أمراء الأتراك، ومعه ثلّةٌ كبيرةٌ من بقايا الجندِ التركي، أقبل بهم من نواحي رَيْمَة^(٢)، وكان واقفاً هو ومن معه في العرضي خارجَ مدينةِ تعز، فوقعَتْ بينَ بعضِ المجاهدين وبعضِ أفرادِ العسكرِ التركي خصومةٌ أوجبَتْ إظهارَ المذكورِ للمباينة، وكاد الحربُ بينَ الفريقين يستعرُ ثم فرَّ المذكورُ ومن معه إلى جهاتِ ماوية^(٣)، ومنها إلى كَحْجِ فعَدَن، وحصل من المجاهدين في تلك الأثناء الإقدامُ إلى انتهابِ المونة من مخزنها في تعز، وكانت شيئاً كثيراً، وتفرّقت في أيدي القوم، وبعض أهل البلاد، فكان ذلك من أسباب فشلهم، وسقوط هيبتهِم من القلوب، فمكث المولى سيفُ الإسلام في تعز أسبوعاً على ارتباك في الأحوال، وتراكم أوجال، ثم عاد إلى مخلاف الجندِ، ثم ترفع من هنالك إلى ذي جَبَلَة^(٤) واستقرَّ بها، وعاد من

(١) بَعْدَان: من أعمال إب، جبل بعدان، واسع فيه قرى وحصون كثيرة ومزارع، والجبل يطلُّ على مدينة إب، انظر، صفة، ٢١١، الاكليل، ١٠١/٢، معجم البلدان لياقوت، ٤٥٢/١، مرصد الاطلاع، ٢٠٧/١ معجم المقحفي، ٨١، نشر العرف، ٣٩٦/٢، معجم الحجري، ٤٣/١.

(٢) رَيْمَة: بلدة جنوب شرق الحُدَيْدَة بمسافة ٧٠ كم، غرب جنوب صنعاء، تتصل ببلاد وصاب والجرف بجبل بُرْع ومركزها الجبي، انظر، الاكليل ٤٦٢/٢١، معالم الآثار ٣٧، اليمن الكبرى، ٥٧، نشر العرف، ١/٤٩٠، صفحات مجهولة، ٣٢، حياة الأمير، ٦٢١.

(٣) ماوية: بلدة جنوبي الجند وشرقي تعز، بها مركز قضاء القماعة، وهي على رأس جبل، وبها الكثير من الوديان الغنية بزراعة البن، انظر، حياة الأمير، ٦٢٩، معجم المقحفي، ٥٥٦ معجم الحجري، ٦٨٨.

(٤) جَبَلَة: مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من إب بمسافة ٧٠ كم بناها عبدالله بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨ هـ انظر: الاكليل، ٣٦/٨، صفة جزيرة، ١٦٨، نيل الوطر: ٨٦/١، نشر العرف، ٢٠٣/١، اليمن عبر التاريخ، ٢٠٢، معجم المقحفي، ١٠٩.

المجاهدين جماعةٌ كثيرون، ووصلوا إلى المقام الشريف فحبس الإمام - أيده الله - بعض رؤسائهم تأديباً على ما جنته أيديهم من خرق ستر الهيبة، وعدم التوقف على الطاعة.

وفي يوم الجمعة، الموافق خامس عشر من شهر ربيع الأول، جهّز مولانا الإمام - أيده الله - من محروس صنعاء السيد الأجلّ عز الدين، محمد بن يوسف الكبسي^(١)، والشيخ نصير الدين، عليّ بن المقداد راجح^(٢)، ومعهما ألف رام من أرحب، ومدفعان إلى جبال ريمة وبلادها. فتوجّها بمن معهما إليها، وكانت طريقتهما من الجهة الأنسية، فوصلوا إلى أطراف البلاد، وقابلتهم بعض الرعا بالحرّ، فكانت بين الفريقين مناوشة قتال، ثم فرّ الرعا واستولى المجاهدون على مواشيهم.

وفي اليوم الثاني، أقبلوا بعقائر الطاعة، تائبين، ولما جرى منهم نادمين، فقبلوا بالتأمين، وأمر السيد محمد بن يوسف والشيخ نصير الدين جميع المجاهدين بإطلاق ما في أيديهم من المواشي وإعادتها إلى أهلها وقابلتهم بعد

(١) محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد الكبسي ت بصنعاء ١٣٦٢ هـ، شارك في عدة معارك لاختضاع مناطق في يريم بقيادة عبدالله بن إبراهيم بن أحمد سنة ١٣٢٩ هـ، وثبت في معارك بين عرّهب، ومن ثمّ لزم بيته، وعاش زاهداً ورعاً، عانى من الفقر صنوفه، ولد بصنعاء سنة ١٢٨٠ هـ، انظر نزّهة النظر، ٦١١، هجر العلم، ١٧٩٨.

(٢) علي بن المقداد بن أحمد بن عبدالله راجح، نصير الدين ت (٣٤) من كبار مشايخ البلاد الأنسية، جمع شرف الحياة وشرف الجهاد، مقدام، شجاع، حارب الأتراك مناصراً للإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين وثم مع الامام يحيى، وحروبه وبطولاته مشهورة، انظر الدر المنثور وحروبه في البلاد الأنسية، انظر، نزّهة النظر، ٤٥٧.

ذلك جهات رِيْمَة كُلُّهَا بالطاعة والدخول في سلك الجماعة، وأقبلت إليهم المشايخ والرؤساء من جميع البلاد، وانتقل المقدميان بجنودهما إلى الجَبَى^(١) مركز قضاء رِيْمَة، ومن هنالك صار ضبط البلاد جميعها؛ كُسْمَة^(٢) وجهاتها والجَعْفَرِيَّة^(٣) إلى حد قبيلة الزُرَانِق^(٤) من تُهامة، وصلحت الأمور والحمد لله، ولم يحصل ما يكدّر من سفك دماء أو إثارة دهماء، ومكث الأميران هنالك يُجريان الأمور بالاشتراك، وزال عن أهل رِيْمَة ما كانوا فيه من الفوضى والتعادي، ونالوا حظهم من الأمان، وإقامة شريعة الملك الديان.

وفي ثالث وعشرين من الشهر المذكور، أنارت الأرجاء بقدوم سيدي العلامة، سيف الإسلام والمسلمين أحمد بن مولانا الإمام^(٥) إلى مقام مولانا أمير

(١) الجَبَى: ناحية من قضاء رِيْمَة وأعمال صنعاء، خصبة، انظر، اليمن الكبرى، ٥٧، حياة الأمير، ٦٢١، معجم المقحفي، ١١٠، معجم الحجري، ١/١٧٩.

(٢) كُسْمَة: جنوب غرب صنعاء، ناحية كبيرة من قضاء رِيْمَة، متصلة ببلاد آنس وُعُثْمَة ووصاب، يتبعها تسعة عشر عُزلة، بني يعفر، شعف، البقعة، جبل ظلملم، المغارم، يامن، عدنها، الضبارة، الأبارة، الجون، الشنرب، الريم، المصبحي، بني مصعب، بني منصور، بني عبدالعزيز، سلوكه، الجيوب، وهي منطقة خصبة غنية بالزروع وخاصة البن، انظر، نشر العرف، ١/٥٠٣، معجم المقحفي، ٥٣٧، معجم الحجري، ٢/٦٦٤، طبق الحلوى، ٨٦، رياض الرياحين، ٧٣.

(٣) الجَعْفَرِيَّة: ناحية من نواحي رِيْمَة، انظر، معجم الحجري، ١/١٨٩، معجم المقحفي، ١٢٣.

(٤) الزُرَانِق: من قبائل تُهامة: ينسبون إلى زرنق بن الوليد، وهم في الأصل قبائل المعازبة، مساكنهم ما بين وادي رمع ووادي ذوال وما بين البحر الأحمر وجبال رِيْمَة الأشابط، انظر، معجم الحجري، ١/٣٩٤، المروني، الثناء الحسن، ١١٧، تاج العروس، ٦/٧٣٠.

(٥) أحمد بن يحيى حميد الدين: الامام الناصر أحمد ت ١٢ ربيع الآخر ١٣٨٢ هـ، انظر، نزهة النظر، ١٦٧، هجر العلم، ٨١٧ - ٨٥٤، تحفة الاخوان، ٣٢، الاعلام، ٢٧١/١.

المؤمنين، ببلدة بئر العزب، لأداء حق زيارة والده - عليه السلام - وكان قدومه من شُهارة ومعه شقيقه بدر الدين، سيدي، محمد بن أمير المؤمنين^(١)، فاستقروا مدة حَظِيًّا فيها بالمراجعة في مهام الأمور.

ثم عادَ مولانا سيفُ الإسلام إلى محروس السُّودَة، ومنها إلى شُهارة محلِّ عمله، وبقي سيدي بدر الدين بمقام أبيه للقراءة والتفرغ لدرِّس العلوم، وكاناً معاً آية الله في النجاة وعلو الهمة وسمو المدارك، والشغف بمعالِي الأمور / ٣٥ والبحث عن أحوال الجمهور.

وفي شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة، وجَّه مولانا الإمامُ عمالةَ جبل بُرُج^(٢) إلى السيد الأجلِّ علي بن أحمد بن إبراهيم بن الإمام^(٣)، وأمره بالتوجُّه إلى الجبل المذكور، ومعه عصاةٌ كافيةٌ من الأجناد، فعزم إليه بمن معه، ودخل إلى الجبل المذكور بدون حرب ولا قتال، وأقبل أهل الجبل إلى الطاعة يهرعون، وأخذت عليهم أيمانُ البيعة بواسطة القاضي عزي بن عطاء الله.

ووجَّه مولانا وظيفة القضاء في الجبل المذكور إلى القاضي المذكور،

(١) محمد بن يحيى حميد الدين، الأمير البدر، أمير لواء الحُدَيْدَة ت غريباً في ١٦ ذي الحجة ١٣٥٠ هـ أديب شاعر، محمود السيرة، جواد، كريم، ولاه الامام أعمال قضاء الشرفين ثم لواء حجة، ولد في القفلة في ١٥ رمضان ١٣١٦ هـ انظر، تحفة الاخوان، ١٢٨، نزهة النظر، ٥٩٨، أئمة اليمن، ٢ / ٢٩٠، هجر العلم، ١٧٤٤.

(٢) جبل بُرُج: ناحية من لواء الحُدَيْدَة، مشرفة على تهامة، يرتفع عن سطح البحر حوالي ٢٠٠٠ م، مركزه ناحية رقاب، انظر، معجم الحجري، ١ / ١١٥، ٢٩٥، معجم المقحفي، ٧٤، الاكليل، ٢ / ٢٨١، صفة جزيرة، ٢٠٥، قرّة العيون، ٢٥٢.

(٣) علي بن أحمد بن إبراهيم: أمير الجيش خلفاً للشيخ عبد الله الضمين، ظل في منصبه طوال عهد الامام يحيى والامام أحمد، عزله الامام البدر، واعتقل في عهد الجمهورية، ثم توفي بعد اطلاق سراحه، انظر، حياة الأمير، ٥٧١.

وانتظمت أحواله في أقرب مدّة، واستراح سكّانه، وشاع فيهم الأمان والضبطُ
لشريعة والانتصافُ للمظلوم، وكاتبُ سكانِ الأطرافِ المجاورة له عاملُ
الجليل برغبتهم في الطاعة والاستظلال بالراية الإمامية، وكان يرفعُ ما يصلُ إليه
إلى الحضرة الشريفة، فيتلقى الجوابات الشافية ويرسلها إليهم.

وفيه وجّه مولانا الإمام عمالة ناحية جَهْران^(١) إلى القاضي فخر الإسلام،
عبدالله بن أحمد العرشي^(٢)، فتوجّه إليها، وعيّن مولانا سيدي شرف الإسلام،
حسين بن علي بن عبد القادر، عاملاً على صنعاء، وذلك بعد وفاة أخيه سيدي
الوجيه^١ عبد الرحمن بن علي بن عبد القادر.

قلتُ: ووفاة أخيه سيدي الوجيه - رحمه الله - كانت^١ في (٢٧ جمادى
الأولى^[٢]) من هذه السنة و^[٣] كان في نيّة مولانا الإمام إبقاؤه على العمالة، وكان -
رحمه الله^٣ - سيداً هماماً وماجداً مقداماً تولى رئاسة بلدية صنعاء أيام الدولة
العثمانية من سنة (...)^[٤] وعشرين إلى أن اخترمته المنيّة كهلاً بهذا العام،

(١) جَهْران: أرض واسعة في الجنوب من مدينة صنعاء بمسافة ٦٦ كم، جنوبي نقيز
يسلح، وشمال دَمَار يسمى حقل جهران، وجهران، ناحية من أعمال أنس وتعرف
بقاع جهران، ومن أسفل جبل يسلح وينتهي إلى دَمَار، في وسط القاع تقع مدينة معبر
على بعد ٣٩ كم من دَمَار، انظر، حياة الأمير، ٦١٦، معجم المحققي، ١٨٤، معجم
الحجري، ٢٠١/١، ١٣/١، رياض الرياحين، ٥٩، حوليات الجرافي، ٨٧.

(٢) عبدالله بن أحمد بن صالح بن مصلح العرشي ت في كُحلان بتاريخ ٦ صفر
١٣٥٩ هـ، عالم، فقيه، عارف بالسياسة، تولى أعمال جُبْن، بعث إلى عدن للمفاوضة
حول تسليم عدن والمحميات المحتلة للإمام ولم تسفر المفاوضات عن شيء، ثم عين
على ميدي وأسر في الحرب اليمنية السعودية هناك، ومن ثم عين عاملاً على كُحلان،
ولد سنة ١٢٩٦ انظر ملوك العرب ٨٣/١٠ - ٨٤، هجر العلم، ١٨٠٠.

[١ - ١] سقطت من س. [٢] بياض في الأصل والإضافة من نزهة النظر، ٣٤٦.

[٣ - ٣] سقطت من س. [٤] بياض في النسختين.

وحالت دون إبقائه على منصبه، وكان حسن السيرة، صفياً الطوية، جميل المعاملة، حازماً لبيباً ذكياً لودعياً ينتمي في معاملته إلى ديانة وعفة وحسن خلق، فكانت وفاته - رحمه الله - من دواعي الأسف، وامتنحن في آخر عمره بداء ضعف المعدة، وعُني بمعالجته الأطباء فلم يبرأ من مرضه حتى توفي، وقد لازمته الأسقام زمناً غير قصير. وعين مولانا الإمام في هذه الأشهر جماعة في مناصب متعددة منهم، القاضي محسن بن يحيى الجبري^(١) لحكومة خولان، والقاضي يحيى بن محمد الإرياني^(٢) لحكومة قضاء إب، والسيد الأفضل أحمد بن زيد بن علي الديلمي^(٣) لحكومة قضاء ركاع، وسيدي العلامة محمد بن قاسم الظفري لحكومة صغقان من بلاد حراز.

وفي شهر رجب من السنة المذكورة وثب الحاج محمد بن عايض العقاب من مشايخ حبيش، بعد أن تمالأ هو وأشار حبيش على من كان بحبيش من

(١) محسن بن يحيى بن صالح الجبري ت بجحانة، في جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ، عالم عارف بالفقه، تولى القضاء في عهد الدولة العثمانية في ركاع وتولى القضاء في عهد الامام يحيى في ثلا وفي جهران ثم في خولان، ولد سنة ١٢٨٧ هـ انظر، حياة الأمير، ٥٨٥ - ٥٨٦ هـ، هجر العلم، ١٢٦.

(٢) يحيى بن محمد بن عبد الله بن علي الإرياني ت في صنعاء ٩ ذي الحجة ١٣٦٢ هـ، عالم في كثير من العلوم، تولى القضاء للإمام يحيى سنة ١٣٣٧ هـ، وعضواً في محكمة الاستئناف سنة ١٣٤٩ هـ، ودرس في المدرسة العلمية وفي مسجد الفليحي، ولد في حصن إريان، جمادى الأولى ١٢٩٩، انظر، نزهة النظر، ٦٣٥، هداية المستبصرين، ٩ - ٢٧ هـ، هجر العلم، ٧١، المدارس الاسلامية، ٤١٨.

(٣) أحمد بن زيد بن علي بن حسن الديلمي ت في النادرة بتاريخ ربيع الآخر ١٣٦٨ هـ، عالم في الفقه، أصوله وفروعه والحديث والتفسير والعربية، تولى قضاء ركاع ثم قعطبة وحفاش، وكذا القضاء في النادرة في عهد الامام أحمد، ولد سنة ١٣٠٨، انظر، تحفة الإخوان، ٤٩، نزهة النظر، ٧٢.

الجنـد الأمامي، فقتلوا منهم جماعةً، ينوفون على العشرة واغتالوهم وثاروا للخلاف وتبعهم / كافة أهل حُبَيْش على الخلاف والتمرد عن الطاعة، ورُفِعَتْ إلى مولانا الإمام أخبارٌ عن الباعث على ذلك، وأنه من نتائج تدبير المترددين في الطاعة من رؤساء اليمن الأسفل، فاستقدم مولانا الإمام عامله على جهة الحدأ السيد الأجل المقدام محمد بن علي الشامي، وكان قد أكمل إصلاح الحدأ جميعه إلى كَوْمَان المحرق^(١)، وضبط تلك الجهات ضبطاً محكماً، وساق الأشرار إلى الحبوس، وكانوا من اضرار عباد الله على جانب عظيم، وقد أعيوا الدول مكرراً وخبثاً وتسلطاً، وأراد مولانا الإمام من استقدامه توجيهاً إلى اليمن الأسفل لتأديب العصاة من أهل حُبَيْش، وضبط الأمور في جميع تلك الجهات، ولم يتم ذلك، لأنه اعتذر بالمرض الذي صدّه عن القيام بتلك المهمة وكانت الحروب بين المخالفين من أهل حُبَيْش وجنود الأمام التي وجهها إليهم المولى سيف الإسلام^(٢) تحت أمره أخيه سيدي فخر الدين عبدالله بن قاسم^(٣) بن الإمام^(٤) مستمرة، والمحطات بهم محدقة، ولكن الجنـد الإمامي لم يتيسر له إخماد نيران بغية وجعلهم والانتصاف منهم بما ارتكبهوه من عظيم الإثم، والفتك بالمجاهدين غيلةً، وهم آمنون في مراتبهم، وتيسر في أثناء تلك المدة خروج القاضي عبدالله بن محمد يونس^(٥) حاكم حُبَيْش، ومن معه من بقية الجنـد

(١) كَوْمَان: في بلاد الحداء، ينسب إلى كومان بن ثابت من آل حسان ذي الشعين وهو قسان، كومان المحرق وكومان سنام، انظر، الاكليل، ٢/ ٣٨٢، المدارس الاسلامية، ٧٦، معجم المقحفي، ٥٤٤، معجم الحجري، ٢/ ٦٧٣.

(٢) المقصود، أحمد بن قاسم حميد الدين ت ٢٢ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ، سبقت له ترجمة.

(٣) عبدالله بن قاسم بن عبدالله حميد الدين، كان عالماً ورعاً، شقيق سيف الاسلام، أحمد بن قاسم، لم تظهر شخصيته بسبب قوة شخصيته أخيه سيف الاسلام أحمد، انظر، حياة الأمير، ٥٦٦.

(٤) عبدالله بن محمد يونس، علامة، أديب، شاعر، كان حاكماً لحُبَيْش، ثم المخا، ثم تعز، انظر، حياة الأمير، ٥٦٧.

[١ - ١] في س، حميد الدين.

الإماميَّ إلى إب ليلاً بعد أن حاصره الباغون أشدَّ الحصارِ في ظُلْمَةٍ، ولم تحلِ
الوقائع بين الفريقين عن معارك قُتِلَ فيها من الباغين جماعةٌ.

وفي شهر رجب من هذا العام، عيَّن مولانا الإمام السيّد عزّ الدين محمد بن
علي الذاري^(١) لعمالة زَبيد وبلادها، وكانوا قد راسلوا مولانا الإمام بالطاعة،
واستقدموا الجند الإماميَّ، ولكنّه كان يحول دون ذلك تمرّد أهل وُصَّابين^(٢) عن
الطاعة، وإعلانهم عدم الانقياد واصرارهم على العناد، فعَيَّن مولانا الإمام أيضاً
لعمالة وصاب العالي والإشراف على وُصَّاب السافل السيّد الأجل، عزّ الإسلام،
محمد بن أحمد الوزير^(٣)، ولحكومة وُصَّاب العالي السيّد الهمام هاشم بن علي
المرتضى^(٤). وأمر مولانا الإمام سيدي العلامة يحيى بن علي الذاري بالعزم

(١) محمد بن علي بن أحمد الذاري ت ٢٩ ربيع الآخر ١٣٤٤ هـ، عالم بالفقه والفرائض،
تولى أعمال خبان ثم النّادرة فعُتِمَ ثم زبيد ثم عاد إلى الذاري عاملاً على ناحيتها، ولد
في رمضان ١٢٨٧، انظر نزّهة النظر، ٥٦٩، أئمة اليمن، ٢/ ١٣٢، هجر العلم،
٦٦١.

(٢) وُصَّاب: ناحية كبيرة كانت تعرف بجبلان العركبة، غرب وادي زبيد، فيها جبل
عظيم، وعليها حصن الشرف، وهي تتكون من وُصَّاب العالي، ومركزها الدّن ووُصَّاب
السافل ومركزها المصباح والعركبة كانت حاضرة وُصَّاب قبلاً انظر، المفيد، ٢١٤،
مراصد الاطلاع، ٣/ ١٤٣٩ طبقات الخواص، ٦٥، البلدان اليمانية، ٣٠٠.

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن محمد الوزير: ت بصنعاء ١٣٩٢ هـ، عالم في الفقه، تولى
أعمال وصاب ثم دّمار وكان عاملاً في الطويلة، ولد في سنة ١٣٠٥ هـ، انظر، هجر
العلم، ١٩٥، حياة الأمير، ٥٨٨.

(٤) هاشم بن علي المرتضى ت بتعز، ١٣٩٠ هـ، درس زميلاً للإمام في كحلان، تولى أعمال
وصاب ويَريم وذِي الشَّقَال، وزبيد، ثم عضواً في الهيئة الشرعية في تعز، انظر، نزّهة
النظر، ٦٢٠، هجر العلم، ٩٩١.

معهم وأصبحهم من الجند الإمامي نحو ألفي نفر ومدفعين، وما يلزم لذلك من العدة والمهمات.

وصدر الأمر الشريف أيضاً على سيدي فخر الدين عبد الله بن أحمد بن الوزير بأن يجمع جنداً من البلاد التي بنظره، وأن يلتقي الجميع إلى عتمة. وكان سيدي محمد بن علي الذاري هنالك، وإليه حكومة تلك الجهة، فتوجهوا جميعاً، والتقى الأمراء هنالك، وتكاثر عدد الجند لديهم.

ومكثوا مدة يرسلون أهل وُصَابٍ ويرغبونهم في الطاعة وحقن الدماء واجتماع الكلمة / ٣٧. وفي أثناء شهر شعبان من هذا العام، وردت البُشرى من الأمراء الذين حول وُصَابٍ بأنه كان التقدم من الأجناد الإمامية على وُصَابٍ العالي بعد الإعذار والإنذار، ودوام إرسال النصائح لأهلهم وجوابهم المرة بعد المرة بأقبح جواب، وإصرارهم على العناد والبقاء على الارتياح. وافترق الجندُ الإماميُّ إلى طائفتين: طائفة مع السيد العلامة عبد الله بن أحمد الوزير وتحت إمرته، وعددهم كثير فتقدموا من جهة، والطائفة الأخرى مع سيدي محمد بن علي الذاري وأخيه سيدي العلامة يحيى بن علي الذاري^(١) وغيرهما تقدموا من جهة أخرى وجرى بين الفريقين في الجهتين حربٌ مهول وقتال استبسل فيه المجاهدون، وأظهروا فيه من الإقدام مال لا يزيد عليه، وهاجموا البُغاة إلى

(١) يحيى بن علي بن أحمد الذاري ت ١٠ ربيع الأول ١٣٦٤ هـ، عالم محقق في الفقه والأصول، شاعر مجيد، خطيب، حفاظة، قاد حملة لمحاربة الأتراك والادريسي، أقام طرف الامام في القفلة، تولى القضاء في خبان، له قصائد تحت على وحدة المسلمين أنشأها سنة ١٣٤٠ هـ، ونشرت في القبله من مؤلفاته، القول الصريح في الرد على مدعي الاسلام الصحيح لمحمد إسحاق النشاشيبي، ولد في جهادي الآخرة ١٢٩٠ هـ، انظر، نزهة النظر، ٦٢٣، هجر العلم، ٦٦٢.

مواقعهم، ولم يهابوا رصاص بنادقهم ولا تكاثفهم وتساندهم، وانجلت المعركة في الجانبين عن قتلى من المجاهدين واستشهاد جماعة وجرح جماعة، وقُتل من الباغين ما ينوف عن ثلاثين قتيلاً، وحُزَّت رؤوس بعضهم، وأُرسلت الرؤوس إلى بعض النواحي، ووصل منها إلى إب عدد، وجُرح منهم كثيرون وأُسِر منهم عددٌ غير يسير، وانهمزوا هزيمةً فاضحةً لا يُلَوَّن على شيء، وارتقى المجاهدون الجبل من جميع نواحيه إلى أن وصلوا إلى الدن^(١).

وبعد هذه الحرب أقبلوا إلى الطاعة، وهربوا إلى العافية، وطلبوا الأمان، وبذلوا رهائن الطاعة، فأخذت منهم جميعاً، وأقبل بعدهم أهل وُصَّاب السافل وانقادوا وضبطت أمور الجبل جميعه، وذلك العاصي واستنزلوا من تملك الصياصي، وكانوا يظنون أنهم لا يُطاقون، ولا يمكن ارتقاء جبلهم وأخذة عنوةً، فأخذوا بسيف الحق وأطاعوا رهبةً، وكانت تُطلب منهم رغبةً، وإنما غرهم ما مرنوا عليه من العصيان وفي زمن الدولة العثمانية، لقد لبثوا قبل هذا نحو عشر من السنين متمردين على الدولة العثمانية، وبقي الجيش على كثرته، في تلك الأطراف مع الأمراء، لأكمال الإصلاح، وإظهار شعائر الحق والفلاح، وإخاد ما كان مستعراً من الفتن بين العزل والمخالف؛ لأن فوضاهم جرَّت إليهم عظام المحن، وأخربت معمر البلاد، وناهيك بحالة قوام أمرها هو الفساد.

ولما تمَّ المرام انفصل الجيش العازم إلى زبيد من الدن متوجهاً مع عامله السيد عز الإسلام، محمد بن علي بن الذاري، ومن معه من أمراء الجند المنوطين به، وما زال يسير رويداً حتى وصل إلى زبيد في أثناء رمضان من/ هذه السنة، ٣٨ /

(١) الدن: مركز وُصَّاب العالي، انظر، معجم المحقفي، ٢٤١، المفيد، ٢١٤، البلدان البليانية، ٣٠٠.

ولم يَلْقَ في طريقه حرباً ولا قتالاً بل واجهته أهل تلك الجهة بالطاعة والرغبة فيها، وكان القائم في ذلك بالأثر الحسن السيد النجيب الهمام صفياً الإسلام، أحمد بن عبد الرحمن الأنباري^(١)، حاكم زبيد، فإنه بذل وسعه في مكاتبة المشايخ وإفهام السكان هنالك مزايا دولة مولانا الإمام وقد كان تشرف بالوصول إلى الحضرة الشريفة الشيخ عبد الرحمن، شيخ من مشايخ قبيلة المعاصلة^(٢) وعاد مع الجيش المنصور.

ولما استقرَّ العامل ومن معه بزبيد تلقاهم الجميع بالترحيب، واستبشر بقدمهم وأنس بهم جميع الناس على اختلاف طبقاتهم واستقرت الأحوال، وشرع العامل في ترتيب الأمور وإزالة المفاسد، وأنزل كثيراً من الجند في قلعة زبيد، وهي قلعة حصينة ضخمة المباني، قد تداولتها أيدي الدول وفيها مآثر قاسمية، وكانت حالة زبيد قبل قدوم الجند الإمامي إليها في حالة سُكونٍ على أثر مباحرة الوالي محمود نديم بك لها بعد أن سكن ما بين أهلها من الحروب والفتن، وقُبِضَ علي زعيم حارة الجامع^(٣) والمجنبد^[١] عبدالله مبارك القائم بإيقاظ الفتنة، ولولا قدوم الجند الإمامي لعادت الحرب جذعة بين الفريقين، فكان قدومه عليهم فرجاً عاجلاً أزال عنهم تلك الفتنة ومحا عنهم المحن، وتمَّ

-
- (١) أحمد بن عبد الرحمن بن حسن بن الطاهر بن أحمد المساوي، الشهير بابن الأنباري ت ١٣٦٦ هـ تولى حكومة زبيد من سنة ١٣٣٧ هـ، وكانت محكمة زبيد من أحسن المحاكم مع مراعاة التنظيم وحسن الصك والسبك في ما يرقمه انظر، نزهة النظر، ٩١.
- (٢) المعاصلة: عَزْلَة وقبيل في وادي زبيد، وهم من الأشاعرة، وبلادهم واسعة ممتدة من ساحل البحر إلى الجبل، انظر، معجم المقحفي، ٦٠٧، معجم الحجري، ٧١١/٢.
- (٣) المقصود جامع الأشاعرة بزبيد.
-

[١] في س، والمجسد.

ببركتِهِ ما راموا وظفروا بها به هاموا، وكان للقبائل المجاورة لزبيد تسلطاً على أهل المدينة، وكلُّ فريقٍ منهم مستندٌ إلى قبيلةٍ وبذلك تهدم من مشيد عُمران زبيد ما ثبت إحكامه، وصينَ على مرورِ الزمانِ من ريبِ الحوادثِ نظامه، فلما وردَ الجندُ الإماميُّ ونزلَ بذلك السَّوح، عادت إلى المدينة حسناتها، وبرزَ رونقُ حضارتها، واشتغل كلُّ فريقٍ من أهلها بما يعينهم من الأعمالِ والأطوارِ.

وأما سيدي فخرُ الدين عبدُالله بن أحمدُ الوزير، فإنَّه مكثَ هنالك بمن معه من الجندِ أياماً، ثم توجَّه بجنوده نحو جبل رأس^(١) ودُبَّاس^(٢)، وهنالك لبثَ برهةً حتى قرَّرَ الأمورَ وساسَ الجمهورَ، وضبطَ أحوالَ الجبلِ المذكورِ وما إليه، ولما لاقاه هنالك بنو النور، رئيسهم الجنيْدُ بنُ عبدِالله النور، وكان المذكورُ ومن إليه ينتمون إلى رِيَّانَةَ^(٣)، فسارعوا إلى الطاعةِ وأقبلوا للانضمام في سلكِ الجماعة، ثم تحول سيدي عبدُالله إلى حَيْسٍ^(٤) وتلك الجهة وقصدَ مدينةَ حَيْسٍ، وقد تجمعَ مِنْ الأشرارِ لمعارضةِ قصده/ أقوامٌ، فجرت بينَ الفريقين حربٌ عظيمةٌ،

٣٩ /

(١) جبل رأس: يطل شماله على وادي زبيد وجنوبه على نخلة، وشرقه فرع العُدين وغربه وُصَّاب، يرتفع حوالي ٢٠٠٠م، يتبع زبيد إدارياً، يقع جنوب شرق زبيد، عامر بالقري، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٥، حياة الأمير، ٦١٤، معجم الحجري، ١/ ٣٥٥، معجم المقحفي، ٢٥٨، قرة العيون، ٤٦.

(٢) جبل دُبَّاس: يبعد عن زبيد ٤٠ كم من الجنوب الشرقي، ويكون شمال شرق حَيْسٍ، فيه قرى ومزارع كثيرة يشتهر بالعسل الدُبَّاسي، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٥، صفة جزيرة، ١٤٠، معجم المقحفي، ٢٣١، معجم الحجري، ١/ ٣٢٦، قرة العيون، ٤٦.

(٣) رِيَّان: قرية الريان في وادي زبيد، انظر، اليمن الكبرى، ٤٨، ٧٥.

(٤) حَيْس: مدينة بتهامة تبعد عن زبيد ٤٠ كم جنوباً بشرق، وهي جنوب جبل دُبَّاس، اشتهرت بصناعة الأواني الفخارية، انظر، الاكليل، ٢/ ٣٦٨، قرة العيون، ٢٣٤، صفحات مجهولة، ٢٠، اليمن الكبرى، ١٠٤، حياة الأمير، ٦١٨، معجم المقحفي، ٢٠٣.

أسفرت عن انهزام الأشرار، ومبادرتهم للفرار بعد أن أُصيبوا بقتلى كثيرين منهم، وجرحى ودخل الجند المنصور مدينة حَيْس ظافراً، واستقر هنالك سيدي عبد الله أياماً يربُّب الأمور ويضبط الجهات ويتبع الأشرار، ويجتث أصول كلِّ محذور، ومن هنالك أرسل إلى مرسى الخُوخَة^(١) من رتبته وضبطه وأحكم أموره. وكان هذا المرسى قديماً لا يُذكر، وفي هذا الزمن قصده التجار وأهل السفن، وكان الملجأ إلى ذلك ما يعانيه التجار من ثقل الضرائب في المراسي المشهورة مثل الحُدَيْدَة واللَّحِيَة وغيرهما، وتحكَّم المتولين في منع البضائع، فقصدوه لخلوّه عن ذلك.

ولما أعلن الإنكليز الحصارَ البحريَّ على سواحل البحر الأحمر التي تحت يد الدولة العثمانية، وصار ما يُجلب إلى اليمن ومه لا يحصل إلا على جانب عظيم من المسارقة والاختفاء، صعب إيراد البضائع أو تعدد إلى المراسي المشهورة، وبقي مثل الخُوخَة وإن كان من المراسي التي تحت يدي الدولة مما يتمكن فيه الجلب لقربه من عصب^(٢) وجيوتي^(٣) ونحوهما، فكثُر فيه تعاطي التجارة.

ولما وقع ضبطه من طرف الجند الأمامي استمرَّ كذلك وتوفر فيه الجلب،

(١) الخُوخَة: ميناء صغير على البحر الأحمر، شمال المخا وغرب حَيْس بمسافة ٢٨ كم، ويتبع إدارياً ناحية زبيد، انظر، معجم الحجري، ١ / ٣١٢، حياة الأمير، ٦١٩، اليمن الخضراء، ١ / ٨٧، المفيد، ٧١، قرة العيون، ٢٣٤.

(٢) عصب: مقابلة لعدن على الطرف الآخر عن البحر الأحمر، قرب باب المنذب، انظر خريطة رقم ١٠٤ ورقم ٢٠٦، أطلس التاريخ الاسلامي.

(٣) جيوتي: مقابلة لعدن من الطرف الآخر لخليج عدن من بحر العرب، انظر خريطة رقم ١٧٦ من أطلس التاريخ الاسلامي.

وكان في ذلك من تقوية زبيد ومنفعة بيت المال، وما لا يخفى، وكل ذلك من بركات مولانا الإمام - أيده الله -.

وفي هذه الأثناء بلغ إلى مسامع مولانا الإمام - أيده الله - حصول المنافسة بين بعض المشايخ من بَعْدَان وتزاحمهم إلى أن أدى الحال إلى وقوع الحرب بينهم، واضطراب الحال هنالك، فأمر مولانا الإمام بتجهيز عصابة نأفة من الجنْد المدْرَب ومنعهم مدفعان، وأرسلهم إلى سيدي العلامة يحيى بن محمد بن عباس^(١) بن الإمام إلى النادرة، وأمره بالعزم إلى بَعْدَان لتسكين الاضطراب ومعاينة المعتدين.

ولما وصل إليه الجنْد الإماميُ تجهزَ للمسير إلى بَعْدَان، وانتقل إلى هنالك، فضبَطَ الأمور وعاقبَ المعتدين ولبثَ هنالك أياماً. وفي أثناء بقائه ظهر الخلافُ من أهل حُبَيْش، فاستقرَّ مكانه منعاً للخلاف من السريان. وأمدَّ الجنود التي توجَّهت إليهم بثلة من الجنْد، ومدفع، والحربُ مستمرٌّ بين الفريقين والمخالفون يتلقَّون من ذوي الترددِ المعاونة الخفيفة والتثبيت والوعد بالمدد حتى أصروا على العناد ودوام الفساد، ومولانا الإمامُ يجمعُ الجنْدَ ويحرِّرُ النظرَ فيمن يولِّيه

(١) يحيى بن محمد بن عباس بن عبدالرحمن بن عبدالرحمن، أمير الجيش، ت قتلاً صبيحة يوم الثورة ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢هـ / ٢٦ أيلول ١٩٦١، قتله الضابط غالب الشرعي، كان عالماً، له مشاركة قوية في كثير من العلوم، مع معرفة جيدة بالسنة، تولى في عهد الإمام يحيى القضاء في صنعاء ثم تولى أعمال قعطبة، فاستعاد الضالع وجبل حرير والشعيب، واتصل أهل المناطق بالسلطات البريطانية في عدن حيث هاجمت الطائرات تعز وإب ويريم وذمار وقعطبة، وتولى أعمال إب ثم ريمة، ناصر الامام أحمد. ثم تولى الاستئناف، ولد في شهارة في صفر ١٣٠١هـ، انظر، تحفة الاخوان، ١٣١، نزهة النظر، ٦٤٣، هجر العلم، ١١٠٢.

٤ / إمرة^[١] ذلك الجيش، فوقَّع الاختيارُ على سيدي العلامة الأنبل المجاهد، جمال الدين، علي بن عبد الله^(١) بن الإمام محمد بن عبد الله الوزير، وكانت إليه جهة بلاد البُستان وهو الذي تولى / إصلاح بلادِهم، وفك عنهم ما عانوه من الحروب فيما بينهم، فصدر الأمر الشريفُ إليه بعزمه لتأديب المخالفين من أهل حُبَيْش، وإصلاح جهات اليمن الأسفل، فتوجَّه^[٢] على بركة الله^[٣] بجندٍ ضخمٍ من صنعاء نحو الألفين، ومعه ما يحتاجُ إليه من المدافع والزينة ومهمات الحرب، وصادفَ يومٌ توجَّهه في أثناء شهر شعبان من هذه السنة.

وقد أمر مولانا الإمام بتوجَّهه نحو ستِّ مئة من المجاهدين على مَنْ لم يمثل للشرعية من حَوْلان فكان عزمُ الجميع إلى حَوْلان، وهنالك صارَ ضبطُ المتمردين، ورجعَ الموجهون لأجلهم إلى صنعاء، ومعهم من صارَ ضبطه. ومن هنالك توجَّه سيدي جمال الدين، علي بن عبد الله الوزير بجنده نحو اليمن الأسفل. ولما وصل إلى المخادر^(٢) كاتب المخالفين بالنصائح واستمالهم وحذَّره من الاستمرار على ركوب مَن القبايح، فلم تنجعَ فيهم تلك

(١) علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الوزير ت ٢٣ شعبان ١٣٦٧ في حجة، إعداماً. أمير الجيش وأمير لواء تعز، ولي القضاء في ناحية حُبَيْش ثم عاملاً لناحية بني مطر (البستان)، كانت له قيادته لقوات الامام لاحضاع العديد من الثورات وخاصة في مناطق حُبَيْش ولواء تعز ومناطق اليمن الأسفل، صنف حمود بن محمد الدولة الذماري كتاب زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء وأحمد بن محمد بن عبد الله الوزير كتاب حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، ولد ١٣٠٢ هـ، انظر هجر العلم، ١٨٩-١٩٤.

(٢) المخادر: بلدة شمالي إب بمسافة ٢٥ كم، يتوسط بينهما حقل السَّحول، انظر، طبق الحلوى، ٢٣، معالم الآثار، ١٠٧، وثائق يمنية، ١٩٤، اليمن الكبرى، ٤١ هجر العلم، ١٩٦٩.

[٢ - ٢] سقطت من س.

الأدوية، وحكموا على نفوسهم بأن لا دواء لهم غيرُ حِدِّ السيف، فتقدمَ الجندُ الإماميُّ بعدَ تأهّبِهِ على عِزلةِ المُشِيرِق^(١)، وقد تجمّع المخالفون إليها وما حولها من العِزَل، ورؤيسهم الباغي محمد عايض العُقَاب^(٢)، فدارت رحى الحرب بينَ الفريقين، وكان يوماً مهولاً، أظهرَ فيه المجاهدون من الشجاعة والإقدام ما بهَرَ العقولَ، ولم يمضِ اليومُ حتّى انهزمَ الباغون لا يلوون على شيءٍ، وتقدمَ المجاهدون في عِزَلِ بلادِ حُبَيْش إلى أن وصلوا إلى ظَلَمَة^(٣)، وأحرقوا أكثرَ الدورِ وانتهبوها وتمَّ للمجاهدين اجتيازُ ما مسافَتَه نحو أربع ساعاتٍ فلكية من البلاد المخالفة. وقُتِل منهم كثيرون، وأُسِر منهم أيضاً جماعةٌ، وأُخذت رؤوسُ بعضِ القتلى، وفرَّ الباغي محمد عايض العُقَاب، وعالجَ عاقبةَ بغيهِ، وعَرَفَ هنالك أنَّ مَنْ حَمَلَهُ على ركوبِ غاربِ العصيان وجزّاه عليه، إنّما ساقه إلى مواردِ الحتفِ والهوانِ، ولم يغنِ عنه شيئاً. وناداه بعدَ ظهورِ الحقِّ وشوكتِهِ، بأني برىء منك.

وفي اليوم الثاني من تقدّم الجيش، تحرّكَ الشيخُ حمودُ بن عبد الرب بن قايد ابن سنان^(٤) من مشايخِ بلادِ العُدَيْن، والشيخُ محمدُ بن عبد الوهاب بن محمد

(١) عِزلة المُشِيرِق: عِزلة من ناحية حُبَيْش وأعمال إب، انظر، معجم المقحفي، ٥٩٨، معجم الحجري: ٧٠٩/٢.

(٢) محمد عايض العُقَاب الكلاعي ت ١٣٤٥ هـ، انظر: حياة عالم وأمير، ٢٤٠، ٣٤٢، حياة الأمير، ٨٩، ٩٧، ٩٨.

(٣) ظَلَمَة: قرية من ناحية حُبَيْش وأعمال إب، بها مركز الناحية، انظر: صفة جزيرة، ١٢٥، معجم المقحفي، ٤١٤، معجم الحجري، ٥٦٨/٢.

(٤) حمود بن عبد الرب بن قائد بن سنان ت في ٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٦ هـ، شيخ عِزلة حرد وبني عواض ومدينة العُدَيْن، كان مغواراً، اتهم بمؤامرة قتل علي بن عبدالله الوزير، فسجن حتى مات، انظر، حياة الأمير، ٥٤٩.

بن قاسم من مشايخ إب بجماعتيهما على بيوت بني العقاب في جبل العقاب^(١)، وضايقوهم في مساكنهم واستولوا على بيت محمد^[١] عايض ففر لا يلوي على شيء، واختفى فلم يُعرف له مقر حتى قيل إنه ظهر بعدن وفي تُهامَة واستمرَّ ينتقل إلى أن ورد الخبر بوفاته غريباً طريداً، لم يؤوّه مكان ولا حماه إنسان، وذلك من عاقبة العدوان، وبعد تلك المعركة انتقل الأمير جمال الدين إلى ظلمة وبث الأمان ونادى / مناديه بالكف عن الرعية، وأقبل الناس أفواجا إلى الطاعة والرجوع إلى سلك الجماعة، وندموا على ما قدّموا. وغنم المجاهدون منهم غنائم واسعة. وكانت وقعة عظيمة أذهبت أحلام المترددين، وشفّت قلب الدين، وقرّت بها عيون المؤمنين، وأيقظت ذوي الغفلة من رقدة تقاعدهم عن الموالاة الصادقة واهتز لها اليمن الأسفل من جميع جهاته، وشرع الأمير في أخذ الرهائن من جميع البلاد الحبيشية على اتساعها إلى حدود وصاب، وضبط ما لم تصل إليه أيدي الدولة العثمانية من ضبط بدوها الساكنين في أطرافها، وأخرب الحصون التي تظاهر أهلها بالعدوان، كحصن عيال إبراهيم^(٢)، ولم يزل هذا الحصن بأيدي عيال إبراهيم من مدة مديدة، وهم موصوفون بالخبث والدهاء والإقدام على الانتهاب والعدوان وقتل النفوس بدون حق، فضبطهم ضبطاً محكماً، وأخرب حصنهم، وفعل في أمثالهم مثل ذلك، حتى أتم إصلاح البلاد على غاية ما يُرام، ووفد إلى الأمير جمال الدين^[٢] -وهو مقيم- كثير من مشايخ

(١) جبل العقاب: جبل وعزلة من ناحية حبيش وأعمال إب، انظر، معجم المقحفي، ٤٥٢، حياة الأمير، ٦٣١، ٩٧، ٩٨، معجم الحجري، ٦٠٧/٢، ٥٠/١.

(٢) عيال إبراهيم: عيال إبراهيم في اليمن كثير منهم في يسمن من بلاد صعدة من ولد عز الدين الحسن، وآل إبراهيم في ناحية الجوف من قبائل بني لؤف، وغيرهم كثير، انظر، معجم المقحفي، ٨، نقلاً عن معجم الحجري ٥٣/١.

[١] في ص، الباغي محمد. [٢] في س، الجمالي.

اللواء التعزي، وأظهروا الانقياد والندم على ما كان يبدُر منهم من الميل إلى العناد، كلُّ هذا والمولى سيفُ الإسلام أحمدُ بنُ قاسم بن الإمام مقيمُ باب. ولم تخلُ إقامته هنالك من فوائد عظيمة كالتسكين، وإقامة الشريعة، وانفرد أهل قضاء إرب ومدينته أثناء هذا الإضطراب بالثبات على الموالاة وإعانة المجاهدين السابقين والتالين بالكفايات من الطعام وغيره. والثناء في ذلك على همة عامل إرب الشيخ إسماعيل بن محمد باسلامه، فإنه من بعد توجيه عمالة إرب وبلادها إليه ثبت على الموالاة والنصح والاخلاص وباين من كان يؤدِّ عدم انتظام الدولة الإمامية. ولقد اثنى على همته أمير الجيش ثناءً عظيماً بما أبداه من الإعانة والاهتمام بأمر المجاهدين، وصادف يومَ قدوم الجيش على حُيش، ولم يكن الأمير قد تهيأ لذلك، لدوام مراسلته للمخالفين، وبذل النصائح لهم، فبدَرَ منهم العدوان والإقدام على المجاهدين الذين قد كانوا على مقربةٍ منهم، واشتعلت نارُ الحرب، وتلاحقَ الجندُ، بعضُه يتلو البعض الآخر. ولم تكن لديهم الكفاية اللازمة من الطعام، وقد كان اعتنى عاملُ إرب، وأمر جميع أهل القضاء بصناعة الزاد للمجاهدين. فارسلَ ذلك، وهم جُمٌّ وافِرٌ إلى المجاهدين، وهم في أعظم حاجةٍ إليه لتعذُّر وجوده لديهم بفرار أهل البلاد بعد الواقعة، فاستغنى المجاهدون بما وصل إليهم من ذلك، فانتظم / أمرهم، وكان ذلك من العناية ٤٢ / الإلهية بالجند الإمامي، وبركة من بركات مولانا الإمام^١ التي ما زالت عن طور التجلي للأعين في كل واقعة ومعركة، فكم سرد الواضعون أفرادها وأطال المشاهدون تعدادها حتى إنك لا ترى جندياً أو أميراً إلا وهو يقول: لولا سعادة مولانا الإمام وبركاته لما تمَّ شيءٌ من الظفر، ولا حصل من النصر ما يُذكر^٢، ولكنَّ العناية لا تزال تصاحبهم والرعب يقدمهم، فيصلون إلى المطلوب، وإن

[١-١] سقطت من س.

قلُّوا، ويهزمون الأعداء وإن جَلُّوا، ومن تتبَّع سيرَ الوقائع يجد النتيجةَ اليقينية بارزةً أمام فكره في أجلِّ مظاهرها وأتمِّ مفاخرها، وهي أنه لم يُهْزَمْ له^[١] - عليه السلام - جندٌ إذا تمسكوا بالطاعة، لم يظهر منهم العدوان، فإن جرى منهم شيءٌ من ذلك شاهدوا العقوبةَ الإلهيةَ، وعرفوا أن ذلك من أثرِ أعمالهم، وهذه عادةٌ في جندِ الحقِّ إذا سلكَ غيرَ سواءِ السبيل أو انحرف عن المقصدِ الكافِلِ بمرضاةِ الربِّ الجليل،^[٢] وإذا استقامَ على الطريقةَ وتمسَّكَ بالتوقُّفِ على مثلالها شايعةُ الأقدارِ على بلوغِ مشتهى الأوطارِ ولو تكاثفت الأخطارُ^[٣]. وفي خلالِ هذه الأثناءِ عادَ سيِّدي العمادِ يحيى بن محمد بن عباس إلى محلِّ ولايته وهي النَّادِرَةُ وتوابعُها من مخلافِ الشَّعِرِ^(١) وعَمَّار^(٢)، وقد كان مدَّ يده إلى مخلافِ العَوْدِ^(٣) جميعه، وضَمَّهُ إلى ولايته بإذنِ الإمام - أيده الله -.

وبقيت قَعَطْبَةُ^(٤) وما إليها خاليةً عن العاملِ، وكان القاضي أحمدُ بنُ محمد

(١) الشَّعِر: مخلاف في ناحية النَّادِرَةِ، ثم تبع إب، والثياب الشَّعِرِيَّةُ منسوبة إليه، انظر، معالم الآثار، ٤٢، معجم الحجري، ٢/ ٤٥٤، ٧٢٧، معجم المقحفي، ٣٥٧ (من عَزَلَه، الزَّعْلَا، مقنع، الوسط، العَبَس).

(٢) عَمَّار: مخلاف في ناحية النَّادِرَةِ شمال سرق إب، من عَزَلَه، أزال، البكرة، عجيب، شخب وغيرها، نُسب إلى عَمَّار بن كنانة بن قيس، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٧٢٧، معجم المقحفي، ٤٦٢.

(٣) العَوْد: مخلاف في ناحية النَّادِرَةِ، شمال شرق إب، انظر، الاكليل، ١٤٧/ ٢، ٣٦٧، صفة جزيرة، ٢٠٠، معالم الآثار، ١١٠، معجم الحجري، ٢/ ٤٥٤، ٧٢٧.

(٤) قَعَطْبَةُ: مدينة وناحية من نواحي قضاة النَّادِرَةِ بالشرق الجنوبي من إب بمسافة ٦٢ كم، عُمرت على أنقاض مدينة جَيْشَان، تعد ناحية من لواء إب سابقاً، انظر، طبق الحلوى، ٨٤، أئمة اليمن، ٢/ ٣٧٨، مذكرات المؤيد بالله، ٢٠٠، حياة الأمير، ٦٢٨، معجم المقحفي، ٥٢٠، معجم الحجري، ٢/ ٦٥٦.

[١] في س، للإمام. [٢-٢] سقطت من س.

الأنسي^(١) مقيماً بالنَّادِرَةِ لَدُنْ سيدي العماد، فصَدَرَ الأَمْرُ الشَّرِيفُ مِنَ الحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ إِلَى سيدي العمادِ بِتَوْجِيهِهِ عِمَالَةَ قَعْطَبَةِ إِلَى الْقَاضِي أَحْمَدَ الْأَنْسِيِّ الْمَذْكُورِ وَأَنْ يَكُونَ عَزْمُهُ بِثُلَّةٍ مِنْ جُنْدِ الْحَقِّ إِلَى هُنَاكَ، وَمَرْجِعُهُ سَيِّدِي الْعِلَامَةِ الْعِمَادِ، فَتَوَجَّهَ، عَلَى بَرَكَاتِهِ اللَّهِ، إِلَيْهَا بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمَجَاهِدِينَ، وَدَخَلَهَا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، وَضَبَطَ أَكْثَرَ أَطْرَافِهَا وَوَجَّهَ عِنَايَتَهُ إِلَى نَاحِيَةِ مَرَّيسٍ^(٢) التَّابِعَةِ لَهَا، فَجَلَبَ مَشَايِخَ الْقِسْمِ الْأَكْبَرِ مِنْهَا، وَأَخَذَ مِنْهُمْ رَهَائِنَ الطَّاعَةِ، وَانْقَادُوا عَلَى أَحْسَنِ مَنَوَالٍ، وَكَذَلِكَ كَانَ ضَبْطُ مَا حَوْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْقِبَائِلِ، وَفِيهِمْ عَصَابَاتٌ مِنْ ذَوِي الْجَسَارَةِ وَالْإِقْدَامِ. فَلَمْ يَسْعَهُمْ غَيْرُ الْخُضُوعِ لِلْحَقِّ، وَاسْتَمْسَكَتِ الْأَحْوَالُ هُنَاكَ، وَتَرْتَّبَتْ جِهَاتُهَا، وَأَخَذَ مِنْهَا الْعَامِلُ الْوَاجِبَاتِ، وَلَمْ يَبْقَ هُنَاكَ مَعَانِدٌ إِلَّا مَنْ قَرَّ وَلَمْ يُؤَوِّهِ دَاوُهُ، فَكَفَّتْهُ الْغَرَبَةُ وَالْإِنْتِزَاحُ مِنْ عَن مَحَلِّهِ عَقُوبَةً عَلَى سُوءِ فَعْلِهِ، وَعَاقِبَةُ وَخِيمَةٍ لَجْهَلِهِ.

وقد كان جرى من الحوادث في لواء تعز قبل وصول الجند الإمامي، العازم صحبته سيدي الأمير جمال الدين، علي بن عبد الله الوزير - حفظه الله -

(١) أحمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن يحيى الأنسي ت بصنعاء سنة ١٣٨٣ هـ، أديب، كان يتقن اللغة العثمانية، تولى أعمالاً كثيرة في العهد العثماني، زار استانبول زمن السلطان عبد الحميد، وعاد برفقة الوالي حسين حلمي باشا سنة ١٣١٥ هـ تولى قَعْطَبَةَ وَمَالِيَةَ تعز ونظارة الصحة والمعارف في عهد الإمام يحيى، وكان عاملاً لِلْحُجْرِيَّةِ سنة ١٣٤١ هـ وتولى عمالة يَرِيم، أرسله الإمام برسالة إلى مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٣٤٥ هـ، انظر، نزهة النظر، ١١٤، هجر العلم، ٣٧٧.

(٢) مَرَّيس: من أعمال قَعْطَبَةِ، بخلاف يشمل عُزْل، العمرية والمجانح وعساف، انظر، معجم الحجري، ٢/٦٥٦، الاكليل، ١٨٩/٢ وفيه «مَرَّيس، من عزلة الحرث في بُعدان».

غرائب من العدوان، منها، ما حصل بين الشيخ محمد بن حسان^(١) المنتمي إلى طريقة الصوفية، هو وأبوه من قبله، وبين الشيخ علي عثمان^(٢) / عامل المخا^(٣) من الحروب التي عظم شررها، وطار ضررها، وأهلكت كثيراً من النفوس، وأنزلت بهم البؤس، وسببها أن الشيخ علي عثمان المذكور كان عاملاً على قضاء المخا من جهة الدولة العثمانية فصادف وقوع الحوادث الأخيرة، وهو مقيم بالمخا على عمالته، ولديه جملة من المدافع الكبار وكثير من المهمات الحربية: ^١ زانة المدافع^١، وزانة البنادق، فاستولى عليها، وأخذها تحت يده، ومكث يأمر وينهى كما كان في أيام الدولة، وألف حوله جماعة من أهل صبر وغيرهم، استخدمهم في الضبط وإنفاذ الأوامر.

وكان الشيخ محمد بن حسان في أواخر أيام الأتراك، قد عظم نفوذه في قضاء المخا عموماً، وفي ناحية مقبنة^(٤) وشرعب^(٥) وأطراف بلاد العدنين وجبل

(١) محمد بن حسان الصوفي: آل حسان في يفرس، كان ملتزماً طريق الصوفية، معتقداً عند العامة بأنه من الأولياء، حبسه الإمام يحيى في حجة حتى مات، انظر، حياة الأمير، ١٢٧، معجم المحففي، ١٧١ .

(٢) علي عثمان: كان عاملاً لقضاء المخادر، اداري متميز، فر إلى الإدريسي بسبب خلافه مع آل حسان، وحارب الإمام يحيى ثم عفا عنه الإمام، وعينه الإمام رئيساً لمحاسبة صغقان انظر، حياة الأمير، ٥٧٤ .

(٣) المخا: مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر، غربي مدينة تعز بمسافة ٩٤ كم، وهي قديمة، ذكرتها النقوش باسم موزا، وهي مركز القضاء، انظر، الاكليل، ٢٦ / ٢، اليمن عبر التاريخ، ٢٣، فرجة الهموم، ٣٥، حياة الأمير، ٦٣٠، معجم المحففي، ٥٧٠، معجم الحجري، ٢ / ٦٥٤-٦٩٥ .

(٤) مقبنة: ناحية كبيرة غرب شمال تعز بمسافة ٦١ كم، تمتد من وادي نخلة شمالاً إلى وادي مؤزع في الجنوب، ومركزها الدون، من قضاء المخا، تتبعها عزل كثيرة منها =

حَبَشِي^[١] وهو مسكنُ أبيه، وفي جبل صَبِر^(٢) وصارت كلمته المقبولة وإرادته النافذة، وزاحم المشائخ في تلك الأطراف، وهدم تسلطهم، وقد كان أمراء الدولة العثمانية في لواءِ تعز^[٢] يتهيبون^[٢] موقفه وقوة نفوذه، فكانوا يُسْعِفُونَهُ بما ينهيهِ إليهم، ويعظّمونه حتى تولى متصرفية لواء تعز، إلياس بك الجركسي في أثناء الحرب العامة، واضطرت الدولة العثمانية إلى التقصي في استحصال الأموال من البلاد، فكان الشيخ محمد بن حسن كالمعارض لمقاصد الأتراك لا المساعد، وتزايد ذلك إلى أن توجه إلياس المذكور بجمع من الجنود إلى محل الشيخ محمد حسن، وهو الميراب^(٣) من ناحية مَقْبَنَة، وكانت حرب بين الفريقين أسفرت عن استيلاء الجند التركي على بيوتهم، وانتهابهم لأموالهم

= ميراب ووريف والعُقَيْرَة وحاضر وبراشة ومجاشعة، كانت تعرف قديماً باسم شَمِير سكنها قوم من قبيلتي الأشاعر والركب انظر، معجم الحجري، ٧١٦/٢، حياة الأمير، ٦٣١، معجم المقحفى، ٦٢٢/٢، صفة جزيرة، ١٣٩، الاكليل، ٣٥١/٢.

(٥) شَرَعَب: ناحية معروفة بالشمال الغربي من تعز بمسافة ٤٠ كم، وتشمل عدداً من العُزَل، وأشهر جبالها الوضيحة، يرتفع ٢٠٠٠ م، انظر الاكليل، ٣٨٢/٢، نشر العرف، ٦٥٢/٢، اليمن الكبرى، ١٧٣، حياة الأمير، ٦٢٣.

(١) جبل حَبَشِي: سُمي قديماً ذَخِر، يقع غرب جبل صير، وبينه وبين صبر وادي الضباب، ومركز الجبل مدينة يَفَرَس، وهو واسع ومتشعب، من قضاء الحُجْرية. انظر، صفة جزيرة، ١١٧، الاكليل، ١٩٤/٨، معجم المقحفى، ٢٤٩، معجم الحجري، ٣٤٠/١، حياة الأمير، ٦١٤.

(٢) جبل صَبِر: جنوب مدينة تعز. على امتداد كبير من الشرق إلى الغرب، يرتفع ٣٠٠٠ م، وأعلى قمة العروس، يحده غرباً جبل حَبَشِي وجنوباً جبل سامع وشمالاً السهول التعزنية وشرقاً الصلو، انظر، حياة الأمير، ٦١٥، صفحات مجهولة، ٥١، اليمن الكبرى، ٣٣، صفة جزيرة، ١١٧، ٢٢٥، الاكليل، ١٠٤/٢.

(٣) الميراب: عُزْلَة من ناحية مَقْبَنَة، انظر، معجم الحجري، ٧١٦/٢، معجم المقحفى، ٦٢٢/٢.

[١] في ص، حبش. [٢-٢] في ص، يتهياون موقعة.

ومصادرهم لأموال أصحابه، وفرّ المذكور عن البلاد اليمنية، ولم يعد إليها إلا بعد جلاء العثمانيين، وأظهر نوعاً من الانتفاء إلى الدولة الإمامية مماثلاً لانتفاء غيره من رؤساء أهل تعز، فتحرّكت نفسه للاستيلاء على المدافع التي لذن علي عثمان، وأظهر أنّ مرآته من ذلك أخذها للإمام، وعلي عثمان قد كان تمسك من مولانا الإمام بمرسوم شريف قاض بتولية الأعمال، فأبى من الخنوع لإرادة محمد حسان، وظهر الحرب بين الفريقين واستمر مدة، وهلك من النفوس جم غفير.

وفي نهاية الحال، أرسل المولى سيف الإسلام، أحمد بن قاسم بن الإمام جماعة من طرفه لإصلاح الحال وإزالة الشقاق، وصادف ذلك، وقد تعب الفريقان من الحرب وسئموا طولها، فتمّ على يد الجماعة المرسلين رفع المطارح، وإسكات القارح، ورجع كل أحد إلى محله، وعاد الجماعة إلى إب. إلى المولى سيف الإسلام، أحمد بن قاسم بن الإمام. / ٤٤

ومنها أنه في أثناء ظهور الخلاف من أهل حبيش كثير من مشايخ جهات اليمن الأسفل التلاقي إلى محلات مخصوصة، ومن أكبر اتفاقاتهم ما حصل من اجتماعهم في القاعدة وتداولهم للمراجعة والإفادات^[١] للخطبة التي يبنون عليها شئونهم، وكانوا ينفصلون على غير رابط كما بلغ، ولم ينتظم لهم أمرٌ ينافي المصالح الإمامية، بل لم يجسر أحدٌ على إظهار رأيه فيما يخالف الطاعة، إلا أنه ظهر من حالهم أنّ كلّ واحد منهم يريد التصدّر على غيره، وتوليّه^[٢] للزعامة على الكلّ، فكان ذلك من أقوى الأسباب في تنافر طباعهم فوق ما هم عليه قديماً من المنافسة، وكفى الله المؤمنين بذلك شرّ تعاضدٍهم على أمرٍ يضرّ الإسلام والمسلمين.

[١] في س، والإفادة.

[٢] في س، وتوليته.

ومنها أنَّ مولانا الإمام، لما أسندَ عمالةَ قضاءِ القماعةِ إلى الشيخ محمد ناصر، وأظهر لذلك الارتياح، ندبَ مولانا الإمام سيدي العلامة شرف الإسلام، حسنَ بنَ عبد الوهاب الوريث^(١) من أعيان علماء السادة القاسمين لحكومة قضاء القماعة، وعيَّنه الإمامُ لذلك رغبةً في استمالة الشيخ المذكورِ إلى جانب الحقِّ وعنايةً بشأنه لأنه كان أكبرَ مشايخ اللواءِ قوةً، وأوسعهم بلاداً.

وقد كان العثمانيون بسعي^[١] الشيخ المذكورِ وسَّعوا قضاءَ القماعة، وضمُّوا إليه مخاليفَ من الحُجرية ومن صُهبان^(٢) ومن بلادِ قُعطبة، ناحية الحُشا^(٣)، وخصَّ الإمام سيدي^[٢] شرف الإسلام^[٢] بذلك؛ لما عُرف به من حُسن الخلقِ والتواضع ونبالة المقصدِ وعلوِّ المدارك. فارسلَ مولانا الإمامُ إليه إلى دَمَارَ عصابةً من جندِ الحقِّ يكونون بمعيته، وتوجَّه لذلك من مدينة دَمَارَ وطنه، فوصلَ إلى القماعة، وقابله الشيخُ محمد ناصر بالجميل، ولكنَّه لم يتمكن في

(١) حسن بن عبد الوهاب بن علي بن يحيى بن أحمد من ذرية الإمام القاسم المعروف بالوريث الذماري ت، ٢٢ ذي القعدة ١٣٥٣ هـ، حاكم القماعة وجهات ماوية من اليمن الأسفل ١٣٣٨، وكان عضواً بمحكمة الاستئناف الشرعية بصنعاء ثم التدقيق في الجهات الرداعية ثم حاكماً في إب، ولد سنة ١٢٨٥، انظر، نزهة النظر، ٢٣٠، حياة الأمير، ٥٤٣.

(٢) صُهبان: مخلاف في ناحية ذي سُفال قرب ذي جِبَلَة، قبل القرن الثامن الهجري، يدعى مخلاف وإنما لحقه الاسم بعدما تولاه الأمير الصهباني من قبل الدولة الرسولية وتعرف المنطقة باسم نعيمة المسواد نسبة إلى حصن المسواد الموجود فيها، انظر صفة جزيرة، ١٩٧، الاكليل، ٢/ ٢٤٤، معجم المحقفي، ٦٤٤، معجم الحجري، ٢/ ٥٤٨.

(٣) الحُشا: جبل بالشرق الشمالي من تعز، يُشكِّل أعمال ناحية من قضاء ماوية، ومركزه صرارة في قمة الجبل، انظر، صفة جزيرة، ١٤١، حياة الأمير، ٦١٧، معجم المحقفي، ١٧٣ معجم الحجري، ٢/ ٢٥٩.

[١] في س، بسعاية. [٢-٢] في س، الشرفي.

خلال ذلك من القبض على زمام الأمور واجرائها على المحور الموافق لمراد الله عز وجل، لما في اليمن الأسفل جميعه من الاضطراب وعدم الاستقرار واختلاف الأطوار، فمكث هنالك شهراً وأياماً، ثم بدا له لزوم العود من هنالك إلى ذمار، فعاد إليها، واعتذر لمولانا الإمام عن عوده بما شاهده من عدم إمكان نفوذ الأوامر والنواهي كما يريد، وأن بقاءه على تلك الحالة غير جميل ولا موافق لمراد مولانا الإمام فقبل عذره، ومع ذلك لم تزل كتب الشيخ محمد ناصر من قبل ومن بعد ترد إلى مولانا الإمام متوالية بإظهار الطاعة والانقياد وحسن الموالاة والانتساب إلى الحضرة الإمامية، وكان قد شاخ وكبر وثقل سمعه، ولكنه كان كغيره من المشايخ واضعاً يده على المدافع والجبخانة وكثير من الأسلحة، ولم يحدث نفسه بتسليمها إلى مولانا الإمام، وكان يؤدّب من خالفه من مشايخ البلاد تأديباً يشتمل على إراقه الدماء وعدم المبالاة بإزهاق الأرواح، وذلك شأن مشايخ اليمن الأسفل وذئدئهم المألوف لديهم.

/ ٤٥

ومنها أنه حصل الاختلاف بين المشايخ أولاد نعمان مقبل أهل الحُجْريّة والشيخ علي عثمان عامل المخا، والسبب في ذلك المدافع التي لدن علي عثمان، كان مرأى أهل الحُجْريّة أن يسلم إليها^[١] بعضاً منها، ووصل الاختلاف بين الفريقين إلى درجة الحرب، ثم حصل السعي بين الطرفين بالمصالحة على تسليم البعض، وانفصل النزاع بين الفريقين.

ومنها تحرك نور الدين بن حسان بجبل حبشي من الحُجْريّة مناوئاً لأولاد نعمان مقبل، ومريداً للخروج عن سلطتهم واستقلاله بأمور الجبل المذكور على أقل الأحوال، وإن تمكّن من إزلالهم فهو المراد، فكان بينه وبين المذكورين

[١] في س، إليهم.

وقعات، أسفرت عن إخفاق مسعاه، وعدم حصول ما ابتغاه وعُضد خصومه كثيرون من أهل الجبل، وكان يُظنُّ في أهل الجبل خلاف ذلك لأنَّ تربة أبيه الشيخ حَسَّان المعظم عندهم بين أظهرهم، وهم قريبو عهدٍ برؤيته ورؤية الوافدين إليه من جميع جهات اليمن الأسفل، وهم يعترفون بهاله من المكانة عليهم لأنَّه هذَّبهُم، وأزال عنهم البداوة وأرشدَهم إلى لبس العمامِ البيضِ بدلاً من الأقباع.

وكان الشيخ حَسَّان المذكورُ من مشايخ الصوفية، ويتنسَّب إلى الطريقة الشاذلية من طرائقهم المُبتدعة، وما زال مقبول الكلمة، كثير الأتباع، وشاع صيته، وانتَمى إليه أكثرُ أهل لباسِ البياض في بلدانِ الشافعية وانتسبوا إليه، وأقاموا الراتب الشاذلي على العادة المألوفة لديهم في ليالي الجمع، وبعد صلواتها في الجوامع، ولقَّبه أتباعه بشيخ الوقت والقطب على اصطلاحهم، ولكنه لم يكن كآولاده في الترامي إلى عظام الأمور، ومنافسة أهل الدنيا، وإنما ذكرتُ هذا استطراداً ليعلمَ الواقفُ على ذكر شيءٍ من أحوال أولاده عن أصل منشئهم ومدخل مزاحمتهم للمشايخ، ورؤساء البلاد في الرئاسة، وهكذا حالة الدنيا في تلاعبها بأبنائها وغرورهم بها. فبينما كان المذكورون من أولاده مشايخ في زاويتهم إذا بهم بغرور الدنيا قد صاروا مشايخ في ميادين القتال على الأطماع، وسفك الدماء بدون مراقبةٍ للرَّبِّ ذي الإبداع. نسأل الله السلامة من بروقِ الأطماع الخلابية، والنجاة من موقفِ الندامة والكآبة / وانقضت أيام / ٤٦ شهرِ رمضانَ والأميرُ جمالُ الدين عليُّ بنُ عبد الله الوزير مقيمٌ بحبيش، ^[١] وهنالك صامَ رمضانَ وأدركه عيدُ الفطر السعيد ^[٢]، وقد كان أذن له مولانا الإمام - أيده الله - بالانتقال إلى الجبلين من عُزل العُدين، فارتحل ^[٣] بجنده إليها، وقد عظمت هيبة مولانا الإمام في القلوب وارتجَّ لموقع صرامة الأمير

[٢] في س، فأرسل.

[١-١] سقطت من س.

وشهامته على كل منصوب، وسارت بأحاديث كماله^[١] ألسن الركبان، فوفدت المشايخ والأعيان من قضاء العدين وأطرافه إلى محطته، وبذل كل ما في وسعه من الطاعة، والانقياد،^[٢] والرغوب في الازدياد^[٣].

وبهذه الأثناء، وجّه مولانا الإمام عمالة قضاء العدين إلى الشيخ الهمام حمود بن عبد الرب بن قايد بن سنان المذكور أولاً. وعمالة جبل حبيش إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن قاسم. وقام كل منهما بعمله. والأمير جمال الدين يبعث البعوث إلى أقطار البلاد، ويقودهم بنواصيهم إلى الطاعة في أسلِسٍ مقادٍ، ويأخذ الرهائن المختارة من كل رئيس، ولا يسعهم غير المبادرة إلى الامتثال بدون تراخ ولا تعيس. وورد إليه، وهو مقيم بالجبلين^(١)، وفود مشايخ أطراف اليمن الأسفل فيقابلهم أحسن المقابلة.

فمكث هنالك أسابيع ثم أذن له الإمام بالانتقال إلى عزلة السادة^(٢) وهي محل متوسط في قضاء العدين يتمكن فيه من القرب من أطراف العدين ومخالفه التهامية.

ولا يصعب عليه الالتفات إلى رعاية أحوال مخاليف^[٣]، ويقرب من البلاد التعزية، فتم انتقاله بمحطته إليها، وهنالك باشر إكمال ضبط ما بقي من العدين، وجاس خلالها بالعسكر مع ضبطه لهم أتم الضبط، وأخذ الرهائن من

(١) الجبلين: من العدين، تقع فوق ممس بني الشهاري من الجهة الجنوبية ووادي الدور غرباً، وتبدأ من الشرق من رأس نقيل مشهور، وهي عزلة من ناحية شلف، انظر، حياة الأمير، ٦١٥، معجم الحجري، ١/ ١٧٨، معجم المقحفي، ١٠٩.

(٢) السادة: عزلة من ناحية العدين وأعمال إب، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٤، معجم المقحفي، ٢٩٧، معجم الحجري، ٢/ ٤٠٩.

[١] في الأصل، كمال. [٢-٢] سقطت من س.

[٣] في س، المخاليف أعلاه.

بلاد القبلة التي سُكَّانُها من البدو وأهل المواشي، وهي تتصلُّ بأطرافِ وُصَّاب، وفيها اتساعٌ، وبأهلها من النفرة عن الدول ما لا مزيدَ عليه، حتى إنه لم يتيسر للدولة العثمانية نفوذُ أوامرهم بها على طولِ مدةِ إقامتهم وعظمِ شوكتهم، وكذلك تيسَّرَ بهمتِه ضبطُ مخالف البَعَادن^(١) والمزاحن^(٢)، وما وراءهما إلى حدودِ حَيَس وجبلِ راس، وكان في ذلك من السهولة وحُسْنِ الضبطِ ما صار موضعَ إعجابِ كلِّ عاقل، وذلك من سعادةِ مولانا الإمام - أيده الله - وبركاته التي ما انفكت مظهرًا من مظاهرِ عنايةِ الله سبحانه. ولم يحصل في أثناء ذلك من حوادثِ مبادئِ الدخولِ في الطاعة إلا ما لا يستحقُّ الذِّكْرَ والتدوينَ لحقارتِه بالنسبةِ/ إلى عظمِ ما تيسَّرَ من الفتح، وإخضاعِ أولي التكبرِ من رؤساءِ تلك / ٤٧ الأقطارِ وإقبالهم إليه أفواجًا تسوقُهم إليه أسواطُ المهابةِ بإيدي العناية. ولم يبقَ شيخٌ من المشايخ إلا بادَرَ إليه وانقادَ لما يأمرُه به وأدركَ قضاءَ العُدَيْن عهداً جديداً، فقد كانت طُمِسَتْ منه المعالمُ والمعاهدُ، واعتاضَ بدله بأيامِ الحكومةِ العثمانيةِ سمةَ التعادي بين أهلِه وتسلطَ القويِّ على الضعيفِ، وانقلابَ كلِّ شيخٍ في زِيِّ الدولةِ يفعلُ بالرعيةِ ما يشاء، ويكلِّفُهم ضرائبَ تقومُ به، وبمن يجمعُهم لديه من حشراتِ العسكرِ، وكلِّ واحدٍ منهم يحاربُ الآخرَ. وهذا بعضُ ما كان موجوداً من التلاشي وعدمِ الانتظام، فلما أقبلتْ دولةُ الحقِّ عادَ الأمنُ إلى نصابِه، وأُغْمِدَ سيفُ العدوانِ في قاربه. وفرَّجَ اللهُ عن الضعفاءِ تلكَ الشدَّةَ، وأمَّنوا على أموالهم ومزارعهم ونفوسهم من الهدَّةِ في أثرِ الهدَّةِ، واستقامتْ قناةُ الشريعةِ والانتصافِ للمظلومين، ورُفِعَتْ أيديُ الاغتصابِ.

(١) مخلاف البَعَادن: مخلاف من ناحية شَلَف من بلاد العُدَيْن، انظر، معجم الحجري، ١٢٤/١، معجم المقحفي، ٨٠.

(٢) المزاحن: من قبائل العُدَيْن، انظر، معجم المقحفي، ٥٨٨، معجم الحجري، ٧٠٦/٢.

وفي أيام إقامة الأمير جمال الدين بالسَّادة، مدَّ يده لضبط ما حوالي تعزمن النواحي: كشرَّعَب وذي سُفال والجند، وكلَّما أناط همته بمطلوب، تعلَّقت أسباب النجاح به، وظهورُ تيسيره على غاية ما يُرام.

وأما سيدي فخر الدين، عبدُ الله بنُ أحمد الوزير، فإنَّه استقرَّ بحَيْس، وأدركه عيدُ الفطرِ هنالك، وأمره مولانا الإمامُ بعدَ سكُونِ الأهوالِ في زَبيد، وجميعِ نواحيه بقصدِ المخا بمن معه من الجند، فتوجَّه إليها وواجهته البلادُ بالطاعة، والدخولِ في حزبِ الجماعة، وظلَّ الراية الإمامية، يقدِّمهم الشيخُ علي عثمان وأخوه الشيخ عبد الله عثمان، فإنهما بادرا إلى إجابة الحقِّ، ونهضا بما يُرامُ منهما من الإقبالِ إلى ما فيه المفازُ من ولاية الإمام وحسنِ الطاعة، ولا يخفى ما عليه قضاءُ المخا، فهو من الأهمية بمكانٍ عظيمٍ جسيم، لأنَّ مركزه، وهي بلدةُ المخا المشهورة قديماً بأنها مرسى اليمن الكبير، كانت على الشاطئ، ومراكبُ الإفرنج تمرُّ من أمامها يومياً لقصدِ بلادِ الهند والصين، وكافةِ ممالكِ الشرقِ الأقصى، وقد أحنى عليها الزمانُ بهجرانِ قُصَّادِها إلى قصدِ عدن، وغيرها من المراسي، فكانت بذلك موضعَ طموحِ الأطماعِ من الإفرنج عليها. وبالقربِ منها الانكليزُ في بريم^(١) والفرانسةُ في عَصَب وجيوتي، فلا يُبعد إذا ما خلتُ عن الحامي إنَّ تتطرق أيدي العدوانِ إليها. وفي المخا أيضاً مضيقُ بابِ المندب^(٢) وناهيك بما لهُ من الأهمية في الأنظار، فكان قدومُ سيدي الفخري

(١) بريم: جزيرة على مدخل باب المندب، كانت تستخدم قبل ١٩٣٦م مركزاً لتموين السفن بالفحم، من أهم الجزر اليمنية داخل مضيق باب المندب، على بعد ١١ ميلاً من الساحل الإفريقي، انظر، معجم المقحفي، ٧٨، اطلالة على البحر الأحمر، ٣٤-٣٦.

(٢) مضيق باب المندب: عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، المعبر الوحيد للقادمين من شرق إفريقيا وآسيا، يمتد من جنوب جزيرة ميون (بريم) عند رأس سيان على الساحل الشرقي ورأس باهانا على الساحل الغربي، انظر، معجم المقحفي؛ ٦٥٠، اطلالة على البحر الأحمر، ٢١-٢٢.

بمن معه إلى جهاته مانعاً،/ من وقوع الخطر، وسداً حائلاً دون استفحال / ٤٨
الضرر، فإنه رتب أمور تلك البلاد، نفى عن طرفها مرض الشهاد. وجلب
إليها مشايخها وأعيانها، وأخذ منهم رهائن الطاعة وأرشدتهم إلى ما هو عند الله
أنفس بضاعة. ومع ذلك لم يتمكن من استخلاص ما بيد علي عثمان من آلات
الحرب والزانية، وأعرض عن ذلك دفعاً للمفسدة ورعاية للمصلحة، وبعد أن
مكث هنالك برهة من الزمان، قفل راجعاً إلى مركز الأعمال المنوطة به. بمدينة
ذمار.

وأنيطت أعمال المخا إلى سيدي الأمير جمال الدين، علي بن عبدالله الوزير
من جملة ما بنظره من الأعمال.

وفي شهر [.....]^[١] من هذه السنة تحرك الأمير جمال الدين بمن معه من
الجوش من السادة، وقد ضاق بها الفضاء عدداً وعدة، قاصداً مدينة تعز وما
والها من البلاد التعزية وجبل صبر، فدخلها الأمير والجنود الإمامي دحولا
معظماً، وكان الأمل أن لا يظهر في تلك الجهة ناجم حرب ولا جولان طعن
وضرب، لأن مظاهر أهلها كانت مظاهر ميل إلى الطاعة وإخلاص إلى السكون
وترك ما به الاراعة، إلا أنه لم يحط الجيش الإمامي ركابه في ربوع تعز، حتى
فوجيء بالعدوان من أهل جبل صبر، فانها ل عليهم سيل الجيوش الإمامية،
وجاءهم ما لا قبل لهم به، فلم تمض إلا سويعة حتى مآل العادون إلى الفرار
عن اضطرار، وتشئت جمعهم وولوا الأدبار، ولم يعصمهم جبلهم المنيع بل
اقتحم العسكر الإمامي وراءهم ذرى الجبل، وتوغلوا في شعابه، واحتوى الجنود
على غنائم عظيمة وأموال جسيمة، وكثرت منهم القتل، واختزلت منهم رؤوس،
ونزل بساحتهم جزاء لبغيهم مرارة البؤس. وأتى الأمير بالأسرى تترى بالأمان،

[١] بياض في النسختين.

ثم نودي بالأمان بعد أن أخلد أهل جبل صبر إلى الطاعة، وندموا على ما فعلوا، وعلموا أنهم جلبوا على أنفسهم هذه الحروب الضروس، واستعجلوا يوم حتوفهم بما لا قوة في ذلك اليوم العبوس. وإنما غرهم ما كانوا عليه منذ سنين تنوف على الخمسين من التعصب على الأمراء، والتظاهر بالقوة، وبغي بعضهم على بعض وموالاة الحروب فيما بينهم، فكأنهم أرادوا بما فعلوه أن يعرفوا الجند الإمامي وأميرة الهمام منزلتهم من القتال والجدال، وأنهم لا يهابون أيام النزال، فجاءهم من الله ما لم يحتسبوا وذاقوا عاقبة مكرهم وتلوثهم وعوقبوا، وكان لهذه الواقعة في اليمن الأسفل / صدى أقام ناموس الهيبة، وأسكن في النفوس المترددة من الطاعة معنى الخينة، فأقبل الناس إلى الطاعة أفواجا، وامتلاء مقام الأمير المشار إليه بالرؤساء والمشايخ، وبذلوا الرهائن المختارة وانقادوا. وتم للأمير في تلك الأثناء ضبط جبل صبر بأجمعه ومقبنه، شرعب والحجرية والقمايرة وبلادها، وأرسل الأمير إلى كل جهة عصابة من جند الحق لحفظ مراتبها، وبث العمال في الجهات، ولم ينتطح بعدها في ذلك عززان. وعم الناس بفضل مولانا الإمام - عليه السلام - اليمن والأمان، وشرع الأمير في جمع ما كان بأيدي أهل صبر من سلاح الحكومة العثمانية، ولم يبالغ في التحري على ذلك رعاية لصون الأحوال عن مستور الاختلال. وقد تم ذلك المرام على ما يرام بعون الملك العلامة. وأقر، بعد مؤاذنة مولانا الإمام، على عمالة الحجرية الشيخ عبد الوهاب بن نعمان مقبل. وكان المذكور عاملاً لها أواخر أيام الأتراك وعلى عمالة قضاء القمايرة الشيخ محمد ناصر باشا بعد أن أذن لتسليم ما لديه من المدافع والبنادق وبعض الزانة، وبالع في ضبط المعتدين، وكف أيدي الأثمين حتى شاع الأمان وذاع، وعرف كل أحد أنه قد انقضى زمن الشرور

والأطماع، وجاء الصلاحُ وأسفر نورُ الفلاح، وتمَّ بمنَّ الله تعالى دخولُ تلك الأقطارِ تحتَ ظلِّ الرايةِ الإماميةِ والخلافةِ المحمّدية، وزوالُ ما كانوا قد ألقوه من التعادي والفوضى والسلب والنهب والقتل ودوام حملهم للصلاح، حتى الرعاةُ منهم والحراثون في كلِّ أوقاتهم ليلاً ونهاراً، وفي بيوتهم ومساجدهم كل ذلك خوفاً من الاغتيال من بعضهم على آخر، وقلَّ أن يمضي يومٌ ولا تُسمع فيه نائحةٌ أو خبرٌ قتل، فسكنت الأحوال عن الاضطرابِ المعهود، وأمن الناس وقابلهم الدهرُ بطالعه المسعود، وأقيم ناموسُ الشريعةِ المحمّدية، وانحصر فزعُ الكلِّ إلى تحكيمها في المسائل الكلية والجزئية. ولم يبقَ للماضي السيء أثرٌ في النفوس بل تناسوه ونسوه رغبةً ورهبةً وطاب لهم القعود والقيام والجلوس.

وانصرف الناس إلى أعمالهم وإحياء أراضيتهم التي صارت إلى حالة الموات، بما تناول عليهم من صنوف العدوان والمصيبات. قلتُ: ومن أمعن نظره السليم وفكره المستقيم عرّف وتيقّن/ أن دولة مولانا الإمام كانت إغاثةً من الله تعالى لعباده ودينه، تدارك بها رمق الدين والدنيا معاً، وصان بها هذا القطر من التلاشي، وما يهول ظهوراً ومطلعاً.

وفي أوائل هذه السنة، عينَ مولانا الإمام السيّد الأجلَّ عليّ بن محمد المطاع^(١) عاملاً على قضاء رداغ، وأنيطت أموره إليه كما ذكرنا، فتوجّه إلى هنالك بثلةٍ من الجند الإمامي، فكانت أعماله كلها مثلاً للحزم وحسن الضبط وحسن السيرة، وحمد فيها مثابه^[١] وانتصابه، فإنه ضبط القبائل بالرهائن المختارة،

(١) علي بن محمد بن أحمد المطاع ت ١٣٧١ هـ، كان عضواً في مجلس الإدارة في العهد العثماني، زار استانبول في عهد السلطان عبد الحميد، تولى أعمال قضاء رداغ، وتولي نظارة الأوقاف الداخلية والخارجية، انظر نزهة النظر، ٤٦٦، هجر العلم، ٦١٤.

[١] في س، منابه.

وَكَفَّ أَيْدِي الرِّعَاعِ وَأَهْلِي الشُّطَارَةِ، وَأَخَذَ جَمْرَةَ الْفِتْنَةِ وَالْمَحْنَةِ الَّتِي كَانَ يَتَطَايَرُ شُرُورُهَا فِيهَا بَيْنَهُمْ فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ بِأَقْلٍ مُحَرِّكٍ.

وفيهما أمر مولانا الإمام -أيده الله- حاكم المحويت^(١)، سيدي العلامة إسماعيل بن حسن الوادعي^(٢) بالتوجه إلى جبل ملحان^(٣) لترتيب أموره، وضبط جهاته. وقد كانت وصلت إلى مولانا الإمام -عليه السلام- كتب متعددة من رؤساء، أهل الجبل المذكور فيها الحث على قدوم الجند الإمامي إليهم، ورغبتهم في الطاعة. فتوجه سيدي إسماعيل إلى هنالك بعصابة من الجند الامامي غير سيرة، وجمع من بلاد المحويت قوماً ضمهم إليه فقابلته البلاد بالطاعة والانقياد، ودخل الجبل في سلك البلاد الإمامية بمعونة رب العباد. وشرع في ترتيب الأحوال وإزالة أدران الاختلال والفساد، ولم يبق إلا السير من أطرافه توقف أهله عن الطاعة، كعزلة همدان^(٤) وما مائلها، واستقر الحاكم المشار إليه

(١) المحويت: اسم مدينة بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ١٠٠ كم، من أجمل مدن اليمن، وتضم من النواحي، ناحية المحويت وناحية حُفاش وناحية جبل ملحان وناحية بني سعد، انظر، صفة، ١١٢، اليمن الكبرى، ٦٠، طبق الحلوى، ١٢٩، معجم المقحفي، ٦٠، حياة الأمير، ٦٢٩.

(٢) إسماعيل بن حسن بن عبد الله بن أحمد بن محمد الوادعي ت في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ هـ، عالم محقق في الفقه، تولى اصلاح أمور المحويت ثم تولى القضاء فيها، ولد في هجرة وادعة سنة ١٢٨٨ هـ، انظر، نزهة النظر، ١٨٥، هجر العلم، ٢٣١٨.

(٣) ملحان: ناحية من نواحي المحويت، جبل منيع، وحصنها ريشان يشرف على المهجم من تهامة انظر، صفة جزيرة، ١٢٤، فرجة المموم، ٨٢، نشر العرف ١٢/٥٥٢، معجم الحجري، ٧١٨/٢، البلدان اليمانية، ٢٧٣.

(٤) عزلة همدان: من ناحية ملحان. انظر، معجم المقحفي، ٦٨٣، تاريخ اليمن الثقافي، ٤٦/١.

في أعلا ذروة منه مُذَكِّراً وناصحاً لأهل الجبل، ومرشداً لهم إلى سُبُلِ الخير، ولكنهم قومٌ قد سادَ عليهم الجهلُ، وتباعدَ عهدُ انقيادِهِم بما تمرّنوا عليه في عهد الأتراك من عدم الطاعة والتهاونِ بها، والعدوانِ على عُمَالِ الأتراك، وإرخاءِ العنانِ لهم من قِبَلِ أُمراءِ الأتراك الذين في الحُدَيْدَةِ؛ لأنَّ عمالةَ الجبلِ المذكورِ كانتَ مربوطةً بمتصرفيةِ الحُدَيْدَةِ، فلهذا لم تستقرَّ أفئدتُهُمْ على الطاعة، وسيأتيك من أخبارِهِم ما يقومُ به البرهانُ على مقدارِ جهلِهِم وفرطِ عنادِهِم وغباوتِهِم.

- ٥١ / وفي أواخرِ أيامِ هذا العام، تحرّكتُ قبيلةُ المعاصلةِ من قبائلِ قضاءِ زَبِيدَ للخلاف، وتولّى كِبَرُ هذا الخلافِ السيّدُ علي طاهر من رؤسائها، ولم يظهرْ لذلك سببٌ سوى المنافسةِ بين رؤساءِ القبيلةِ المذكورة، فقد تقدّمَ ذكرُ وصولِ الشيخِ عبدِ الرحمنِ شيخٍ من مشايخها إلى مقامِ مولانا الإمام، وحازَ بذلكَ فضيلةَ السبقِ إلى الطاعة، ونفوذَ الكلمة، فحمَلَ الحسدُ السيّدَ المذكورَ على إعلانِ الخلافِ، وانضمَّ إليه غيرُهُ من جماعاتِ المعاصلةِ، وهم قبيلةٌ كبيرةٌ، فتجهّزَ إليها الجندُ الإماميُّ من زَبِيدَ، ونزلَ بساحتِهِم وأوعدهم وأنذرهم عاقبةَ مكرِهِم وبغيهِم، فلم تُغنِ فيهِمِ النصائحُ، وبادروا الجندَ الأماميَّ بالحربِ، فقابلهم الجندُ الإماميُّ بمثلِهِ، وجرتُ بينَ الفريقينِ معركةٌ كبرى وملحمةٌ عظيمةٌ، أظهرَ فيها الفريقانِ كلَّ مقدورٍ من الاستبسالِ والشجاعةِ وحسنِ الصبرِ، وكادتِ الدائرةُ أن تكونَ على جندِ الحقِّ، فأدركهم اللهُ بعصايةٍ كبيرةٍ من الجندِ الإماميِّ، وصلتِ إليهِم، وهم على تلكِ الحالِ، وقد حميَ الوطيسُ، وبُذِلَتْ في ميادينِ النزالِ الأنفُسُ، والنفيسُ، فصوّبَ الواصلونَ بنادِقَهُم إلى نحورِ الأعداءِ، وتعاونَ الجميعُ عليهم، فأُسفرتِ المعركةُ عن هزيمةِ البُغاةِ، وتفرّقَ أیدی سبأ،

وترك محلاتهم واحتواء المجاهدين على أموالهم وكانت شيئاً عظيماً وقُتِلَ منهم عددٌ غيرٌ يسير، واحتُزَّتْ رؤوسُ بعضِ القتلى. وكان من جملةٍ من قرَّ منهم السيدُ علي طاهر المذكورُ وبعضُ أقربائه لا يلبسون على شيء، ولا يهتمهم غيرُ النجاة، وكانت تلك العصابة قد أرسلها مولانا الإمام - عليه السلام - إلى زبيد زيادةً لمن هنالك من الجنود، ولم يكن لخلافِ المعاصلة حينئذٍ ذكرٌ، فكان إرسالها ووصولها على تلك الصفة^[١] من جملةِ كراماتِ مولانا الإمام^[٢]، وعناية الله تعالى بإعلاء كلمته على الدوام. وبعد فرار القبيلة المذكورة على تلك الصورة، وذو قهم الأمرين راسلوا يطلبون الأمان والعَوْدَ إلى الطاعة، فأجابهم عاملُ زبيد إلى ما أرادوه، وأسعفهم بما التمسوه، فعادوا إلى ديارهم وعمَّروا ما خرب منها، وصلحت أحوالهم، ولم يبقَ منهم على فراره إلا السيدُ علي طاهر المذكور، فإنه التحق بأعوان الضلال الإدريسي، وجال في أكناف / تُهامة زماناً غيرَ يسير، ولما أعينته المقادير طلب الأمان، ووصل إلى حضرة مولانا الإمام، فأتحفَ بالعفو عن زلاته، والعود مكرماً إلى جهاته.

وفي أثناء شهرِ شوال من هذه السنة، انتقل مولانا الإمام إلى محروس الرُّوضَةِ، وأدركه هنالك عيدُ الأضحى السعيد، وأتته وفودُ القبائل من كلِّ جهةٍ للسلام، واستمدادِ دعوتِهِ المباركة، وشوهدَ من الجَمْع في يومِ الغدير ما لم يُعْهَدْ مثله، ووصلت إلى الإمام التهاني من الأدباء والأعيان.
^[٢] ومِنَ نظمٍ في ذلك مُحَرَّرُ هذه السطور قصيدته الآتية، وقد أثبتتها بكاملها حفاظاً لها من أيدي الذهاب، ومطلعها:

[١-١] سقطت من س.

[٢-٢] من «ومن نظم في ذلك حتى الوقائع في هذا العام» سقطت من س.

[الطويل]

سَرَيْتُ وَبِي سَارِي الْغَرَامِ يَسِيرُ
وَأَطْلُبُ مِنْ دَهْرِي إِعَادَةَ فَائِتِ
لِيَالِي لَا رُبَّ الْجَيْبِ بِنَازِحِ
وَأَيَّامِ أَنْسٍ يَا سَقَى اللَّهِ عَهْدَهَا
جَرَرْنَا بِهَا ذَيْلَ التَّصَايِي وَإِنَّمَا
وَكَانَتْ هِنَاءٌ مَا عَلِمْنَا، نَهَاؤَهَا
إِذَا مَا الدُّجَى أَرْخَى سَتُورَ ظِلَامِهِ
وَإِنْ أَسْفَرَ الْأَصْبَاحُ عَنْ ضَوْ شَمْسِهِ
عَفَى اللَّهُ عَنْنَا كُلَّمَا مَرَّ ذِكْرُهُ
وَثَارَ لِحَرِّ الشُّوقِ بَيْنَ جَوَانِحِي
وَمَا خَطَرْتُ مِنْ جَانِبِ الْغُورِ نَفْحَةً
وَلَا أَوْمَضُ الْبَرْقُ الْحِجَازِي مُوهِنَا
وَقَائِلَةٍ وَالسَّقْمُ قَدْ غَالَ مِنْظَرِي
أَتَقْضِي أَسَى إِنْ شَطَّتِ الدَّارُ هَائِلًا
فَقُلْتُ: نَعَمْ فِي الْحَبِّ مَا أَنَا بِأَخْلَا

أَجُوبُ فَيَافِي هَجْرِهِمْ وَأَدُورُ
مِنَ الْأَنْسِ وَلَيَّ وَالْدَهْوَرُ دَهْوَرُ
عَلَيَّ وَلَا يُسْرُ الْوَصَالِ عَسِيرُ
تَرْكُنَا بِهَا قَلْبَ الْحَسُودِ يَفُورُ
تَقَضَّصْتُ وَأَفْلَاكَ السُّرُورِ تَدُورُ
نَمِيرُ تَصَافٍ وَالظَّلَامُ سَفُورُ
رَأَيْنَا مَصَابِيحَ الْوُجُوهِ تَنِيرُ
غَزَوْنَا بِلَيْلِ الشَّعْرِ وَهُوَ أَمِيرُ
عَلَى الْقَلْبِ مَرَّتْ أَنْتَ وَزَفِيرُ
سَعِيرٌ وَحَرُّ الْاِشْتِيَاقِ يَثُورُ
تُعْطَرُ إِلَّا وَالسَّلْوُ يَفُورُ
لِعَيْنِي إِلَّا وَالْفُـؤَادُ يَطِيرُ
وَحَالِي إِلَى فَرَطِ الْغَرَامِ تُشِيرُ / ٥٣
وَيَلْقَاكَ مِنْهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
بِرُوحِي وَكُلُّ الْعَاشِقِينَ حَسِيرُ

ذريني وأحداث الزمان فإنها
 وقد يلتقي الخللان بعد تباعد
 لعمر أبك اليوم ما اللوم صارفي
 عليّ لهم إرسال غيث مدامعي
 ولما جرى ذكر الغدير تذكرت
 غديراً قضى فيه الرسول لصفوه
 بصوت إلى الأسراع ما زال واصلاً
 ومَدَّ إلى حسن الولاية باعه
 وزفَّ عروس الحق فيه إلى الذي
 علي أبي السبطين نفسي فداؤهم
 وهم عصمتي والذخر ما ضلَّ سبطهم^[١]
 وفي أطلس الأبناء منهم كواكب
 إذا أفلت منهم نجوم هداية
 وما برحوا - والله - منجاة لائذ
 حُماة من البلوى دُعاة إلى الهدى
 تضيء من التقوى عراض ديارهم

/ ٥٤

تنوب وفي طيِّ الشرور سُورُ
 وتحدث من بعد الأمور أمور
 وعهد الهوى ما عشت ليس يخور
 غديراً وإني بالوفاء جدير
 غديراً ويوماً ما سواه شهير
 وأسراب أملاك السماء خُصور
 له فوق متن الكائنات عبور
 وأكرم بمدي لم تحزه بحور
 يدور عليه الحق حيث يدور
 جميعاً فهم للعاملين بدور
 ولا خاب يوم الراسيات تمور
 لأنوارهم عند الخطوب سفور
 تبدى سواها واستسرَّ غرور
 وأمن مخوف قد دهته شرور
 وفيهم لسيا الصالحين ظهور
 ويكفي بهم للنسك ثم قصور

[١] في الأصل، صبتهم.

ويزدان وجه الدين ما مر ذكرهم
 هم القوم أرباب الغايات^[١] والأولى
 حوت سور التنزيل جم ثنائهم
 وخصّصوا بأفلاك الخلافة إنها
 فما زال فيهم نورها أي مشرق
 إلى أن حوى اللألاء منها بنهضة
 أبو أحمد قاموس هذي محمد
 إذا نضبت عند العويص رأيته
 له المدد الوهبي يقضي بأن ما
 فإدراكه فيض الإله وسره
 براه إله الخلق في العصر عصمة
 وأحيابه للدين فينا معالماً
 فجدد رسم الشرع بعد اندراسه
 وأجرى جوار العدل في كل فسحة
 وكف أكف الظلم فانجاب ليله
 وأصبح روح الأمن في كل بلدة
 كما بات طرف العدل وهو قري
 يتوق إليهم منبر وسري
 فطال لهم حول العناية سور
 عطية خلاق عطاء وفير
 وهل مثل أنوار الخلافة نور
 إمام بأسرار الزمان خير
 إليه بحور العارفين نصير
 خصماً بعذب الاطلاع يفور
 حباه بما فوق العقول قدير
 مهيب وباع القول فيه قصير
 من الزين والطغيان حيث ينير
 مضى زمن فيها يهول دثور
 فبادت طواغيت وزال فجور
 من الأرض لا يوهي خطاه عثور
 وأسفر صبح الحق وهو منير
 يضوع وضام المعتدين ثبور

[١] هناك خلل عروضي، والأصوب «العنايات».

فلو شاءَ جَمَعَ الشاءَ والذبيبَ ما عدا
وأما جهادُ الظالمينَ فما لنا
دعى، ولشانِ البغي في القطرِ صولةٌ
فمرّت من الأعوامِ عشرونَ أو دَنَت
فلم يخلُ عامٌ من معاركٍ عدةٍ
وفي بعضِ ما في العامِ هذا ضخامةٌ
مواهبُ فيها للعنايةِ مظهرٌ
وما يسرّ الباري فتوحاً تتابعتْ
ولما طغى مَنْ في أصابِ وجاهروا
فَسَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ انْهزامِ جموعِهِمْ
وَسَلَّ عَنْ حُبَيْشٍ حينَ زاغَ عقابُه
وطارَ بمنْ ساواه في البغي هائماً
دعى قومَه من حُمُقِهِ لغوايةٍ
فباءوا بِإِثْمِ البغي بعدَ ندامةٍ
وفي شانِ طغيانِ المعاصلةِ التي
فصّمُوا إلى أنْ بدَدَ الجيشُ شملَهُمْ
وفي حَيْسٍ لما آثروا سهلَ الرّدى

/ ٥٥

عليها ولا استقوى بهنَّ نفورُ
سبيلٌ إلى تعدادِه وشعورُ
وشخصُ الهدى قد غيَّبته قبورُ
إليها وفيها للجهادِ نشورُ
لِرَتِّهَا طولَ الزمانِ صريرُ
تنازلَ عنها ما حوَّته دُهورُ
ونصرٌ إلى نصرٍ يُزَفُّ كبيرُ
لها غررٌ وضّاحةٌ وسفورُ
يبغي دهاهم للحتوفِ مثيرُ
وقد قُطِعَتْ رؤسٌ وأُحْرِقَ دورُ
فمالتَ عليه بالدمارِ صقورُ
وما ضمَّه بعدَ البوارِ ذكورُ
فقالوا أطعنا والدّبورُ حُبورُ
وهبَّتْ عليهم بالهلاكِ دبورُ
دعاها نداءُ الحقِّ وهو جهيرُ
فَذُلُّوا وقالوا: الانقيادِ مجيرُ
على السلمِ بارزوا حينَ عزَّ نصيرُ

وما صبروا لحربٍ قد دكَّ أهلُه
جَنَوْا ثَمَرَ العَدَوَانِ مُرًّا وعَوجَلُوا
وأما فتوحُ السَّلمِ فهي كثيرةٌ
إمامَ الهدى لله موكَّبُك الذي
جمعتَ به بنودَ الكتائبِ ضُمَّنْتَ
وقد لَمعتَ فيه السيوفُ كأنها
وهم ينظرونَ البدرَ وجهَكَ بينهم
ومنزِلُكَ العَالِي الأَشْمُ كأنَّه
فأَيَّامُكَ الأعيادُ للدينِ والدُّنَا
توالى دُعَاءُ الخَلْقِ طُرًّا بِجَعْلِهَا
وهاكَّ أميرَ المؤمنينَ خريدةً
تُهنِّيكَ بالعيدِ السَّعيدِ وعَامِهِ الـ
وتَطلُبُ مِنكَ اليَوْمَ إِنْجَازَ موعِدِ
وما بيَ إلحَاحٍ ولكنَّ حَالَتِي
أدامَكُمُ البَارِي مَلاذًا ورَحمةً
وصَلَّى عَلَيْكُمْ بَعْدَ طَهٍ وَآلِهِ
وسَلَّمَ تَسْلِيمًا يَدُومُ عَلَى المَدَى

بعيداً وَمَا مِنْهُمْ عَلَيْهِ صَبُورٌ
بَخَسَفٍ فَجَنَدُ الحَقِّ فِيهِ تَغْيِيرُ
تَوَالَتْ وَبِالْبَاقِي عِلَاقَةُ يُشِيرُ
به انشَرَحَتْ يَوْمَ الغَدِيرِ صَدُورُ
أَسْوَدًا لَهَا يَوْمَ النِّزَالِ زَيْرُ
كَوَاكِبُ فِي لَيْلِ القَتَامِ تَهْوُرُ
مَنِيرًا وَفِيهِمْ مِنْ سِنَاكَ حَبُورُ
لشَخِصِكَ مِنْ فَرَطِ المَهَابَةِ طُورُ
تَتِيهٌ بِهَا طَوَّلَ الزَّمَانِ عَصُورُ
مُضَاعَفَةٌ وَاليَوْمُ فِيهِ شَهُورُ
تَجَارَتْهَا فِي المَدْحِ لَيْسَ تَبُورُ
جَدِيدِ وَيَوْمٍ بِالسَّرُورِ يَمِيرُ
فَعَطَفُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ نَمِيرُ
تَقُولُ وَرَبِّي بِالْخَفِيِّ خَبِيرُ
وَعَوْثًا مِنَ الخُطْبِ المَسِيءِ يُحِيرُ
وَقَدْرُكَ فِيهِمْ لِلْعُلُوِّ ظَهِيرُ
وَمَا انْهَلَّ مِنْ فَيْضِ الغَمَامِ غَزِيرُ

ولا يخفى على ذوي الإنصاف أنّ هذه القصيدة جديرةٌ بالإثبات، فإنها، وإنّ نزلت رتبةً جزالتها عن قصيدة^(١) الحسن بن هانئ في الخصب^(٢)، عامل مصر، وقصيدة ابن درّاج القسطلي^(٣) في الحاجب المنصور بن أبي عامر المعافري، صاحب الأندلس، فإنها تعلق عليهما بشرف الممدوحين، أهل البيت - عليهم السلام - ومولانا أمير المؤمنين - ضاعف الله مدّته - وينضاف إلى ذلك اشتغالها على حقائق تاريخية، هي مجمل ما سبق سرّده من الوقائع في هذا العام.

ومما جرى في هذه السنة من الحوادث الغريبة في نوعها، أنّ امرأة يُقال لها، ابنة القاوي من أهل صنعاء، وهي في سنّ شبابها دخلت بيت رجل يسمى محمد عصيد من أهل صنعاء وزوجته غائبة، ولم يكن فيه سوى ابنة له في سنّ

(١) الحسن بن هانئ هو أبو نواس وفي ديوانه خمس قصائد في مدح الخصب، جاءت في ديوانه في الصفحات ٤٧٦، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨٣، ٤٨٤ وقافية الراء، مطلعها:
يا منّة إمتنّها السُّكْرُ ما ينقضي مني لك الشُّكْرُ
وأخرى مطلعها:

أجارة بيتينا أبوك غيورٌ وميسورٌ ما يُرجى لديك عسيرٌ

(٢) والخصب، هو الخصب بن عبد الحميد، وفيه يقول أبو نواس:

أنت الخصب وهذه مصرٌ فتدققا فكلاكما بحرٌ

انظر، الوزراء والكتاب، ٢٥٥، وما يقصده مؤلفنا، القصيدة الأولى.

(٣) ابن درّاج القسطلّي هو، أحمد بن درّاج القسطلّي، أبو عمر، انظره، يتيمة الدهر،

١٠٤/١، وفيات الأعيان، ١/١٣٥، الواقي بالوفيات، ٨/٤٩، المطرب، ١٤٥،

الذخيرة، ١/٥٩ أما القصيدة فمطلعها:

ألم تعلّمي أنّ الثوّاء هو التّوى وأنّ بيوت العاجزين قبورٌ

انظر ديوان ابن درّاج، ٢٩٧-٣٠٤، نشرة محمود مكي، دمشق ١٩٦١م، والمنصور بن

أبي عامر، المعروف بالحاجب المنصور حكم ما بين ٣٧١هـ - ٣٩٢هـ.

العاشرة، فأخذت ابنة القاوي المذكورة حليّ زوجة محمد عصيد، وشعرت بها البنت الصغيرة فحاولت منعها، فتعمّدت ابنة القاوي المذكورة قتل البنت الصغيرة، بأن ألقته في بئر ذلك البيت / وفرت، فاهتدى أبو البنت المذكورة ٥٧ / إلى مكان ابنتها، وأخرجها من البئر ميتة، وشكيا مصابهما إلى المولى الإمام - عليه السلام - فأمر مأمور الإجراء حسين بن أحمد حنش، وله مهارة في إيضاح أمثال هذه الحوادث، بالبحث عن الفاعل، فلم تمض غير مدة يسيرة حتى كان القبض على ابنة القاوي المذكورة وإقرارها بإلقاء البنت الصغيرة وسرق حليّ أمها وتصميم الأبوين على طلب القصاص، وبعد صدور الحكم بثبوت القتل المذكور وإجراء القصاص، كان انفاذ القصاص^[١] في ابنة القاوي المذكورة بضرب عنقها بمحضر الحاكم ومستحقي الاقتصاص^[١٠٠].

فكان لذلك أثر عظيم في النفوس من زجر ذوي الدعارة من الرجال والنساء عن الاسترسال في الآثام والإقدام على المعاصي والإجرام.

وقبل هذه الحادثة، كانت قد تعددت شكاوي الناس من اختطاف الحليّ من أعناق صغار البنات، وأن الإقدام على ذلك من امرأة مجهولة، وبعد ضرب عُنق المذكورة انتهت تلك الحوادث، فكان آخر حادثة جرت من المذكورة هي ما ذكرناه من القتل^[٢] والمعصية تجري على المعاصي حتى يمتلئ بها الصاع، وحينئذ ينتهك السرّ وينتقم الله ممن عصاه، ونعوذ بالله من سوء الخاتمة^[٢٠٠].

وفي الخامس والعشرين من شهر صفر، توفي^[٣] شيخنا وشيخ شيوخنا^[٣٠٠] القاضي العلامة جمال الدين، علي بن حسين المغربي^(١) - رحمه الله - بمدينة

(١) علي بن حسين بن حسن بن حسين المغربي ت ٢٥ صفر ١٣٣٧ هـ. علامة، محقق رئيس العلماء المفتي، تولى القضاء في يريم وذمار والطويلة وحجة وصنعاء، شغل بالتدريس، انتدب للسفر إلى استانبول مع الوفد اليمني الذي أرسله الإمام يحيى بناءً=

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س. [٣ - ٣] سقطت من س.

صنعاء،^{١٦} وبها مولده ومنشؤه، وأظنُّ وفاته وهو في عشر السبعين، وقد كان كُفَّ بصره في آخر عمره، واحتسب ذلك عند الله عز وجل، وواظب على حفظ القرآن عن ظهر قلب بأن كان يحفظ في كل يوم الآيات التي تُقَرى عليه في تفسير الكشاف^(١) ويزيدُ عليها ما شاء الله حتى أدركته الوفاة وقد قارب من حفظ النصف غيباً، وكان آيةً في سعة الإدراك، وقوة ملكة التعبير وحياة العلم ووفور الإطلاع، ورسوخ القدم في فنون الآلة والفروع والأصول والحديث، والانفراد بقوة الساعد في الإفتاء وحسن الاستنباط^{١٧}، وأمضى عمره في وظيفة القضاء في أمصار عديدة كذمار وكوكبان وحجة ويريم والحيمة^(٢) من جهة الأثر، وكان مشكور السيرة، وحيثما توجه وأينما حل لا يترك التدريس. وفي آخر مدته تولى منصب الإفتاء، وهي وظيفة تضارع معنى رئاسة العلماء في عهد الأثر إلى أن حصل الائتلاف المبارك ما بين الإمام والحكومة العثمانية، فأُسند الإمام - عليه السلام - إليه وظيفة الحاكم الأول في صنعاء/ فتقلدها بكفائته المشهورة، وقام بها خير قيام إلى أن كُفَّ بصره، وكان نقله إلى المحكمة الاستئنافية عضواً فيها، إلى أن أدركه الحجام، وانتقل إلى جوار الملك العلام، نور

/ ٥٨

= على دعوة السلطان عبد الحميد لبحث في مسألة اليمن، كف بصره في أواخر أيامه،

ولد في الروضة سنة ١٢٦١ هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٣٢، حياة الأمير، ٥٧٢.

(١) تفسير الكشاف: هو الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لمحمود بن عمر

بن محمد الزمخشري جارا لله ت ٥٣٨ هـ، انظر، فهرس مخطوطات المكتبة الغربية، ٢٤.

(٢) الحيمة: ناحية مشهورة إلى الغرب من صنعاء بمسافة ٣٧ كم، وتنقسم إلى الحيمة

الداخلية والحيمة الخارجية، ومركز الحيمة الداخلية العر، ومركز الحيمة الخارجية

مَفْحَق، انظر، نزهة النظر، ١٤٤، طبق الحلوى، ٧٨، صفحات مجهولة، ٢٣٠، معالم

الآثار، ٣٧، نشر العرف، ١/ ٢٥٢، حياة الأمير، ٦١٨.

[١ - ١] من «وبها مولده حتى وحسن الاستنباط» سقطت من س، وجاءت في مكان آخر من الصفحة.

اللهُ ضَرْيَحَهُ وَشَيْدَ فِي الْجَنَّاتِ صَرْوَحَهُ. وَقَدْ رثاه جماعةٌ من العلماء والأدباء والأعيان،^[١] ومن الجملة الحقيّرُ ساجدُ الله تعالى، ولم يُحْضِرْني حالُ رَقْمِ هذا شيءٍ حتّى يكونَ إثباتُهُ، وله عليّ المنّةُ، فيه تخرّجت، ومن أخلاقِ علّومِهِ أرتويت، كافاه الله بالحسنى، وجزاه عنا أفضلَ الجزاءِ الأوفى^[١].

ودخلتُ سنةً ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائةً بعدَ الألفِ. وأكثرُ جهاتِ اليمنِ مربوطةٌ بدولةِ مولانا الإمام، عليه السلام، وداخلَةٌ تحتَ طاعته، كصَعْدَةِ وجميعِ بلادِها إلى باقم^(١) والنظيرِ^(٢) من أطرافِ رازح ونواظِرِها^[٢]: القاضي الصفيُّ أحمدُ بن علي السياغي^(٣) ناظرُ السِنارة^(٤)، وسيدي العلامةُ محمدُ بن

(١) باقم: ناحية من قضاء جماعة وأعمال صَعْدَةِ، وهجرتها فُراض تبعد عن صَعْدَةِ في الشمال الغربي بنحو ٧٠ كم، انظر، معجم المقحفي، ٦٠، هجر العلم، ١٣١، معجم الحجري، ١٠٢/١.

(٢) النظير: ورد في معجم الحجري ٢/٢٥٨، نظيري من الحلف لقبائل رازح، والنظير، بلد وجبل في رازح من محافظة صعدة، يشتهر بخصب تربته وزروعه الكثيرة وخاصة البن، انظر، معجم الحجري، ٢/٧٤٢، معجم المقحفي، ٦٦٠ وهو المقصود، النظير.

(٣) أحمد بن علي بن عبد الكريم بن أحمد السياغي ت في ٣ شوال ١٣٣٨ هـ بحصن السِنارة، عالم فقيه، له معرفة بالطب، التحق بالإمام الهادي شرف الدين سنة ١٣٠٥ هـ، تولى أعمالاً كثيرة، وتولى ناظرة الشام، ولد في هجرة العين، انظر هجر العلم، ١٥٣١.

(٤) السِنارة: في بلاد صَعْدَةِ، بها حصن، شرع الإمام الهادي في عمارته سنة ١٣٠٢ هـ، والسِنارة، بلدة مشهورة من أعمال صَعْدَةِ فيها مركز ناحية سَحَار، انظر، سيرة الإمام الهادي، ٣٧، معجم الحجري، ٢/٤٣٢، معجم المقحفي، ٣٢٦.

[١ - ١] سقطت من س.

[٢] في س، ونظارها.

حسن الوادعي^(١) ناظر ساقين^(٢)، والسيد الحسام محسن بن حسين العوامي^(٣) ناظر رازح، والجميع مربوطون بنظر وإشراف سيدي العلامة سيف الإسلام، محمد بن الإمام الهادي^(٤)، ومن جملة النظائر في الشام السيد محمد بن يحيى العزي^(٥)، ناظر جماعة، وعامل شهارة هو السيد العلامة محمد بن محمد

(١) محمد بن حسن بن عبد الله بن أحمد الوادعي، ناظر الشام (أمير بلاد صعدة) ت بصنعاء في ذي القعدة ١٣٦٩ هـ، عالم في كثير من العلوم، تولى القضاء في خمر سنة ١٣٢٧ هـ، وكان عاملاً على بلاد خولان بن عمرو في صعدة ومعاوناً لمحمد بن الهادي الملقب أبو نيب، وضبط البلاد، كان ضمن الوفد إلى طهران اليمن لترسيم الحدود مع السعودية، تولى رئاسة الاستئناف، ولد في هجرة وادعة سنة ١٢٩٢ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٠، تحفة الإخوان، ١١١، نيل الحسنيين، ٢٠٠٣، هجر العلم، ٢٣٨.

(٢) ساقين: بلدة في الجهة الغربية من صعدة على مسافة ٤٥ كم من قضاء خولان بن عمرو، بها مركز خولان انظر، هجر العلم، ٩٣٤، صفة جزيرة، ١٢٩، معالم الآثار، ٧١، معجم المقحفى، ٢٩٨، معجم الحجري، ٤١٠/٢.

(٣) محسن بن حسين العوامي ت برازح في المحرم سنة ١٣٤٩ هـ، عالم، أديب له مشاركة في الفقه رحل إلى صعدة سنة ١٣٠٧ هـ لطرف الإمام المنصور بن يحيى حميد الدين، ثم تولى للإمام يحيى بلاد عقار والسودة ثم رازح، انظر، نزهة النظر، ٦١١، هجر العلم، ١٦١ وفيهما محسن بن حسن.

(٤) محمد بن الإمام الهادي شرف الدين عشي، الملقب «أبو نيب، سيف الإسلام. ت بالمذان ٩ شوال ١٣٦٢ هـ عالم جليل، قاد قوات والده لمحاربة الدولة العثمانية في خولان العالية ثم أرحب وحاشد، تولى ناظر الشام (نائب الإمام في بلاد صعدة)، ثم أخذ حركة المعارض الحسن بن يحيى الضحياقي، وكانت له قيادته في عهد الإمام يحيى حارب الادارسة، لزم المذان أواخر أيامه، ولد في السودة سنة ١٢٨٤ هـ، انظر تحفة الإخوان، ١١٨، نيل الحسنيين، ١٩٩، نزهة النظر، ٥٣٢، هجر العلم، ١٩٨٥.

(٥) محمد بن يحيى بن أحمد بن الهادي ت في ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٨ هـ، عالم، أديب، التحق بالإمام المنصور وتولى الكتابة في ديوانه سنة ١٣٠٧ هـ، وقاد معارك ضد=

الكِبْسِي^(١) صهرُ مولانا الإمام، وعاملُ ظُلَيْمَةِ^(٢) السيّد عبّاسُ بنُ عبد الله المؤيد^(٣)، وعاملُ حُجُور الشّامِ القاضي محمّدُ بنُ سعد الشّرقي^(٤)، وعاملُ

= العثمانيين عين عاملاً على يريم ثم ساقين، وواصل عمله في زمن الإمام يحيى وخاصة في إعادة أسرى دَعَّان من الأتراك، ولد في المداير سنة ١٢٧٤ هـ، انظر، نزّهة النظر، ٥٩٢، نيل الحسينين، ٢٠٠ أئمة اليمن، ٤٤/٢، هجر العلم، ١٩٩٠.

(١) محمد بن محمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد الكبسي ت قتلاً في الأيام الأولى للثورة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م، عالم في عدة علوم تولى القضاء في ناحية الحيمة وبلاد كوكبان وبلاد قُطَيْبَة وقضاء حَجَّة، وحارب العثمانيين في أنس ومن ثم عُثْمَة، ولد في الكبس سنة ١٢٦٧ هـ (تزوج ابنة الإمام يحيى)، انظر، نزّهة النظر، ٥٧٩، أئمة اليمن (الإمام يحيى)، ٨٧/١، هجر العلم، ١٧٩٤.

(٢) ظُلَيْمَة: ناحية من قضاء شُهارة بالشمال الغربي من حَجَّة من حاشد، ناحية واسعة تشمل بلدان كثيرة ومزارع وأودية، مركزها بلدة حَبُور، انظر، صفة جزيرة، ٣٢١، نشر العرف، ٢٢٨/٢، حياة الأمير، ٦٢٥ معجم المقحفي، ٤١٤، معجم الحجري، ٥٦٨/٢.

(٣) عباس بن عبد الله بن عباس بن عبد الله بن يوسف المؤيد محمد بن المتوكل اسماعيل بن القاسم ت بالجراف في ١٣ رمضان، ١٣٧٠ هـ، كان من أعوان الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين ثم الإمام يحيى، قاد عدة معارك، تولى أعمال غُربان من نواحي حاشد، انظر، هجر العلم، ٣٥٨-٣٥٩.

(٤) محمد بن سعد بن محمد بن عبد الله بن قاسم محمد الشّرقي ت بحجور سنة، ١٣٥٢ هـ، عالم محقق، نزيه، رحل مع والده إلى القفلة سنة ١٣٠٨ هـ عند الإمام المنصور بالله، تولى أعمال حجور الشّام سنة ١٣١٩ هـ، وظل حتى توفي بها، كلفه الإمام يحيى بأعمال أخرى، خلال توليه لحجور الشّام، قبل موته أوصى بكل ما معه لبيت المال، كما برأ ذمة أهل حجور من أية واجبات، انظر، نزّهة النظر، ٥٣١، أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى) أخبار ١٣٥٢، هجر العلم، ٢٢٢٢ (وفيه يقول القاضي اسماعيل بن علي الأكوع، عرفته سنة ١٣٤٨ هـ، في إب عندما جاء مرافقاً سيف الإسلام الحسن، لتقرير زكاة إب وكان على جانب عظيم من الزهد والورع وحسن الأخلاق).

حجور اليمن والشرفين السيد العلامة محمد بن عبد الله جَحَّاف^(١)، وباقي اليمن الأعلام جميعه وجميع اليمن الأسفل ما عدا الأطراف النائية منه.

وقد مرَّ من حوادث السنين الماضية ما يُستفاد منه تعداد البلاد التي دخلت تحت طاعة مولانا الإمام - عليه السلام - وفي جهة أبي عريش وصَبِيَا واللُّحَيَّة وما بينهما والزَيْدِيَّة^(٢) وبعض حُجُورِ السيد محمد بن علي الإدريسي وعماله، والانكليز في الحُدَيْدَة وعدن، وبعض الجهات سائبة لتردُّ أهلها فيمن يتمتعون إليه. وعمال الجهات هم المذكورون فيما مضى من أخبار السنين الماضية في البلاد الإمامية.

وفي أوائلها استدعى مولانا الإمام السيّد الأجل عز الدين محمد بن علي الشامي^(٣) من زِراجَة، مركز عمالة الحداء، وأمره باستنابة ولده السيد العلامة علي

(١) محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن مطهر جَحَّاف ت بالأهْـنوم في غرة صفر ١٣٥٩ هـ، فقيه عالم، كان يسكن ظَفِير حَجَّة ورحل عنه بعد محاصرته من قبل الوالي العثماني محمد عزت باشا سنة ١٣٠٠ هـ، تولى للإمام يحيى أعمال بلاد الشرفين، ولد بالظفير سنة ١٢٩٦ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٧٦، هجر العلم، ٤٢٩.

(٢) الزَيْدِيَّة: مدينة في الجهة الشمالية الشرقية من الحُدَيْدَة بمسافة ٦٢ كم وهي مركز قضاء الزَيْدِيَّة، ومن نواحيها، القناوص والضحي والمِغْلَاف والمُنْيرة، انظر، اليمن الكبرى، ٩٦، اليمن الخضراء، ٩٠ / ١، معجم المقحفي، ٢٩٦، معجم الحجري، / ٣٩٧، ٤٠٠-١.

(٣) علي بن محمد بن علي بن أحمد الشامي ت في جحانة بتاريخ ذي الحجة ١٣٤٩ هـ، عالم فقيه، أديب شاعر وكاتب، له خط جميل، أرسل بقوات لفك الحصار عن والده في رَيْمَة، ولد سنة ١٣١١ هـ، انظر، هجر العلم، ٣٢٥-٣٢٦.

بن محمد الشامي^(١) على عمله هنالك. ولما وصل وجهه إليه عمالة جبل ريمة وبلاذها وقلد قضاءها السيد العلامة محمد بن حسين الكبسي^(٢)، والسيد الجمالي علي بن علي الشرفي^(٣) مأموراً على الأموال، وخلافهم من عمال النواحي التابعة للقضاء المذكور كالسيد الجليل حمود بن غالب بن الإمام عاملاً على كُسمَة والشيخ علي بن المنتصر عاملاً على السلفيَّة^(٤) والسيد / محمود النهاري ٥٩ عاملاً على ناحية الجعفرية، وأصبحهم بثلة من الجند الإمامي، فتوجه المذكورون إلى محل أعمالهم، ورفع الإمام من كان هنالك من العمال السابقين كالشيخ نصير الدين علي بن المقداد راجح، والسيد العلامة محمد بن يوسف الكبسي وغيرهم ممن كان هنالك من الأتباع. وجرى ذلك بعد أن وفد إلى حضرة الإمام - عليه السلام -، كثير من مشايخ تلك الجهة، ووقفوا مدة كانت

(١) محمد بن علي بن أحمد بن عبدالله الشامي ت في ربيع الأولى ١٣٤٦ هـ، في الحداء، أديب، كاتب، قائد محنك، التحق بالإمام يحيى وأقام عنده بالقفلة كاتباً، وعين عاملاً على الحداء، وقاد حملات على ريمة والبيضاء. (انظر نزهة النظر، ٥٦٧، هجر العلم، ٣٢٣).

(٢) محمد بن حسين بن علي غمضان الكبسي ت في ذي القعدة ١٣٥٨ هـ، عالم في الفقه والفرائض، تولى في العهد العثماني نظارة الأوقاف، وتولى للإمام يحيى القضاء في ذمار ثم في ريمة فلواء الحديدة وأخيراً في سنحان، ولد ١٢٧٧ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٢٢، هجر العلم، ١٧٩٨.

(٣) علي بن علي بن أحمد الشرفي ت سنة ١٣٨٥ هـ، تولى أعمال الوقف ثم مالية قضاء ريمة ثم أعمال بلاد ملحان، وأخيراً أعمال مالية حراز، ولد بالروضة سنة ١٣٠٥ هـ، انظر نزهة النظر، ٤٤٢.

(٤) السلفيَّة: ناحية من قضاء ريمة، انظر، اليمن الكبرى، ٧٦، نشر العرف، ٢/ ٤١٥، معجم المقحفي، ٣٢٢، نيل الوطر، ١/ ٤٠٥، معجم الحجري، ٢/ ٤٣١، الشاء الحسن، ١٤٨.

المراجعةُ في أثنائها بينهم وبين مولانا الإمام، وأسفرت المراجعةُ عما ذكرناه.

ولم يلبث السيدُ محمود النهاري، عاملُ الجَعْفَرِيَّةِ، بعدَ رجوعه من الحضرةِ الشريفةِ إلا مدةً يسيرةً ووافته المنيةُ، وكان قد شأخَ، وعلا سنُّه، فنصبَ مولانا الإمامُ مكانه في عمالةِ الجَعْفَرِيَّةِ السيدَ محمدَ الكبير بن علي النهاري.

قلت: وبيتُ النهاري في ناحيةِ الجَعْفَرِيَّةِ قديمُ الرئاسةِ والكياسةِ من أوائلهم ممدوحو الشيخ عبد الرحيم البُرعي، الشاعرِ المشهورِ، ولهم هنالك ثروةٌ واسعةٌ إلى هذا العهدِ، وتوجيهُ العمالةِ إلى السيد محمد الكبير المذكور كان من بابِ رعاية ما فيه المصلحةُ لمكانِ نفوذِ السادةِ المذكورين هنالك، فأطرافُ الناحيةِ المذكورةِ متصلةٌ بقضاءِ بيتِ الفقيهِ ابنِ عجيل^(١)، ولم يكنْ أهلُهُ من أهلِ الطاعةِ.

وفي أوائل هذا العام، ثار أهلُ مِلْحَانَ وأعلنوا الخلافَ وخرجوا عن الطاعةِ، وكان حاكمُ المحويت بينَ ظهرائهم فتحصَّنَ منهم في أحدِ حصونِ الجبلِ المذكورِ، وهُرعَ إليه مَنْ كَانَ هنالك من المجاهدين، ووصلتْ كُتُبُهُ إلى مولانا الإمام طالباً للإنقاذِ، وقمعِ أهلِ الفسادِ، فندبَ لهم مولانا الإمامُ السيّدَ الأميرَ والمجاهدَ الكبيرَ عبدَ الله بنَ يحيى أبو منصور، وأرسلَ معه جنداً كافياً من جيوشِ الحقِّ، مَدَدًا لِمَنْ فِي مِلْحَانَ، فوصلَ المددُ إلى حُفَاش، واستقرَّ هنالك ريثما يكونُ إِمْعَانُ النظرِ فيما يلزُمُ من التدبيرِ ومراسلةِ المخالفين ونصحهم بالرجوعِ إلى

(١) بيت الفقيه ابن عجيل: مدينة تقع إلى الجنوب الشرقي من الحُدَيْدَةِ، نسبت إلى الفقيه أحمد بن موسى ابن علي المعروف بابن عَجِيل ت ٦٩٠ هـ، ما بين زَيْيد والحُدَيْدَةِ في وسط بلاد الزرانيق، مركز قضاء بيت الفقيه انظر، معجم الحجري، ٢/ ٦٣٦، الشفاء الحسن، ١١٨، أئمة اليمن ٢/ ٣٤، صفة جزيرة، ٢٦٣.

الطاعة وإعذارهم وإنذارهم، واستمالة من يُرى فيه اللين.

وفي أثناء محرم الحرام من هذا العام، أعمل الحيلة الشيخ عبد الله بشر من مشايخ صَعْفَانَ على / حاكم مَتَوَح^(١) السيد العلامة محمد بن قاسم الظفري، / ٦٠
فإنه لما تعيّن الحاكم المذكور بحكومة تلك الناحية، جعلت أمور الواجبات بنظره، فقام بها، وبقي الشيخ المذكور على رئاسته في تلك الناحية، فإنه كان شيخ مشايخها، وقد اعتاد في أيام الأتراك أن أمور الواجبات إليه، ومَرَنَ على أخذ الكثير منها لنفسه، ودفع القليل منها إلى حكومة الأتراك. فخالطته الكراهية لدولة الإمام حُبًّا في الخطأ، ولم يجد لنفسه وسيلة غير تخويف الرعية من مباشرة الحاكم لجمع الواجبات، وترقب الفرصة إلى أن رام الحاكم المذكور النزول من مركز الناحية إلى جبل مَدَوَّل^(٢) والطرف^(٣)، وهما من أطراف الناحية المذكورة فأوعز إلى أشرارهم أن يخوفوا الحاكم، ومن معه من العسكري، بما يمنعهم من تحصيل الواجبات، والاطلاع على ما له فيها من الخيانات، فصادف مرور الحاكم من طريق الرحبة^(٤)، قاصداً مَدَوَّل، يوم اجتماع الناس بسوق وادي حار^(٥)، فاجتمع من هنالك من أهل مَدَوَّل، وتبعوا الحاكم ومن

(١) مَتَوَح: حصن في رأس جبل صَعْفَانَ من قضاء حراز، به مركز ناحية صَعْفَانَ، انظر، معجم الحجري، ٦٨٨/٢.

(٢) مَدَوَّل: حصن وعُزلة في صَعْفَانَ من بلاد حراز، انظر، معجم المقحفي، ٥٧٥.

(٣) الطرف: بلدة في ناحية صَعْفَانَ في جبل حراز، انظر، معجم الحجري، ٥٥٨/٢.

(٤) الرحبة: من بلاد السوداء، الواقعة في ذروة جبل حجاج، بالشمال الغربي من عَمْرَان بمسافة ٤٤ كم انظر، اليمن الكبرى، ٨١ البدر الطالع، ١٠٣/٢، نشر العرف ١٧٤/٢١.

(٥) وادي حار: عُزلة من ناحية عَسَس بالغرب من ذمار، انظر، صفة، ٢٠٩، رياض الرياحين، ٨٣، معجم المقحفي، ١٤١.

معه إلى أن تقدّموا عليهم وباشروهم بالحرب، فاستشهد من العسكر الدين مع الحاكم أحدّهم، ودافع الباقون عن أنفسهم ومعهم الحاكم إلى أن وصلوا إلى صَعْفَانَ.

وفي يوم هذه الواقعة، وردّ الخبرُ إلى مولانا الإمام. بما كان، فصدر الأمرُ الشريفُ إلى عاملِ حَرَّازِ بإرسالِ الغارةِ إلى هنالك، واجتمع هنالك من جند الحقِّ من النظام، ومن أهلِ حَرَّازِ نحو ألفِ رام، ففرقهم الحاكمُ في القرى، وانعكسَ تدبيرُ عبدِالله بشر وبالأعلى عليه، وخابَ ما أمَلَّهُ، فاستغاثَ حينئذٍ بالإمام؛ زاعماً أنَّ الذي حصلَ كان من الحاكمِ حصولَ التَّسبُّبِ فيه، وطلبَ إرسالَ كاشفٍ من الحضرةِ الشريفة - أيدها الله تعالى - فأسعدَه الإمامُ إلى ما رام، وأرسلَ حاكمَ العرسيدي العلامةَ إسماعيلَ بنَ إسماعيل^(١) ناصرَ الدين^(٢) مع عصايةٍ من جندِ الحقِّ أهلِ الحَيِّمة، وأمره بتحرِّي وسائلِ الصَّلاحِ ورفعِ أسبابِ الفسادِ والكفاح.

ولما وصلَ إلى صَعْفَانَ، بذلَ وسعَهُ في تهوينِ الواقعِ، ودفن الضغائن، ولبثَ شهراً كاملاً في محاولةٍ ذلك، حتى تمَّ قبْضُ الرهائنِ ممن حصلَ منهم العدوانُ، والتزمَ السيّدُ محمدُ بنُ مساوي الأهدل، صاحبُ شُويح^(٣) بتحصيلِ الواجباتِ، وديةِ الشهيدِ من أهلِ مَدَوَّل، وما يراه الإمامُ من الأدب، وأن/ يكونَ بقاءُ أربعين / ٦١

(١) شُويح: عَزَلَةُ الشُويح من ناحية حُفَّاش وأعمال المحويت، انظر معجم الحجري ٢٥/٤٥٩، ٢/٦٩٢ (آل شُويح، من الاشراف الحمزات).

(٢) إسماعيل بن إسماعيل بن يحيى بن قاسم المروفي ت بالعز، مركز ناحية الحَيِّمة الداخلية، ١٤ محرم سنة ١٣٦٦ هـ. عالم في الفقه والفرائض، كان من أعيان دولة الإمام يحيى، وقبل ذلك والده، حارب العثمانيين، ولي أعمال الحَيِّمة ثم عضواً في محكمة الاستئناف وتنقل في وظائف كثيرة، ولد سنة ١٢٩٣ هـ، انظر، نزهة النظر، ١٧٨، نيل الحسينين، ١٨٤، نشر العرف، ١/٣٤٧، هجر العلم، ٢٠٢٦.

[١] في س، إسماعيل بن إسماعيل ناصر الدين المروفي.

نفرًا من الجند في مَدُول، ورُفِعَ الأمرُ إلى مولانا الإمام، فكانَ الجوابُ بالإسعاد، وتعلّق بالحسبان، أنّ الشرَّ قد زال أو كاد.

ولما استقرَّ العسكرُ المذكورون في مَدُول والطَّرَف، قصدهم على غرةٍ عليل الزيلعي شيخُ بني مُدَيَّهِن، وأحاط بمن في بيتِ أحمد محسن الشعاب، وأراد الفتكَ بهم، فمنعه الله منهم، ودافعوا عن أنفسهم، ووجَّهَ الحاكمُ سهامَ لومِهِ إلى السيد محمد بن مساوي المذكور. وألزمه بما أُلْزِمَ به، فتوجَّهَ إلى المخالفين لكونه^[١] هجرتهم، وفكَّ عن العسكرِ الحصارَ، وعادوا إلى صَعْفَانَ، وقد أطلقَ أهلُ مَدُول والطَّرَف وبني سعد^(١) على الخلافِ، وسلوكِ عقبةِ الاعتساف، وكان سعي^[٢] السيد محمد بن مساوي آخرَ ما برئت به ذمَّةُ الإمام من الإعدارِ والإنذارِ ورفع الأعدارِ، فصدرَ أمرُ الإمام - أيدهُ الله - إلى أميرِ الجيشِ الشريفِ المقدام عبد الله بن محمد الضَّمين بالعزمِ لمحاربةِ الباغيين مع عصايةٍ كبيرةٍ من الجيشِ المنظمِ فوقَ من هنالك.

وبعدَ اجتماعِ الجنودِ في صَعْفَانَ، كانَ قدومُهم على المخالفين، وكانوا قد رَتَّبوا أطرافَ البلادِ، واجتمعوا إليها من كلِّ جبلٍ ووادي، فطائفةٌ من الجندِ الإمامي، وهم أهلُ الحَيمةِ وخَوْلَان، قصدوا بني إسحق ووادي حار من طريقِ القرون، وطائفةٌ فيهم أميرُ الجيشِ ومن معه من النظام، وأهلُ الحدِّ ومعهُم المدفعِ الإمامي قصدوا جبلَ بني عبدالرحمن.

وفي بضعِ سويعاتٍ استولى المجاهدون على بني اسحق، ووادي حار، وولى الباغون منهزمين، وركنوا إلى الفرارِ، واستشهدَ في ذلك اليومِ شهيدان لا غير، مع أنهم قد هاجموا الأعداءَ مهاجمةِ الأسود، وبذلوا نفوسَهم في مرضاةِ الربِّ المعبود.

(١) بنو سعد: ناحية تابعة إلى المحويت، انظر، معجم المقحفي، ٥٢٩.

[١] في س، لكونهم سهام هجرتهم. [٢] سقطت من س.

وفي اليوم الثاني، باكر المجاهدون جماعة البغاة بالحرب، وأذاقوهم مرارة الخوف والضرب. فما كان أسرع من هزيمتهم وفرارهم بين أيدي المجاهدين واستيلاء جندي الحق على جبل مدول والطرف، وتسليمه لذراه وانحدار البغاة إلى التهاثم واستقرار الجندي الإمامي في الجبل المذكور وحواليه، يقتسمون الغنائم، وقد ذاق المخالفون من العذاب ما لم يكن لهم داخلاً في حساب، وتلك عاقبة البغي الذميم والمرتع الوخيم.

ولما كان الضال^[١] الإدريسي^[٢] صنيعة من صنائع الإفرنج، سمح له الانكليزيون بالتخلي عن الحديدة وفارقتها عساكرهم، فدخلها مصطفى الإدريسي^(١) / وأقام بها، ومدّ يده إلى باجل^(٢)، فأطاعته قبائل القحري^(٣) وغيرها.

وكان هذا في أواخر العام المنصرم، وأوائل هذا العام، وإنما جرى ما ذكر من الانكليزية نكايّة بالإمام - عليه السلام - لأنّ مولانا الإمام، تابع الاحتجاج عليهم في الاحتلال، وكانوا يجيئون بأنهم إنما نزلوها لأجل تلقي العساكر العثمانية، الذين تعهدوا أن يقبضوا عليهم ويوصلوهم إلى مأمّنتهم، فلم يصح

(١) مصطفى بن علي الإدريسي ت ١٣٤٩ هـ: أحد امراء الادارسة وقائد من قوادها، حارب الدولة العثمانية والإمام يحيى لصالح اخيه محمد بن علي الادريسي، اثر موت أخيه، وتولي ابنه الطفل علي، غادر إلى مصر واستقر بالاقصر حتى توفي فيه، انظر، الاعلام للزركلي، ٢٣٧/٧، هجر العلم، ١١٩١ .

(٢) باجل: مدينة على بعد ٥٠ كم شرقاً من الحديدة، تطل عليها من الجنوب قلعة الشريف، أغلب الظن أنها بنيت بعد القرن الرابع الهجري انظر، اليمن الكبرى، ٩٥، معجم المحقق، ٥٦، حياة الأمير، ٦١٠ .

(٣) القحري: من بطون عك في تهامة من أعمال باجل ومن فروعهم، الحمادية وبنو خلف والخضارية والمجاردة وعزان والضوامرة انظر، معجم الحجري، ٢/٦٤٧، معجم المحقق، ٥٦ .

[١] سقطت من س. [٢] في س، السيد محمد بن علي بن ادريس.

شيء من ذلك، وانكشف أنَّ المراد هو التوطئة والتمهيد لتسليمها إلى الإدريسي، والله من وراء الجميع محيط.

ولما وصلت حالة الضال إلى ما وصفناه، وصارت حدود البلاد التي إليه متصلةً بحدود بلاد الإمام، وجرى على الناكثين من بني سَعْدٍ وجبل مَدَوَّل والطَّرَفِ ما جرى من خيبة الظنون، ولم تدفع عنهم حرارة القيظ ولا مناعة الحصون، وانهمزوا تلك الهزيمة، فصدوا أعوان الضال إلى باجل، وأرسلوا أعيانهم إلى هنالك مع الرهائن، فاغتنم الضال وأعوانه تلك الفرصة وأمدهم بالعدة والعدد، وأرسلوا معهم جيشاً مؤلفاً من التهاميين ومن حاشد، الذين استمالهم الضال بحطام الكافر الجاحد، ومعهم رؤساء من أشراف أبي عريش وغيرهم، وأصبحهم بمدفع وخزنة ومونة من رصاص البنادق كثيرة، وجعلوا محطتهم في الحمرة، وطلع الأكثر منهم إلى خميس المخروط.

ولما بلغ ذلك إلى مولانا الإمام، صدر الأمر الشريف إلى السيد الهمام المقدام الأسد^[١]، عبدالله بن يحيى أبو منصر، وهو إذ ذاك في حُفَاش يُعْمَلُ التدبير في التقدم على جبل ملحان بتوجهه من حُفَاش مدداً لجيش حَرَا؛ لتأديب بني سعد من جميع الجهات، فانتقل إلى قَيْهَمَة^(١) من أطراف حُفَاش، وعلى مقربة من حدود بني سعد، وراسل المخالفين، لعلهم^[٢] أن يكونوا^[٢] قد اعتبروا بما جرى على أهل مَدَوَّل والطَّرَفِ من النكال، فلم تنجع فيهم النصائح، اغتراراً بما وصل إليهم من إمداد أهل الضلال، فتقدم السيد عبدالله بمن معه على بني علي^(٢)، فاخذتهم سيوف جند الحق أخذة رابية، وهجمت الأنصار على الوادي،

-
- (١) قَيْهَمَة: مركز ناحية بني سعد تابعة إلى المحويت، جبالها على طريق صنعاء - الحُدَيْدَة، وفي أسافلها تظهر أعالي واد سُردُد، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٦٥٩، معجم المحقفي، ٥٢٩.
- (٢) بنو علي: غُزلة من ناحية بني سَعْد وأعمال المحويت، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٦١٠.

[١] في س، الأسد المصور. [٢] سقطت من س.

ففرَّ الشريفُ مقدَّم جيش الإدريسي الضالَّ بقومِهِ ومدفعِهِ إلى شريف بني سعد^(١) طرف بني الشويشي^(٢)، وغنم جيشُ أبو منصر ما لا يُحصى من الغنائم، وتقدَّم جيشُ مولانا الإمام من بني مُدَيِّن على بني الشويشي، والقوازة^(٣)، ولم يكونوا قد علموا بمكانِ مددِ الإدريسي حتى باشرهم المدفعُ بالرمي عليهم، فحملوا عليه بأجمعهم حملاتِ الأسود، وهاجموا حماته مهاجمة المشتاقِ إلى جناتِ الخلود، ففرَّ به حماته إلى المرقوع، ودافعوا عنه مدافعةً عظيمةً وما بأسُ الله عنهم بمدفوع. وتبعهم المجاهدون. إلا أنهم لعدم / خبرتهم بالبلاد وطُرُقها لم يشعروا بالطريق التي سلكها الأعداءُ إلى الوهاد، ففاتوهم. واشتملت هذه الواقعةُ على قتلى كثيرين من الباغين والضالين، واستشهد نفرٌ من جندِ الحقِّ، وجلا بنو سعد عن ديارهم إلى ثُمامة مع المددِ الذي وصل إليهم، ولم يجنوا منه غيرَ ثمرِ الهلكةِ والندامة، وحيثُ كان تفريقُ الجيشِ الإمامي في بني سعد إلى مراتبٍ عديدةٍ خلَّو البلادَ عن أهلها من القراذع^(٤) طرف بني الشويشي إلى طرفِ القوازة فوقَ المرقوع إلى الجمجمة، محلَّ السيد محمد قروش من بني الحمادي^(٥)، واتصلَ الجيشان: جيشُ حَرَّاز وجيشُ حُفاش، وتفرَّقَ شملُ الأعداءِ، وصار في تلك الحالِ إلى التلاشي، واجمعَ المقادِمةُ

/ ٦٣

(١) شريف بني سعد: المقصود دير الشريف، من ناحية بني سعد وأعمال المحويت، انظر، معجم الحجري، ٦٩٢/٢، معجم المقحفي، ٤٥٢/١.

(٢) بنو الشويشي: عُزلة من ناحية بني سعد وأعمال المحويت انظر، معجم الحجري، ٤٥٩/٢.

(٣) القوازة: عُزلة من ناحية بني سعد وأعمال المحويت، انظر، معجم الحجري، ٦٥٨.

(٤) القراذع: من قبائل مراد من ولد جميل، انظر، معجم الحجري، ٦٤٨/٢، معجم المقحفي، ٥٧٩، ٥١٠/٢.

(٥) بنو الحمادي: عُزلة من ناحية بني سعد وأعمال المحويت، انظر، معجم المقحفي، ١٩٠.

عن أمرٍ مولانا الإمام - نصره الله - إلى خميس المخروط للمراجعة وإعمال التدبير فيما بقي وما فرط. فتم اتفاق الأمراء على رجوع السيد عبد الله أبو منصر مع جيشه إلى حُفّاش، وبقاء جيش حراز هنالك لإكمال أعماله في مواجهة الأعداء على مراتبهم.

وفيها كان قدوم السيد عبد الله أبو منصر بالجيش الإمامي على جبل ملّحان، فجرت هنالك حروبٌ، أمدَّ الله سبحانه، جند الحق فيها بالنصر العظيم، وتفريق جموع الباغين، وتعجيل أرواح مَنْ قُتِلَ منهم إلى الجحيم، والتفريق عن المحصورين، واستكمال جميع الجبل، فتحاً، وتأمين أهله بعد الفتح، ورجوعهم إلى أوطانهم، وأخذ رهائن الطاعة وترتيب أعماله، وتم ذلك على غاية ما يُرام ببركة مولانا الإمام - عليه السلام -.

قلتُ: وقد اشتمل هذا الفتح على معارك أظهرَ فيها جند الحق من البسالة والإقدام والشجاعة عند الصّدام ما قوّت به العيون، وفزع به المخدولون، وتناقلت أحاديثه الركبان، واستغرق سرده مجالس الأعيان.

ومن أغرب ذلك تسلّق الجند الإمامي وطلوعه إلى أعالي ذروات الجبل في طُرُقٍ يفرّج منها الجان، بجراءة لم تُعهد، وإقدام يذيب الجلمد مع عدم المبالاة بمن فيها قائماً بحمايتها من المخالفين، فإنهم قد كانوا تجمّعوا إلى تلك المضائق، فلم يُغن عنهم تجمّعهم شيئاً، أمام نصر الرب الخالق، وألزم مولانا الإمام السيد عبد الله أبو منصر بالبقاء هنالك قائماً بأعمالها، وأمور جبايتها، فأدارها أحسن إدارة بما عُهد فيه من الكفاءة للإمارة، وبهذا يظهر للمتأمل أنهم، أعني أهل جبل ملّحان، لم يكن لهم داعٍ إلى ما ارتكبه من المخالفة، وإنما كان منهم ذلك

متابعةً للشيطان ومناداةً^(١) منهم على أنفسهم بالخسران وخراب الديار وضياع
/ ٦٤ / الأموال والتعرض / للهوان.

وفيها استقدم مولانا الإمام الرجال من نهم الحمراء، وجمعهم إلى نحو ثمان
مئة رام من ذوي البأس والشدة، وأرسلهم إلى سيدي العماد يحيى بن محمد بن
عباس إلى النادرة، وضم إليهم غيرهم من قبائل بكيل وحاشد حتى توفر عدد
الجنود لذن الأمير المذكور، وكان إرسالهم إرسالاً، فأمر الأمير المومى إليه عامل
قعدة القاضي أحمد بن محمد الأنسي بعد أن أمده بثلة من الجنود بالقدوم على
العزل الشرقية من ناحية مريس، فإن أهلها امتنعوا عن الطاعة طوعاً، وسوكت
لهم أنفسهم أنهم بالامتناع، كما كانوا أيام الأتراك سيرومون السلامة قطعاً،
فاجتمعوا، لما علموا بقوم العامل مع جنده، إلى الحصون، وجمعوا للفتنة من
رجالهم وأموالهم ما يستطيعون، فلم يكن إلا يوماً وبعض يوم حتى ضايقهم
الجنود الإمامي بإقدامه، وأنزلهم من شامخ الحصون إلى الحضيض تحت أقدامه،
وهاجمهم إلى معقلهم، فرأوا أنها غير مانعتهم حصونهم، ففرّوا فرار الثعلب من
الأسود، وأصيب منهم في الحرب جماعة فُتّوا في أعضادهم، وغنم منهم
المجاهدون غنيمة عظيمة من القراش، وما تركوه من الأموال والحبوب، ودخل
الهابيون إلى الشعيب، ونادى العامل بالأمان، وراسلهم في الرجوع إلى
الأوطان، ففرحوا بالسلامة، عادوا أفواجاً، وبذلوا ما طلب منهم من الرهائن
المختارة، ولم يرتفع عنهم العامل حتى ضرب الصلاح في تلك الجهة خيامه،
ونشر على تلك الربوع أعلامه، ولله الحمد والمنّة.

وفي أوائل هذه السنة أيضاً، غدر أهل العاقبة^(١) من قضاء العدين بمن

(١) العاقبة: ما ورد، العاقبتين، عُزلة من ناحية شلف وأعمال العدين، تطل على جبل راس
وموقعها في أقاصي العدين الغربي الشمالي، معجم المحقفي، ٤١٨، حياة الأمير،
٦٢٥، معجم الحجري، ٥٧٢ / ٢.

[١] في س، ومناوة.

لديهم من المجاهدين، وأعلنوا الخلاف. والعاقبة اسمٌ لِعُزْلَةٍ من عزلِ العُدين^(١) السفلى تشتملُ على قرى متعددة، وأهلُها أهلٌ مواسٍ. فوجّه أميرُ الجيش الأميرُ جمالُ الدين، علي بن عبد الله الوزيرُ جنداً من تعز، وأمرَ عاملَ العُدين الشيخَ حمودَ بنَ عبد الرب بالاجتماعِ معهم، فأذاقوا المخالفين عاقبةَ غدرِهم، وشتتوا شملهم بحربٍ ضروسٍ، ويوم عبوس، وأحرقوا عدّةً من قراهم، والتجأوا إلى الفرار، ثم عادوا يطلبون الأمانَ، فأمنهم الأميرُ بعد الإذن من الإمام - عليه السلام - وأذاقهم من عفوه ما قلبَ نارَ غدرهم وفتنتهم إلى بردٍ وسلام، فرجعوا إلى أوطانهم مغتبطين بأمانهم، واشتملت هذه الواقعةُ على قتلى من المجاهدين، رزقهم الله الشهادة، وكثيرٌ من الباغين / حصدتهم بنادقُ الجندِ الأمامي، وقُلِّل / د مدافعهم، حتى عادوا كأمسِ الدائر، وشبعت منهم الطيورُ الكواسرُ، وكان ذلك عاقبةً من بغى وتعديّ وزاغٍ عن مناهجِ الاهتداء، وينبغي أن يُضافَ إلى هذه الحادثة ما كان من عليّ بن عبد الله جُبّاح^(٢) في إحدى العُزَلِ السفلى من بلدِ العُدين وأعماله. فإنه في هذا العام تحرّك للخلاف، وتابَعَ الشيطان، فركبَ متنَ الاعتسافِ، وجاهرَ الله بمعصيةِ النكثِ على إمامِ زمانه، وجمعَ حوله أصحابه، وباينَ طريقةَ أمانه وقطَعَ الطريقَ وأخافَ السبيلَ فبادرَ الأميرُ جمالُ الدين بإرسالِ الجنودِ المحشودةِ والكتائبِ المعدودة، فصبّحوه في عقر داره أسوأ صباح، وأطعموه مرارة الحرب، وهي مُرَّةُ المذاقِ تعافُها الأرواحُ، وكان قد

(١) العُدين: مدينة بالغرب من إب بمسافة ٣٠ كم، بها مركز ناحية العُدين، وهي كبيرة وخصبة، يتبع ناحية العُدين عدد كبيرة من العُزَل، انظر، اليمن الكبرى، ٤٤، نشر العرف، ١/ ٧٢٠ معجم الحجري، ٢/ ٥٩٠ .

(٢) علي عبد الله جباح: كبير عُزَلَة جباح من ناحية العُدين، كثير التمرد، ترمد أيضاً سنة ١٣٥٧ هـ ضد السيف الحسن ونائبه، وكانت ابنته فارسة مقاتلة، انظر، حياة الأمير، ٥٧٤ .

استعدَّ للجِلاَدِ، وجمعَ إليه مِنَ الرُّعاعِ أجناد، وتأهَّبَ لملاقاةِ جنودِ الحقِّ، ولكنه لم ينفعهُ الاستعدادُ وخذله شيطانه لما أنجلت الحربُ عن هزيمةِ رُعاة، وتشتيتِ شملِهِم، وإحراقِ قُراهم وسقوطِ العددِ الكثيرِ من شِرائِهِم قتلى على الصَّعيدِ، فانحصرَ المذكورُ في دارِهِ الحصينِ، ونالَهُ من رصاصِ المدافعِ العذابُ المهينَ.

وفي النهايةِ، فرَّ في جنحِ الليلِ، وتحتَ أستارِ الظلامِ، وتركَ دارَهُ وما جمَّعَهُ نهياً لجنَدِ الإمامِ، وطوَّته الأرضُ، فلم يُعرَفْ حيثُئذٍ مقرُّه، وأقبلَ أهلُ البلادِ يلوذون بطلبِ العفوِ والأمانِ، وبعدَ الاستئذانِ من إمامِ الزمانِ، أُجيبوا إلى ما طلبوا، وأسْعِفوا بما فيه رغبوا، ورجعوا إلى ديارِهِم الخربةِ يندُبون حظوظَهُم النَّحْسَةَ، ويدُمُّون مَنْ أوقعَهُم في هذه المُعضلةِ المُبْلِسةِ، وبعدَ حينٍ مِنْ مولانا الإمامِ - عليه السلامُ - على جُباجِ المذكورِ بالتأمينِ، ورجوعِهِ إلى دارِهِ وبلدِهِ، وقد ذاقَ في اغتراهِهِ ما لا يُوصَفُ مِنَ الخزيِ المبينِ.

وفيهما مالَ أهلُ بُرعِ إلى الخلافِ، والسبِّ في خلافِهِم هو ما ذكرناه أولاً من استيلاء الضالِّ الإدريسيِّ وأعوانه على الحُدَيْدَةِ وما حولها، وباجلِ وما إليه من قبائلِ الثُّحوريِّ وغيرِهِم، فصارَ جبلُ بُرعِ محاطاً بأهلِ الخلافِ من كلِّ جانبٍ، وتعلَّقَ أهلُ الجبلِ المذكورِ بأهلِ التَّهايمِ معلومٌ حتى كأنهم من أهلِ تُهامَةَ، فكانوا يشوقونهم للخلافِ، وانضمَّ إلى ذلكَ ما كانَ بينَ عاملِ الجبلِ المذكورِ السيِّدِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيم^(١)، وحاكمِهِ القاضي عزيَّ عطاء الله من التنافسِ والخصومةِ، إلى أن اقتضى الرَّأيُ الإماميُّ عزلَ الحاكمِ المذكورِ، لما نُسِبَ إليه من

(١) علي بن أحمد بن إبراهيم: (أمير الجيش) تولى إمارة الجيش خلفاً للشيخ عبد الله الضمين، وظل في منصبه طيلة فترة حكم الإمام يحيى والإمام أحمد وعزله الإمام البدر، سجن عند قيام الثورة ثم أطلق سراحه انظر، حياة الأمير، ٥٧١ .

التشويق على الخلاف، وكان تعيينُ القاضي عبدِالله الصائغ مكانه في حكومة الجبل المذكور، وصادفَ في ذلك الحين حصولُ الإذن من مولانا الإمام/ نصره / ٦٦ / الله للعامل المذكور بالطلوع إلى صنعاء؛ لزيارة أهله وأولاده فاستناب مكانه أخاه سيدي حسين بن أحمد بن إبراهيم، فخفي عليه ما أجمعوا عليه من العصيان، وركوب غاربِ العدوان، إلى أن ثاروا في جميع الجبل، وحاصروا وكيلَ العامل ومن معه من جند الإمام.

ولما بلغ الخبر مسامع مولانا الإمام، جهّز سيدي، فخر الإسلام، عبد الله بن قاسم حميد الدين بعصاية من جند الحق، وأصحبهم إحدى المدافع مغيراً على من في الجبل المذكور، وكانت طريقهم من بيت القابلي^(١) إلى أن وصلوا إلى الجبل المذكور، وكانت بينهم وبين المخالفين حروبٌ فإنهم وقفوا أمام المجاهدين وأميرهم لصدّهم عن الوصول، وبذلوا في ذلك كل مجهودهم، ولكن جند الحق لم يبال بهم فهزّمهم مراراً، وهو سائرٌ في طريقه، إلى أن وصل إلى رُقَاب^(٢)، مركز عمالة الجبل المذكور، وفرّج عن المحصورين، وأعلن الأمان لمن بادَرَ إلى الطاعة، ولم يبق إلا اليسير منهم، فجاءتهم أمدادُ أعوان أهل الضلال من قبائل القُحري وغيرهم، وسرعان ما عادوا إلى الخلاف. وجرت بينهم وبين جند الإمام حروبٌ عديدة، إلى أن عاد الحصار كما كان، والله المستعان، فكان من مولانا الإمام - عليه السلام - تجهيزُ الأجناد الوفيرة العدد

(١) بيت القابلي: من قرى حراز على مقربة من وادي سهام انظر، نيل الوطر، ١٩٧، معجم الحجري، ٦٤١/٢، معجم المقيضي، ٥٠١.

(٢) رُقَاب: مركز ناحية رأس جبل بُرع، من أعمال الحديدة، المشرف على تُهامة، يتصل بالجبل من الشمال وادي سهام الفاصل بينه وبين بلاد القحري من قضاء باجل، انظر، معجم الحجري، ٣٦٩/١، رياض الرياحين، ١١١، معجم المقيضي، ٢٧١.

والكثيرة العدد، وعيّن لهم أميراً السيد عليّ بن أحمد بن إبراهيم، عامل بُرع، وخرج مولانا الإمام - نصره الله - لوداع الجيش المذكور، إلى خارج باب القاع، غربيّ صنعاء، وأمر الإمام عامل مَفْحَق^(١) السيد العماد يحيى بن أحمد^[١] الكبسي^(٢) بجمع عصابة نافعة أيضاً من أهل الحيمة الخارجية. ^[٢] وكانت طريق الجيش المذكور من الحيمة الخارجية، فاجتمع الجند الإماميُّ كُلُّه في أطراف الحيمة الخارجية^[٣]، وقد اشتعلت نَارُ الخلافِ إلى بابِ المَحِيّام^(٣)، فباشروا الأعداء بالحرب، وساقوهم أمامهم بعزائم قوية، وفتكات عنترية، حتى أجْلَوْهُمْ عن الخبتِ وبني شرّعب وغيرها فالشطبة^(٤) وعطار، وتسّموا جبل بُرع حرباً، واستولوا على ما في طريقهم من القرى، إلى أن وصلوا إلى رُقَاب، واجتمعوا بالمحصورين. وأزالوا عنهم الحصارَ وامتلاّت أيديهم بالغنائم ولاقى منهم الأعداء حرباً يشيبُ منها الوليدُ، ويلينُ لهولها الحديدُ، واشتملت هذه الحروبُ على معاركٍ عديدة، كُلُّها كان نصرُ الله مصاحباً/ فيها لجند الحقِّ، والخذلانُ في جانبِ الضلالِ الأشقِّ مع توالي^[٣] الامدادِ للباغين من تهامة،

/ ٦٧

(١) مَفْحَق بلد وحصن في ناحية الحيمة الخارجية وأعمال صنعاء، انظر، معالم الآثار، ٣٧، اليمن الكبرى، ٥٩، معجم الحجري، ٧١٥/٢.

(٢) يحيى بن أحمد بن يحيى بن أحمد الهجوة الكبسي ت في ضُوران مركز قضاء آنس في ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٥٩ هـ سياسي، معروف بحبه للخير ونشر العلم، كان عامل مَفْحَق ثم الزيدية ثم النادرة ثم آنس، أنشأ المدارس، ومدساقية من السيل الأعور إلى النادرة، كان قريباً من الإمام البدر، ولد في صنعاء سنة ١٣١٤ هـ، انظر، هجر العلم، ١٨٠٢.

(٣) المَحِيّام: موضع بأقصى بلاد الحيمة الخارجية فيما بين أطراف بلاد رِيْمَة وبُرع، انظر، أئمة اليمن، ١٢٢/٢، معجم المقحفي، ٥٦٩.

(٤) الشطبة: من قبائل حاشد ثم من بني جُبَر من ناحية ذي بين، انظر، معجم المقحفي، ٣٥٥، معجم الحجري، ٤٥٢/٢.

[١] في س، أحمد الهجوة الكبسي. [٢] سقطت من س. [٣] في س، توالي وصول المدد.

ولذلك أيسَّ أهل الجبل من حصولهم على المرام الشيطاني، فمالوا إلى الطاعة، وأقبلوا بعقائريهم إلى المقادمة، يبذلون الطاعة، ويطلبون العفو عنهم فيما أتوه من أعمال الفطاعة، فقابلهم أمراء الإمام بصدور رحبة، وكاد الصلح أن يسود في تلك الربوع، وأريجة في تلك الأرجاء أن يضوع، إلا أن الجيش قد امتلأت أيديهم بالغنائم، فكلهم يؤدون الرجوع، ويتمنون وجود الوسيلة لذلك، وقد كان أعوان الضلال أعملوا الحيلة بعد انهزامهم إلى تهماة في تلك الفينة، فإنهم أرسلوا جمعاً عظيماً إلى عُبال^(١)، وأمره بولوج الخبت الموصل إلى جبل بُرع، ليقطعوا طريق الجبل، وكانت تلك الجهة خالية عن الحماة، ولم يكن أمام الأعداء من يمنعهم عن الولوج فيها والاستيلاء عليها، فلم يشعر من في الجبل من الجنود الإمامية إلا وقد قُطعت عليهم الطريق من ورائهم باستيلاء التهاميين عليها، وتقربهم من الشطبة وعطار، وانضمَّ إلى ذلك، أن شردمة من الجند الإمامي أرسلوا إلى بعض القرى في إحدى العزل التي لم يتمَّ صلاح أهلها ودخولهم في الطاعة، فاحدق عليهم جند البغاة وضايقوهم، وهم في مكان غير حصين، ولم يكن للجند الإمامي علم بما قد جرى، ولا استطاع المحصورون أن يُرسلوا إليهم خبراً، فتدركهم النجدة، فدام الحرب عليهم يومين، واستشهد أكثر رجال تلك الشردمة، بعد أن قتلوا من البغاة أضعافهم، والباقي خرجوا بين رصاص البنادق، ونَجَوْا إلى المحطة، وبكُلِّ تلك الأمور اضطرب الجند الإمامي، وعَوَّل الكثير منهم على العود من الجبل، بما معهم من الغنائم، إلى أن

(١) عُبال: شرق جنوب باجل بين الحَجَّيلة ومدينة العبيد، كانت محطة للمسافر قبل الدخول في صحراء تهماة، من بلاد القُحري، بالقرب من وادي سهام انظر، البدر الطالع، ١/ ٤٥٨، حياة الأمير، ٦٢٥، معجم المقحفي، ٤٢٢، معجم الحجري، ٥٧٣/٢.

قَلَّ عددُ الجندِ الإماميِّ، ولم يبقَ غيرُ أهلِ البصائرِ والثباتِ، وتتابعَت الامدادُ من تهامةٍ إلى الجبلِ، وكثرت الغزواتُ منهم على جندِ الإمام، والمباكرةُ والمرواحةُ بالقتالِ، فعاد الحصارُ كما كان، واشتعلَ الجبلُ بنيرانِ المخالفين والبُغاةِ إلا أنَّ الحصارَ لم يكنْ كسابقِهِ، والسببُ: وفورةُ عددِ الجندِ الإماميِّ المحصورِ، ووجودُ الأقواتِ وما يحتاجون إليه من الزاناتِ^(١)، ولذلك لم يحسِرِ البُغاةُ على الدنوِّ من رُقَابِ، واكتفوا بالإحاطةِ به، وإكمالِ ما يلزمُ لذلك من الأسبابِ والمناوشةِ بالحربِ من/بُعد، وقد تعدَّدَ المقادِمةُ المحصورون، وحين بلغَ ذلك الخبرُ مولانا الإمامَ، جَهَّزَ جيشاً جراراً لإنجادِ المحصورين، والإنقاذِ من الباغين، وجعلَ عليهم أميراً السيدَ الأجلَّ أحمدَ بنَ يحيى الكبسي^(٢)، عاملَ بلادِ الروسِ وبني بهلول، ومعه القاضي عبدُالله بنُ أحمدَ العرشيَ مشاركاً له في الإمارة، وكان في الجيشِ نحوُ خمسِ مئةٍ رامٍ من حاشدٍ خاصة، فبادرَ المقدميان ومن معهما بالمسيرِ وكانت طريقُهُم طريقَ السابقين، إلى أنْ لاقُوا جموعَ البُغاةِ في الخَبْتِ الموصلِ إلى بُرْع، فلم يقفْ أمامَهُم جمعٌ إلاَّ حصدوه، ولم يعترضَهُم من الباغين منعٌ إلاَّ ردَّوه وبدَّدوه، وتسَلَّقوا الجبلَ بعدَ طعانٍ وضرابٍ وكفاحٍ وحزِ رقابٍ، إلى أنْ وصلوا إلى رُقَابِ، وفكُّوا الحصارَ، وأذاقوا الأعداءَ كُؤُوسَ الدِّمارِ، وعلى كثرةِ من قُتِلَ من البُغاةِ وأعوانِ الضالِّ^(٣)، لم يحرزِ الشهادةَ من جندِ الحقِّ إلاَّ عددٌ قليلٌ، وقد كان جيشُ الضلالِ^(٤) استعدَّ وأعدَّ^(٥) ووقفَ لهم بالمرصاد، فلم

/ ٦٨

(١) الزانة: السلاح والذخيرة.

(٢) أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى الهَجُوةَ الكبسي ت بصنعاء في ٧ ذي الحجة ١٣٤٥، سياسي إداري، تولى أعمالاً كثيرة، كان عضواً في مجلس المبعوثان، ثم تولى للإمام يحيى أعمالَ خَوْلان ثم بلاد الروس وبني بهلول، كلف بمقابلة أمين الريحاني ومحاادثته حول ما جاء من أجله، ولد سنة ١٢٩٠ هـ، انظر، ملوك العرب، ١/ ١٧٣، أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى)، ٢/ ١٩٣، هجر العلم، ١٧٩٩.

[١] في س، الضلال. [٢ - ٢] في س، استعد وأعدَّو.

ينفعه عدده ولا أنجده مدده، وكاد الخراب يعم القرى التي على الطريق إلى رُقَاب، ومع ذلك فما زال الضالُّ يجهزُ الجيوشَ من تُهامة الشام، علاوةً على من في تهامة اليمن من الجموع، وجعلَ جبل بُرعَ مَحْطاً ومجالاً لإدارة رحي الحروب، ومغالبة الله تعالى، والله هو الغالبُ وليس بالمغلوبِ. ولما زال الحصارُ اجتمعَ الجندُ الإماميُّ إلى رُقَاب وما حوله، وكان إصلاحُ الجبلِ يحتاجُ إلى التريثِ من الجندِ برهةً، والمخالفون يحتاجون إلى أن يكونَ استتصالُ شأفتهم بقطع الأمدادِ عنهم، ولكونِ الجندِ الإماميِّ جعلَ الوصولَ إلى رُقَاب نصبَ عينيه، والأمرُ المهمُّ لديه، أخلَّ كسابقه في وضع مَنْ يمنعُ وصولَ الأمدادِ من عُبالِ فالشطبة وعطار، وجعلَ جيشُ الأعداءِ كلما لحقته الهزائمُ في ذرى الجبلِ ينخفضُ إلى تهامة، ويأتي إلى عُبال، ومن هنالك يصلُ إلى مراده من زلزلة مَنْ في الجبلِ، ولا يُنكرُ ما كان من المقادمة من تقصيرٍ في توجيه عزائمهم إلى سدِّ هذا الخرقِ، وإن اعتذروا بأنَّ ذلك لو التفتوا إليه لأوجبَ استغراقَ معظم ما معهم من الجندِ هنالك، ويفوتُ الغرضُ من التمكنِ من الإفراجِ عن المحصورين، وعلى الجملةِ فإنه لم يحصلْ من هذه الجيوشِ الثلاثة ما يُرادُ من إصلاحِ الجبلِ المذكورِ، وإن كان نصرُ الله مصاحباً لهم / في كلِّ واقعةٍ على كثرتها وتعدُّدها، / ٦٩ وقد أنزلوا بالأعداءِ ما لا يُستطاعُ وصفُه من النكاية، وأبلوا بلاءً حسناً، وبُليٍّ منهم الأعداءُ بالدهاية، لولا ما كان يأتيهم من الإمدادِ المتواليَةِ وإعانةِ النصارى للضال^[١] بالمهماتِ واللوازمِ التي يحتاجُ إليها الحربُ، وهو يفرقها على أعوانه بغيرِ حسابٍ، وسيأتي قريباً - إن شاء الله - بيانُ ما انتهى إليه الحالُ.

ولنرجعَ إلى بيانِ ما كان من الحروبِ في بني سعدِ المقابلِ لهذه الجهة، فنقول: قد سبقَ بيانُ ما انتهى إليه حالُ جيشِ حَرَّازِ ووقوفه في مراتبه بإزاءِ

[١] في س، الضال الادريسي.

جيوش الضال ومراتبهم.

وفي إحدى الليالي، نزلت عصابة من الجند الإمامي دون المئة، وهم من أهل الحيمة، إلى وادي المرقوع، لعلهم يجدون فرصة في جيش الأعداء، فالتقوا بالشريف حمود الدايلي، رئيس جيش الإدريسي في تلك الجهة، وأحمد حزام، أحد مشايخ القُحري، ومعهما ثلثة كبيرة من أصحابهم ومن أهل البلاد، وقد كان المذكورون تعاقدوا على غزو جند الإمام ليأخذوا منهم الثار، ويغسلوا عن أنفسهم عار الفرار، ففوجئوا من تلك العصابة الحيمية بالحرب الزؤام، والهجوم عليهم بأيما اقدام، فأصيب الشريف المذكور، واستولى المجاهدون على فرسه، ورُميت الفرس الثانية، وفرَّ ركبها، وانهزم الأعداء هزيمة فاضحة، وحملوا شريفهم مجروحاً، وقد تحقَّق موته من تلك الجراحة، ولم يسَل من المجاهدين دمٌ في هذه الوقعة، وعاد المجاهدون بالفرس إلى المحطة، وما زال أهل البلاد يوالون الغزو ليلاً، على المراتب، والجند الإمامي يضعُ الغوائل لهم في طرقهم التي يأتون منها، فلا يشعرون بعدَ توسُّطهم إلا بالرمي عليهم من أمامهم ومن خلفهم. ففي ليلتين حُرَّت من الباغين خمسة رؤوس، فانقطعت آمالهم من الغزو على الجند الإمامي، وتاهوا في التهائم، وانحلت منهم العرى والعزائم. ومات الكثير منهم في ذلك الاغتراب، وحفروا لأنفسهم حفرةً تجرَّعوا فيها مرارة الأوصاب، واستقرَّت مراتب جند الإمام هنالك في الجمجمة من بني الحمادي، وجبل الطرواح^(١)، وهو أحصنُ محلٍّ في بني سعد، إلا إنَّ الماء بعيدٌ منه. وفي طرف القوازعة وفي القرداع^(٢) فوق وادي القصبة^(٣) بالقرب من

(١) جبل الطرواح: هو الجبل الذي بنى فيه الإمام يحيى حصن الزاهر، انظر، معجم الحجري، ٣٨١ / ٢، معالم الآثار، ٥٧.

(٢) لغة في القرداعة.

(٣) وادي القصبة: شمال مسار منه تمر الطريق الحديثة إلى صنعاء، انظر، اليمن الكبرى، ٧٨ معجم المقحفى، ٥١٧.

حدود بني إسماعيل والعارضة ومقام المقادمة، ومعهم المدفع في الشرف وما حوله مع المحافظة على بقاء رتبة مَدَوَّل والطَّرَف وبني جرين^(١) ومراتب أخرى لحفظ الطرقات مع فرار أهل البلاد.

وكان الجيش مستغرقاً في تلك المراتب لاتساع الأطراف، والحرب غير منقطع في المراتب/ ومن بإزائهم من جند الضال.

وفي أثناء ذلك راسل مقادمة مولانا الإمام عن أمره - أيده الله - أهل البلاد برجوعهم إلى ديارهم وتأمينهم من تعرض الأجناد في الأغوار والأنجاد، فرجع الأكثر منهم لكن خفية من جند الأدريسي؛ لأنهم منعوهم من ذلك. ومن وجدوه منهم راجعاً نهبوه وضبطوه، وأرسلوا به إلى جيزان.

وهذه عاقبة من اسوأ العواقب، وحقيقة فيها مجال العبرة واسع لحاضر وغائب. فالمدكورون نادوا على أنفسهم بالهلاك باستقدامهم أعوان الضلال إلى بلادهم، وأرادوا المكر بجند الحق فمكر الله بهم وأذاقهم وبال عنادهم.

وفيها أشعل الضال نار فتنته في جميع ثهامة، وجمع كل شرير إليه، وأرسلهم إلى المحطات، وضم إليهم من خذلهم الله من حاشد وبكيل أهل الأطماع، والكل همج زعاع فتكاثرت جموعهم في أطراف ثهامة بإزاء المجاهدين، وتعددت محطاتهم من الحمرة إلى عبال، وما كيد الكافرين إلا في الضلال، وكان الحرب سجالات بينهم وبين المجاهدين على صفة المغازي من سمهر^(٢) إلى المرقوع، وكان من الأعداء ثلة كبيرة في حصن المقفل فوق الحمرة، وعليهم علي

(١) بنو جرين: غزلة من ناحية صغفان من حراز من أقسام متوح، انظر، معجم الحجري، ٢٥٤/١، معجم المقحفى، ١٦٤.

(٢) سمهر: الاسم القديم لمدينة الزهراء التي اتخذها الأدريسي، انظر ص ١٩ من المخطوط.

دَحَّانُ الْأَحْمَرِ، وَالسَّيِّدُ حَسِينُ النَّزِيلِي مِنْ أَصْحَابِ الضَّالِّ، فَدَبَّرَ حَاكِمُ الْعَرِّ وَأَمِيرُ الْجَيْشِ أَمَرَ كَشْفِهِمْ وَطَرَدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَنِ، فَجَهَّزُوا عَلَيْهِمُ السَّيِّدَ أَحْمَدَ بْنَ عَلِي الصَّعْدِي وَمَعَهُ أَهْلُ الْحَيْمَةِ عَنُودٌ مِنْ جِهَةِ الْعَدَنِ وَالْغَرْبِ، وَمِنْ جَيْشِ النِّظَامِ بَلُوكَانُ مَعَهُمْ ضَبَاطُهُمْ عَنُودٌ مِنْ طَرِيقِ الْوَادِي عَلَى أَنْ يَكُونَ مَرُورُهُمْ مِنَ الْوَادِي وَصَعُودُهُمْ إِلَى عَرْضِ قَيْهَمَةَ شَرْقِيَّ الْمَقْفَلِ، فَتَقَامَرَتْ خَطَى الْبُلُوكَيْنِ عَنْ اجْتِيَازِ الْوَادِي إِلَى عَرْضِ قَيْهَمَةَ، وَأَمَدَّ أَهْلُ الضَّلَالِ أَصْحَابَهُمْ مِنْ مَحْطَةِ الْحَمْرَةِ، وَارْتَقَوْا إِلَى الْمَحَلِّ الَّذِي قَصُرَتْ عَنْهُ النِّظَامُ، وَمَنْعُوا أَهْلَ الْحَيْمَةِ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى الْمَاءِ، وَاسْتَمَرَّ الْحَرْبُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى أَنْ غَابَتْ شَمْسُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا ابْتُلِيَ الْمَجَاهِدُونَ فِيهِ بِالْعَطَشِ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْمَحْطَةِ سَالِمِينَ، وَأُصِيبَ يَوْمئِذٍ السَّيِّدُ حَسَنُ شَرَفٍ مِنْ أَهْلِ الْحَيْمَةِ بِرِصَاصَتَيْنِ فِي قَعْرِ الْوَادِي، إِحْدَاهُمَا فِي صَدْرِهِ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ مَعَ مَشَاهِدَتِهِمْ مِصَابَهُ، فَأَيْسَوْا مِنْهُ، وَأَخْبَرُوا الْحَاكِمَ بِاسْتِشْهَادِهِ، وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ وَصَلَ بِنْدَقِهِ مَاشِيًا وَالْجَرَاحَاتُ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَقَتَ الْإِصَابَةِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ تَحَامَلَ نَفْسَهُ إِلَى كَهْفٍ صَغِيرٍ عَلَيْهِ شَجَرَةٌ، وَكَرَّرَ تِلَاوَةَ سُورَةِ يَسْنَ، وَبَعْدَ رَجُوعِ الْمَجَاهِدِينَ إِلَى الْمَحْطَةِ مَضَى جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْدَاءِ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ، فَأَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَيْهِ، وَهُوَ يَسْمَعُ حَدِيثَهُمْ، وَأَفَادَ أَنَّهُ سَمِعَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ قَتْلَاهُمْ وَجَرَاحَهُمْ ثَلَاثُونَ نَفْرًا.

وَفِي اللَّيْلِ خَرَجَ إِلَى وَادِي سُرْدُدٍ^(١) وَشَرَبَ مِنْهُ ثُمَّ رَقَى عَرْضَ الْجَبَلِ الَّذِي

(١) وَادِي سُرْدُد: أَشْهُرُ وَدِيَانِ الْيَمَنِ، يَنْبَعُ مِنَ الْهَضْبَةِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ جِبَالِ الْحَيْمَةِ الدَّاخِلِيَّةِ وَبِلَادِ الطَّوِيلَةِ ثُمَّ يَلْتَقِي مَعَ مِصْبَاتِ جَبَلِي حُفَّاشٍ وَمِلْحَانَ وَيَنْتَهِي فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، وَيَسْقِي بِلَادَ الزَّيْدِيَّةِ وَالْمَهْجَمِ، انْظُرْ، الْبُلْدَانُ الْيَمَانِيَّةُ، ١٤٨، مَعْجَمُ الْحَجَرِيِّ، ٢/٤١٩، مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ، ٣١٣.

كان فيه/ المجاهدون وبات فيه إلى الصباح، وانحدرَ إلى أن وجدَ راعيَ غنمٍ، / ٧١
فسقاه ذلك الراعي من ألبانِ غنمِهِ حتى روي، وحملهُ الرعي إلى معزابه، وباتَ
عنده ليلةً، وتوصَّل في اليوم الثالث إلى الوصولِ إلى حاكمِ العرِّ بسلاجِه،
فأرسلَه إلى مَنَاحَةِ للتداوي، ^[١] ورزقه اللهُ الشِّفاءَ ^[١]، مَنْ جراحِهِ التي قلَّ أن يعيشَ
بعدها في العادة من أُصيبَ بها، وإنما ذكرنا قصَّته لما تضمَّنت من الكرامةِ لمولانا
الإمام - عليه السلام - وظهورِها في بعضِ أفرادِ جنده، وسرِّه عن أبصارِ
الأعداءِ، ولله المِنَّة.

ولما طال بقاءُ الأجنادِ في مراتبِهِم، عاتبَ الإمامُ - نصره اللهُ - مقادمتَهُ،
ونسبَ إليهم التوانيَ وعدمَ ترقُّبِ الفرصِ، واقتضى الحالُ بعدَ ظهورِ تباينِ
إفاداتِ المقادمةِ إرسالَ كاشفٍ عن الأحوالِ، فأمرَ مولانا الإمامُ سيدي عباسَ
بنَ علي بن اسحق، فتوجَّهَ إلى هنالك، وطاف مراتبَ الأجنادِ، وفحصَ عما قيلَ
من التواني، فلم يَقرَّرْ من ذلك ما يتحقَّقُ به ثبوتُ الإسنادِ، ولكنَّ اتساعَ
الأطرافِ، وتوزُّعَ الجيشِ إلى مراتبَ بحسبِ حالِ العدوِّ، كانَ أعظمَ موجباتِ
تأخُّرِ الوقعاتِ الحاسمةِ، وصادفَ في ذلك الحين وصولُ السيدِ العلامةِ عبدِالله
بنِ أحمدِ الوزيرِ إلى الحضرةِ الشريفةِ زائراً.

فأمره مولانا الإمامُ بالعزمِ إلى تلك الجهة، وولاه رئاسةَ المقادمةِ وأمدَّه بجندٍ
كثيفٍ، وتابعَ إرسالَ الامدادِ إليه، حتى كُثِرَ الجندُ الإماميُّ هنالك، وصارَ عدُّهُ
يربو على ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ، فاستقرَّ السيدُ عبدُاللهِ الوزيرِ في بيتِ المشرقي ^(١) من
جبلِ الطَّرفِ، وهنالك اجتمعَ إليه المقادمةُ السابقون، وأعملوا الرأيَ في مناجزةِ

(١) بيت المشرقي: عُرْلة في جبل الطَّرفِ، في ناحية صَعْفان في جبل حراز، انظر، معجم
المقحفي، ٤٠٢.

[١ - ١] في س، وشفى.

الأعداء، واستقرَّ الرأي على أن تكونَ عنوةُ أميرِ الجيشِ الشريفِ عبد الله الضُّمين، ومن معه من النظامِ قصدَ محطةَ المرقوع، ومَن فيها، وحاكمُ العرِّ ومعه أهلُ الحَيمةِ محطةَ بابِ العين، والسيد عبد الله الوزير، وباقي الجيشِ بابَ القارة^(١) ومناجزةُ الأعداءِ في يومٍ واحدٍ من جميعِ الأمراء. وكان ذلك في شهرِ جمادى الأولى من هذه السنة، فقامَ الجميعُ بما انتدبوا له، واستقرَّ السيدُ عبد الله الوزير في جبلِ يابس، وقَدِمَ مَن معه من حاشدٍ وبكيلٍ إلى بابِ القارةِ وجرى بينهم وبينَ الأعداءِ حربٌ مهولةٌ، وشرعَ الأعداءُ في الانهزام، فتداركتهم طائفةٌ من جندِ الضلالِ^[١] خرجوا من عُبال، وجاءوا من وراءِ ظهورِهِم، وكان السيدُ عبد الله الوزير ومن معه قد تركوا من يصدُّ الغارةَ من عُبالٍ عنهم، فحصلَ الضررُ من أولئك، ولم يسعِ الجيشُ المتقدمُ إلى بابِ القارةِ إلا التأخرُ إلى جبلِ يابسٍ بانتظامٍ، وهنالك كانت محطةُ السيدِ عبد الله الوزير، ووقع من الطرفين قتلى وجرحى، واستشهدَ يومئذٍ النقيبُ صالحُ بنُ أحمدَ رذمانَ رحمه الله وأما/ ٧٢

حاكمُ العرِّ ومن معه من أهلِ الحَيمةِ، فإنها هاجت الحربَ بينهم وبينَ الأعداءِ في جبلِ سُويْد^(٢) ووادي الحارث^[٢]، فهزم الله جندَ الضلالِ، وتبعهم المجاهدون، واستولوا على محطةِ العينِ وما فيها من جبِخانةٍ مدفعِ العدوِّ وغيرِ ذلك، ولم يقفوا هنالك بل تبعوا الأعداءَ إلى قِربِ البَحِيح، وبقيَ الحاكمُ ومعه نحوُ عشرةٍ في وادي الحارث، فلم يشعرَ الحاكمُ إلا بتقَرُّبِ جيشِ الأعداءِ

(١) القارة: من مخلاف جبل الشرق وأعمال أنس، والقارة لغة الأكمة، والقارة في اليمن كثير، انظر، هجر العلم، ١٦٤٣، معجم المحقفي، ٥٠١، معجم الحجري، ٢/ ٦٤١ .
(٢) جبل سُويْد: بلد من أنس، وبنو سُويْد من قبائل جماعة وأعمال صعدة، والمقصود العُزلة من مخلاف بني حاتم وأعمال ضوران أنس انظر، معجم الحجري، ٢/ ٤٣٥، معجم المحقفي، ٣٣٥ .

[١] في س، الضال. [٢] في س، الحرث.

الذين خرجوا من عُبال، ومن كان في القارة من الوادي، فارتفع الحاكم من مكانه إلى حزة الجبل، وقد داخله كربٌ عظيمٌ ووَجَلٌ على المجاهدين الذين توغَّلوا في متابعة الأعداء إلى قرب البُحَيْح، ولكنَّ الله ثَبَّتَ المجاهدين بما وضعوه وراءَ ظهورهم من الرتبِ في الآكامِ التي اجتازوا بها، فحين تقرب الآتون من عُبال إلى الوادي، صدَّتْهم تلك التعاقب عن ولوج الوادي والتمكّن من قطع الطريق على المجاهدين ودافعوهم مُدافعةً حسنة، ورَدَّوهم على أعقابهم، وحين شاهدوا الحريقَ بالقرب من البُحَيْح، وجهوا عنانَ قصدِهم إلى تلك الجهة، وقد ثنى المجاهدون أعنةَ عزمهم على الرجوع إلى باب العين، وباتوا هنالك على سلامةِ خواطرٍ وقرارةِ عين.

وأما أميرُ الجيشِ ومَنْ معه من النظام، فإنَّهم تقدَّموا على المرقوع، وهاجموا مَنْ فيه مهاجمةَ الأسودِ بكلِّ قلبٍ غيرِ مرَّوع، فهزموهم منه، وطرَدوهم وساقوا خلفهم واستولوا على المرقوع، وما حوله من الجبال، وتوغلوا في الخبت، ولكنَّهم لم يجدوا بُدًّا من العودِ بمدفعِ الإمام إلى محلٍّ يتحصَّنون فيه، فإنه لم يكن هنالك محلٌّ ولا معقلٌ يُؤمِّن فيه مَنْ غدرِ العدوِّ ومخاتلته، ولا في وقتِ سكونِ الحربِ والهدوء.

وفي ثاني يومٍ هذه المعارك، أقبلَ الجيش من تُهامة خيلاً ورجلاً، وقصدوا مَنْ في باب العين من جنودِ الإمام بكلية^(١) قواهم، وجَرَّتْ بينَ الفريقين حربٌ عظيمةٌ تأخر المجاهدون في آخرها إلى حصنِ حَمَاطة^(١)، وما زالت الحربُ بينهم ثائرةً، وهم ثابتون كلُّها هجم الأعداء عليهم ردُّهم على أعقابهم بصفقةٍ خاسرة، وكذلك من سواهم من طوائفِ الجندِ الإمامي، إلا أنَّ الشدَّةَ كانت على مَنْ في

(١) حصن حَمَاطة: عُرْلة من ناحية حَفَّاش وأعمال المحويت، انظر، نيل الوطر، ٢٧٣، معجم المحففي، ١٩٠.

[١] في ص، قلي.

حصن حَمَاطَة.

وفي هذه الأثناء، كانت المراجعة بينَ المقادمة ورئيسهم، وإعمال الرأي فيما يكون ترجيحُه من تدبير وإحباطٍ مساعي جنْد الضلالِ الواصلِ إليه المددُ الكثيرُ/ فترجَّحَ لَدُنْ رئيسِ المقادمةِ توجيةُ العزائمِ على عُبالٍ وبابِ القارةِ، والعاملُ القويُّ في ذلك، رجاءُه أنْ يُدْرِكَ منهم ثأرَه، وخالفَه أميرُ الجيشِ في رأيه، وقال: الصوابُ الآنَ المحافظةُ على رأسِ المالِ بحفظِ ما في أيدينا من الجبالِ، ويكونُ تكرارُ الغزوِ على مَنْ في الحدودِ والظهرِ محفوظاً، فصمَّ الرئيسُ على رأيه وتابَعَه الآخرونَ امتثالاً، فرَّتَبَ الجبالَ من مَدَوَّلٍ إلى الزَّعْلا السفلى^(١) بالأكثرِ من حَاشِدٍ وبَكِيلٍ وفي بني سَعْدِ الشَّيْخِ ناصرِ بنِ حسينِ الأحلسي، ومعه مئةُ رامٍ من أهلِ الشرقي في جبلِ الطَّرواحِ والشرفِ والسيدُ محمد بن حسنِ القاسمي، ومعه عصابةٌ من الحَيَمَةِ وبني الحَيَّاطِ^(٢) في الجمجمةِ من بني الحمادي، وتقدَّمَ أهلُ الحَيَمَةِ من الزَّعْلا على الكُردِ^(٣) وسمَّهم ومعهم نظام سَنحانَ نحو المئة، فرزقهم اللهُ الظفرَ على العدوِّ، وطردوا من في المرتين المذكورين ورتبوهما، وتوجهوا إلى عُبالٍ وهم نحو ثلاثمائة رام، ومن في عُبالٍ من الأعداءِ مشايخُ القُحري، وسبَّعُ مئة رام، فهزموهم بإذنِ اللهِ، واستولوا على عُبالٍ في الساعةِ الخامسةِ من تلكِ الليلةِ وغَنَموا ما في عُبالٍ مِنَ الأموالِ. وقد

/ ٧٣

(١) الزَّعْلا السفلى: عُزْلَةٌ من مخلاف الشعر وأعمال النَّادِرَةِ انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٩٥، والزَّعْلا، قرية من صَعْفَانَ من مخلاف الشَّعْر، انظر أيضاً، البلدان اليمانية، ١٤١ .
(٢) بنو الحَيَّاط: بلدة في الطويلة، وبنو الحَيَّاط من أهالي جِبْلَةِ، انظر، الضوء اللامع، ٧/ ١٩٤، معجم الحجري، ٢/ ٥٥٩ .
(٣) الكُرد: من قبائل العَبْسِيَّةِ في ناحية المراوعة من تُهامَةِ شرقي الحديدة، انظر، معجم المقحفى، ٥٣٦ .

أذهلت الأعداء تلك الوقائع وبهرتهم ما لا قوّة في المعامع، ووصل إلى عُبال في صباح تلك الليلة حاكمُ العرّ، وهّني المجاهدون بما نالوه من نصرِ الله العزيز، وحفظه الحريز.

ولما شاع أخذ عُبال في تهامة، قامت على أعوان الضالّ القيامة، وشنّوا الغارات في طلب الرجال من الجرابح^(١) والقُحريّ والعَبَسِيّة^(٢) وغيرهم، مع ما يتوالى وصوله من لدُن الضالّ من الأمدادِ برجالِ تهامة الشام، فوصلت الأمدادُ أفواجا إلى حولِ عُبال وتوسّموا لقدمهم وقتَ الظهيرة، لعلمهم أنّ المجاهدين لا يصبرون على حرّ تهامة، فانهالت منهم على من في عُبال الرصاصُ كالطير، فخرج إليهم المجاهدون من عُبال، ووثبوا إليهم كأنهم الأسودُ الضواري وطاردوهم في تلك البراري، وحسبوا حرارة الشمس ظلّا، وكثُر عدّدهم قليلاً، وساقوا خلفهم إلى أن أوصلوهم بابِ القارة، ولاستيلاء الرعب، كان ممن في محطة بابِ القارة الفرارُ مع المنهزمين، وثبت المجاهدون في بابِ القارة، وكفى الله بأعمالهم ما كان موكولاً إلى غيرهم من الاستيلاء على بابِ القارة، فكان ترتيبها بهم، وترتيبُ الجبل الذي فوقها بالمجاهدين من حاشد.

وفي اليوم الثاني من تلك الوقعة، قصدَ الأعداءُ الجبل الذي رُتّبَ برجالِ حاشد، فأنجّلوا عنه سريعاً، ولم ينتبهوا رتبة بابِ القارة بما فعلوا/ من البوارِ / ٧٤

(١) الجرابح: قبيلة من تهامة، مواطنهم في الضحى، شمالي الزيدية، انظر، نشر الشاء الحسن، ٣٣ معجم المقحفى، ١١٤ .

(٢) العَبَسِيّة: ناحية واسعة من تهامة مركزها المراوعة، وهي من قبائل عك وبلادها من سفح جبل بُرع إلى ساحل البحر الأحمر، تتصل بها من شاليها بلاد القحري من أعمال باجل ومن جنوبها بلاد الرامية والمنافرة من قضاء بيت الفقيه ابن عَجَّيل، انظر معجم الحجري، ٥٧٤ / ٢ .

والمكائد، والله العليمُ بمن في خلدِه القلبُ السليمُ.

ولما ترك الحاشديون الجبلَ، رماه الأعداءُ وزحفوا على من تحتهم في المراتب من الحِيمةِ وسَنَحانَ وأحاطوا على سَنَحانَ من كُلِّ جانبٍ، فاستُشهد منهم سبعةٌ رحمهم الله تعالى وأُلبِسَ العارَ كُلُّ ماكرٍ وعائبٍ، ورجعوا بعدَ أهوالٍ إلى عُبالٍ.

وفي اليوم الثاني قصدَ الباغون عُبالَ، وفيه المجاهدون فبادروهم بالحربِ، ولاقوهم بقلوبٍ مشتاقةٍ إلى الطعنِ والضربِ، فانكسروا أمامهم، وكان ذلك الانكسارُ خديعةً منهم واستدراجاً؛ لأنهم كانوا قد أبرموا أمرَ خداعهم وحيلتهم بأن وجهوا أكثرَ الجيوشِ منهم إلى سهامٍ، وجعلوهم كميناً للمجاهدين يأتونهم من وراء ظهورهم متى استدرجوا المجاهدين وأخرجوهم من عُبالٍ، فتمَّ لهم ما أعملوه من الحيلةِ، وخرج الكمينُ بعدَ انفصالِ المجاهدين عن عُبالٍ وانقسمَ إلى طائفتين: طائفةٌ منهم، حالوا بينَ المجاهدين وبينَ الرجوعِ إلى عُبالٍ، وطائفةٌ مرّوا على شفيرِ سهام^(١) إلى الجانبِ العدني من عُبالٍ، وأقلَّ الطائفتين نحوَ خمسِ مئةٍ رامٍ، ولما عرَفَ ذلك من بقيٍّ في عُبالٍ من المجاهدين، وأنه قد جيلَ بينهم وبينَ أصحابهم، ارتفعوا إلى الشويع، أسفلَ بني جرّين، ولم يظفروا منهم أعداءُ الله بما تقرُّبه العينُ، وأما الذين انفصلوا عن عُبالٍ، فإنهم تراجعوا إلى أميرِ الجيشِ وهو مع المدفعِ نازلٌ على شفيرِ الجبلِ المشرفِ على قاعِ سمهرٍ، وقُتِلَ من أهلِ الحِيمةِ في حربِ عُبالٍ ثلاثةٌ.

(١) وادي سهام: يأتي من مشارفِ خَوْلانِ العاليةِ الغربيةِ ووَعلانِ وسَامِكِ وعافِشِ وفَرَشِ آنسٍ، وتنضمُ إليه السيولُ من شمالِ آنسٍ وجنوبِ بني مطرٍ وجنوبِ الحِيمةِ وجنوبِ حرّازٍ وشمالِ جبالِ رَيمةٍ ويمرُّ بشمالِ جبلِ بُرعٍ، فيسقي أرضَ المراوعةِ والقَطِيعِ ويصبُ في البحرِ جنوبَ الحُدَيْدَةِ، انظر، اليمن الكبرى، ٣٩.

وفي خلال ذلك، تقدّم جيش الضالّ الذين في الحمرة والمقفل وفيهم الشقيّ علي دحان الأحمر، وجمع من ألفاف حاشد وغيرهم وبنو سعد الباقون على فرارهم، وقصدوا مراتب جند الإمام، فلم يثبت قدامهم أهل حراز وبنو الخياط، بل انكشفوا عنهم بدون ضرورة، وارتفعوا عن بني سعد إلى بيت المشرقي، وصادف وصولهم وقت وصول أمير الجيش إلى هنالك ومعه المدفع من جبل الطرف، وحصل من التخاذل والتسابق إلى الفرار ما لم يكن في الحسبان، ولم يظهر لذلك سبب سوى ما يُظنّ من إعجاب النفس الأمّارة بالكثرة، وما النصر إلا من عند الله، ولا حول ولا قوة إلا به، وانقشع الجيش اللهم إلى صغفان، وأخلّوا جميع تلك المراتب في أسرع آن والله المستعان.

ومن كرامات^[١] مولانا الإمام - عليه السلام - لما ارتفعت الجيوش على تلك الحال، وخلا منهم تلك البقاع والجبال، تشوّق الأعداء لمهاجمة من مع المدفع الإمامي، ولم يبق سوى أمير الجيش وبعض العرائف، فثبت هنالك، ودافع الأعداء بنفسه ومعه الشيخ عون الدين أحمد مساعد الحسيني^[٢] / والشيخ / ٧٥ / حسين القاسمي والسيّد أحمد بن علي الصعدي وآخرون، فحملوا على الأعداء حتى هزموهم إلى أطراف بني مُدَيّن، وعادوا إلى المدفع فحملوه وآلاته على الجمال، ومروا من طريق لا يسلكها الحفاة إلا على خطر لصعوبتها، وذلك من عون الربّ المتعال، وقد ذكرنا ارتفاع أهل الحيمة مع حاكم العرّ إلى بني جرّين، فإنه استقرّ هنالك، ورُتّب قرى بني جرّين من حصن الهادي الذي بقي فيه إلى حصن شلول، وطلب من كان في صغفان من مجاهدي أهل الحيمة إليه، فلم يمهّلهم جيش الضالّ سوى يومين، وتقدّم منه نحو ألف رام من عُبال إلى

[١] في س، سعادة. [٢] الرجا في س.

أَنْ وصلوا وادي حار تحت حصن الهادي، بحيث تصل رصاص بنادق المجاهدين إليهم، فمنعهم الحاكم من الرمي، وتقدم البغاة إلى نحو نصف المسافة التي بين السوق والحصن، ووقفوا عندها ولم يجسروا على التقدم، بل باسروا عمارة متاريس لهم، فانتخب حاكم العرّ ممن عنده خمسة من الضباط لرميهم فقتلوا منهم ثلاثة أشخاص، وجرحوا اثنين، فترجعوا إلى السوق، وبقوا فيه إلى أول الليل وانسلّوا هاربين إلى عُبال، وكفى الله المؤمنين القتال، واستقرّ الحاكم بمن معه هنالك، مرتباً لهم إلى المقربة، والباقون من المقدمة والجيش في صَعْقَان.

وفي أواخر شهر رجب من هذه السنة توالى الأمداد إلى مَنْ في بُرْج من جيش الضال، ومعهم أهل الجبل وتضعض حال الجند الإمامي هنالك بما ذكرناه من عدم ترثيهم وزعمهم أنهم إنما نزلوا للغارة على المحصورين، وقد أجروا ما عليهم من ذلك، فتتابعت على من بقي منهم هنالك الغارات، إلى أن عاد الحصار على رُقَاب، وفيه جميع من ذكرنا من السادة الأعلام، فانتدب مولانا الإمام المولى العلامة سيف الإسلام، أحمد بن قاسم بن عبد الله حميد الدين للعزم إلى هنالك والتفريج عن المحصورين، وأصحبته بجيش كثيف ينوف على ألف وخميس مئة رام، فيهم من الشجعان الأبطال عدد وفير، وجمع غير يسير، وكلهم من بلاد البستان وبني مطر تحت قيادة الشيخ محمد بن حسن الرماح^(١) وغيره من المشايخ، ووفر الإمام - نصره الله - للجيش المذكور ما يحتاج إليه من المهمات الحربية والأقوات، فجرت بينهم وبين البغاة معارك وحروب تُذهل الألباب، وأصلّوا الأعداء من نيران عزائمهم ما تركهم بين قتيل ومسلوب

(١) بنو الرماح: من مشايخ بلاد البيضاء وغيرهم بنو الرماح من مشايخ ناحية البستان انظر، معجم المحقق، ١/ ٣٧٠.

وجريح ومنهوب إلى أن تسنموا ذروة الجبل، فكفوا الحصار عن المحصورين، وطردها أعداء الله أيما طرد، وشتتوهم في / الجبل والوهد، واستولوا على مجرى / ٧٦ مدفع الإدريسي في حصن بني الخزاعي^(١)، وكثرت في الأعداء القتل حتى كان ممن أصيب محمد زيد، صاحب الفحري، وكان صاحب هذه الحروب والمتقلد لزعامه هذه الخطوب في جيش الضلال ومات على أثر ما أصابته من الجراحة، وكان هلاكه مصاباً عظيماً ورزءاً أليماً عند الضال، وأعوانه. إلا أن هذا الجيش على فتكاته الصارمة وحملاته المروعة الحاسمة أحسن فيما ابتدأ به وصنع، ثم ما سلم حتى ودّع، واعتذر الشيخ محمد الرماح بأنه لا يتمكن من ضبط العسكر وإجبارهم على البقاء، لأن مولانا الإمام لم يأمرهم بالبقاء، وإنما طلب منهم التفريغ عن المحصورين، وصمّم على ذلك المقال، ولم يتدبر العاقبة والمآل.

ولما رأى المولى سيف الإسلام، وهو باقٍ في الجمام، زمر المجاهدين من بلاد البستان يتسللون من الجبل عائدين إلى أوطانهم بدون^[١] ترخيص ولا استئذان، رفع بجلية الخبر إلى حضرة مولانا الإمام، فأمر الإمام - عليه السلام - حاكم العر، وهو حيتن في بني جرين، بانتقاله هو ومن معه من جند الحيمة إلى جهة بُرع مدداً لمن فيه على جهة الفوز، فأسرع في الامتثال وجمع رجال الحيمة الموجودين في صغفان، وهم نحو خمس مئة مقاتل من أهل الثبات والإقدام عند التناضل، فتوجّه بمن معه إلى الحجيلية، وبقي هنالك خمسة أيام في الاهتمام بجلب ما يحتاج إليه المجاهدون من الأقوات والمهمات، وتوجّه قاصداً بُرع، وكانت طريقه من جبل جراش وبيت المنامة^(٢)، وقد كان الأعداء رتبوا له ولن

(١) حصن بني الخزاعي: غزلة من ناحية بُرع وأعمال المحويت، انظر، طرفة الأصحاب ٢٩٠، الباب ١/٤٣٩، عجلة المبتدي: ٥٤.

(٢) بيت المنامة: حصن المنامة أمام جبل بُرع، انظر، معجم الحجري، ١/١٢٧.

[١] في س، دون.

معه الكُمناء، فما توغلوا في الطريق حتى ظهرَ عليهم أولُ كمين، وقذفوا ما في بطونِ بنادقهم إليهم فبادرَهم المجاهدون بالرمي المتتابع وسبقوهم إلى ترتيبِ جبلِ جراش، وكسروا منْ بلزائهم، فانهزمَ الأعداءُ إلى هُجَب^(١)، ولم يُصَبْ أحدٌ من المجاهدين بجراح، لا سألَ منهم دُمٌّ، وذلك من عنايةِ الله تعالى بهم، وباتوا في بيتِ المنامة وما حوَّلَهُ، وتقدَّموا في غديهم إلى عَطَّار، وانتظروا وصولَ الحمولةِ من بيتِ القابلي، فغزاهم جمعٌ من الأعداءِ إلى عَطَّار، وكان بينهم وبينَ المجاهدين حربٌ اسفَرت عن انهزامِ العدوِّ الغازي^[١]، وتبعهم المجاهدون إلى ما تحتَ بيتِ الحداد^(٢)، ثم صعد الحاكِمُ بجندِهِ إلى رُقَاب، وكانَ منه نصحُ المشايخ والعرائف بما يلزُمُ عليهم من الطاعة والامثال وما في تفرُّقهم من/ جلبِ الرهين واغضابِ ذي الجلال، وأنَّ اللزَمَ استئصالُ شأفةٍ منْ بقي من جندِ الضالِّ لما هُمُ عليه من الخبال، فكانتْ منهم المساعدةُ إلى ما رامه ظاهراً، وإجماعُ الرأي على اقتسامِ الجندِ الإمامي إلى ثلاثة أقسام، يقومُ كلُّ قسمٍ منهم بعنوةٍ، فأهلُ بلادِ البستانِ يقصدون من جهةِ الغربِ النشةَ وما فوقها، وأهلُ الحيمةِ يتوجهون إلى الجرن والحصنِ شرقاً، وخولانُ الشامِ وأهلُ جبلِ عيال يزيد يحيطون بالأكمةِ لمنعِ الغارةِ، وبعدَ أخذِ المحلاتِ المحيطةِ، يكونُ هجومُ الجميعِ على الأكمةِ، فتقاعَدُ من عداءِ أهلِ الحيمة عن عنوتهم.

/ ٧٧

وكان من أهلِ الحيمةِ الهجومُ على محلِّ الجرن، واجتمعَ الأعداءُ عليهم من كلِّ جانبٍ، واستشهدَ منهم اثنان، وخرجَ جماعةٌ، ولم يبدُ من الآخرين أقلُّ

(١) هُجَب: ما ورد في المعاجم حُجَب وهِجَّان، وإِدْ أسفل جبل حراز متصل بالحَجَّيلة من بلادِ القُحري وأعمالِ بَاجل وفي العُدين حُجَب انظر خريطة العُدين من كتاب حياة الأمير، ١٠٤ .

(٢) بيت الحدادة: عَزْلَةٌ من الجبى، انظر، معجم الجري، ١ / ٣٧٨ .

[١] في س، الغاوي.

حراك. ،ظهرَ بذلك أنهم أرادوا كسرَ جناحِ أهلِ الحَيَمَةِ لِيُوافِقوهم على الانسحابِ من ربوعِ الجبلِ، وتلك وصمةٌ فادحةٌ فيمن ارتكبَ إثْمَها وهفوةٌ ممن شَيَّدَ رُسْمَها، وكانَ منهم - بعدَ ذلك - التسابُّقُ على الخروجِ من الجبلِ والأعداءُ فيه في تلكَ الحالِ في ضعفٍ وقلَّةٍ وخيلٍ، وكانَ الخروجُ من الجبلِ ليلةَ النصفِ من شعبانِ هذا العامِ بعدَ تدارُكِ إخراجِ مدفعِ الإمامِ والخزنةِ إلى بيتِ القابلي. وإذا تأمَّلَ المنصفُ ما سردناه من أحوالِ حروبِ هذا الجبلِ، يجدُ فيه حقيقةً واضحةً، دالَّةٌ على ما يتطلَّبُهُ مَنْ فيهم، سرَّ توالي الحروبِ وعدمَ انتاجِها للمطلوبِ مع تبيُّنِ أنَّ النصرَ لم يَزَلْ حليفَ المجاهدين، ولم يَهْزَمْ لهم جيشٌ قط، وللهِ الأمرُ وحدَه.

وفي هذه السنة، كانَ توجُّهُ سيدي عمادِ الدين يحيى بنِ محمد بنِ عباسٍ بجموعَتِهِ، التي توفَّرَ عدُّها، وتتابعَ مددُها - كما سبقَ ذكره - من النَّادِرةِ إلى قَعَطَبَةٍ، بعدَ أن صدرَ إليه الأمرُ الشريفُ، فقَصَدَ ما حوالي قَعَطَبَةٍ من البلادِ إلى الجليلة^(١)، وجرتَ بينهُ وبينَ أهلِ البلادِ المذكورةِ حربٌ، أسفرتْ عن انهزامِ مَنْ تجمَّعَ من البغاةِ، وظفَّرَ المجاهدينَ واستيلائَهُم على الغنائمِ العظيمةِ، ونقلَ الأميرُ عمادُ الدينَ محطَّتهِ إلى الجليلةِ، واستأمنَ إليه من عائدٍ، فقابلَهُم ببذلِ الأمانِ مقابلَةً جميلةً، وأعادَهُم إلى أوطانِهِم ومنَعَ الأجنادَ من التعرُّضِ إليهِم، فاستقرَّتْ أحوالُهُم وأسْفَرَ صباحُ سكونِهِم وزالَ اختلالُهُم، وأخذَ مِمَّنْ / يلزِمُ / ٧٨ / رهائنَ الطاعةِ، وكانت هذه الوقعةُ في بلادِ الشاعري^(٢)، ولما عرِفَ العقلاءُ مِنْ

(١) الجليلة: من الضالع، تقع على الجانب الشرقي من الكبار، شرق مدينة الضالع، وتكون

فوق اُحدود يمتد من جبل شحذ، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٨٩ .

(٢) الشاعري: من قبائل الضالع في منطقة رد فان على بعد ٩٦ ميلاً من عدن، انظر،

معجم المقحفي، ٣٩٣، تاريخ القبائل اليمنية، ٨٧ .

أهل الضالع، وجبل جُحاف^(١)، تصميمَ الأمير عماد الدين على قصد بلادهم بمن معه من الأجناد، والعاقِل منهم يعلم أنَّ أحوالهم أحوال فوضى وفساد، وأنَّ بقاءهم على تلك الحال لا يرضى به ذو سداد، شرعوا في مراسلة الأمير يبذلون الطاعة، ويستقدمونه ليتَّم لهم الانتظام في سلك الجماعة والخروج من دعاوي أهل الإلحاد، بأنهم ممن دخل بموجب ما جرى بين الأتراك والانكليز من تمييز الحدود في عداد المتتمين إليهم. وقد كانت وصلت من كثير منهم كتب الموالاة إلى مولانا الإمام، عليه السلام، وفي أثناء استقرار جنود الأتراك في الحج وصل إلى مقام مولانا الإمام وهو بالسُودة المحروسة الأمير نصر بن شايف^(٢)، وانتمى إلى الإمام، وأعطى رهينة الطاعة، ولكنَّ المذكور لشقاوته واستخفافه بالدين، رجَّح له الشيطان الغوي نكث العهود والعود إلى الانتفاء إلى ذوي الجحود، ودخل عدن، واستمدَّ منهم الإغاثة على دفع جند الإمام، فأمدَّوه بما رام، وظنَّ أنَّ ذلك سينفعه ويمنع عنه غضب مولاة ذي الانتقام. فحشد جموعه من ألفاف القبائل للقتال، وصالَّ وجال فراسلَه الأمير ناصحاً برعاية العهود، والتوقَّف على ما لها من الحدود، وحذَّره من بطش الربِّ المعبود وذكرَ نعمة الأئمة السابقين على آبائه الماضين، فإنَّ إمارتهم على الضالع مستفادة من برِّهم ومغترفة من بحرهم، مع أنَّ جدَّه الأعلى كان مملوكاً لبعض الأئمة، أمَّره على هذه البلاد، أو جعله فيها محافظاً دافعاً لذوي الافساد، فلم تنجح فيه السائل، ولا روعته تلك الرسائل، وحكم على نفسه بأنَّه ممن لا ينفع

(١) جبل جُحاف: جبل مشهور من أعمال الضالع جنوبي قَعْبَة، انظر، معجم

الحجري، ١/ ١٧٩، معجم المحقفي، ١١٢، تاريخ القبائل اليمنية، ٩٠.

(٢) حول نصر بن شايف سيف أمير الضالع وحروبه وتعاونه أو مناوآته مع بريطانيا،

انظر تاريخ القبائل اليمنية، ١٢٠، حياة الأمير، ٦٠٣.

فيه غيرُ السيفِ والمدفع، ولا يزجرُهُ إلا تقويمُ اعوجاجِهِ بالكتائبِ التي يجنُّ بها لمثله المصراعُ، فوجَّه الأميرُ الأجنَادَ تلوَ الأجنَادِ، وأحكمَ تدبيرَ العملِ ومناجزةَ الطاغِي المرقوم، فالتقى الجشيان ونصبا ميزانَ الضرابِ والطَّعَانِ، وكانت بينَ الفريقين حربٌ، أسفرتُ عن هزيمته هو ومَنْ معه، وتقدَّم الجيشُ الإماميُّ إلى الضالعِ فاستولى على مدينةِ الضالعِ^(١) وحواليه، وصانَ الأميرُ بيوتَ من عَرَفَ منهم التمسُّكَ بالموالاةِ، وأقبلتُ إلى الأميرِ قبائلُ تلكَ الجهةِ أفواجاً يبذلون الطاعةَ، فضبطَ البلادَ وساسَ أحوالَ أهلِها وفقَ المرادِ، وقد كان السيدُ على طه شيخُ جبلِ جُحَافٍ قد وصلَ إليه وانتمى إلى الإمامِ ودخلَ الجبلَ / بدخوله في ٧٩ / الطاعةِ، وانقادَ أهلوه، وسلموا من هَوْلِ الأراعةِ، وحصلَ بمنَّ الله تعالى ضبطُ تلكَ الأطرافِ، وأخذَ الرهائنِ المختارةِ، وأرسلَ مولانا الإمامُ السيدَ الأجل محمد بن محمد بن أحمد الشامي^(٢) عاملاً على بلادِ الضالعِ وبلادِهِ، فباشَرَ الأعمالَ، وأعانَ الأميرَ على ما به يكونُ إصلاحُ الأحوالِ، ووجَّهَ الأميرُ همته إلى إكمالِ فتحِ الأطرافِ فراسلَ أهلَها، ودعاهم إلى الطاعةِ، فأجابوه، وكان المخدولُ نصرُ بن شايِف نازلاً بالقربِ من جبلِ حرير^(٣)، فأزاحه عن ذلكَ الطرفِ، وشرَّده تشريدَ النعام، ولم يمهِله حتى يستطيعَ محاولةَ الصدامِ، وأقبلَ أهلُ الجبلِ

(١) مدينة الضالع: مركز منطقة الضالع وعاصمتها انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٩٧، اليمن الخضراء، ١/ ١٣٢، صفة جزيرة، ١٢٧ .

(٢) محمد بن محمد بن أحمد الشامي: عامل الضالع، شهد حرب الطائرات البريطانية على الضالع وهو عامل عليها وهزم في المعركة ت ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩ في مكة حاجاً، انظر، رياح التغيير، ٤٢ .

(٣) جبل حرير: إلى الشرق من سهل الضالع، يتصل بجبل العوابل في الشعيب وجنوباً بجبل عبيرة في حالمين، في أعلاه من الشرق قرية الفقهاء، تاريخ القبائل اليمنية، ٩٤، صفة جزيرة، ١٤٧، الاكليل، ٨/ ١٥٧ .

المذكور بعد فراره، يريدون ولوج باب السلامة بالطاعة. وفي أوجز مدة تم ضبط جبل حرير وأطرافه، وإصلاح المختل من أحواله وإزاحة انحرافه.^(١) ثم راسل الأمير أهل بلاد المفلحي^(٢)، فاستقاموا وبالحق هاموا، ولم يبق^(٣) في تلك الجهة ما يريب، بعد ضبط الأشرار وسوقهم إلى الحبوس، وقطع دابر قطاع الطريق. وجعل حظهم الحظ المنحوس، وأقر المخالف والمالف بأن أعمال الأمير المومي إليه، مقرونة بالسداد والرشاد، ومقيمة لواضح البرهان على ما له من الكياسة وحسن السياسة في محو الأنكاد، ودفع الفساد، وحزم أطراف البلاد، وتأمين السبل في الأغوار والأنجاد.

ثم أمر مولانا الإمام، أميره المومي إليه بمراسلة أهل الشعيب^(٤)، وادخلهم إلى حظيرة الطاعة المنزهة عن العيب، فافترقوا إلى فرقتين، فرقة قابلت الرسالة بالإجابة وحسن الإنابة، وفرقة أجابت داعي الشيطان، ومالت إلى جانب العصيان.

وكان الشعيب في زمنه الأخير يتحكم عليه سلاطين يافع^(٥) ومشايخهم، ويعدونه مرعى لأذواد طمعهم المبير، فهم يجبئون منه الأموال، ويتحكمون في أهله بما لا يرضاه الرب المتعال، فاستنفر المائلون عن الطاعة من أهل الشعيب

(١) المفلحي: من قبائل اليمن الأسفل، من يافع ومركزها مدينة خلّة، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ١٨٣، ٢١١-٢١٥.

(٢) الشعيب: جنوب غرب الضالع، تقع بين المفلحي شرقاً والضالع غرباً، وحالين والضالع من الجنوب، عاصمتها العوابل، انظر، اليمن الكبرى، ١٧٤، حياة الأمير، ٦٢٢، تاريخ القبائل اليمنية، ٢١٧.

(٣) يافع: قبيلة وبلاد تتصل شمالاً ببلاد رداع وغرباً بوادي ينا النافذ إلى آيين، وهي قسمان، انظر، معجم الحجري، ٧٠٥، تاريخ القبائل اليمنية، ١٦٩.

[١ - ١] سقطت من س.

سلاطين يافع وقبائلها، وصادف ذلك ما قد داخلهم من تخوُّفِ هجوم الجند الإماميِّ إلى ديارهم، فأقبلوا وهم كالسيل المتدافع يؤمون حصن شُكُع^(١)، فدخلوه ورَّتبوه، وتتابعت كتائبهم إلى هنالك، فكانوا جمعاً كثيرَ العدد، وفير المدد، ولما بلغ أمرهم وما أجمعوا عليه إلى الأمير عماد الدين، وجَّه إليهم اهتمامه، وشهر عليهم من عزمه حُسامه، وعلم أنَّ استقرار تلك الجهات على الطاعة / ٨٠ لا يكون بدون ضربة حاسمة لشرِّ جموع أولئك البغاة، فراسلهم لعلَّهم يرجعون عن غيَّهم نعموا وصموا وستكبروا وعلى العدوان أصرُّوا، فساق إليهم جنود الحقِّ يحضهم اليُمنُ والسُّعود ويصاحبهم عونُ الربِّ المعبود، ولما تلاقى الجيشان، جرى الحرب بين الفريقين، ودام يومين، في نهايته منحَ اللهُ الجند الإماميَّ نصره، ودفع عنهم شرَّ العدوِّ ومكره، ولم يُغنِ عنهم تحصُّنهم بشُكُع المنيع، ولا نفعهم اقدمهم المريع، ولم يقوُّوا على ردِّ هجمات المجاهدين، فأخرجوهم من الحصن قسراً، وملأوا منهم الوهاد الروابي قتلى، واستاقوا منهم العدد الوفير أسرى واستولوا على الحصن وهزموهم بإذن الله تعالى، فكان يوماً عظيماً ثبَّت اللهُ قواعد الطاعة في تلك الجهات، وكسر به شوكة الباطل، وأوردها حياض الشتات وتردَّدَ صدى وقعته في آذان البغاة وأهل الإلحاد. واحتوى المجاهدون على الغنائم الواسعة، وشكروا الله على ما منحهم من النصر بعنايته الرافعة، وكان المظنون أنَّ يافع بذلك سيعتبرونه، وعن غيَّهم سيرجعون، فمكثوا بعد الهزيمة حيناً، وعادوا إلى تجمعهم وقد تعاهدوا على عدم الفرار، وأرادوا مغالبة الجبار، واستنفروا قبائل يافع النائية، وأقبلوا بجموعهم إلى حصون

(١) شُكُع: بلد وحصن من بلاد المفلحي بيافع، تبعد عن الضالع بنحو ٢٣ كم، انظر معجم المحقفي، ٣٦٠.

القرعة^(١)، وهي جبالٌ منيعةٌ بأطرافِ الشُعَيْبِ، وملؤها بالرجالِ والأبطالِ، وبذلوا كلَّ ما في وسعهم من الاحتِيارِ، فأقبلَ إليهم الجندُ الإماميُّ من كلِّ صوبٍ، ونازلهم في تلكِ الحصونِ، وكان الأميرُ قد قدَّم الجيشَ أمامه، وبقي في الضالعِ، ولما بلغه اشتدادُ أزمةِ الحربِ أقبلَ ممدداً لمن سبقَ بجيشٍ وافرٍ، ومعه أحدُ المدافعِ، فدامت الحربُ بينَ الفريقينِ ثمانيةَ أيَّامٍ، وكان ذلك في شهرِ ربيعِ الثاني من هذه السنة. ولم تتخلَّلْها فاصلةٌ، وأظهر الجندُ الإماميُّ من ضروبِ الشجاعةِ والإقدامِ ما لم يُعْهَدْ مثله في سائرِ الأيامِ، وهاجمَ الأعداءُ مهاجمةً أذهلتهم عن الصوابِ، وأعدمتهم الألبابَ، وصبروا صبرَ الكرامِ، فجزاهم اللهُ خيراً عن الإسلامِ.

وبعد الثمانيةِ أيَّامٍ^(١)، هبَّت ريحُ النصرِ للمجاهدين، وتمَّ لهم الظفرُ بأعداءِ الدين، فانهزموا لا يُلَوْنُونَ على شيءٍ، وتفرقوا في كلِّ وادٍ بعدَ أن قتلَ / ٨١ أعيانهم وسلطينهم وأفرادهم عدداً ينوفُ على السبعين، وأسرَ قريباً من هذا العددِ، وطلبوا الأمانَ على نفوسهم من القتلِ واستسلموا. وفيهم أكثرُ كبرائهم ومشائخهم، فسيقوا في السلاسل والأغلالِ، ونزل بهذه الحروبِ على يافع أليمِ النكالِ، وأطفأ اللهُ نارَ فسادهم، وفلَّ حدَّ عنادهم، ولم يبقَ له بعدَ ذلك تجمُّعٌ مرهوبٌ ولا غزوٌ مرقوبٌ بل كانت قُصارى آمالهم وأعمالهم الانكماشُ في داخلِ بلادهم، والرهبنةُ من حقوقِ جُندِ الإمامِ، واتباعه لهم، إلى أماكنِ رُقادهم، وواجهتْ عقيبَ ذلك قبائلُ الشُعَيْبِ جميعاً. ودخلتْ في الطاعةِ، وأمنَ الأميرُ جميعهم، وأخذَ منهم الرهائنَ وضبطَ الأشرارَ، وأزالَ عن الضعفاءِ ما كانوا يلاقونه من الأضرارِ وصلحت البلادُ، وطُهرتْ من أدرانِ الفسادِ. وعادَ الأميرُ إلى مدينةِ الضالعِ، بعدَ أن أبقي طائفةً من الجُندِ في الشُعَيْبِ لحمايته، وترتيبَ ما يحتاجُ إلى الرُتبةِ من أطرافِهِ.

(١) نسبة إلى سهم القزاعي من قبائل الشُعَيْبِ، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٢١٧ (القبائل تقسم إلى أسهم).

[١] في س، أيام.

وعلى الإجمال، فإنه تمَّ بعونِ الله استفتاحُ هذه الجهاتِ كاملةً في مدَّةٍ وجيزة. وتجلَّى في هذه الحروبِ من كراماتٍ^[١] مولانا الإمام، وقوةُ سَعُودِهِ الخارقةِ ما كان يقوِّي عزائمَ الأنصارِ، ويزيدُ في تيقُّنِهِم بإدراكِ المأمولِ من الانتصارِ، ويغريهم على اقتحامِ لَهَبِ الأخطارِ. وكان الجندُ الإماميُّ مؤلفاً من رجالِ نِهمٍ وخَوْلانٍ وجبلِ عيالٍ يزيدُ وبني عَبدٍ^(١) وغيرهم. ولم يقصِّرْ أحدٌ منهم في أداءِ واجِبِهِ، وظهرتُ فيه الشجاعةُ بأتمِّ مظاهرها لأناسٍ معدودين من الأنصارِ، بذلوا نفوسَهُم في سبيلِ الله وجدُّوا واجتهدوا، ومنهم من رَزَقَهُ اللهُ الشهادةَ، ونالَ رتبةَ السعادةِ.

ولما اشتُهرتْ هذه الوقعةُ، ونكَّسَ اللهُ رايةَ الضَّلالِ في تلكَ البقعةِ، أقبلتِ الوفودُ إلى الأميرِ عمادِ الدين من الأَجْعُودِ^(٢)، وأطاعوا وطرَدوا نصرَ بنَ شايِف من بلادِهِم، وانتموا إلى الإمام، ورأسَلَ الأميرُ سِوَاهُم يبدلونَ من أنفُسِهِم الانقيادَ، مثلَ شيخِ بلادِ العلوي^(٣)، ومثلَ صاحبِ جبلِ رَدْفانِ^(٤)، وهذان بعدَ

(١) بنو عَبد: من قبائل بَكِيل بجوار عيال يزيد وأعمال عَمْران، انظر، نشر العرف، ٣١٩/١، معجم المقحفي ٤٢٤، البدر الطالع، ١/١٣٣.

(٢) الأَجْعُود: قبائل رَدْفان تعرف بالأَجْعُود ومفردها جَعْدِي، ومنطقتها على مقربةٍ من الضالع وقَعْطَبَة من آل قُطَيْب، بها جبل رَدْفان، انظر، الاكليل، ٦٥/٢، تاريخ القبائل اليمنية، ١٣٧ (تضم قبائل، القُطَيْبِي والعَبْدَلِي والبُكْرِي والمُحَلَّأِي والداعِرِي والمزاحِمِي والذِيانِي وأهل الشيخ).

(٣) العلوي: قبائل وبلاد يحدها جنوباً وغرباً منطقة الحَوْشَبِي وشرقاً جبال الضنبري ومركزها القشعة الواقعة في سيلة حردبة، انظر، تاريخ القبائل اليمنية ٢٢٣٠، معجم المقحفي، ٤٦٠.

(٤) رَدْفان: (وبفتح) جبل جنوبي قَعْطَبَة، انظر، معجم المقحفي، ٢٦٦، تاريخ القبائل اليمنية، ١٣٧.

[١] في س، سعادة.

٨٢ / وصولهما إلى الأمير، توجهها إلى حضرة الإمام - عليه السلام - بقصد الزيارة، وتلقاهما الإمام أحسن تلقٍ وعادا مكرمين / إلى بلادهما، واستقرَّ الأمير في الضالَّع مقصودَ الجناب من جميع الأطراف، مُحيياً لما اندرس من معالم الشريعة، ومأحياً لكل بدعة شنيعة.

ووجه مولانا الإمام عمالة الشَّعْب إلى السَّيِّد الأجلَّ محمد بن علي بن أحمد بن إسحاق^(١) فقصد محلَّ عمله، وقام به خير قيام.

وفي أثناء ذلك، كان استيلاء جنود الإمام المنصور على حصن حالمين^(٢) وما حوله من القرى، وضبطُ أمور تلك الجهة، وأخذُ رهائن الطاعة.

ولقد حكى غير واحد، أنَّ مقدار الجيش الذي اجتمع من يافع في حروب القرعة ينوفُ على خمسة آلاف مقاتل، ولم يكن الجيش الإماميُّ على كثيرته مثل نصف جيش الأعداء، ولكنَّ عون الله تعالى رفيقُ حزب الحقِّ. والأعجب من هذا كَلَّة قلة عددِ شهداء المجاهدين في جميع هذه الحروب، مع أنَّ الغالب عليهم في مواطنها ظهورهم للعدوِّ وتحصُّن العدوِّ واستتاره في معاقله وإقدام المجاهدين في تسلُّقهم إلى الجبال، لولا وقاية الربِّ المتعال. وكل ذلك من مظان كثرة الشهداء، وقلة قتلى الأعداء، فانعكاس القضية ليس إلا كرامة من كرامة مولانا الإمام - نصره الله تعالى -.

(١) محمد بن علي بن أحمد بن إسحاق. تولى القضاء في بلاد الرُّوس وبني بَهْلُول سنة ١٣٣٤هـ، ثم عين في بلاد الشُّعْب من نواحي قَعَطْبَة ثم تعين في مأرب وبعدها عُين في رَيْدَة البَوْن وفيها توفي في صفر ١٣٧٩هـ، ومولده بالجراف في شعبان ١٣٠٥هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٣، هجر العلم، ٣٥٨.

(٢) حالمين: من أراضي الضالَّع، انظر، حياة الأمير ٦١٦ بلد وقبائل.

وفيها كان تجمُّعُ ألفافٍ من الأشرارِ حولَ نصرِ بنِ شايف^(١) المخدولِ في أطرافِ بلادِ الضالِج، بعدَ عودِ الأميرِ عمادِ الدينِ إلى النّادرة، وإعانةِ محمدِ صالحِ القُطَيْبِيِّ، صاحبِ بني قُطَيْب^(٢). وكانَ ذلكَ بعدَ مراجعةٍ بينَ المذكورينَ وبينَ الافرنجِ الذينَ بعدن^(٣)، وامتدادهم لهم بالمالِ والسلاح، وتحريضِ غيرهم من المجاورينَ لهم على إعانتهم، فكثُرَ جمعُهم، وحصلَ الإرجافُ بهم من ذوي النفوسِ المريضة. وكانَ المظنونُ أَنهم سيجعلونَ قصدَهُم وموضعَ نزاهمَ جبلَ حرير، فوجَّهَ عاملُ الضالِجِ اهتمامه إلى الجبلِ المذكورِ، وقوى مَنْ فيه من الرُتبِ، فانكشفَ خلافُ ذلكَ؛ لأنَّهم ساقوا جموعَهُم إلى الضالِجِ والجليلة، وقصدوا الاستيلاءَ عليهما، فأما الذينَ توجهوا إلى الضالِجِ، فدخلوا المدينةَ على حينِ غفلةٍ، واستولوا على بعضِ دورِها، واستيقظَ المجاهدونَ لهم، فدافعوهم مدافعةً الأبطالِ وأوقفوهم في الجهةِ التي دخلوا منها، ووقفَ عاملُ الضالِجِ، ومَنْ معه في الجهةِ الأخرى، واشتعلتِ نارُ الحربِ بينَ الفريقينَ، ولم يظفروا بمرادهم من غدرِ المجاهدينَ. وأما الذينَ توجهوا إلى الجليلة، فكادوا أن يستولوا عليها، وقد ملأوا القرىَ التي بينها وبينَ الضالِجِ بجموعِهِم، وناهضَهُم الجندُ الإماميُّ مناهضةً، أبطلتِ سحرَ مكرِهِم، وقلَّلتِ مصابَ غدرِهِم / فأمدَّهُم الأميرُ عمادُ الدينَ بكتائبِ جندِ الحقِّ المنصورِ، وجرتْ بينَ الفريقينَ حروبٌ عظيمةٌ حولَ

٨٣ /

(١) نصر بن شايف بن سيف: أمير الضالِج؛ ابن أخ علي مقبل الذي توفي سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م وخلفه شايف بن نصر الذي فرض العشور وخاصة على منطقة وادي حَرْدَبَة ثم خلفه سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م نصر بن شايف بن سيف انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ١٣٩.

(٢) بنو قُطَيْب. من قبائل رَدْفان (الأجعود)، جنوبي قَعَطْبَة ومن فروعها، أهل الأخرم، وأهل وَحْدَة، العَبْسري وأصْحَفِي والمُسعودي والغزالي والعيساني، انظر تاريخ القبائل اليمنية، ١٥٢.

[١] في س، في عدن.

الجليلة وما وراءها إلى الضالع، ومنح الله المؤمنين النصر العظيم. فانهزم أعوان الكفار، وولوا الأدبار، وقد تركوا قتلاهم في تلك القفار تأكل لحومهم الكلاب، وتتردد عليها الذئاب. وكان عددهم كثيراً، ولم يستقرؤا إلا في المحلات التي خارج الحدود. وفر نصر بن شايف إلى محل غير معلوم، وغنم المجاهدون أثقالهم، وقبل هذا بيسير ظهر من بني أحمد^(١)، والأزارق^(٢) تهاون بالطاعة، وتبين أن من أسباب ذلك قدوم أمير الحواشب إليهم ومراسلته لهم بأنهم من جملة بلاد الحواشب^(٣) ومن الراجعين إليها، مع أنهم من مخلاف جبل جحاف وإليه ينتمون، وفي عداد سكّانه يعدون، فراسل مشايخهم عامل الضالع، واستقدمهم إليه، فوصلوا وحدّتهم فانقادوا، وتبرؤوا من الحوشبي، وأفاقوا من نوميتهم ورهنوا. وبطلت مكيدة أمير الحواشب.

ووجه عامل الضالع همته إلى ترتيب ما يلزم من الجبل، وأهم ذلك حصن المعفاري^(٤) الحصين، وكان ذلك الحصن مطمح أمال المعتدين، وانقضت هذه

(١) بنو أحمد: من قبائل الضالع، الأميري، يسكنون مدينة الضالع وبلاد الشراف وزبيد وفي نواحي الخوارج في الطفواء ووادي حرّدة وخرفة وفي وادي الضيب، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ١٠٦.

(٢) الأزارق: غزلة من ناحية السياني وأعمال ذي سفال، انظر، معالم الآثار، ١٠٩، معجم المقحفي، ٢٦.

(٣) الحواشب: قبيلة وبلاد تجاور قبائل الفضلي وقبائل الصبيحي ودرّفان والضالع، وبها النواحي التالية، الراحة والحرور والدريجة والمسيمير وجول مدرم والملاح، مركزها المسيمير انظر، ملوك العرب، ١/ ٤٥٢، تاريخ القبائل اليمنية، ٦٥.

(٤) آل المعفاري: أصلاً من قبائل حاشد وبكيل، يعيشون في غزلة بني هديان بين جبل المعفاري وجبل جحاف، من أفخاذهم، بنو هديان وبنو جلال وبنو شمس الدين انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ١٠٩-١١٠، معجم المقحفي، ٦١١.

الحادثة بسلام وخاب فيها كيد أعداء الله اللئام.

وفي أثناء شهر شعبان من هذه السنة، وصل إلى حضرة مولانا الإمام الشريف ناصر بن شكر^(١)، من أشرف مكة المكرمة، قادماً بكتب من الشريف الحسين بن علي بن محمد بن عون إلى مولانا الإمام - أيده الله - فحلّ ضيفاً لدن مولانا الإمام، وقابله بما هو فوق مأموله من البر والإكرام، ومكث هنالك إلى أن انقضى شهر الصيام، وكانت بينه وبين الإمام مراجعات، وتحرّرت معه الجوابات، وتلخّصت مطالب الشريف الحسين في خطبة ود الإمام، والاتفاق، وجوابات مولانا الإمام حاوية للرد في ذلك الطلب، وأن سلامة البلاد والعباد من العطب متفقة على إبرام مثل ذلك، وسلوك هذه المسالك، ثم قفل المذكور راجعاً إلى الحجاز، وقد ظفر بمأموله من رحلته على جهة الإيجاز.

وفي شهر رجب من هذا العام، تحرك الشيخ عوض بن علي زربه، شيخ مشايخ الرُّكْب^(٢) من قضاء زبيد، وذو النفوذ القوي في وصاب السافل، والمذكور ممن بادر إلى الطاعة عند دخول جنود الإمام إلى القضاء المذكور، ولوحظ فيه شخص الناصح الصادق، ولكنها كذبت فيه المخيلة، وانقلب على عقبيه، وظهر بمظهر الغاش المنافق، فاعتدى على الطريق المسبلة، ونهب أموال التجار، وأعلن الخلاف، وسوّل له الشيطان أن يكون من ذوي الاعتساف، وحمل أصحابه أهل الرُّكْب غارب العدوان، وظنّ أنه لن يُقدّر عليه، وأنّ غيره من أهل قضاء زبيد/ سيتابعونه على هواه، فيشتعل بذلك قضاء زبيد ناراً، ويتعدّز / ٨٤

(١) ناصر بن شكر: أحد أعضاء مجلس الشيوخ الذي شكله الشريف حسين في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤هـ، أكتوبر ١٩١٦، انظر، أسرار الثورة العربية لأمين سعيد، ١٢٨ .

(٢) الرُّكْب: جبال تطل على زبيد من الشرق، تسكنها قبيلة الرُّكْب، انظر، اليمن الكبرى، ١٦٩، المدارس الإسلامية، ٩٣، العقود اللؤلؤية، ٩٣/١ .

الإصلاح والتأديب له ولأمثاله تراخيا وبداراً، وراسله عامل زبيد ونصحه، ووكل باستصلاحه حاكم قضاء زبيد، لما كان ما بينهما من الصلابة والمودة، فخرج إليه الحاكم وعدلته. وبالغ في استنزائه عن هواه، وعاد خائباً، فرفع عامل زبيد حقيقة الواقع إلى حضرة مولانا الإمام - عليه السلام - حاثاً على إرسال المدد. قبل أن يتسع الخرق على الراقع، فأرسل مولانا الإمام الأجناد المتتابعة إلى وصاب العالي. وقد كان الخلاف انتشر إلى أكثر وصاب السافل، وأمر مولانا الإمام السيد العلامة، عبدالله بن أحمد الوزير أن يرسل جنداً من البلاد التي بنظره، فامثل الأمر وساق جنداً من البلاد العُثمانيّة وعُنى إلى وصاب السافل. وصدر الأمر الشريف إلى الأمير السيد جمال الدين علي بن عبدالله الوزير بتجهيز الأجناد من تعز إلى زبيدان ليكون اجتماعهم مع مَنْ في زبيد من الجنود الإمامي، وليأتوا جميعاً بلاد الرُّكْب من الجهة المذكورة. فاستنفر الأمير جمال الدين القبائل، وجمع الأجناد الوافرة ممن لديه من العسكر الإمامية، ومن أهل البلاد، وجهّزهم إلى زبيد تحت قيادة الشيخ حمود عبد الرب عامل العُدَيْن والشيخ حميد بن علي باشا^(١) من مشايخ العُدَيْن، والسيد عباس بن محمد بن المنصور^(٢) والسيد محمد بن مفضل الوزير ولما اجتمعت الأجناد واستكمل امرأه جمع ما يلزم للجنود من الزاد والزناد، تقدّم الجيش الإمامي من زبيد إلى أن وصل قرب الرُّكْب. وكذلك كان تقدّم الجيش الإمامي من وصاب العالي نحو وصاب الأسفل تحت قيادة حاكم وصاب السيد هاشم بن يحيى المرتضى،

(١) حميد بن علي باشا ٣ رجب ١٣٤٦ هـ حاول الانفصال في زبيد وإقامة دولة، وعين نفسه وزيراً للخارجية، من أقطاب مشايخ اليمن الأسفل، عينه الإمام علي ماوية، انظر، حياة الأمير، ٥٥٠ .

(٢) عباس بن محمد المنصور، حوله انظر، حياة الأمير، ٥٥٦، ١١٩ .

وعاملٍ وُصَّاب السافل، الفقيه سعيدي بن أبي بكر معوضة^(١)، وجرت حروبٌ بين الفريقين في الجهتين، فيها كلها كانت الدائرة على البُغاة، ولاقوا من جند الإمام بطشاً أحرَمَ كلاً منهم مُناه، ونفى عنه لذيذ كراه، وهجمت عليهم المصائب هجوماً الليث الموائب، وقُتِلَ من الباغيين في إحدى المعارك نحو الخمسين، وانتهى حالُ عوض علي زربه إلى فراره بعد أن هلكَ حزبه، وجرَّعهم الكربة بعد الكربة، واستولى المجاهدون على حصنِ عَوْض علي، وما فيه، وأخربوا بيوتَه وأحرقوا قرى عديدة، وكذلك كان حالُ الجيش المتقدم من وُصَّاب، فإنه بطش بالمخالفين، وأذاقهم مرارة الحرب العوان والعذاب الممين إلى أن التقى الجيشان في الرُّكْب، وقد دُلِّلَ كلُّ صعب، وكانت الغنائم عظيمةً والمنَّةُ بهذا النصرِ جسيمةً، وبعد ذلك نودي بالأمان/ لمن عادَ من الفارين إلى الأوطان. / ٨٥

فأقبلَ أهلُ تلك الجهة إلى الطاعة سراعاً، ورَّتب عاملُ زبيد حصنَ الرُّكْب بثلة من جند الحق، وعيَّن مولانا الإمام أميراً على الرُّكْب سيدي زيد بن علي بن الإمام المتوكل، وارتفعت الأجنادُ بأمرِ الإمام من هنالك، وعاد كلُّ فريقٍ إلى بلادِهِ، وقد أحرزوا الذِّكرَ الحسن، وفازوا بما قدَّموه من السعي المستحسن.

وفي أثناء ذلك، تزلزل الأمن، واضطرب في جبلٍ راس، وكان عاملُ جبل راس الشيخ الجنيد بن عبد الله النور، قد رتب بعض جهاتِ الجبل، ومقابلة الشيخ مقبل عبد العليم. وقد جرى قبل الاختلال اغتيال بعض المجاهدين وقتلهم، فوجه عاملُ زبيد القاضي فتح الله بن عبد الوهاب المحبشي، ومعه طائفة من الجند الإمامي، فلبث الحرب بينهم وبين أهل الفساد ثمانية أيام،

(١) سعيدي بن أبي بكر بن محمد بن الحسن بن علي بن سعيدي معوضة اليمني العُثماني الشافعي ت في صنعاء ١٣٣٧ هـ، كان صالحاً أديباً، وقد تولى أعمال ناحية عُثْمة وغيرها، انظر، نزهة النظر، ٤٥ .

وأصيب من المفسدين جماعة كانوا أهلاً لكل إراعة، وقُتِلَ عددٌ من المجاهدين، ثم مآل المخالفون إلى الطاعة، وندموا على ما فعلوا. وتداركوا لأنفسهم رمت السلامة بذلك الانقياد، وفارقوا الرقاعة، ورهن الشيخ مقبل المذكور ولده، وزال الضرر واندفع الشر، ولم يبق في قضاء زبيد ما يريب، وصلحت الأحوال بعون ذي الجلال الرقيب.

ولما توجه أكثر الجنود من تعز إلى زبيد، بقي الأمير في قلعة من العسكر، ولم يكن حيثئذ إحساس لأقل شر، فاغتنم ذوو النفاق فرصة تلك الحال، وأوحوا إلى شياطينهم ما أوحوا من شر الأقوال، فلم يشعر الأمير، وهو بتعز مقيم، إلا بما كان من أهل صنمات^(١) من البغي والعدوان ومتابعة الشيطان^(٢)، وإقدامهم إلى اغتيال العسكر، الذين وصلوا إليهم مرسلين من السيد حسين جبالة^(٣)، وإليه في تلك المدة جمع واجبات الجبل أعني جبل صبر، وكانوا نحو الأربعين نفراً، فإنها سَوَّلت لهم أنفسهم الشيطانية الإقدام على العسكر المذكورين واغتيالهم أقبح اغتيال، والتمثيل بهم بعد التآلي منهم على ذلك، وكانت فتكة شنيعة اضطرب بها جبل الأمن في جبل صبر جميعه لا في صنمات فقط، وتحير الأمير جمال الدين لقلعة من لديه من الجنود، وخطر الحال وما رآه من الجدد، وقد أظهر أولو النفاق ما في ضمايرهم من الإفساد، وأكثروا الإرجاف والإبراق والإرعاد، فلم تكن لديه من وسائل الدفاع غير الفرع إلى الله تعالى، والابتغال إليه في حفظ بيضة الإيمان بكمال الانقطاع، فأرشدته الله إلى توجيه من لديه من الجنود، وهم

(١) صنمات: في جبل صبر، تقع بين أدود وحذنان ومشرعة، انظر، معجم المصحفي، ٣٧٨، حياة الأمير، ١١٩.

(٢) حسين محمد جبالة، عامل صبر، بعد موقعة صنمات عين عاملاً لشرع، وتولى عدة عمالات بماوية بعد سنة ١٣٦٠هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٤٧.

[١] سقطت من س.

عصاة غير كافية، وساق معهم أحد المدافع السريعة فارتقوا سنام الجبل إلى أن وصلوا / المحطة التي كان فيها السيد حسين جباله، وبوصول تلك العصاة ٨٦ / إلى المحطة توقف الاختلال وانحصر على صنمات. وأمر الأمير جمال الدين، عامل إرب، بإرسال الرجال من هنالك. فلم يمض غير أيام قلائل إلا وقد وصلت إلى تعزيز الجنود من إرب وسواها، وكلما وصلت طائفة أرسلها الأمير مدداً للسابقين، فاجتمعت العساكر في الجبل، ووجه الأمير همته إلى إمدادهم بما يحتاجون إليه من الذخائر والأزواد، وأناط كل طائفة بأمر وأحكم في ذلك التدبير، ثم أمر الجيش بالتقدم من جهات متعددة على صنمات والباغون قد تحصنوا في محلاتهم، وهي في غاية الحصانة والمناعة وأبنيتها تناطح النجوم رفعة، وتماثل الجبال تشييداً وإحكاماً، وقد استعد المخالفون، وجمعوا كل ما يحتاجون إليه من الأقوات، وحدثوا أنفسهم بأنهم سيُدافعون الجند الإمامي سنة، إذا لم يقدروا على صدّهم وطردهم عنهم، ولتانة البناء في بيوتهم كانوا يرون أن المدافع لا تؤثر فيها، فأقبل إليهم الجند الإمامي كالسيل المتدافع، وفتح الحرب عليهم، وضربت دورهم بالمدافع، فهدمت منها المشيد وأسمعتهم من أصواتها صوت الصواعق المبيد. وبادرتهم الجنود كالعقبان الكواسر بالهجوم، لا يُبالون بما يمتطرونه عليهم من رصاص بنادقهم ولا بما يرسلونه من الأحجار إلى أن قبضوا بعض الدور، وأجلوا من فيها، وانحصر الباقون في باقيها، فعلموا حينئذ أنهم لا طاقة لهم بالصبر على هذه الحرب الضروس، ولا بملاقاة هجمات المجاهدين، وقد أنزلوا بهم كل بؤس، وقتلوا منهم عدة، وأخذوا منهم بشار من قتلهم غيلة في أوجز مدة، فدافعوا عن أنفسهم إلى أن أسبل الليل أستار ظلامه، وانسلوا من طرق لا يعرفها سواهم، وقد ذاقوا مرارة الندامة ولاذوا بالفرار وتركوا المال

والدَّارَ، وتفرَّقوا شَدَرَ مَذَرَ، وهكذا عاقبةً من بغى وفجر، وفعل ما لا يفعله من جحد وكفر، واحتوى المجاهدون على أموالهم وأرضهم وقراهم، واستأذنوا الأميرَ في قلعِ قاتِهم وهو شيءٌ كثيرٌ، فاستأذن الأميرُ من مولانا الإمام، ووردَ الإذنُ بذلك مبالغةً في النكايةِ وزجراً لغيرهم عن مثل ما ارتكبه من العمالية، / فقلعوه من أصوله، ثم أمرَ مولانا الإمامُ بهدم دورهم التي كان بها جرأتهم على العصيان، وفعل ما يغضبُ الرحمن، وشدَّ الإمامُ في ذلك، فمكثت أيدي الخرابِ تعملُ في تلك المباني مدةً غيرَ قصيرةٍ إلى أن ألحقت بالعدم، وطويَتْ من صحيفةِ الوجودِ الأتم. وبعدَ فرارهم، ظنوا أنهم سيتمكّنون من إنزالِ الضَّررِ على المجاهدين بالطروقِ ليلاً، والتردّدِ في تلك الأطرافِ، فضُبِطت الأطرافُ، ولفظتهم الأطرافُ^[١] جميعها، فلم يتوصلوا إلى شيءٍ^[٢] مما أُمِّلوا^[٣]، وتيقظوا أن لانجاةَ لهم بدونِ الاستسلامِ للحقِّ؛ فراسلوا يطلبون الأمان، وقد عزَّ لديهم السلوان، واقتضى رأيُ الإمام - عليه السلام - اسعافهم وتأمينهم، فرجعوا إلى ديارهم، وقد صارت بلاقع، وعرفوا أنهم صاحوا على أنفسهم صيحةَ الدمارِ الفاجع، ونبدوا النعمةَ بطراً، وجلبوا الشرَّ إليهم أشراً^[٤].

وأذن مولانا الإمامُ لهم بعمارةِ مساكنَ لهم تليقُ بهم، وانقضت فتنتهم التي أحرقتهم، وصلحت الأحوال، وعادتِ الأمورُ إلى مجاريها بفضلِ الربِّ المتعال.

وفيها صدرَ الأمرُ من مولانا الإمامِ إلى الأميرِ جمالِ الدين بتشكيل آلاي من النظام في تعز، يكونُ جمعهم من سكانِ كَوَاءِ تعز، والآلاي أربعةً طواير، والطايرُ تشتملُ على أربعةِ بلوكات، والبلوكُ عبارةٌ عن مئة. وهذه الأسماءُ من مصطلحاتِ الأتراك، كما أنَّ اسمَ النظامِ منقولٌ عنهم، وإن كانَ لفظُهُ عربياً،

[١] في س، الجهات. [٢ - ٢] سقطت من س. [٣] في س، أثرأ.

فقد أُطلقَ وأُريدَ به غيرُ معناه الأصلي، ونُقِلَ إلى معنى التجنيدِ على صفةٍ مخصوصةٍ، تشتملُ على إلزامِ الجندي بتمرينِ بدني يُكسِبُه قوةً في بدنه ومهارةً وتدريباً على القتالِ قبلَ حضوره ومشاهدته لمعاركِ الحروب، وتعلّمه ضوابطَ كليةٍ فيما يجبُ عليه لأمره ومغزاها حسنُ الامتثال، وفَهْمُ أصواتِ النفيرِ الكبيرة وما تشتملُ عليه من الإشاراتِ، وفائدةُ ذلك إبلاغُ الأمرِ المرادِ إلى أَسْماعِ الطائفةِ الكبيرة بدونِ تعبٍ ولا استغراقِ وقتٍ، ولا يخفى ما في ذلك من الفوائدِ العظامِ في حالِ الحروب، وتمكُّنُ مديرِ دَفَةِ الحربِ من إفهامِ الفيلقِ العظيمِ مراده في أسرع وقتٍ، وفوقَ ذلك أنه يبقى الجنديُّ النظاميُّ مُرابطاً دائماً، فيمكنُ تجهيزُ الألفِ منهم في سُويعاتٍ لأنهم على أهبةِ العزمِ دائماً. ولما في ذلك من الفوائدِ العظيمةِ أقبلَ مولانا الإمامُ على تزييدٍ / عددِ النظام، وتعميمِ ٨٨ / ذلك في البلادِ الإمامية، فباشَرَ الأميرُ جمالُ الدين جمعَ النظام، ودخلَ فيه عددٌ من أبناءِ الأعيانِ. ولم تمضِ برهةٌ وجيزةٌ إلّا وقد انتظمَ المرادُ، وتألَّفَ الجهدُ المطلوبُ المستجاد. ورأينا منهم بلوكاتٍ في صنعاء من خيرة الرجالِ يؤدُّونَ وظائفَهم على غايةٍ ما يُرام. وكان ذلك المنظرُ أوَّلَ ما وقعتُ العيونُ على مثله منذ مئاتِ من السنين، لأنه لم يعهدْ ظفرُ العيونِ برؤيةِ جنديٍّ في صنعاء وجهاتها، أفرادُه من جبلِ صَبَرٍ والعُدينِ والحُجرية، وأمثالِ هذه البلادِ، كلُّ ذلك من تمكينِ الله سبحانه لمولانا الإمامِ وإعانتِهِ على ما حمَلَهُ من المحافظةِ على ديارِ الإسلام، وكذلك صدرَ الأمرُ الشريفُ إلى السيدِ الأميرِ^[١] فخرِ الدين عبدِ الله بنِ أحمدَ الوزيرِ في تأليفِ جيشٍ نظاميٍّ من سكانِ الجهاتِ التي بنظرِهِ وتحتِ إمارتِهِ، وتمَّ ذلك بعونِ الله سبحانه وحسنِ تيسيره.

وفيهَا أمرَ مولانا الإمامُ باعتقالِ السيدِ العمادِ يحيى بنِ ناصرٍ

[١] في س، العلامة.

شيبان^(١) وإيداعه إلى دارِ الأدبِ بالقصرِ السعيد، وكان ذلك بعد أن طلبه الإمامُ إلى حضرته الشريفة، وألزمه بالمحاسبة على ما تولاه من الواجبات، وكانت البلادُ التي تحتَ نظره حَجَّةً وبلادَها جميعاً وكُحْلانَ تاج الدين وبلادَه، وقضاءَ كوكبان ما عدا شَبَّام، وما إليه، فظهر التكلُّوفُ عن ذلك، معذراً بعدم وجودِ دفاترِ الحسابِ لديه، وأنها في مكانٍ عملِه بحجَّة، فلم يأذنْ له الإمامُ بالعزمِ قبلَ إجراءِ الحسابِ، ومضتْ أشهرٌ، وهو يحسبُ عدمَ الإذنِ له عذراً. ومولانا الإمامُ يرى أنَّ ذلك اعتذارٌ غيرُ ناهضٍ لتمكنه من جلبِ الدفاترِ إليه، وعدمِ احتياجه بالذاتِ إلى العزمِ لإيصالها بنفسِه، فكان ما ذكرناه من اعتقالِه. ولما بلغَ إلى أخيه السيدِ محسنِ بنِ ناصرِ شيبانِ باعتقالِ أخيه، وكان أخوه قد استنابَه على عملِه، وهو مقيمٌ بحجَّة، حَمَلَه النزقُ وعدمُ التجربةِ للأُمُورِ على إعلانِ العصيانِ، والخروجِ عن طاعةِ أُمَامِه. وصادفَ ذلك تجمُّعُ ألفافٍ من حاشدِ أشهرٍ من يُعرَفُ فيهم الشيخُ محمدُ بنُ غالبِ القديمي، وهم نحوُ أربعِ مئةٍ، وقد توجَّهوا قاصدينِ النزولَ إلى تُهامة، للوصولِ إلى الضالِ الإدريسيِ ناجمِ تهامة، والانضمامِ إلى جنده تهاوناً منهم بالدينِ، ورغبةً فيما يبذلُه لهم الضال من الحطامِ، فكانوا على مقربةٍ من حَجَّة، ولذلك دعاهم السيدُ محسنٌ إلى نصرته / ٨٩

(١) يحيى بن ناصر بن أحمد بن ناصر بن اسماعيل الملقب، شيبان: ت ١٣٤٤ هـ، كان أميراً على حَجَّة، وتصدر للتدريس في كُحْلان، كلفه الإمام سنة ١٣٢٣ بتحصيل زكاة بلاد حَجَّة وكُحْلان والمَحَويت وبلاد كوكبان، طلبه الإمام للمحاسبة فاعتذر بأسباب غير مقبولة، فحجزه الإمام حتى يتم الحساب، إلا أن أخاه محسن استولى برجاله على بعض حصون وقلاع حَجَّة، وبرغم وساطة عبد الوهاب الشماحي استمرت الفتنة حتى قضى عليها سيف الإسلام، أحمد، ولد في ظفير حَجَّة سنة ١٢٩٨، انظر، نزهة النظر، ٦٤٧، ائمة اليمن، سيرة الإمام يحيى، ٦٠ / ٢، هجر العلم، ١٣٣٥.

ومكّنه من مدينة حَجَّة ونعمانها وذخيرة الإمام ومدافعه، وأظهر الانتماء إلى الأدرسي الضال، وقصد بذلك المسكين الانتقام من مولانا الإمام؛ لإيداع أخيه دار الاعتقال، ولم يكن الظنُّ به أن يتجاوزَ حدَّ الطاعة والانقياد إلى كُفْرِ نعمة مولاه، والدخول في زُمرَة أهل الفساد، ولا كان ذلك مما يُرضي أخاه المعتقل. وهو يعلمُ أنه في قبضته الإمام ولا ينجيه من الاعتقال إلا استرضاء مولاه لا اسخاطه وجفاه. ومن المعلوم أن خُطْبَ أخيه كان يسيراً، فلم يُعتقل إلا لأجل الحساب لا لذنْب جنّاه - فيما نعلم - يسلبُ النعمة ويجلبُ العقاب، ولكنّ المذكورَ بفعله القبيح عَظُمَ ذنبه، وكاد أن يغلقَ عليه لدن الإمام باب التوبة، وجلبَ على نفسه وذويه نكبات الزمان وطوارق الحداث. فإنه لما بلغ إلى مسامع مولانا الإمام ما جرى، وتيقن أن الرعاع من حاشد قد ملكوا معقله وذخيرته، وصاروا يعبثون بأموال الله، اهتمَّ لذلك اهتماماً عظيماً، وجَهَّزَ إلى حَجَّة جيشاً أصحابهم المدفع الأبوس، وأمرَ على الجيش المذكور عز الإسلام محمد بن^[١] محمد زبارة^(١). ورافقه عن أمر الإمام الشيخ حزام بن عبد الله الصعر. فتوجّه الجيش المذكور إلى حَجَّة، ونهض مولانا سيف الإسلام، أحمد بن الإمام بجندٍ عظيم من شهارة، وأقبلَ مسرعاً للغارة، فالتقى الجيشان هنالك، وأحاطا بِحَجَّة ونعمانها^(٢) إحاطة الهالة بالقمر، وجرت بينهم وبين الباغين

(١) محمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله زبارة ت ١٦ ذي الحجة ١٣٨٠ هـ، المؤرخ المعروف، فقيه، عالم، تولى للإمام يحيى العديد من الأعمال، كالقضاء وأمور قبض الزكاة وسفيراً مندوباً عن الإمام، طبعت مؤلفاته مبكراً، وتنقل وسافر كثيراً، وهو أشهر من أن يُعرف، ولد بصنعاء في رمضان ١٣٠١ هـ، انظر مؤلفاته وأعماله التي تفيض بها المكتبة العربية.

(٢) حصن نُعمان: من حصون حَجَّة المنيعة، على ربوة بالجنوب من المدينة، انظر، معجم المحققي، ١٥٨، ٦٦٩، معجم الحجري، ٢/ ٧٣٤، اليمن الكبرى، ١١٩-١٢٠.

[١] في س، محمد بن محمد بن يحيى زبارة.

حروبٌ في نهايتها كَانَ التوسُّطُ على خروجِ القديمي^(١) أو السيدِ محسنِ شيبان ومن معهم من البلادِ، وتسليمِ ما في يد السيدِ محسن من الأموالِ والذخائرِ إلى يدِ مولانا ابنِ الإمام. وتمَّ ذلك بعونِ الربِّ العلَّام.

وأمرَ مولانا سيفُ الإسلام، بهدمِ بيتِ السيدِ العمادِ يحيى بنِ ناصرِ شيبان في مُبَيِّن^(٢)، فذُكَّ إلى القرارِ، وعَفِّي آثارُ الإمارةِ^[١] الشيبانية. وقد كانتْ شاحخةَ البناءِ في تلكِ الجهاتِ، قائمةً على أساسِ متين من المعالي، وحُسنِ الثباتِ مدةً طويلةً، تناهزُ العشرين من السنين، ولم يكنْ لذلكِ سببٌ سوى ما ذكرنا من هفوةِ السيدِ محسن وحماقته، فهي التي جرَّت هذه المصيبات.

واستقرَّ مولانا سيفُ الإسلام بِحِجَّةَ^[٢]، وجُعِلت بنظره، فوطىء أكنافها ومهَّدَ أمورُها، وحَزَمَ أطرافُها، وأذَلَّ المتعجرفين، وقمَعَ بآسِه وكياستِه صولةَ المنحرفين، وانتصفَ للمظلومين من الظالمين، وعاقَبَ من تظاهروا بنزولِ تُهامَةٍ من القبائلِ^[٣] وغيرِهِم، وكان مَنْ قبلَه يتساهلون في ذلك، والتساهلُ مجلبةُ الازديادِ. وما انفكَّ ساهراً في افتقارِ الأحوال، ورفع كلِّ اختلال.

/ ٩٠

وكان مولانا سيفُ الإسلام، أحمدُ بنُ أميرِ المؤمنين - حفظه الله - قد استنابَ في شُهارةٍ للقيامِ بأعمالِها سيدي عز الدين، محمدَ بنَ محمد الكبسي، صهرَ مولانا الإمام، فقام بذلك خيرَ قيامٍ،^[٤] وحُدِّثَ سيرتُه، واشتهرتْ يقظتُه^[٥]،

(١) المقصود شيخ قرية القنابع من الضامر من نسل أحمد القديمي الحسيني التهامي، وهو محمد بن غالب القديمي.

(٢) مُبَيِّن: جبل مُبَيِّن فرع من جبل مَسُور، والمدينة مشهورة، معجم المقحفي، ١٥٨، اليمن الكبرى، ١٢١، معجم الحجري، ٦٨٨/٢.

[١] في س، العمارة. [٢] في س، في حجة. [٣] في س، النقائل. [٤ - ٥] سقطت من س.

فأقره مولانا الإمام على ذلك العمل، وثبت فيه قدمه ثبوتاً وافق الأمل.

وفي هذه السنة كملت عمارة دار الفتوح بمحرويس بئر العزب، وأرخ إكمال عمارتها سيدي العلامة علي بن حسين بن عبدالله الشامي صهر مولانا الإمام بقوله:

[الخفيف]

نعمت الدار هذه أن منها	نشر عدل بطي دفع الشرور
دار نصر تزيّنت بإمام النسا	س أبقاه ربنا في حبور
فهو شمس مزيل ديجور ظلم	وأعادييه في عذاب السعير
قد تسامت إذ كان تاريخها د	ار فتوح بنعمة وسرور ^[١]

وفيها قبيل شهر رمضان، كرّر مقادمة مولانا الإمام الذين بصعقان، طلب الإذن لهم بزيارة أولادهم، فأذن لهم جميعاً ما عدا السيد الأمير عبدالله بن أحمد الوزير، فإنه بقي في صعقان امتثالاً لأمر مولانا الإمام.

وفي ذلك التاريخ، وصل إلى الحضرة الشريفة الشيخ عبدالله بشر مراجعاً في أمور ناحية متوح، وشاكياً من حاكمها السيد محمد بن قاسم الظفري وناسباً إليه تنفير الرعايا، وعدم ملائمة أحوال الناحية لما هو عليه من السجايا، فمكث زماناً في المقام حليف إكرام، وأسفرت المراجعة بينه وبين مولانا الإمام عن إسعافه بتعيين سيدي عباس بن علي بن أحمد بن إسحق عاملاً^(١) وحاكماً

(١) عباس بن علي بن أحمد بن محمد بن اسحاق: عالم، شاعر، أديب، تولى للإمام يحيى أعمالاً كثيرة كان مساعداً للعلامة أحمد بن يحيى عامر في بلاد خولان ثم تولاهَا وامتد نفوذه إلى سنحان وبلاد الرؤس وبني بهلل ودمار ويريم، تولى قيادة جند الإمام سنة ١٣٢٩ هـ لمحاربة الأتراك، وبعد صلح دغان، عمل كاتباً عند الإمام يحيى ثم عاملاً مع حراز، توفي بعدن سنة ١٣٦٥ هـ، ولد سنة ١٣٠٧ هـ. انظر نزهة النظر، ٣٢٧، هجر العلم، ٣٥٧-٣٥٨.

[١] دار فتوح بنعمة وسرور هي ١٣٣٨ بحساب الجمل.

على ناحية صَعْفَانَ، وعيّن معه كاتباً الحاجّ علي صلاح الدين، وتوجّه العامل المذكور بصحبة الشيخ عبد الله بشر إلى صَعْفَانَ.

وهناك قام السيّد العباس بنشر العدل، والتزام سهولة الحجاب ولين الجانب، وإرشاد الناس بالمواعظ الناصحة إلى الطريقة الراجحة، وأنيطت به جميع أمور الناحية: أعمالها وإمارته من فيها من الجند الإمامي. وبوصوله إلى الناحية كان الإذن للأمير سيدي عبد الله الوزير، فقوّض خيام الإقامة من هنالك قاصداً/ ٩١ حضرة مولانا الإمام، ومنها توجه عائداً إلى محلّ عمله، بعد لبثه أياماً، زوّده مولانا الإمام في أوقاتها ما يجب عليه أتباعه فيما بنظره من الأعمال.

وقبل عزمه من صَعْفَانَ، قد كان من الشيخ عبد الله بشر التماس تفريق العسكر في جميع صَعْفَانَ معللاً ذلك بالتخفيف على الناس ورعاية التسوية بينهم. فكان من السידين اسعاف المذكور إلى ما أراد، ولم يعلم بما قد أظهره من الخداع والإفساد، وسيأتي - إن شاء الله - بيان ما انطوى عليه الشيخ المذكور من الخبث والدهاء.

وفيها كان تعيين النقيب أحمد بن يحيى حبّيش عاملاً على المَحْوِيت وبلاده، وجبل حُفّاش وما إليه، وتعيين القاضي لطف بن محمد الحيمي^(١) لحكومة حُفّاش.

وفي أوائلها صار تعيين الفقيه محمد بن عبد الله الشامي عاملاً على ناحية حَيْس، والقاضي محمود بن محمد الزبيري^(٢) لحكومتها، وتعيين القاضي

(١) لطف بن محمد بن حسين بن أحمد بن ناصر الحيمي ت في شعبان ١٣٧٩ هـ، درس بجامع صنعاء وكان قاضياً في عَمْرَان، ثم حاكماً على حُفّاش، ولد بصنعاء سنة ١٢٩٤ هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٩٠، حياة الأمير، ٥٨٤.

(٢) محمود بن محمد بن أحمد بن لطف الباري الزبيري ت ١٣٤٧ هـ، تولى للإمام يحيى القضاء في بلاد حَيْس والمخا، وتولى بعض أعمال التجارة وعين كاتباً في المحكمة الأولى لصنعاء، ولد بصنعاء ١٣٠٢ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٨٧، حياة الأمير، ٦٠٠.

عبد الرحمن بن أحمد المعلمي^(١) الشافعي حاكماً لناحية شرعاً.

وفيها أيضاً وفد إلى الحضرة الشريفة الشيخ قايد صالح مقبل^(٢) ابن أخي الشيخ محمد ناصر مقبل، مراجعاً للإمام في تقرير أمور قضاء القماعة وأعماله وبعد مفاوضة طويلة استقدم مولانا الإمام سيدي شرف الإسلام، حسن بن عبد الوهاب الوريث^(٣) من دمار إلى صنعاء، ووجه الإمام - عليه السلام -، إلى عهده حكومة القضاء المذكور والإشراف على واجباته، وأقر الشيخ محمد ناصر مقبل على العمالة، وكان قد طعن في السن، ووصل في شيخوخته إلى حد الهرم، وأسند الإمام عمالة جبل الحشا إلى الشيخ قايد صالح المذكور، وعمالة ناحية سبرة^(٤) إلى القاضي عبد الله يونس^(٥)، وحكومتها إلى السيد يحيى بن حسن الوريث، وقصد المذكورون أعمالهم.

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن محمد المعلمي العُثماني ت سنة ١٣٤٠هـ، عالم، شاعر، أديب، تولى القضاء في بلاد الحَجَرِيَّة وإب وحراز ورداع وحبيش وعُتْمَة في العهد العثماني، وزار استانبول مرتين تولى القضاء في عهد الإمام يحيى في المخا وشرعاً، ولد بعُتْمَة سنة ١٢٨٦هـ، انظر نزهة النظر، ٣٣٣.

(٢) قايد مقبل صالح الصراري: ت ١٣٤٢هـ، عُين على قضاء ماوية حاكماً، قتله آل هريش انظر، حياة الأمير، ٥٨٣.

(٣) حسن عبد الوهاب الوريث: ولد جمادى ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م، عالم، شغل عدة محاكم في رداع، وعين سنة ١٣٣٧هـ عين لقضاء القماعة، ١٣٣٨هـ، ثم إب وتوفي في دمار، ٢٢ ذو القعدة سنة ١٣٥٣هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٤٣.

(٤) السبرة: ناحية من نواحي قضاء القماعة ثم من ذي السفال، آخر نواحي اللواء التعزي شمالاً بشرق، انظر، معجم المقحفى، ٣٠٣، حياة الأمير، ٦٢١، معجم الحجري، ٤١٥/٢.

(٥) عبد الله بن محمد يونس، علامة، أديب، شاعر، حاكم حبيش ثم حاكم المخا ثم لواء تعز، انظر حياة الأمير، ٥٦٧.

وفيها وفد إلى الحضرة الشريفة جماعة من أعيان لواء تعز، منهم القاضي عبد الرحمن بن علي الحداد^(١)، وأخوه القاضي أبو بكر بن علي الحداد^(٢)، والسيد أحمد بن علي عبد الجبار^(٣)، والقاضي عبد العزيز بن يحيى المجاهد، فتلقاهم الإمام - عليه السلام - أحسن تلقٍ، وقابلهم بالجميل الأوفى. وكان الخوض بينه وبين الإمام فيما يكون به الصلاح. ويستطيل به نور الفلاح، وأسفر ذلك عن تعيين القاضي عبد الرحمن حاكماً على تعز، وتشكيل مجلس تدقيق للأحكام هنالك، قوامه من القاضي المذكور رئيساً، ومن القاضي عبد الدائم السادة^(٤) والقاضي محمد بن علي بن عبد الكريم المجاهد^(٥)، والقاضي اسماعيل بن

(١) عبد الرحمن بن علي بن ناجي الحداد ت ١٣٤٠ هـ، تصدر للافتاء في إب، ثم حاكماً على تعز، سافر مع وفد العلماء إلى اليمن سنة ١٣٢٥ هـ، حارب مع العثمانيين، عينه الإمام قضاء تعز ثم رئاسة محكمة الاستئناف، من مؤلفاته، «الارشاد في الحث على الجهاد» ابطال فيه دعوة الادريسي للجهاد، وتحفة الأصفياء في إثبات كرامة الأولياء، ونظم الاختيارات الأمامية المتوكلية، انظر نزهة النظر، ٣٤٧.

(٢) أبو بكر بن علي بن ناجي الحداد ت ١٣٥١ هـ، عالم كبير، تولى منصب الافتاء في قضاء إب، وحاكماً شرعياً لمحكمة تعز إلى عام ١٣٤٧ هـ، ثم الحديدة، ولد عام ١٣٠٧ هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٢٦، نزهة النظر، ٣٩.

(٣) أحمد بن علي بن عبد الكريم عبد الجبار المجاهد ت ١٢ ربيع الأول ١٣٦٧ هـ، تولى القضاء في سنة مبكرة، مدير المدرسة العلمية في تعز، حارب مع العثمانيين في عدن، ولد سنة ١٣١١ هـ، انظر، هجر العلم، ١١٧٨.

(٤) عبد الدائم بن محمد بن عبد الله بن يوسف السادة، عالم فاضل، كان يسكن الذراع، كان حياً سنة ١٣٥٧ هـ، انظر، نشر العرف، ٨٠٦/١، هجر العلم، ٧١٠.

(٥) محمد بن علي بن عبد الكريم بن عبد الجبار بن محيي الدين المجاهد ت ١٣٨٧ هـ، عالم في الفقه والأصول واللغة، تولى القضاء في قضاء الحجرية، ثم قضاء تعز، ثم مفتياً للواء تعز، ولد سنة ١٣٠٣ هـ، انظر، هجر العلم، ١١٧٧.

عبدالرحمن الذينبي والقاضي حسن بن علي المغربي^(١) أعضاء، وتعيين القاضي
عبدالعزیز المجاهد عاملاً على جبل صبر والقاضي / أبو بكر مفتياً في قضاء / ٩٢
إب، ورَّتب لهم مولانا الإمام المقررات الشهرية.

وفيها أيضاً كان تعيينُ السيد محمد بن عبد الله بن الإمام من ذرية المولى
علي بن المتوكل على الله إسماعيل^[١] الساكنين في جبلة، حاكماً على جبل صبر.

وفيها أيضاً كان تعيينُ الشيخ محمد بن حسان عاملاً على ناحية شرع،
والشيخ عبد الله عثمان عاملاً على ناحية مقبنة من أعمال لواء تعز. وتعيين السيد
ناصر الدرة^(٢) حاكماً لِناحية وصاب السافل، والقاضي أبي الخير المزجاجي^(٣)،
مفتي الحنفية سابقاً، وأحد علماء زبيد حاكماً في جبل راس.

وفيها ظهر الاختلال في بلاد الطَّعام^(٤) من أعمال جبل ريمة، وأعلن في

(١) حسن بن علي بن حسين المغربي، ناب عن والده بمحكمة الاستئناف الشرعية
بصنعاء، ودرس في مسجد الفليحي، نصبه الإمام للتدقيق في عموم أحكام البلاد
التعزية، ولد بصنعاء سنة ١٣٠٨ هـ، انظر، نزهة النظر، ٢٣٣.

(٢) ناصر بن حسن بن ناصر بن حسن الدرة ت ١٣٧٦ هـ، نشأ بمدينة عمران، وتولى
حاكماً لِناحية وصاب السافل ثم قضاء عمران ثم في جبل بُرع وعين في محكمة
الاستئناف، انظر، نزهة النظر، ٦١٧.

(٣) أبو الخير المزجاجي، عبد الرحمن بن عبد الله الصديق بن الزين المزجاجي، تولى القضاء
في العهد العثماني في بيت الفقيه ثم يريم، ثم عضواً في محكمة الاستئناف بصنعاء وتولى
القضاء في اللحية والافتاء في الحديدة، انظر، هجر العلم، ٢٠٢٩.

(٤) بلاد الطَّعام: ناحية من ريمة، يتبع ادارياً محافظة صنعاء، وبلاد الطَّعام تلحق بها
عشرة عُزل منها، عُزلة بني حسن وبني وقيد والعساكرة، انظر معالم الآثار، ٣٧، اليمن
الكبرى، ٥٧، صفة جزيرة، ٢٠٥، ٢٠٨، ١١٩، صفحات مجهولة، ٢٢، معجم
المقحف، ٢٨٣.

[١] في س، إسماعيل بن القاسم.

الضالع كبيرُ شيوخها الخلاف، وجلبَ بغاةً تُهمّاةً إليه، وطارَ شرُّ الخلافِ إلى جميعِ عزلِ بلادِ الطُّعام. ولم يكنْ في رَيمَةَ جندٌ يقومُ بدفعِ هذا الحادث، ويرفع خطبَه الكارث، فاستمدَ عاملُ رَيمَةَ السيّدُ الهمام محمد بن علي الشامي مولانا الإمام، فأمدّه بجندٍ كثيفٍ.

ولما وصلَ إليه الجندُ، بادرَ إلى المخالفين بالإعذارِ والإنذار، فالتزموا جانبَ الإصرار، وانقادوا للأشرار، فباشرَ حربَهُمْ وجَرَدَ هَمَّتَهُ لتنكيلهم وضرِبهم، وجعلَ قصده ديارَ مَنْ تولى كِبَرَ الخلافِ، وساقَ قومه وأصحابه إلى حفرِ الاتلاف، فجرتْ بينَ الفريقين حربٌ ضروسٌ، هاجمَ فيها المجاهدون الحصونَ، وأنزلوا بالمخالفين ريبَ المنون، واستولوا على البلادِ وطهروها من ذوي الفسادِ، وأحرقوا بعضَ قراها نكايةً بالأعداءِ، واحتووا على غنائمَ كثيرةٍ، وفرَ الباغون من تلك الديار، وندموا ندامةَ الفرزدقِ حينَ طَلَّقَ النوار.

ثم راسلهم عاملُ رَيمَةَ بالرجوعِ إلى الطاعة، فأسرعوا إليها منقادين في أقربِ مدّة، وأدركوا بذلك ما يرومون من الفرجِ بعدَ الشدة، وكانت القتلى من الفريقين غيرَ قليلةٍ، إلا أنها من الباغين أكثر. ولم يحملهم على الخلافِ سوى أنهم بالقربِ من بُرْعِ وبلادهم متصلة به، فسوّلت لهم أنفسُهم نكثَ عهدِ الطاعةِ والخروجَ عن سننِ الجماعةِ، فلم يظفروا بما أرادوا، وخيَّبَ اللهُ منهم الآمال. وعادت الأحوالُ إلى ما كانت عليه من قبل الاختلال.

وفيها وصلَ إلى حضرة مولانا الإمام عليه السلام السيّدُ الأجلُّ عليُّ بنُ حسين بن الإمام من ساداتِ جِبَلَةِ زائراً، فاقتضى رأيُ مولانا الإمام اسنادَ حكومة ناحية جِبَلَةِ إلى عهديه، لمكانِ كفايته وأهليّته، فحمِدَ فيها منابُه، وارتفع

بذلك جنابُهُ.

وفيها أيضاً كان تعيينُ القاضي محمد بن علي الصديق حاكماً بناحية
المخادر/ وفيها، في شهر ذي القعدة الحرام، ظهرت مكيدةُ الشيخ عبد الله بشر / ٩٣
إلى حيز الوجود، وطُوقَ مدّمتها إلى يوم النشور^[١]. فقد ذكرنا ما كان من
الإحسان إليه من الإمام واسعافه بكلِّ مرام، وذلك لظنِّ أنَّ مراده صلاحُ
الأحوالِ والتخفيفُ على الرعايا في تخطيط الجند، ولم يكن مراده ذلك، ولكنه قد
عرفَ استيحاش حاكم صَعْفَانَ منه، وكذلك عامل حرّاز أنها قد أخذوا من
أعماله الحذر، وكان ذلك دأبهما، وعلم بذلك، أنه لا يتمُّ له مع أشرافهما ما دبره
من الغدرِ والمكايد فسعى، في ما ذكرناه، من التبديلِ وتعيين سيدي عباس بن
علي وإنشطة الأمور به حقيرها والجليل، ولم يكن سيدي عباس بالغرّ الذي
ينطلي عليه زخرفُ الخداع والتمويه، لولا أنَّه عرف أنَّ المراد من تعيينه الإصلاحُ
وترك الشدة واستعمال اللين، فكان ما ذكرناه من تفريق الأجناد في جميع صَعْفَانَ
بعلّة التهوين والتسوية بين الرعيّة في الخطاط، وعقيب ذلك، كان التمويه من
المذكور بقصد إخفاء ما يجري بينه وبين محمد طاهر، رئيس أصحاب الضال^[٢]
من المكاتبَةِ بأنَّ حسنَ للعامل إجراء المكاتبَةِ بينه وبين محمد طاهر المرقوم في
موادِّ من الصّلاح، فظفر الشيخ المذكور بمراده من ستر مكائده، وإخفاء
شبكات مصائده، وكانت المكاتبَةُ تجري بواسطة السيد مساوي بن عبد الرب،
ولا علمَ لديه بما في خلدِ القوم من الغوائل، وما قد نصبوه للمسلمين من
الخبائل.

وأما السيد محمد مساوي، صاحبُ شويح، فلم يكن بريئاً من المشاركة،

[١] في ص، الشهود. [٢] في س، الضال ابن ادريس.

والله العالم بالسرائر، وما أخفَّته الضمائر، ولما أجمعوا على الغدر واستكملوا أسبابه، أضرَموا تلك النار الدفينة، وأعلنوا ما في قلوبهم من الغدرِ اللعينة، فلم يشعر من في القرون^(١) من الرتبة إلا بهجوم الأعداء عليهم، وهم لا يشعرون بما أجمعوا عليه من الوثبة، فأمدَّهم العاملُ بعصاية من النظام، وكتب إلى بني جرير بالأمَداد لهم، فأجابوه أنَّ طائفة من الأعداء قد وصلوا إليهم، وأهل العارضة^(٢)، ومن الأعداء طائفة قد اغتالوا من في حصنِ غراس^(٣) وأسروهم، وهم ثمانية وعشرون نظامياً، وظهرَ حينئذٍ أنَّ قد اجتمع بنو سعد وأهل مدوَل والطرف والعارضة وبنو جرير وبنو إسحق وكثير من قبائل القُحري، ومن أرسلهم محمد طاهر قائد الإدريسي من باجل من قبائل المسارحة^(٤)، وحاشد وبرَّع إلى نحوسته آلاف مقاتل، وأقبلوا إلى صَعْفَانَ، فغشوه من كلِّ جانبٍ في يومٍ واحدٍ.

وعند الصِّدام قابلهم أهل صَعْفَانَ بالاندماج فيهم، وأعلنوا الخلاف، وأظهروا الانتماء إليهم، وأشعلوا نيرانَ الفتنة، ووثبَ جميعهم على الأنصار، فنجا

(١) قرون: من صَعْفَانَ.

(٢) العارضة: في اليمن كثير منها عُزلة من مخلاف العَوْد وأعمال النَّادِرة، وأخرى من حُبَيْش وأعمال إب، وعُزلة من مخلاف صُهبان وأعمال ذي السُّفال، وعُزلة من بني سرحة من ناحية المَحَادِر، وقرية في جبل كَوُكبان، انظر، نشر العرف، ٢/ ٢٨٤، ٣٦٨، ٤١١، معجم المقحفي، ٤٧٨.

(٣) الغراس: جبل وناحية من بني حِشْيَش، تابعة لقضاء صنعاء، في سفح ذي مرمر انظر تاريخ اليمن الثقافي، ٢/ ١٠٨، اليمن الكبرى، ٧٢، معجم الحجري، ٢/ ٦٢٢.

(٤) المسارحة: من قبائل تُهامة في ناحية أبي عريش، انظر، معجم المقحفي، ٥٩٠، معجم الحجري، ٢/ ٧٠٧.

العاملُ ومنْ معه إلى حصنِ مَتَوْحَ، وكان الشيخُ عونُ الدين أحمدَ مساعدَ،
والشيخُ حسين بن عبد الله الصعر والشيخُ حسين بن ناصر الغزي في بيتِ
الشيخ عبد الله بشر، ومعهم عصابةٌ من أصحابِهِم، فنصحهم بالخروجِ من بيتهِ
والالتحاقِ بمن في مَتَوْحَ.

٩٤ / / ولما خرجوا من بيته، ووصلوا إلى طرفِ المحلِّ، وثبَّ عليهم أهلُ الجبَّانةِ
مع مَنْ وصل إليهم من الطَّغاةِ، وكانت الحربُ بينَ الفريقين بينَ أشجارِ البنِّ،
فقبضَ الأعداءُ على الغزي وعشرةٍ من أصحابِ الصعر، ونجا الشيخُ حسين
الصعر بنفسه هو والشيخُ عون الدين ورفقته، وأسَرَ الأعداءُ ثلاثةَ عشرَ نفراً من
النظامِ وخَوْلانِ الشامِ في حصنِ أَعْتامَ، ومن في بني جرين من أنصارِ الحقِّ
تخيروا إلى المغاربِ بعد حربٍ بينهم وبينَ أهلِ البلادِ وغيرهم من الواصلين
إليهم، وتقدَّم أهلُ القُحري وبنو جرين إلى ربعِ المغاربِ، وطمعوا في استيلائهم
على مدفعِ الإمام، وكانَ في أكمةٍ خليفة^(١)، وقد وصل وقتئذٍ من لَدُن عاملِ حَرَّازِ
أولُ غارةٍ مؤلفةٍ من الشيخِ ناصر بن حسين الأحلسي والشيخِ محمد بن غالب
خليل وعصابةٍ من أهلِ حَرَّازِ، فلم تكنْ بالنافعةِ، ولم تزدِ القومَ إلا خبالاً، بل
غايةً ما حصلَ منهم الإعانةُ لمن بقيَ عندَ مدفعِ الإمامِ على إطلاعه إلى حصنِ
القاهرة.

وقد كان من الشيخ محمد بن علي الرماح ومن بقي معه من أصحابه النظام
المدافعة عنه بآتم جدٍ ثم فرَّ الأكثر من النظام وجميع أهل حراز إلى مَنَاحَةِ، إلَّا
الشيخَ ناصرَ بنَ حسين الأحلسي، فبقي لَدُنَّ العاملِ في مَتَوْحَ، واجتمعَ أهلُ
صَعْفَانَ مع الجيوشِ الباغيةِ التهاميةِ، وظنُّوا أنهم قد عَصَمُوا^[١] من طوفانِ
الدولةِ العلويةِ، وأنَّ مددَ الكافرِ سيحولُ بينهم وبين سيفِ الله الباتِرِ لكلِّ غادرٍ

(١) أكمة خليفة: أكمة لآل خليفة من رَدَّاع، انظر، اليمن الكبرى، ٦٦ .

[١] في س، عصموا أنفسهم.

وماكر. ونزل الشقيُّ عبدالله بشر بستِّ عشرة رهينة إلى باجل، وضعها في المدفع ولوازمه، وأطلعه إلى محلِّ الجروح^(١)، ورمى به يوماً واحداً إلى القاهرة ومَتَوَحَّ، وأخبرَ بعض من حضرَ لديهم من أهلِ صَعْفَانَ، أنَّ عبدالله بشر كان يعطي الطبشية على كلِّ ضربةٍ خمسةَ رِيالاتٍ بغشيشاً، ووصلَ رئيسُ جيش الأدريسي الشريفُ حسن مُصادم ومعه العزي عطا إلى الجروح، وكان معظمُ جيش الأعداء في محطةِ الشرفِ الأعلى، ومعهم بنو جرِين، والبغوي وأصحابه من القحري في جبلِ شُعَيْب، وهم نحوُ ألفٍ، وأكثرُ القرى مملوءة من العساكر.

وفي أثناء ذلك أجمعَ رأيهم على منازلةِ حصنِ مسار^(٢)، فأرسلوا لذلك الأمرِ أهلَ العارضةِ وبني سعد والطرف، وكثيراً من أهلِ صَعْفَانَ مع عقائهم: أحمدُ محمد بشر وصالح علي الوصابي وإبراهيم أحمد عاقل بلادَ الطرف، وأحمد ثابت عاقل العارضة، وإنما قوي طمعهم في مسارٍ ما حصل من انخداع^[١] علي فقيه صاحبِ سيفٍ من مَسَار، ومحمد عمر عاقل بيتِ شمran^(٣) وأخيه، فإنهم قصدوا جيزانَ وطلبوا إرسالَ جيشٍ معهم، والتزموا للطاغي بالحصن، وأمر الإدريسي مَنْ بَصَعْفَانَ^[٢] بإسعاف المذكورين، فكان ما ذكرناه من إرسالِ أهلِ صَعْفَانَ وَمَنْ إِلَيْهِمْ، فهاجموا ستَّ قَرْى من غربي مسار، وهي من بني حجاج إلى المعاجلة^[٤] إلى أكمةِ شيبان، وانتهبوا ما في / المعاجلة، وطمعَ الأعداءُ في قطع الطريقِ الموصلةِ إلى مَتَوَحَّ، وأخذَ الحصنَ أو^[٣] حصارٍ مَنْ فيه، ولاختلاف

/ ٩٥

(١) الجروح: بلد من ناحية صَعْفَانَ وأعمال حراز انظر، معجم الحجري، ١/ ١٨٣، ٢٥٤ ووردت الجِرْوَح .

(٢) حصن مَسَار: غرب شيام عَمَّره علي بن محمد الصليحي، في جبل حَرَّاز، مَسَار عَزْلَة وناحية انظر صفة، ١٣٣، قرة العيون، ٢٤٣، اليمن الكبرى، ٥٩، المدارس الإسلامية، ١٠٥، معالم الآثار، ٧٧، الصليحيون، ٧٦، معجم الحجري، ١/ ٢٥٤ .

(٣) بيت شمran: من قَرْى عَزْلَة مَسَار، انظر معجم المحقفي، ٥٨٩ .

[١] في س، الخداع. [٢] في س، من في صعفان. [٣] في س، وحصار.

[٤] لعلها المعاصرة.

المذاهب في حراز حصل الزلزال وأرجف بعضهم على بعض بالمقال.

ولما بلغ هذا الخبر إلى الإمام -عليه السلام- وقد جعل الله الأقدار طوعاً
يمينه، وكتب على عدوه النكال من وقت انحرافه وجنبه^[١]، بادر إلى تجهيز أمير
الجيش المظفر الشريف عبد الله بن محمد الضمين، وخمسة بلوكات من النظام،
وأمر حاكم العرّ بالعزم فوراً إلى محلّ الحادثة مع مَنْ يجتمع معه من أهل الحيمة،
فأعلن للناس نفيهم للجهاد، وبادروا إليه من الأغوار والأنجاد، وتوجه إلى
حراز، ومن هنالك عزم هو والأمير على البدار إلى رفع الحصار عن مسار، فإنه
كان من العدو قبل ذلك مضايقة مَنْ فيه من الرتبة والمتابعة عليهم بالوثبة في
أثر الوثبة، ولم يظفروا منهم بطائل، بل عادوا بالخيبة حتى إنَّ الرتبة تمكنوا من
قطع بعض رؤوس المهاجمين وإذاقتهم مرارة العذاب المبين، ولما وصل الأميران
إلى حول مسار، رأياً أن يكون من أمير الجيش ومن معه توجيهُ الهمم لرفع
الحصار عن متّوح، وحاكم العرّ ومن معه يقومون بدفع مَنْ في مسار.

فتقدّم كلُّ منهما إلى عنوته، وما وصل حاكم العرّ إلى أكمة شيبان إلا وقد فرّ
المخدول علي فقيه السنفي، ومن أجلب بهم ليلاً إلى الجياري وأكمة عاصم
وحصن أعفاد، فتقدّم أهل الحيمة عليهم، وجرت الحرب بين الفريقين،
واستمرّت إلى آخر النهار، ثمّ هجم المجاهدون على المحلات فأخذوها عنوةً،
وفرّ الأعداء منها، وانحدروا إلى الوادي، وغنم المجاهدون منها كثيراً من البقر
والغنم والحبوب، وأبقى المقدّم رتبة في الجياري^[٢]، وجمع أصحابه في المعاجلة،
وأحرق القرى الآخرة. وأما أمير الجيش والنظام، فإنه نهض إلى الأعداء إلى أن
وصل إلى الربا. ومن هنالك تقدّم على محطة الشرف الأعلى، وناهض مَنْ فيها،

[١] في س، وحينه. [٢] الجياري.

وقد علمتُ أنَّ مَنْ فيها هم حماة جيش الإدريسي وأبطاله، فتابع النظام عليهم الهجوم، وزلزلوهم بإقدامهم المعلوم، ولكنهم دافعوا عن أنفسهم، فرجع النظام إلى المربا، وقد أصيب منهم عددٌ من الجرحى.

قال حاكم العرّ -حفظه الله- إنه في تلك الفينة، وهو يعمل الفكرة مع أمير الجيش فيما يكون به زلزلة جيش الإدريسي، وضععةً عدوان أهل البلاد، إذ وصل إليه تلغرافٌ من الإمام، ومن جملة ما فيه: أنَّ الحرب خدعةٌ خدعةٌ ثلاثاً، فقال: اللهم يسّر لي الخدعة. وأرسل حينئذ الحاج المجاهد محمد بن عبدالله السريحي والشيخ أحمد بن محمد مداعس / مع سبعين رامياً سريةً إلى النوبة، وهي قرية تحت الشرف الأعلى من الجهة القبليّة، وفيها من الأعداء مئة وخمسون رامياً، فحين أحسوا بالسرية، بادروها بالرّمي، فلم يُجِبْهم من السرية أحدٌ، بل استمروا في سيرهم وتسليقهم تلك الحيود، وهم صامتون إلى أن وصلوا قريباً من النوبة، واجتمعوا ورموا بما في أجواف بنادقهم دفعةً واحدة. وهجموا على القرية، وأكثروا من الضوضاء، بمثل: «أضبطوهم»^[١] لا يفلت منهم أحدٌ، فخارت قوى مَنْ فيها من الأعداء، وداخلهم من الفشل عُضالُ الداء، ففروا على وجوههم جميعاً، واستولى المجاهدون على القرية، وكانت أوّل الفتح، فإنّ الأعداء علموا بذلك، أنّ مدة إقامتهم قصيرة وقوّتهم لا تقوم بما يرمون من الخطة العسيرة.

وفي اليوم الثاني، تقدّم حاكم العرّ بمن بقي معه من طائفة الحيمة إلى شرقي متّوح، وخطّط أصحابه في الهجرة ومال إليها، ووصل بنفسه إلى أمير الجيش للمراجعة في الرأي إلى المربا، ونزل للمبيت في الهجرة أيضاً، فسمع رجلاً من

[١] سقطت من س.

المكارمة يقول: لو تكون الخالفة من المرزمة لظهورها على قرى صَعْفَان، فقال الحاكم: رمية من غير رام. وبعد الاستخارة، انتدب الشيخ المجاهد أحمد بن حسين السلامي، وعريفه الأجوب هادي صلاح مريط ومعهما نحو تسعين نفراً لا غير ويسّر الله من دهم على الطريق، فوصلوا المرزمة بعد العشاء، وقد تدلّت أستار الظلام وشملهم من عناية الله والطفه تحية وسلام، ففاجأوا أهلها ومن عندهم من الأعداء بالحرب بغتة، ورموا بالبنادق من شوارع المحل، فهام من فيها على وجوههم، وكانوا عصابة يسيرة، لأن أكثر القوم الذين كانوا فيها قد طلعوا شعيب، وما فوقه لحصار حصن القاهرة التي فيها المدفع، ومن القرية المذكورة يساق إليهم الزاد والماء، وتيسر للمجاهدين الصعود إلى سطوح البيوت، فرموا إلى كل جهة من جهات صَعْفَان لظهورها من هنالك، فعن يسارهم المغارب وعن اليمين الزعلا والجرواح، وبقية القرى بين ذلك، وصاحوا بأصواتهم العالية. وصادف في تلك الحال كثرة رمي الشهب في السماء إلى جهة الغرب كثيراً، وحكى أهل الهجرة وهوزان^(١) أنهم سمعوا الأصوات في تلك الليلة، والمناداة بلفظ: يا متوكلاه! ولم يكن الصوت يُسمع من هنالك إلى جهتهم، ورأى قبل تلك الليلة الفقيه الفاضل عبد الخالق بن غالب بن علي القانص في منامه أنه خرّ نجم من السماء، فلما وصل إلى قرب محلهم، انقلب ذلك النجم في صورة رجل شايب، قال: فسألته: من تكون أيها الرجل؟ قال: أنا النصر، قال: وأين تذهب؟ قال: مع سيدي إسماعيل يعني حاكم العر، وهذه الرؤيا وما قبلها معدودة من كرامات مولانا الإمام -عليه السلام- وما له عند الله من المكانة، وعلو المقام^(٢)، وقد تقدّم بيان مقدار جموع الباغين في

٩٧ /

(١) هوزان: ما ورد هوزن، من مخالف حراز، انظر، معجم المقحفي، ٦٨٥، صفة، ١٢٣، معجم الحجري، ٢ / ٧٦٠، الاكليل، ٢ / ٢٤٥.

[١ - ١] سقطت من س.

هدد، انتورة، وأنهم يناهزون ستة آلاف مقاتل، وأنهم اجتمعوا في ظرف ثلاثة أيام، لأنه انكشف حصول التآلؤ على الفساد، ومجانبة طريق الرشاد من الباغي بشر وأهل البلاد من قبل نزوله من صنعاء، وطلوعه إلى الحضرة الشريفة، إنما كان مقدمة لذلك العمل، وشروعاً فيما قصدوه من الزلزل، وقد سبق أيضاً أن هذا الجيش المعتدي كان مفرقاً في قرى صَعْفَان، وله محطات متعددة، فلما شاهدوا الرمي من المرزومة واشعال النيران ظنوا جميعاً في كل محطة أن القدم عليهم خاصة. وكثر الله المجاهدين في أعينهم، ولم يعرفوا مع ظلمة الليل قدر عددهم، وقد رافقهم نصر الله، ﴿وَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^[١]. فأما المحيطون بحصن القاهرة من الأعداء، فلم يبق لهم غير الحرب في جنح الليل خشية من انقطاع الطريق وحصول التعويق، فخرج المجاهدون المحصورون من الحصن: محمد بن علي الرماح، ومحمد بن حسن البروي، وبعض الرتبة من بني مطر وتبعوهم، وقبضوا في تلك الحال محل العيَّان^(١). وأما من في القرى، فصاروا كلهم يرمون إلى جهة المرزومة حتى بقيت أصوات البنادق لعدم انفصالها مثل صوت دوران الرحى، وانضم إلى ذلك صياح الرجال وبكاء النساء والأطفال، فكانت ليلة يساق إليها الحديث لم يشاهد مثلها في القديم والحديث هرجاً ومرجاً، ونيراناً وشرجاً وجولاناً ورهجاً. ولم يكن هم الجميع من أهل البلاد وجيش الأعداء غير النجاة، والخروج من المعقل إلى الفلاة، ورأى المجاهدون الفوانيس والمشاعل من كل محل منحدر في ذلك الظلام، وصار الجيش وأهل البلاد يتسابقون في الطرق على غاية من الازدحام، ويقصدون وادي حار ومدول وبني جرير والحجيلة، والمجاهدون

(١) عيَّان: قرية من غزلة الثلث، بجبل حراز، انظر، غاية الأمان، ٧٧٣/٢، معجم المحقق، ٤٧٥ ووردت العيَّانة.

[١] سورة: البقرة، ٢٤٩.

يصوّبون رصاص بنادقهم إلى تلك المنارات، وهم يسمعون من رهج أولئك ما تذهل له العقول، وقد عمّهم الرعب، فكلُّ يريد أن يكونَ هو الأوّل في فراره، فأصبحت القرى خاليةً، وقد حلَّ أهلها في الفيوش، لم ينجم من بأس الله مدافع الكفر ولا الجيوش، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وما بقي للخائن الغادر في موارد الهلاك من قوة ولا ناصر، وأما الشيخُ عبدالله بشر فإنه بقي مضطرباً في أمره إلى أن طلع ابنُ زُكا، وخرج من بيته يتوكأ الله على العصا مشيعاً بالبكاء، ولم يخلص من أيدي المجاهدين / إلا بمدافعة حسين الغزي عنه، لأنه ٩٨ / لما أسره الأعداء يوم وصولهم إلى صَعْفَانَ أبقاه الشيخ المذكور عنده، فكافة حسين الغزي بالمداغة عنه ومحاربة المجاهدين عند هجومهم عليه حتى نجا بنفسه وأهله، ولا يحقُّ المكر السيء إلا بأهله، وكانت عاقبة أهل صَعْفَانَ مع بشر أسوأ عاقبة، وهل جزاء البغي إلا مثل ما أصابهم بقوة الله الغالبة، فإنه بعد خروجهم من بيوتهم المشيدة، ونزوحهم عن جناهم النضرة وعروشهم الممهدة إلى خبوت^[١] تهامة وفيافيها، واضطجاعهم على الصعيد الحارفي موانيها، صدق عليهم قوله تعالى: ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون، ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾^[٢]. وكان بعد هذا الجلاء دخول المجاهدين، ومن ورد من أهل حِرَاز تلك القرى والحصون، وفتحوا من المنازل كلَّ مقفل مصون، وانتهبوا ما فيها من الأمتعة والخبايا المتنوعة، وامتلات الطرقات من صَعْفَانَ إلى مناخة للغادي والرائح، وشبعت الطيور والوحوش من الطوائج^[٣]، واشتغل القوم بتلك الغنائم بعد أن بددت أيدي النوى والبغي أهلها في خبوت التهائم، ولم ينبج من الهرب والانتهاج إلا

[١] في س، جنوب.

[٢] سورة الشعراء، ٥٧.

[٣] في س، الطوائج.

الشيخ عبدة بن حسن قاسم وأصحابه سكان جبل بني عرّاف^(١)؛ لأنه لم ينخدع للأعداء اختياراً بل داراهم اضطراراً، ولم يرهّن أحد أولاده، ولما أحسّ منهم بالانهزام، أمر أولاده وأهل محله بإغلاق الحصن والبيوت وبكر بالعقير إلى متّوح، ملتمساً رأي الأمان، فأسعفه المقادمة إلى ذلك، وأرسلوا معه رتبة إلى محله من أصحابه بني القانص^(٢)، ودلّ على سلامة طويته أن في أثناء الخلاف أخذ مكوّناً من المجاهدين، والتزم للأعداء بحفظه، فعالجه وقام بكفائته حتى عافاه الله، وسلّمه إلى المقادمة، ولو بقي أهل القرى في محلاتهم لكان إيسافهم بالأمان من حضرة مولانا، أمام الزمان، ولتمكّنوا من صيانة أموالهم وبلادهم، وتخفيف ما ذاقوه من الهوان، لكنّ ذنوبهم سبقت، وجرائثهم على حزب الحق أوبقت ونعمة بطروها فأبقت، وهم في غفلتهم نائمون، ﴿وما كان ربك مهلك القرى إلا وأهلها ظالمون﴾.

ومما كان به لديهم مضاعفة الندم، وجلبُ الجمع الغفير إلى بلادهم على الساق والقدم مصادفةً زمن/ فرارهم قرب حصول ثمرة البن، فدخل المجاهدون البلاد والثمار قد حان أو أن قطافها، وهي دانية الجنان لمن يريد اقتطافها، فأقبل الناس إليها من كلّ صوب، وشرعوا في أخذها، لكنّ مولانا الإمام، لما بلغ إليه ذلك الحال صدّر أوامره بمنع الناس عنها والمحافظة عليها، والمناداة بأنّ من عاد من الرعية إلى داره وأطاع، كان تسليم أمواله إليه بلا نزاع، ومن بقي على إصراره وفراره كان جمع ما يحصل من ثمرة بنه لبيت المال، فهو

(١) بنو عرّاف: عُزلة من ناحية صَعْفَان وأعمال حراز، انظر، معجم الحجري، معجم المقحفي، ٤٣٦.

(٢) بنو القانص: قرية في جبل مَسَار بحراز في رأس نَقِيل وِسَل، انظر، معجم الحجري، ٥٠٤، معجم الحجري، ٢/ ٦٤٥.

أحقُّ بذلك وأولى من الأهدار وعلى هذا المنوال كان العملُ، ورجعَ بذلك الأكثرُ من الرعيّة، واستبدّوا بأموالهم، وجمعَ من تلك الأموالِ لبيتِ المالِ حظٌّ وفير، والذي تناولته الأيدي كان كثيراً، وقد حكى غيرُ واحدٍ من أهلِ صَعْفَانَ، أنَّ ثمرةَ هذا العام، كانت مما لم يعتادوه في الكثرة والإصلاح منذ أربعين سنة.

وعلى الجملة، إنها تضاعفت على أولئك الحمقى المحنة بما جنته أيديهم من الخروج عن طاعة الحق وإثارة الفتنة.

ولما انجلت حقيقة الحال للأعداء، وعلموا مقدار الجيش الإمامي الذي فرّوا من أمامه، وخرجوا من أماكن رُقادهم خيفةً من هجومه وإقدامه، تيقنوا أنَّ ذلك الرُعب الذي نزلَ بهم من بأسِ الله وانتقامه، وعضوا على نواجذهم تأسفاً، وقرعوا سنَّ الندامة تلهفاً، ووصلت إليهم أوامرُ الضال الأدرسي بالعودِ إلى صَعْفَانَ، وأمدّهم بما أمدَّ به من عبدة الصليبان، فتحشدوا^[١] وتجمعوا وأعادوا الكرة بعد الكرة، وتقدّموا على المغارب مرّةً بعد أخرى، وكلّما تقدّموا إلى محلّ ثبت لهم المجاهدون، فتكون الدائرة عليهم وينهزمون وبلغت عدّة القتلى منهم في هذه الحروب الأخيرة في المغارب نحو مئة قتيل، وفي أكمة خليفة قُطعت رؤوس عشرة منهم، وأسّر منهم في قرية الذباح ثلاثة من المسارحة.

واسْتُشهدَ من الأنصارِ أهل الحَيمة الشيخُ مبارك بن حسين السلامي، وآخرون، رحمهم الله تعالى. ثم تقدّم المجاهدون على بني جرّين وطرّدوا الأعداء منها، وأحرقوا أكثرها وعادوا إلى المغارب، وداخل الأعداء عظيمُ الوهن بعد تلك المضارب.

وأنجزَ الله وعده، فحزبُ الله هو الغالبُ، وفشا الموتُ فيمن بقي في تُهامة

[١] في أ، فتجمعوا.

١٠٠ / من أهل صَعْفَانَ / وَمَذُولَ والطَّرَفِ ومن إليهم، وأهلك الله الشقيَّ عبدَ الله بشر وابنه الصغير في تلك الأيام بباجِل، وانتقم الله منه، فأتلف نفسه وأمواله^١ وعدوا من أهله^٢، ونعوذُ بالله من سوء الخاتمة، والوقوف بين يدي الجبار بنفوس ظالمة.

وفيها كانت حادثة الأزارق، وخلاصتها: أنَّ الأزارق عُزِلَ كبيرةً كانت من قبل مضافاً إلى أعمال ناحية ذي شراق^(١)، فلما قوي ساعدُ الشيخ محمد بن ناصر مقبل في أيام الحكومة العثمانية، ضمَّها إلى أعمال القماعة، وأقبلت دولة الإمام وهي كذلك، وقد ضعفت صَوْلَةُ الشيخ محمد ناصر مقبل، فمال أهلها، لأمرٍ ما، إلى النقيب حسن بن قاسم أبو راس^(٢)، وأرادوا الانفصال عن قضاء القماعة، ولما كان عملهم هذا ممالاً موجباً له، لاستواء الحال بين أن يكونوا من قضاء القماعة. أو من ناحية ذي سُفال، وكان السكوت عن أمثال هذه النزعات داعياً إلى رجوع تسلُّط ذوي النفوذ على الضعفاء أمرَ مولانا الإمام بمنع النقيب حسن بن قاسم من الخوض في هذا الموضوع، وإبقاء العزلة المذكورة منوطةً بالقماعة، فلم يكن من آل أبوراس الاذعان، وقاموا بالترتيب في محلات شتى، وأحاطوا بالعزلة المذكورة، وعُدَّت هذه الحركة من آل أبو راس كمبادٍ للخلاف، وسلوكٍ غيرٍ محجةٍ الإنصاف، وصدر الأمرُ من الإمام بتأديبهم إن لم يُقْلَعُوا، فساق الأميرُ جمال الدين^[٢] عليهم الجيوش من كلِّ جانب، ونهض حاكمُ القماعة إلى الأزارق بعصايةٍ وافرةٍ من الجند، فرتبها جميعاً، ولم يكن بين الفريقين حربٌ، بل استمرت المراسلة، بين الأمير وآل أبو

(١) الشراقي: عُزِلَ في وصاب العالي، انظر معجم المقحفي، ٣٤٩، والشراقي من حجة، انظر، معجم المقحفي، ٤٤٩ / ٢ .

(٢) حسن قاسم أبو راس: من كبار مشايخ بكيل، كان يسكن الحورى من اليمن الأسفل، كان عاملاً لحدير، تزوج علي بن عبدالله الوزير ربيته فاطمة، انظر، حياة الأمير، ٥٤٤ .

[٢] في س، الجمال علي بن عبدالله الوزير.

[١ - ١] سقطت من س.

راس أياماً، وهم يغالطون ويتهيئون الاقدام إلى الحرب ومنها يتخوفون، وفي النهاية أرسل الأمير جمال الدين عصابة كبيرة من الجند الإمامي تحت إمرة السيد حسين جبالة، وكان في ذي سَفال، فتوجَّه بهم إلى الحوري^(١) محلُّ أبو راس، واستولى عليه بدون حرب، وحين علموا بذلك أسقط في أيديهم، ورفعوا رتبهم وانقادوا للحق، وامثلوا بما أمرهم به مولانا الإمام، وانحسرت هذه الحادثة بسلام، وكانت قد تطاولت إلى إثارة نارها أعناق ذوي النفاق والخصام.

قلت: وقد تمَّ بما سردناه من الوقائع العظام بيان ما حصل في خلال هذا العام.

وكانت تَرِدُ إلى المولى الإمام في كثير من الحوادث الأشعار ما بين تهاين حسان،^١ وتسليية عند وقوع شيء من طوارق الحدَثان، ومدائح مقبولة لدى الأعيان، إلا أن بعضهما استولت عليه أيدي الضياع، وبعضها، وإن كان / ١٠١ جليلاً برفعة شأن من سبق إليه، ليس بحري بالإيداع، وما وقفت عليه للفقير الذكي أحمد بن صالح الجلال^(٢) قوله مادحاً للإمام - عليه السلام - من قصيدة طويلة مطلعها:

- الرمل -

أَجَيْنُ خَالِصٌ لَمْ يَشِبْ أَمْ قَضِيبٌ حَسَنٌ مِنْ ذَهَبٍ
أَمْ رِيَاضٌ ضَحَكَتْ أَزْهَارُهَا وَغَدَّتْ أَغْصَانُهَا فِي لَعَبٍ

ومنها واصفاً للقهوة المشهورة المتخذة من قشر البن، وقد تخلص بذلك إلى المديح لمولانا الإمام:

(١) الحوري: موضع في الجهة الجنوبية لمدينة ذي سَفال انظر، معجم المقمض، ٢٠٠.

(٢) أحمد بن صالح بن سعيد الجلال البهلوي ت بصنعاء ١٣٥٥ هـ، فقيه شاعر، هاجر إلى الإمام المنصور بالله سنة ١٣٠٩ هـ، وتولى قبض الزكوات من بني بهلول، مادح، يتكسب بشعره، ولد بصنعاء سنة ١٢٨٥ هـ، انظر، نزهة النظر، ٧٧.

[١ - ١] من عبارة «تسليية عند وقوع شيء حتى عبارة وتوفي بهذه السنة» سقطت من س أي حوالي أربع ورقات.

عُذِبَتْ ذوقاً وراقَتْ فَلَهَا نفحةُ المسكِ وطعمُ العنبِ
أذكرتني كلما أذكرها ذكرَ ذي العليا رفيعِ الرتبِ

ثم ساق في مديحها إلى أن قال، ونعم ما قال:

كلما قمتُ على منبره خاطباً طبتُ وطابتُ خطبي
يا ابن أربابِ المعالي والتقى وابنَ خيرِ الخلقِ ياسينَ النبي
أنتَ مَنْ أَهَّلَهُ اللهُ لِكُلِّ جميلِ فادنُ منه وأقربِ
أنتَ أولى الناسِ بالناسِ من الظالمِ الجائرِ ذي الجهلِ الغبي
أفمنْ كان على بينةٍ من هدى كالحائرِ المضطربِ
حسبك اللهُ الذي أودعَ فيهِ لك من الأسرارِ ما لم يُحجَّبِ

وهي طويلة جداً، وله من قصيدةٍ أخرى مادحاً بها مولانا الإمام - عليه

السلام - مطلعها:

يا بني المصطفى الذي صارَ للوحي واعياً
فضلُكم غيرُ غامضٍ إن سألنا المثانيا
ما برحتم من العلو م جبالاً رواسيا
كلُّكم آلُ أحمدٍ صارَ للمجد حاوياً
فيكم الخيرُ كلُّه إن غدا الخيرُ نائياً

ومنها في مديح مولانا خاصة:

يا كريماً بفضلِهِ أصبحَ الفضلُ دانيا
يا إماماً بعدلِهِ أصبحَ الجورُ عافيا
بك طابتْ حيواتنا وشرفنا نواصيا
بك طالتْ رقائبنا وغلبنا الأعاديّا
وغزونا عدونا ونصرنا مغازيا
قرّ عيناً فلنْ ترى لك في الأرضِ عاصيا

/ ١٠٢

وهي طويلة، وله من قصيدة أخرى قدمها إلى حضرة الإمام - عليه السلام - في أثناء هذا العام، وفيها نوع من العتاب لعدم الإذن له من الحجاب، ومطلعها:

مالي وقفْتُ بابَ عالي البابِ متحيراً لم أدْرِ أينَ جوابي
ومنها في المديح:

الناسُ قِشْرٌ والإمامُ لبأبه كم بينَ قشِرٍ هَيْنٍ ولبابِ
حازَ الفخارَ فماله في العصرِ من ثمانِ حماه اللهُ من أوابِ
وحوى الكمالَ فحدّثتُ بكِماله الأ يامُ ناطقةً بكلِّ عُجابِ
ما زال ذا خلقٍ عظيمٍ قائماً بالعدلِ معروفاً بحسنِ خطابِ

وله من قصيدة أخرى طويلة، مدح بها مولانا الإمام في هذه السنة، جاء من مديحها قوله:

الطيبُ الطاهرُ يحيى إماماً مَ الحقُّ يا يحيى وُقيتَ الردى
يا بنَ رسولِ اللهِ خيرَ الورى طُراً لقد طلّتَ به سؤدا
يا ابنَ عليٍّ خيرَ أهلِ المعلّى وخيرَ ذي فضلٍ به يُقتدى
فضلُك لا ينكُرُهُ مُنكِرٌ في منتهى الأمرِ وفي الابتدا
أبوك سادَ الناسَ في عصره ولم تَزَلْ من بعده سيّدا
يا بضعةً من جسدِ المصطفى ولحمِهِ الطاهرِ نفسي الفدا
السُّرُّ لا يبرُحُ في أهله والفرعُ بالأصلِ شبيهها غدا
كم صالح جاء به صالحٌ وفاسدٍ من فاسدٍ أوجدا
ولأك مولاك أمورَ الورى لم يدعِ الناسَ تعالى سُدا
ملكها شرقاً وغرباً معاً كرهاً على رِغمِ أنوفِ العدى

/ وهي طويلة، والمنتقى منها ما ذكرته، والغالب على شعر الفقيه أحمد الجلال الإحسان، إلا أنه قال بعضهم، بعثه ودره وياقوته يجنيها أجره.

وفي هذا العام أدرك مولانا الإمام عيد الأضحى السعيد، وهو مقيم بروضة حاتم، وأيامه أيام سرورٍ نواضرٍ بواسم، وأسفر يوم عيد الغدير وهو هنالك، وكان يوماً عظيماً، اجتمع فيه من الناس عددٌ عظيمٌ، وجرى له من الاحتفال ما تحدّث به الظاعن والمقيم، ووصلت إلى الإمام فيه التهاني.

ومن هنا الإمام -عليه السلام- محرّر هذه السطور بالقصيدة الآتية وهي:

- الرمل -

قسماً والحبُّ فيك حَـلَا	ما فؤادُ الصَّبِّ عنكَ سَـلَا
عدمُ السلوانِ مَنْ سَلَكَتْ	روحُه سُبُلَ الهوى ذُلَا
وسقاه الحبُّ خمرَتهُ	فاستطابَ العَلَّ والنَّهْلَا
يا عدولي لستَ من تُغري	أنا لا أُصغي لِمَنْ عَذَلَا
طبعْتُ نفسي على خُلُقٍ	لم تكنْ عنه لتنتَقِلَا
فاطْرَحْ لومي وقُلْ سَدَدَا	يُرشدُ المُعْري لما انتَحِلَا
أنا ذِيَاكَ الَّذِي أَلْفَتْ	مقلته الشَّهْدَ فاتصَلَا
لا أبالي في الغرامِ بِمَنْ	نصرَ العُشاقَ أو خَدَلَا
يا رفيقي مِنْ بني وطني	إنَّ لي في رفِيقِكَ الأَمَلَا
هاتِ من ذاكَ الحديثِ مُنَى	مهجتي وارفعْ به عِلَلَا
ما تراني كلَّما خطرتُ	نسمةً أهفو بها عَجَلَا
أوشى برقٌ بكَاطِمةٍ	لاحَ مثلَ السيفِ قد صُقِلَا
لم أطقُ سرَّ الولوعِ وَمَنْ	شاقه ^[١] برقُ الحِمى اختَبَلَا

[١] في الأصل: شاقه.

١٠٤ /

مهجتي شوقُ بها اشتعلا
لشذا الأطيابِ مُشْتَمِلا
وينيلُ النفسَ ما حَمَلا
بَرْدَه قد أطفأ الغُللا
صافحَ الأزهارَ وانتقلا
مغدقُ ينهلُ منهملا
جادَهَا ومعِيَ بها هَطَلا
مُسْرِعاً لا يعرفُ المهلا
مكرهاً والعيبُ عنه خلا
راقُ فيه الأنسُ متصلا
بأَميرِ المؤمنين عَلا
حُجَّةُ الباري لمن عَقَلا
فيه آياتُ الهدى عَمَلا
أَيُّ متلوٍّ كما نَزَلا
ضاقُ عنه الكونُ مشتملا
حجرَ العدوانِ واعتقلا
سيفُهِ واستأصلَ الحيلا
طاوَلَ الأطوارَ والقُللا
هدمَ الأضلالَ والخطَلا
شادَهَا الإيمانُ واحتفلا
زادَهَا سلطانُهُ جدلا
لا ترى في أرضِها طَللا

١٠٥ /

أيهِ يا برقُ استعِزْ فُلدي
واهدي يا ساري الصِّبا نَفْساً
تُنْعَشُ الأرواحُ هَبَّتْهُ
فكَلِمُ أَحْسَسْتُ في كبدي
إِنَّهُ في رَوْضِ رَبِّعِهِمْ
يا سَقَى تلكَ الرياضِ حَباً
وإذا ما الغيثُ أَخْلَفَهَا
فلقد مَرَّ الزمانُ بها
بينَ قَرَبٍ غابَ حاسدُهُ
واتصَلَ لا رَقِيبَ بِهِ
مثلُ ما راقَ الثنا وَحوى
بأَمينِ اللهِ عَصْمَتُهُ
صاحبُ الطورِ الذي انتصرتُ
وانبرتُ تُثْلِي كما نَزَلْتُ
والعناياتُ العظامُ وما
مِنْ أَمَانٍ لا يُقَاسُ بِهِ
وانتصافُ للضعيفِ سَطَا
وانتصارُ عَزَّ ناصِرُهُ
حرسَ الدينِ الحنيفَ كما
فربوعُ الدينِ عامِرُهُ
ورِياضُ الهدى بِاسْمِهِ
وَدِيَارُ البغي دارِسُهُ

ووجوه الظالمين بها
 كل حين من كتابه
 صبحتهم بالمنون فما
 ربّ بغي جرّ بائقة
 وافتنان جُنّ حامله
 ساقهم داعي الهوان إلى
 وأتوا من جهلهم عملاً
 إنهم ضلّوا السبيل ومن
 وهم العادون إذ نكثوا
 الإمام ابن النبي إذا
 تاج هام المجد والخلفا
 قرناء الوحي يعرفهم
 وهم سفن النجاة لمن
 ما عسى المثنى يقول وفي
 كل فضل غير فضليهم
 يا إمام الحق في زمن
 إنّ عضراً أنت قائم
 غرة في الدهر شادخة
 ليس بالأمر الغريب إذا
 وخليق بالملوك مني
 أنت عبّد المؤمنين إذا
 كم منحت العالمين هني

/ ١٠٦

سُودت لم تلق مدّخلا
 وقعة فيها غدت مثلاً
 ركبوا غير الذي قتلاً
 واغتراب أورث الزكلاً
 وهولا يدري بما حملاً
 حتفهم يا بشّ ما فعلاً
 شبّ فيه الغي واكتهلاً
 ضلّ لم يفلح بما بذلاً
 عهد أولي القائمين ولا
 سرّد الأنساب من نقلاً
 من بنيه العترة الفضلاً
 كل فرد للكتاب تلا
 رام جنات الرضا نُزلاً
 سُور التنزيل ما سالا
 كقشور اللب قد حصلاً
 أنت فيه غوث كلّ مالا
 هو في الأعصار كابن جلا
 ملأت جيد الزمان حلى
 بك باهى الأعصر الأولا
 أكثروا في نعلك القُبلاً
 كان في تشخيصه رجلاً
 ما رأوا من بعده وجلاً

ورفعت الضيم عن ملاء
ولعمري ما الهناء سوى
طاب عيد أنت فيه كما
ونشور قد نشرت به
إنه يوم الغدير وما
سكنت قلبي محبته
وجرت ذكراه في خلدي
يا له يوماً حوى عجباً
البس الهادي أخاه به
خلعة الله التي عظمته
هي ظل الله مدد به
كل مدح في الوصي وإن
خيرى يا فكري مدحاً
وارفعي صوتاً يدوم صدى
يا أمين الله هاك ثنا
إن يكن دون المرام فما
إنه جهد المقل ومن
أبدلوا بالعطف مرتجلي
وصلوني بالقبول له
لا عدا عليا كمو مدد
وحجاب الله دونكمو
وصلاة روحها عطر

ملئت أقطارهم غيلاً
أن نراك الدهر مكتفلاً
نزلت شمس الضحى أكملأ
ما أمات الغي حين غلا
يومه عن فكري غفلاً
وسكون القلب فيه ولا
وفمي لم أقترِف مَلْلاً
لم يزل للمجد معتقلاً
خلعة لم تشبه الحلأ
خطرأ فيه الهدى مثلاً
فوق أرجاء العلى ظللاً
طال لم يُلِمَّ بما فضلاً
فيه أني ذقتُه عَسلاً
رجعته في المدح مرتجلاً
أمره أغرى بي الخجلاً
أملني عن ستره انفصلاً
بذل المقدور ما بخلاً
لأحوز العطف والبذلاً
إن خير النظم ما قبلاً
بعزيز النصر قد وُصلاً
يدفع الأحداث والخللاً
وسلام مثلها جزلاً

يبلغان المصطفى سندَ الخلق أرقى المرسلين عُـ
وعلى الآلِ الكـرام وفي روضهم منك الهوى اعتدلا
ما شدت ورقا على فنن أو دعى الدّاعي بحيّ على

تمت

قلت: وقد طالت هذه القصيدة، وعذري في نقلها كاملة إرادة حفظها من
غير الزمان، لأنها غير مثبتة في ديوان، والتبرُّك بمن قُلت فيهم، على أنها لم تكن
من الهذيان، ولا من هُراء القول، وإن نزلت عن رتبة الإجادة والإحسان، وفيها
إلمامٌ ببيان العذر، وأنه جهدُ المقل، ومن بدّله ما تحيل أو بخل.

وتوفي بهذه السنة في ثامن عشر شهرِ صفر السيد الأجلّ الوجيه عبد الرحمن
بن أحمد بن محمد بن شرف الدين بن أحمد بن محمد بن الحسين الكوكباني أصلاً
ووطناً، والصنعاني نشأة وإقامة، وهو في سنّ الكهولة. وكان المومى إليه ممن
انتظم في سلكِ المأمورين أيامَ الحكومةِ العثمانية، ووليّ لهم أعمالاً جليّة في
صنّفِ المالية، وانفرد بالوقوفِ التام على تلك الأعمال، ولا يخفى ما تحتاج إليه
أمر الجباية من المهارة والكمال.

ولما أقبلت دولة مولانا الإمام، أنيطت به رئاسة دائرة المحاسبات، فقام بها
خير قيام، وبذل ما في وسعه لإيصالها إلى درجة الانتظام، وبقي كذلك إلى أن
انتقل إلى جوار الملكِ العلّام، ووافاه حادي الحمام، وبه حُسْنُ له الختام، أسبل
اللهُ عليه سحائب الغفران وبَلَّ ثراه بواكفِ الإحسان، وقد سبق لنا الإمام في / ١٠٨
أثناء بيان حوادثِ السنة الأولى، ذكرُ بعضِ الحوادثِ الواقعة في بعضِ الأقاليم
بمناسباتٍ اقتضت ذلك، والحديثُ شجون، فرأيتُ اتّماماً للفائدة أن أذكر ما
خطر على البال عند تحرير هذا المقال:

فأقول: إنها جرت حوادثٌ عظيمةٌ في أطراف القطرِ اليماني منها، ما كان في بلادِ عسير، فإنَّ الأميرَ حسنَ بنَ عليٍّ بن محمدٍ بن عايض، لما انفصل الأتراك من تلك الجهات، وخلت عنهم مدنها والقُرى، وكان الأميرُ المذكورُ قائماً بوظيفةٍ معاونٍ متصرفٍ، والمتصرفُ هو رئيس الإمارة في مثل تلك الجهة، نهض الأميرُ المذكورُ للقيام بإمارةِ قطرِ عسير، وضبطَ أطرافها^(١) وحزَمَ أكنافها وساعده على إدراكِ الأُمْنِيَةِ ما تركه محيي الدين باشا حين عزمه مع عساكره، من السلاح والمدافع والذخائر الحربية، فإنه سلّمها إليه، فقوى بها ساعده وتقهرَ بها عن معارضةٍ حاسده، واستمرَّ على ذلك زماناً إلى أن كان بينه وبين قحطان^(٢) وقبائلِ رُفيدة^(٣) خصامٌ بسببِ عدّةٍ لهم من عسير، وهم يرون أنهم ينتمون إلى ابن سعود، أميرِ نجدٍ وصاحبِ الرياض، فأرسلَ على المذكورين جنوداً تحت قيادةٍ بعضِ أقاربه، فكانت بينهم حروبٌ، أسفرت عن استيلاء جنود الأميرِ عليهم، وفزع بعضهم إلى ابنِ سعود، فأمدّهم بجندٍ تحت قيادةٍ أحدِ أولادِهِ، وجرى بين الفريقين حربٌ تهول، انهزم فيها جندُ أميرِ عسير، ثم ساق جيشُ ابنِ سعود وراءهم إلى أن دخلَ أبها^(٣)، واستباح أموالَ أهلها ودماءَهم. وكان الحادثُ يروغُ ويدفعُ في الأكبادِ من هوله الصدوعُ، وفرَّ الأميرُ حسن، ومدَّ ابنُ سعود باعه على تلك الأطراف، وأدخلها تحت حوزته.

ومنها، أنه لما تقربَ ابنُ سعود من أطرافِ هذا القطرِ، وكان بينَ ابنِ

-
- (١) قحطان: إحدى قبائل ثلاثة موطنها عسير وهي قحطان، المَع، وِيَام، وقحطان من قبائل عسير، ومن قبائلها رُفيدة وبنو بشر وسنحان الحباب وعبد وراذع والشريف.
- (٢) رُفيدة: قبيلة من قحطان - موطنها شرق أبها، على بعد ٢٥ كم من خميس مشيط.
- (٣) أبها: تقع في رأس وادي ضلع، في مرتفعات السروات على ارتفاع ٢٢٠٠ م، على بعد ٢٨٠ كم من صعدة.
-

[١] في س، أفرادها.

دليم^(١) من قحطان وبين قبائل يام حزازات ومجادلات حسن لأهل نجد قصد قبائل يام، وكانت رؤوساً يام في حالة تفرق في الآراء، فقصدهم جمع عظيم من النجديين، وانضم إليهم غيرهم من القحطانيين، وقبائل الدواسر^(٢) وداهم بلاد يام، وتوغل فيها إلى أن وصل مدينة بدر^(٣) على حين غفلة. وأوقع جيش النجديين بمن صادفهم من يام، وقتل كل من لقيهم منهم، وحاصر نحو سبعين شخصاً من رجال يام فيم عدد من عقابهم، فاستسلموهم بالأمان.

ولما خرجوا إليهم وقبضوا أسلحتهم قتلوهم جميعاً، وفر الداعي علي بن محسن شبام بعد جهد ومشقة، وقد كاد أن يقع في قبضتهم، ثم عاد الجيش النجدي من حيث جاء، وقد أنزل بيام كل داء، وكانت تلك عادته، فمن شأنه الغزو والغارة، فإن وجد أمامه صبراً وثباتاً لم يلبث أن يعود ناكصاً على عقبيه، وإلا فعل الأفاعيل وعاث وبادر بالخروج إن لم يكن من قصده سوى اللولج. / ١٠٩

ومنها ما كان في القطر الشامي، فقد سبق أن الشريف فيصل بن الحسين بن علي، دخل دمشق الشام وسواها من مدن ذلك القطر فاتحاً، ومعه الإنجليز والفرنساويون، ولما وضعت الحرب أوزارها ظهرت أطماع دول الأفرنج، وتزاحموا على الغنيم التي زحزحوا عنها الأتراك، وكان مما تقرّر من المعاهدة بين الإنجليز والفرانسة؛ أن القطر الشامي يكون لهم، والشريف الحسين وأولاده غافلون، ويظنون أن المواعيد التي كان الإفرنج يعدونها بها في زمن الاحتياج إليهم أمور

(١) المقصود محمد بن دليم أبو لعثة، صاحب قحطان، انظر، نزهة النظر، ٤٨١.

(٢) الدواسر: من القبائل النجدية منازلها من وادي الدواسر إلى الحوطة جنوبي الرياض انظر قلب جزيرة العرب، ١٤٩، ملوك العرب، ١١/٢، تاريخ سينا لنعم شقير، ٦٧٠.

(٣) بدر: من قرى نجران فيه مركز يتبعه قرى ومناهل للبادية، انظر، معجم البلدان السعودية لحمد الجاسر، ١/١٤٧.

مبرمةً، وحقائقٌ ثابتةٌ، فإنهم كانوا يقولون لهم، أن لا مرامَ لهم في الاستيلاء، وليسَ لهم غرضٌ سوى رفعِ سلطةِ الأتراكِ عنهم، فأنكشفت حقائقٌ ما في الضمائر، وأظهر الفرنسيون ما كان مكتوماً في الحفائر، وقالوا: هذا الشامُ لنا، ولم يهنِ ذلك على الانجليز، فتظاهروا للشاميين، ومعهم الشريف فيصل بالميل إلى ما يرومون من الاستقلال، ولم يكنْ منهم ذلك عطفاً عليهم، بل رغبةً في مزاحمةِ الفرنسيين على الشام، فمكثوا يموجون، وكلُّ يريدُ الوصولَ إلى ما يروم، وفي النهاية، أثمر تشجيعُ الإنجليز للشاميين أن أجمع رأيهم على المناداة بالشريف فيصل ملكاً عليهم، وشكّلوا لأنفسهم حكومةً، قوامُها من رجالِ الشام الذين كانوا أمراءَ مع حكومةِ الأتراك، وأعلنوا الاستقلالَ وهو في عُرْفِ هذه العصورِ الأخيرةِ عبارةٌ عن صفةٍ من صفاتِ الدولِ يكونُ من شأنِ الدولةِ المتصفةِ بها، أنها حرةٌ لا يدَ ولا مداخلَ لأيِّ دولةٍ أخرى في بلادها، وأظهروا بذلك مناوأةَ الفرنسيةِ، وحشدوا لهم جيشاً للدفاع، ولكنَّ الفرنسيين لم يمهلوهم، فقدّموا بجيوشهم إليهم، وكان جيشُ الشاميين قد أعدَّ له موقعاً للمدافعةِ، فجرت بينهم حربٌ يسيرةٌ، انهزمَ فيها أهلُ الشام، وتفرّقوا وفرَّ الشريفُ فيصلُ من دمشق، وتبدد ذلك الجمعُ، واحتلَّ الفرنسيون جميعَ مدنِ الشام وقراه، وتمكّنَ الفرنسيون من تفريق كلمةِ أهلِ الشام وتوزيعهم وتمزيقهم إلى سبعِ حكوماتٍ، يديرُ دفتها أناسٌ منهم، ودرجَ ذلك القطرُ الشامي تحت سلطةِ العدوِّ الكافر، وإذا تأملَ اللبيبُ في تطورِ هذا الحادثِ المريبِ أمكنه الجزمُ بأنَّ هذه النتائجَ الوخيمةَ مقدماتها منحصرةٌ في الإخلالِ بما نهى اللهُ عنه من الركونِ إلى الذين ظلموا، والوثوقِ بوعودهم وتسوياتهم الكاذبةِ، نسألُ الله السلامة. / من الخذلانِ، والوقوعِ في شبكةِ الاغترارِ بأحزابِ الشيطان.

ومنها وثوبُ الانجليز على حصّتهم من الغنيمّة، وهي القطرُ العراقي جميعه، وهو ولايةُ بغدادَ وولايةُ البصرةَ وولايةُ الموصلِ واحتلالها بجيوشهم، والعزمُ على إبقائها تحت سلطتهم مباشرةً، والحيلولةُ بين سكانها وبين ما أرادوه من الاستقلال الذي منّوهم به، وبين تشكيل أيّ حكومة، ولوتحت الحماية. ولكنهم لم يخضعوا لإرادة الإنجليز، بل هبّوا للثورة، وتكلّف الإنجليزُ لإبقاء نحو ستين ألفَ مقاتلٍ من جنوده في تلك الجهات، وجرت بينه وبين أهل العراق القاطنين خارجَ مدنها حروبٌ، إلا أنها لم تكن بمقابلة جيش لجيش، بل عبارةً عن قطعِ طُرقٍ على الإنجليز، وقتلٍ من انفردَ منهم ونحو هذا. وسيأتي إن شاء الله بيانُ ما آلت إليه أحوالهم.

ومن الحوادث، ما آلت إليه أحوال الأتراك، فإنّ دولَ الإفرنج الظافرة في الحرب العامّة، التي أشرنا إلى طرفٍ من أحوالها فيما سبق، عقدوا فيما بينهم وبين الأتراك هدنةً مدتها ثلاثة أشهرٍ، وتحكموا فيها على الأتراك غاية التحكم، إذ شرطوا أن تحتلّ جيوشهم أكثرَ مدن الأناضول، وهو البقيةُ الباقيةُ من الممالك التي كانت تحت حوزة العثمانيين. ولما انقضى أمدُ الهدنة ظلّوا كما كانوا قبل انقضائها ولم يسعدوهم إلى الدخول في مفاوضات الصلح إلى أن مرّت مدّة تناهز الستين.

وفي أثناء هذه، دَعَوْهم إلى محلٍّ يسمى سيفر^(١)، وعقدوا معاهدة صلح،

(١) معاهدة الصلح في سيفر: عقدت في ١٠ أغسطس ١٩٢٠ بين الحلفاء والدولة العثمانية، تنازلت بموجبها الدول العثمانية عن جميع السكان غير الأتراك ووافقت على تدويل المضائق وتشكيل لجان للنظر في التعويضات ونظام الامتيازات وإعادة الصفة الشرعية للامتيازات.

أذلّوا بها الأتراك، وأجبروهم على توقيعها، كان منها: فصل ولاية أدرنة عن العثمانيين واعطاؤها لدولة اليونان، وتمكين اليونان أيضاً من ولاية أزمير^(١) وإعطاء الفرانسة ولاية أضنة^(٢)، وهي إقليم واسع اشتهر في الصدر الأول من المسلمين باسم قلا معرباً عن لفظ كليكيّا، وجعل مضائق الاستانة تحت سلطتهم، وهذه المضائق هي المسماة قديماً بخليج القسطنطينية وغير ذلك من شروط الصلح الثقيلة، كتحديد جندهم وسلاحهم.

وفي النهاية احتلوا بجنودهم مدينة الأستانة، وذلك عندما فرّ بعض قواد الأتراك من الأستانة والتجأوا إلى طرف الأناضول في ولاية انقره، وأعلنوا مبايئتهم لدولتهم ودعوا جميع الأناضول إليهم / فلم تمض غير برهة يسيرة / ١ حتى تمكّنوا من صرف أعنة أقطار الأناضول إليهم، وإدخاله تحت حوزتهم، وقطع علاقتهم مع حكومة الاستانة، وأظهروا أنهم غير راضين بما جرى من المصالحة، وأنهم لا يقبلونها، وكان المتولي لزعامة هؤلاء قائداً من قواد الأتراك اسمه مصطفى كمال باشا^(٣)، وقد جرت بين هؤلاء الثائرين وبين حكومة الأستانة وساطتهم والميل إليهم والرضا بحركاتهم، ومنعها ومنعهم عن الاتصال

(١) أزمير: مدينة تركية تقع على ساحل بحر ايجة، ميناء هام، اليوم هي مركز ولاية.
(٢) أضنة: مدينة تركية على ساحل البحر المتوسط، كانت طريقاً تجارياً مهماً، عاصمة لولاية أضنة.

(٣) مصطفى كمال باشا ١٩٣٨، مؤسس جمهورية تركية الحديثة، ولد في سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠ والده على رضا افندي، قاد المعارك في الأناضول وانتصر على اليونان، ألغى الخلافة الإسلامية وجعل تركيا علمانية، صُنِفَت عدة كتب عند انتصاره في الأناضول منها كتاب، انتصار الأتراك في الأناضول تأليف حنا مينا مطر طبعة ١٩٢٢ م وسيرة مصطفى كمال باشا وتاريخ الحركة التركية الوطنية في الأناضول لأمين محمد سعيد وكريم ثابت، ط مصر ١٩٢٢ .

ما في الأستانة من جيوش الاحتلال، وانقضى هذا العام وأمورهم على ما بلغ، كما سردناه من الضعف والاختلال، والأمر لله وحده.

هذا وقد بقي من أحوال الكون والأقطار الإسلامية، ما كان من الإنجليز في فلسطين وبيت المقدس، فإنهم لما استولوا على تلك الجهة، وهي واسعة الأطراف، رتبوا فيها حكومة جعلوا رئيسها يهودياً من يهود الإنجليز تحت إشرافهم وحمايتهم.

وقد كانوا في أثناء الحرب وعدوا اليهود أن يعتبروا فلسطين وطناً قومياً لليهود، ومعنى هذا أنه متى اجتمع اليهود من أقطار الأرض إلى تلك البلاد، وكثروا على من فيها من المسلمين والمسيحيين، أمكن لهم أن يقيموا فيها دولة يهودية، وأوحوا إلى اليهود أن يؤلفوا لهم جميعات لدعوة اليهود من أقطار الأرض إلى سكنى فلسطين، وقد ظهرت آثار هذه الدعوة في يهود اليمن، فكثير منهم قصدوا بيت المقدس بعيالاتهم^[١] خلاف العادة، والمسلمون والمسيحيون هنالك لا يزالون يحتجون على الإنجليز، ولم يظفروا من الإنجليز بالاعتراف بأنهم قد أبطلوا اعتبار فلسطين وطناً قومياً لليهود.

وقد كان من الإنجليز أيضاً، الاستيلاء على الأردن وبادية الشام، وجعلوا فيها إمارة أسندوا رئاستها إلى الشريف عبدالله بن الحسين بن علي بن محمد بن عون ومدّوا عليها حمايتهم، لا قوة إلا بالله.

وإنما ذكرت هذه الحوادث ليعتبر الناظر بما صارت إليه أحوال المسلمين من الشتات، وكيف كان وثوب الكفار على تلك الجهات، فيعلم أنه لولا من الله تعالى على هذا القطر بوجود مولانا الإمام^[٢] لكان نصيبه مثل نصيب

[٢] في س، الإمام المتوكل.

[١] في س، بعائلاتهم.

الأقطار، والعيادُ بالله والحمد لله وحده.

ودخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وألف، وعمَّالُ مولانا الإمام وحكَّامُه في ١١٢ /
الجهاتِ هم المذكورون في السنة الماضية، والأحوال كما سردناه، ومولانا الإمام
-أيده الله- مقيمٌ بالروضة.

وفي محرم المحرم، صدر الأمر الشريف بتوجيه عمالة بلاد البستان إلى السيد
الأجل المقدام علي بن علي السراجي^(١) والمومي إليه من أشهر أعوان الإمام
السابقين إلى الهجرة والمناصرة، فتوجه إلى محل عمله، وباشر الأعمال وقام بها
خير قيام، فحمد مثابته، وفاض في أودية الحزم عباؤه.

وفيها كان انتفاض سكان جبل ريمة وملحقاته، وخروجهم عن الطاعة،
ثم إصلاح تلك الجهة وكانت مبادي الخلاف في أواخر السنة السابقة، وإنما
أخرناها إلى حوادث هذه السنة؛ ليتصل بيان الانتفاض والإصلاح، وخلاصة
الأمر أنه لما ارتفع جيش برع مع المقادمة، وخلى الجبل من جند الإمام، وكان ما
سردناه من خلاف أهل صغفان، وسريان الافتتان إلى بعض مسار، وما جرى
من الحوادث في بلاد الطعام، تزايد أطماع ذوي القلوب المريضة في الوصول
إلى مآربهم، وظنوا حصول التَّجَحُّج فيما يتعلقون به من أسبابهم، ومن أولئك
الشيخ محمد أمين بن محمد أحمد، كان أبوه شيخ مشايخ ريمة، ومكث زماناً
طويلاً قائم مقام القضاء المذكور، وإليه الحل والعقد مع حكومة الأتراك إلى أن
توفي، وابنه هذا صغير السن، فتقدم مكانه قريبه الشيخ علي يحيى، وقام بما كان

(١) علي بن علي السراجي ت ١٣٣٩ هـ، أحد قادة الإمام البارزين، بعد صلح دغان عينة
الأتراك على بلاد البستان، ثم عينه الإمام يحيى على نفس المنطقة، انظر، حياة الأمير،

إلى عمه من الأعمال.

ولما انقضت أيام الأتراك، وأقبلت دولة الإمام، كان الشيخ علي يحيى المذكور فمّن بادر إلى الطاعة وأظهر النصح، فبقي على تصدّره في ناحية الجبى، وخفي مكان محمد أمين المذكور، فسّول له جهله وحبّ المنافسة لابن عمه أن يركب هذا المركب الصعب من الخلاف، ويسلك طريق الخيانة والاعتساف، فبيّت أمره وراسل إلى باجل، فوعده من هنالك ومنه، وبما فاز به من الميل إلى الضلال هتّوه، وكانت أيدي الأشرار تعمل في إدخال كراهية دولة الحق إلى قلوب الناس، لانقطاع ما كانوا يألّفونه من الفتنة، وغلّ أيديهم عن أموال الضعفاء وأعراضهم ودمائهم، وكانت قد عمّت منهم المحنة فخرج محمد أمين متخفياً من الجبى إلى أن وصل إلى / أطراف بلاد الطعام، وقد جمع حوله من الأشرار عصابة، إلى زمرة الضلال منجذبة غير هيّابة، وأعلن الخلاف، ووصلت إليه من باجل وعبال الأمداد، فنازل بمن معه الجّمام^(١)، وفيه رتبة من الجند الإمامي لأنه قفل بلاد الطعام، واجتمع إليه أهل البلاد، فحاصروا من في الجّمام، وصبرت لهم الرتبة صبر الكرام، وأذاقوا الباغين مرارة الصّدام، فجرعوا كثيراً كأس الحمام، ولكنهم لانقطاع المدد عنهم بانقطاع الطريق مكثوا يدافعون إلى أن رزقهم الله الشهادة، وأنالهم درجة السعادة، وعندها استعرت نار الخلاف في جميع بلاد الطعام، وأقبلت إلى البغي جموع الطغام من كل حدب وصوب، وتتابع عليهم المدد من قائد الجيوش الأدرسية محمد طاهر رضوان، إلى أن صار جمعهم نحو ثلاثة آلاف مقاتل، ونهضوا إلى مرتب الشامة^(٢)، وفيه عصابة

(١) الجّمام: وادي الجّمام المعروف بوادي جاحف، شرق شمال مدينة زبيد، انظر، اليمن الكبرى، ٧٧، معجم المصحفي، ٢٧٧، أما الجّمام، فلم أعثر عليه.

(٢) الشامة: من قرى بلاد الطّرف في جبل بُرع، انظر، معجم المصحفي، ٧٥.

من جند الحق، عليهم النقيب ناصر العسل الأرحبي المرهبي، والفقيه أحمد الأكو، فكان بين الفريقين حرب تهول، واستمر يوماً كاملاً، وتدانوا حتى اختلطوا، وأسفر الحرب عن استشهاد النقيب ناجي بن ناصر العسل، والفقيه أحمد الأكو وبعض المجاهدين، وقُتل من المخالفين عدة قتل، وارتفع الباقون من المجاهدين.

وفي اليوم الثاني، تقدم الباغون على مركز الضالع بقضهم وقضيضهم، وباشروا من فيه بالحرب، وصبر المجاهدون لهم صبر الكرام، ورزقهم الله الثبات، فكان ذلك اليوم يوماً مهولاً، اشتمل على حرب عظيمة ومعركة جسيمة، وحارب فيه المجاهدون الذين بالضالع إلى أن نفذت مؤونتهم، فخرجوا من أماكنهم وخالطوا الأعداء طعنًا بجنايبهم ورجماً بالأحجار، ومد الله عليهم حجاب ستره، فلم يكن منهم غير شهيد وثمانية جرحى.

وقد كان الشيخ علي عمر المقداد وهو بالحصن حين رأى اشتداد الحرب على الضالع، أمدهم بعصاية، ولكنهم لم يقدروا على دفع سيل جموع الباغين، ومع ذلك فالزيادة والمد إليهم في توالٍ وتتابع، وانتشر الحرب حينئذٍ في عموم المراتب إلى الحصن وغيره، واشتعلت الأرض ناراً، وحاول كل فريق من المجاهدين أن يمدد الآخر لاشتداد الحرب في كل مرتب، لكن ثبات المجاهدين كان يحملهم على الاعتقاد، أن الحرب لذن الفريق الآخر أشد بحسب المشاهدة، وقد تعذر التواصل بين المجاهدين لحيلولة الأعداء بينهم بكثرتهم، وانتشارهم في تلك الجهات، وهنالك حمي الوطيس، وطاشت الأحلام، ونفقت / ١١٤ / سلع الأرواح في أسواق الصدام، ولولا ما من الله به على المجاهدين لكانوا

فريسةً للأعداء، فإنَّ اللهَ رزقهم الثبات، ودفعَ عنهم بعنايته ما تابعةُ الأعداء من الهجمات، وما زالَ الحربُ في ازديادٍ ولم يمنعهم عن إدامته هجُومُ الظلام، واصطباغُ الأفقِ بالسواد.

وفي أثنائها وجَّه الشيخُ علي عمر المقداد همَّته إلى جمع جرحى المجاهدين وشهادتهم، وتيسَّر له ذلك على ما في الحالِ من الصعوبة، ومقابلتها بنفوسٍ مكروبة.

وفي أوَّلِ نهارِ ذلك اليوم، ولى المجاهدون من عُثمة ووصاب نحوَ الجبى وفرَّوا إليه. وقبيلَ نصفِ الليلِ من هذا اليوم تلقَّى المجاهدون الأمرَ من لدنِ العاملِ بارتفاعِ المحاطِ إلى مركزِ الجبى خشيةً من وقوعِ مَنْ في الحصن، وما إليه تحتَ الحصار، فارتفعوا إلى الجبى وقد جرَّعوا الأعداءَ مُرَّ النكاية، فالمقاتيلُ منهم تجاوزَ عددهم ستين، ولم يكنْ شهداءُ المجاهدين مثْلَ سُدسِ هذا العدد.

ولما وصلَ المجاهدون في جنحِ الليلِ إلى الجبى كان ترتيبُهم أحكمَ ترتيبٍ وتفريقُهم في جهاته، لعدمِ الثقةِ بأهلِ البلاد، وقد كانَ في أوائلِ هذا الاختلالِ وجَّه مولانا الإمام -عليه السلام- السيدَ أحمدَ بنَ علي المنصور مع نحوِ سبعِ مئةٍ من حاشدٍ وأرحبَ مدداً لمن في رِيمةٍ من الجند، وحثَّهم على المسيرِ من جهةِ السِّلْفِيَّةِ، فدخلوا إلى ناحيةِ السِّلْفِيَّةِ ولم يتجاوزوها بعدَ أنْ كانَ بينهم وبينَ المخالفين حربٌ كانت فيها الدائرةُ على المخالفين، ثم اعترى المددُ المذكورُ الفشلُ، وتفرَّقَ بعدَ أنْ كان لبُّهُ برهَةً في أطرافِ السِّلْفِيَّةِ، ولم يتيسَّرَ له الوصولُ إلى الجبى، وقد لآمَ مولانا الإمام -عليه السلام- مَنْ وصلَ منهم بعدَ ذلك بدونِ فسحٍ ولا إذن، وتركَ إخوانه في الحصار، وجلبَ عليهم الوهنَ، ولا يخفى

قُبِحَ ذلك عندَ كلِّ عاقلٍ، فضلاً عن زواجِرِ الدينِ ووعيدِ ربِّ العالمين.

ولما انتقلَ المجاهدون إلى عَزلة الجَبَى واحكموا ترتيبها استحكمت حلقاتُ الحصارِ عليهم من كلِّ جهةٍ، وأطبقَ أهلُ قضاءِ رَيِّمة على الخلافِ، وكثُرَ عددُ قوادِ الإدريسي الذين وصلوا إليهم وشايَعُهم أهلُ البلادِ وذوو النفوذِ، ولم يبقَ على الطاعةِ غيرُ عاملِ الجَعْفَرِيَّة السيد محمد بن علي النهاري وأخويه، وأما بنو عمِّه ومنهم ولدُ السيدِ محمود النهاري العاملُ السابقُ، فكلُّهم جالٌ في ميادينِ الخلافِ، وركبَ متونَ الاعتسافِ، ونبذوا ما في أعناقِهم من الأيمانِ، ونزلوا عن درجاتِ / أهل الإيمانِ، وثارَ أهلُ كُسمَةِ بعامِلِهم ومَنْ معه من المجاهدين، / ١١٥ وانضمَّ إليهم بغاةُ تهامة، فلم يجدِ العاملُ ومَنْ معه بُدأً من مخابرةِ الأعداءِ على أن يكونَ خروجُهم بسلاحِهم ويذهبوا حيثُ أرادوا، فأظهروا إسعادَهم إلى ذلك، ولما خرجوا إليهم غدروا بهم وأخذوهم أسارى، وكانَ العاملُ في ذلك التاريخ في كُسمَةِ السيدِ الهمامِ علي بن حمود بن غالب، وليها بعدَ وفاة أخيه السيدِ عبدِ الله بن حمود عاملِها قبله، وكانت حالةُ المحصورين في الجَبَى تنذرُ بالخطرِ لكثرةِ الجموعِ المحيطةِ عليهم من كلِّ جانبٍ، وانقطاعِ الموادِّ عنهم، وهم جمعٌ غيرُ يسيرٍ، وربما داخلهم الفشلُ والمللُ من حصارِ الأعداءِ، فحصلَ مِنْ بعضِ المجاهدين، وهم من بني الحارثِ تركُ مرتبِهم، وأرادوا الفرارَ والنجاةَ بأنفسِهم ظانين بأنَّ الأعداءَ لا يعترضوهم فلما خلصوا إليهم تلقَّوهم بالقتلِ والضربِ وأنواعِ الهوانِ والعذابِ، وبلغ ذلك إلى المجاهدين، فتعاقدوا على الثباتِ وأصدقوا العزائمِ ووطَّنوا أنفسهم على المدافعةِ حتى المماتِ. وذلك في الحقيقةِ من الطافِ الله تعالى بهم وبِمَنْ في المحطةِ الإماميةِ من الأعيانِ، فلولا ذلك لتساهلَ الجندُ الأماميُّ في الركونِ إلى الفرارِ دفعاً لما بهم من حرجِ الحصارِ.

وقد جرت في أثناء الحصار بين الجند الإماميِّ والبغاة معاركٌ وحروبٌ وأهوالٌ وخطوبٌ، فيها كلُّها كان النصرُ للمجاهدين، وهو الذين بمنَّ الله تعالى أنعش منهم النفوسَ، وخفَّفَ ويلاتِ النحوسِ، ولم ينقطعِ الحربُ يوماً واحداً، إلا أنه كان من الأعداءِ تجري كلُّ يومٍ سببٌ للتقدم العامِ منهم والهجومِ على المجاهدين، عملاً بإرشادِ بعضِ المنجِّمين لهم إلى ذلك، فإنه أضلَّهم بإرشاده ووعدهم أنَّ النصرَ لهم كلِّما كان منهم القدومُ يومَ السبتِ، ولم يزدْهم التنجيمُ إلا خبالاً وإضلالاً، فما تقدَّموا من جهةٍ إلا رجعوا خائبين، وانهمزوا عنها مغلوبين، وأصابَ منهم المجاهدون، وغنموا مما أجلبوا به عليهم وقتلوا منهم.

ومن أشهرِ تلكِ الحروبِ حربُ بابِ الثلوث^(١)، حين تجمع الأعداءُ إلى تلكِ الجهة، وتقدَّموا حتى لم يبقَ بينهم وبين الوصولِ إلى الجبى غيرُ مسافةٍ قصيرة، وكان الحربُ ثائراً من جميعِ الجهاتِ فلم يشعرَ من في الجبى إلا بتقربِ الأعداءِ من الجهةِ المذكورة، فخرج إليهم الشيخُ علي عمر المقداد وعصابةٌ من المجاهدين / ١١٦ / نافعةٌ تقوِّي بأسَ مَنْ في المتاريسِ، وأصدقَ هو ومن معه عزائمَهم في جلاذِ الأعداءِ ومنازلِهم، وأذاقوهم مرارةَ الإقدام، فانقلبوا على أعقابِهم خاسرين، وانهمزوا هزيمةً فاضحةً وتركوا قتلاهم، فاحتزَّت رؤوسُهم وغنموا من سلاحِهم، وعادوا مرةً أخرى على تلكِ الجهة، فأصيبوا بما أُصيبوا به في المرةِ الأولى، وهاجموا من في الجهةِ الغربيةِ من الجبى، وفيها من المجاهدين أهلُ الحدا عصابةٌ نافعةٌ، فخرجوا إلى أولئكِ المهاجمين وقابلوهم بهجومٍ أشدَّ من هجومِهم، وردَّوهم على أعقابِهم وقتلوا منهم جماعةً، ولم يكتفوا بذلك بل طاردوهم إلى أن وصلوا إلى بعضِ القرى التي للمخالفين، وأخرجوهم منها،

(١) الثِّلث: عُزلة من ناحية البستان (بني مطر)، والثِّلث، عُزلة من بلاد حراز، وعُزلة من مخلاف بني بحر في ناحية عُمَمة، انظر، معجم الحجري، ١ / ١٦٨ .

وغنموا ما فيها، وعادوا والنصرُ يحفُّهم والعنايةُ تزفُّهم.

ومن الوقائع التي جرت بين الفريقين أثناء الحصار، أنَّ الأعداء أجمع رأيهم على القدوم من الجهة الشرقية بقبلة، وكان الرباطُ مرتباً بالمجاهدين، وهو مرتَّبُ الجهة التي قصدوها، وكان المنتدبون لذلك قد وعدوا مقادماً الضالَّ^[١] بأنهم سيستولون على الجبى في ظرف أربع وعشرين ساعة، وقوى عزائمهم أبو الهادي من أعوان الضالَّ بأنهم سينالون ذلك على قاعدتهم في إدعاء الإطلاع على المغيبات، والافتراء على جبار الأرضين والسموات، فتقدّموا كتائب متعددة، والتزم كل فريق بعنوته، وأعانهم مدفع الضال. فلما شرعوا في إجراء ما أبرموه جاءهم من قدر الله ما لم يحسبوه، وانتقض المبرم، وحيل بينهم وبين ما يشتهون؛ إذ صوّبت عناية الله، رصاصةً بندق أحد المجاهدين على أميرهم الشيخ أحمد عبده الحسيني فوق المدفع، فقتلته في الحال، وأوردته حياض الوبال، فاعتراهم الفشل، وأمدَّ من في تلك الجهة الشيخ علي عمر المقداد مع أصحابه وجماعة من أرحب وبادروا بالهجوم على الأعداء، فانهزموا وتبعهم المجاهدون فغنموا منهم ما غنموا حتى أخرجوهم من محلّ البيضاء^(١) بحرب شديد، وجلاد ما عليه من مزيد، واستولى المجاهدون عليه، وكانوا قد تحصنوا فيها.

ووصل الشيخ يحيى الصلعي وأصحابه مدداً للمجاهدين آخرَ نهار ذلك اليوم، وقد زالت / سورة الحرب، وخفت وطأتها، فاستشهد رحمه الله، وكان بعد / ١١٧ ذلك رجوع المجاهدين منصورين إلى مراتبهم، ولم يجسر الأعداء على القدوم

(١) البيضاء: بلدة مشهورة من بلاد المشرق، فيها مركز الناحية، شرق جنوب صنعاء والبيضاء قرية من بلاد حيس في تهامة انظر، معجم الحجري، ١ / ١٣٣ .

[١] في س، الضال ابن ادريس.

واكتفوا بالحصار والرمي بالمدافع على جهة الاستمرار، ولما بلغ إلى مولانا الإمام -عليه السلام- حال الأجناد الإمامية في رِيْمَة، صدر أمره الشريف إلى عامل الحداء، واستنهض همته بجمع الأقوام النافعة ومبادرته، مغيراً على أبيه عامل رِيْمَة ومن معه، وكان ذلك قبيل عيد الأضحى الماضي، فاستنفر قبائل الحداء وبطونهم وأقبلوا إليه من كل حدب، وجمع منهم زهاء ألف وخميس مئة رام فيهم أعيانهم ورؤسائهم مثل الشيخ ناجي بن صالح القوسي ومحمد ناصر البخيتي وغيرهما، وسار بهم مجداً وأدركه عيد الأضحى، وهو في بعض الطريق، ودخل مع الجيش الإمامي بلاد رِيْمَة، فأنزل على الباغيين عذاب الهون، وأتاهم من صرامته ريب المنون بفتكات علوية وشجاعة قسورية، وهم لا ترضى بالدون، ولا يهملها تكائر الأعداء ولا ما يعدون، وكانت بين الفريقين معارك يطول شرحها وتعدادها، ولم يُعرج على الجبى بجيوشه، بل قصد الأعداء إلى محطاتهم، وأماكن استعدادهم وجهاتهم، فنازلهم بجيوشه، وأنزل العزيز منهم عن عروشه، ولم يسعهم غير الفرار والانحدار إلى أطراف ثمامة، واستولى الجيش المنصور على حصون تلك الجهة، وهي المنيعه، في سويعات أو سويعة مثل حصن مشحم^(١) وحصن مسعود وبني أبي الضيف^(٢) وبني الضبيبي^(٣)، وقطع الجيش المسافة الطويلة في ظرف يوم واحد يقتل ويحرق ويبدد ويمزق كالسيل الجارف والبرق الخاطف، وبهذا الفتح العظيم والنصر الفخيم انفك الحصار على من في الجبى، وزال الخوف عن الشائب والكهل والشاب والصبي.

ولم يستقر الجيش الإمامي هنالك إلا برهة، ووصل إليه المدد العظيم من

(١) حصن مشحم: حصن عُزلة من الجبى، انظر معجم الحجري، ١/ ١١٧.

(٢) بنو أبي الضيف: عُزلة من ناحية الجبى من رِيْمَة، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٧٨.

(٣) بنو الضبيبي: عُزلة من ناحية الجبى، انظر معجم الحجري، ١/ ١١٧.

مولانا الإمام -عليه السلام- بقبائل خُولان، وكان جيشاً عظيماً، فاجتمع الجيشان وقد دَوَّخا ما وراءهما ونادى أميرُهُ بالأمان، وتقدَّما على محطة بني ناح^(١). وفيها من جموع الباغيين جنْدٌ كبيرٌ، فصَبَّحوهم بقارعة جعلتهم كأمس الدائر، وتفرَّقوا في كلِّ جهةٍ، وساقوا خلفَ البغاةِ إلى الحصنِ، فاستولوا عليه بعدَ حربٍ شديدٍ،/ وامتلاَّت أيدي المجاهدين من الغنائم، وكانت لا / ١١٨
تُحَصَّرُ ولا تُقَدَّرُ، لأنَّ الجيوشَ الإماميةَ أعجلتهم تهريباً^[١] أمواليهم، وكان ما جرى عليهم بعضٌ ما يستحقُّونه من نكاحهم فقد خانوا أو نكثوا العهودَ، وعقروا الصلاحَ كما عقر الناقةَ أشقى ثمود، ولم يرقبوا في المجاهدين إلاَّ ولا ذمَّةً، وأتوا من بغيتهم وعنادهم كلَّ مذمة. ثم تقدَّم الجيشُ المنصورُ إلى بني الطِّلِّي^(٢) وابتدأهم الأميرُ بالمراسلة، وطلبَ عودَهم إلى الطاعة، وحذَّره من المصابِ بمثل ما أُصيب به الجماعةُ، فأظهروا اللينَ، ولم يقربوا، ومكثوا أياماً يماطلون، والأميرُ يوالي لهم النصائحَ ويرشدهم إلى ما فيه السلامةُ من الهولِ الفادح، فكأنهم ظنوا أنَّ حصونهم مانعتهم من الله. فلم يقبلوا العافية. والشقاوةُ ترجَّ بصاحبها إلى حفرة [١] رداه. فحزَمَ الأميرُ جنده وكلَّفهم بالقدوم عليهم إلى شامخاتِ جبالهم، فتقدَّموا إليهم بنباتٍ صادقةٍ وهاجموهم، ولم يبالوا بصعوبةِ الطلوعِ إلى تلك الجبالِ، وهي لا طُرُقَ فيها إلاَّ للواحدِ تلُو الواحدِ، فارتقوا إليها تحتَ أستارِ الظلامِ، وأعانتهم عنايةُ الله حتى تسنموا ذُرَّاهَا كأنهم يمرُّون في سهيل من السهولِ، وجاءَ الباغيين ما يوعدون واستعجلوا يومَ القيامةِ^[٢]، وخابت منهم الظنون، وانتَهَبَ الجنْدُ الأماميُّ ما جمعه، وتفرَّقوا في الشعابِ

(١) ناحت عُزلة في بلاد رَيِّمة من ناحية الجُين، انظر معجم المحقفي، ٦٥١، معجم الحجري، ٧٢٧/٢.

(٢) الطِّلِّي: عُزلة من بلاد رَيِّمة من أعمال كُسمه، انظر، معجم المحقفي، ٢٨٢، ٤٠٤.

[١] في س، حضر. [٢] في ص، النقرة.

والأودية متجرعين لكأس الندامة.

ثم نادى الأمير بالأمان، فراجعوا إلى ديارهم وقد خرب معظمها، وبعدَه كانَ القدومُ على كُسمَة، وتدوين أقطارها، والتفتَ العاملُ وابْنُه إلى إصلاح ما تمَّ فتحُه من البلادِ وتقريرِ أحوالها، وترتيب ما يحتاج إلى ترتيبٍ من معاقِلها واسترجاع أهلها، وتمَّ ذلك في أقربِ مدَّة بعونِ الله تعالى، ومنَّ الإمامُ على جميعِ الشائرينَ من رؤساءِ أهلِ البلدِ بالعفو، وقد كان كثيرٌ منهم فروا إلى تهامة بأهلهم وأولادهم، وأقاموا فيها لا يؤملون الإذنَ لهم بالعودة لما جتته أيديهم الأثيمة من الذنبِ العظيم، والتسبُّب في خرابِ البلادِ، وإزعاجِ الطاعينِ والمقيم، وقد قُدَّرتِ القتلَى من أهلِ رَيْمَة، ومن البالغين بما ينوفُ على الألفِ، وأما محمد أمين فإنه فرَّ إلى بَاجل، ومنه توجَّه إلى الضالَّ^[١] إلى جيزان، ولبت مدَّة ولم تسعه الأقطارُ اليمينيةُ فذهبَ إلى مصوَّع^(١)، ثم عاد/ واعتُقِل في بَاجل، وكان ذلك بعضَ جزائِه فهو الذي سبَّب هذه الحروبَ، وجلب الكروبَ والعيوبَ، ولم يزل ابنُ عمِّه الشيخُ علي يحيى، ثابتَ القدم على الموالة، وكان للمناصرين للحقِّ أثناء أيام الحصار، وقامَ بمعاضدةِ العاملِ أتمَّ قيام، فرعى الإمامُ -عليه السلام- وأعوانه له تلك المزية وسوَّغوه من الرعاية كلَّ أمانة، والوفاء من شأنه أنْ يدني صاحبَه من الخيراتِ، ويدفعُ عنه كوارثَ النكبات. وقد أتينا بما كان من رَيْمَة من الفسادِ والإصلاح، وأوردناها متتابعةً، لأنَّ ذلك أشفى للنفس من الإيتانِ بها متفرقةً.

وفي هذه الأمورِ مجال للاعتبارِ بما يجني الباغي من بغيه الذميم وما يتحمَّله

(١) مصوَّع: جزيرة في البحر الأحمر، يربطها بالبر جسر طوله ١٨٠٠ م وعرضه ١٠ م، وعمرت مدينة ميناء ارتيريا، مركز محافظة مصوَّع، قربها جزيرة دَهْلَك، انظر تاريخ السودان القديم وجغرافيته لنعوم شقير، ط مصر، ١٩٠٣ م، ١٠٦.

[١] في س، الضال الادريسي.

من الأوزارِ والعارِ والخطبِ الجسيم - نسأل الله تعالى الوقاية من غدرِ الهوى،
وما يقودُ إلى الدمارِ والردى.

وفيها دارت المراجعةُ بينَ مولانا الإمام والوالي محمود نديم، وكان المذكورُ
مقيماً في صنعاء، ومولانا الإمامُ يُجري له الكفايات الفاضلة، وخلاصةً ما دارَ
من المراجعةِ ينحصرُ في التفكيرِ والتدبُّرِ فيما يكونُ به حسمُ الشرِّ الذي استطالَ
شرره في أطرافِ حَرَّاز، وما قابَلَهُ من تُهامةٍ والتوصلُ إلى استمالةِ أولئك القبائلِ
بواسطةِ سادةِ تُهامةٍ من بني الأهدل^(١)، لعلَّ في ذلك ما يدفعُ الشرورَ ويجلبُ
السكونَ والحبورَ، فيرجعُ لدن مولانا الإمام - عليه السلام - إرسالُ المومى إليه إلى
حَرَّاز لمكاتبةِ رؤساءِ تُهامةٍ ومناصبها، ونصحِ الجميعِ بسلوكِ السبيلِ السويِّ
ومنايذةِ الضال^(٢) الغوي، ووقعَ الاختيارُ على الوالي المومى إليه لمكانِ معرفتهِ
بهم، وأنهم يعرفون حَقَّهُ، ويميلون إليه ويقبلون كلامه، فتوجَّهَ إلى مَنَاحَةِ،
ومكثَ هنالك تدورُ بينَه وبينَ المذكورين الرسائلُ كافلةً^[٢] لما فيه أفضَلُ
الوسائلِ، فلم تجذَّ تلك الرسائلُ نفعاً^[٣] ولا وجدَ مِنْ أولئك ما كان يطلبُه أفراداً
وجمعاً، ونسوا ما بينهم من التعارفِ ووسائلِ التعاطفِ، وعرض الوالي المومى
إليه تلك النتيجةَ، الصادقُ عليها، عدمُ الإنتاجِ، وأفادَ بأنه ما لداء^[٤] أنجعُ من
دواءِ السيفِ وهو أنفعُ علاجٍ، وحينئذٍ أمرَ مولانا الإمامُ حاكمَ العرِّ بالنزولِ
والتوجُّهِ إلى مَنَاحَةِ وكان الإمامُ قد أذن له بالقفولِ قبلَ أشهرٍ لما أُلِمَّ به من / ١٢٠
الأسقام، وأرسل مولانا الإمامُ جنداً كثيفاً من حاشد وبكيل زيادةً على من

(١) بنو الأهدل: من علماء تُهامة، أول من لقب بهذا الاسم الصوفي علي بن عمر الأهدل ت
بعد ٦٠٠هـ، في المراجعة من قرى سهام، انظر، معجم الحجري، ١ / ٩٤، معجم
المقحفى، ٥١.

[١] في س، الضال الادريسي.
[٢] في س، معاً.
[٣ - ٣] سقطت من س.
[٤] في س، لداء اولئك.

هنالك، وأمر جميع رؤساء المقادمة بالاجتماع إلى مَنَاحَة وإعمال التدبير النافع ومداولة الآراء في ذلك مع الوالي وعامل حَرَّاز، فواصل أمير الجيش من صَعْفَان وغيره، وكان الإجماع^[١] وعلى تفريق الجند الإمامي إلى طوائف، ويكون تقدم كل طائفة على جهة من جهات الأعداء، فحاكم العر مع حاشد، وأهل جبل عيال يزيد، تكون طريقهم من بني إسماعيل لأخذ حصون غراس، والعارضة ثم مدول من جهة القبلة، وعلى طريق الحنكة، وأمير الجيش مع جيش النظام، والأهنوم وظليمة ومعهم المدفع يقصدون مدول من جهة الشرق، والعدن والسيد أحمد بن علي الصعدي والشيخ علي بن أحمد قطيع وأهل الحيمة على بني جرين ووادي حار وبني إسحق، وعامل حَرَّاز القاضي علي بن عبدالله الأكوغ والأمير صمصام توفيق مملوك^(١) مولانا الإمام، ومعهما عصابة نافعة من الجيش، وما يجتمع من أهل البلاد، يقصدان ضامر لهاب فوق الحجيللة، لمنع من في الحجيللة من الأعداء من الامداد لمن بوادي حار منهم، عند مهاجمة الجند الامامي إياهم، والوالي محمود نديم بك مقيم^[٢] بمناخَة لتلقي وإرسال مؤن الجيش من دقيق وجبخانه ومؤنه إلى كل محطة بقدر احتياجها، وتوجه الجميع من مَنَاحَة في شهر ربيع الأول من هذه السنة، وقصدوا الجهات التي عُيِّنَتْ لهم، وبات حاكم العر في الصافية^(٢)، وجمع من معه من القوم من حاشد وبكيل فكانوا تسع مئة مقاتل.

-
- (١) صمصام توفيق العتيق، كان يدعى بالأمير صمصام، عالماً وإدارياً، ولي عماله المخا ثم عين مديراً للورشة الإيطالية بعد التعاون بين الإمام وإيطاليا، انظر، حياة الأمير، ٥٥٤ .
- (٢) الصافية: الصافية في اليمن كثير، منها صافية صنعاء، الجزء الجنوبي من صنعاء، الصافية العدنية ومنها صافية، دمت وجبى، الجيشية، رداع، وشحة، ثلأ، دمار، سهام، عثمة، صعدة، مقبنة، الطور، الجوف، انظر، معجم المقحفي، ٣٧٢، تاريخ مدينة صنعاء، ٥٦٦، رياض الرياحين، ٦٩، مذكرات المؤيد بالله، ٣٦ .

[١] في س، الاجتماع. [٢] في س، يقيم.

وفي اليوم الثاني، قدّم الحاكم جماعة من عكفته طليعة لتعرف الطريق، ودفع من فيها، فدخلوا بعد حرب يسير إلى العارضة، وفر من فيها من الأعداء نحو طريق بني سعد، وقد كان الحاكم أمر أكثر من معه بالمبيت في قرية دعوة^(١)، وأن يكون نهوضهم في اليوم الثاني إلى العارضة، والاجتماع هنالك لتدبير العمل، فلما شاهدوا تلك الطليعة قد استولت على العارضة قبل خروجهم من دعوة، عرجوا عن قصد العارضة ومروا من طريق القصبة التي إلى بني سعد ومدول وتقدموا إلى وادي الحنكة^(٢)، وهو وادي بين بني سعد ومدول وبني مديهن وكانوا يظنون أن أمير الجيش^[١] سيتقدم في ذلك اليوم من عدني مدول فأنكشف تأخره واعتذاه بفرار بعض النظام لينفي عنه الملام/ فاجتمعت عليهم طوائف الأعداء من كل جانب، وهم في الحنكة، ١٢١ / وليس لهم محل ياؤون إليه، ولا جبال يعتصمون بها، والأعداء مشرفون عليهم، فاضطربوا، وإن كان رائدهم الثبات، واعتزتهم الحيرة، ولم يجدوا بداً من الرجوع إلى العارضة، وقد أصيب منهم ثلاثة شهداء، وعدد من الجرحى، وأكثر من ذلك ما حصل من الأعداء، وأمدهم من في العارضة عند اقترابهم من العارضة، فأخذوا ما بالأعداء من نار الطموح، وأوقفوا بعزائمهم جواد بغيتهم الطموح، وأرسل الحاكم يومئذ عصابة من أهل الجبل إلى شرقي مدول فلم يظفروا، وانقطع من أصحابهم اثنا عشر نفراً عنهم، حال عن رجوعهم حصار

(١) دعوة: ما ورد في معجم الحجري، دنوه وهي غزلة من ناحية الجبي من ريمة، انظر، معجم الحجري، ٣٧٨/١ .

(٢) الحنكة: بلد في الشمال من ردا، وهي قرية عامرة في وادي السرين ثمن الأبناء من بني حشيش، شمال شرق صنعاء على مسافة ٣٢ كم، انظر، صفة ١٧٣، معجم المحقفي، ١٩٦، هجر العلم، ٤٨٧، والحنكة، قرية عامرة في أعلى وادي عاشر من بني سحام من خولان الطيال في مشارق صنعاء، انظر، هجر العلم، ٤٨٨ .

[١] في س، الشريف عبدالله الضمين.

الأعداء إياهم في محلٍ صغير يسمى اللبخة، فتداركهم الله تعالى بوصول الشيخ أحمد بن حسين السلامي، والسيد هادي بن يحيى الكحلاني، وعصابة من الأهنوم والنظام فشمر الشيخ الصفيُّ أحمد بن حسين إلى طرد الأعداء عنهم، فرفع عنهم الحصار، وتمكنوا من اللحاق بأصحابهم إلى العارضة، ثم تقدّم الشيخ أحمد بن حسين إلى حصن مدّول والقرية، فأصيب برصاصة في فخذه، فرجع، وأما السيد هادي والأهنوم، فتقدّموا إلى الرايس^(١) واستولوا عليه وباتوا هنالك.

وفي اليوم الثاني والثالث، اجتمع النظام والسيد هادي ومن معه، ونهضوا جميعاً على حصن مدّول، وهو قرستان في رأس الجبل فأخذوهما عنوةً، وطردها الأعداء، ووصل أهل الجبل قاصدين الوثوب على قرية بني السعود، فأعانهم الله تعالى على ما راموا، واستولى عليها الجند الإمامي، وتضايق مجال إقامة الأعداء في جبل مدّول، فانهزموا إلى بيت المشرقي وبني مُدَيَّهَن ورايم^(٢) والزعلا. والتفت الحاكّم إلى تنظيم الرّتب ما بين مدّول وصعفان فرتبها النقيب حسين بن محمد حبّيش وأصحابه، وهم نحو المئة في شرقِ بِشَر^(٣) وما تحته من القرى، فكان هذا العملُ جالباً لثبات من في مدّول من الجند الإمامي، وأمانهم على ما وراء ظهورهم، وتوجّه حاكّم العرّ إلى مقوارة عَجَب، لملاقاة أمير الجيش والمدفع، وطلع الجميع مدّول، وأبقوا ثقلهم في العارضة وعليها السيد محمد بن حسن القاسمي، وحاشدَ وبعضُ أهل الحيمة حُماة من حادث غدر، ثم أجمع رأيي المقادمة على التقدم من الجميع في يومٍ واحد، كلُّ طائفةٍ على مَنْ في جهتها

(١) الرايس: بلدة بالقرب من لؤلؤة من همدان صنعاء، انظر، البلدان البليانية، ٨٨.

(٢) رايم: عزلة من كُسمّة من رَيَمَة، معجم الحجري، ٣٧٩ / ١.

(٣) بِشَر: قبيل من حراز، انظر، معجم المقحفي، ٧٩.

[١] في س، حسين.

من الأعداء، فتقدّم من مَدُول/ على بيتِ المشرقي وبني مُدَيِّن ومعه المَدْفَع / ١٢٢ والمتراليوز^(١)، فحاربوا الأعداءَ وهاجموهم الأبطالَ وضربوهم بالمَدْفَع والمتراليوز، فكثُرَ القتلُ في الأعداءِ حالَ الفرارِ، ولم يبقَ لهم هنالك مَفْرُ ولا قَرَار. واستولى المجاهدون على ما قصدوه، ودخلوا^[١] الأهنومَ وظَلَيْمَةَ إلى بني مُدَيِّن مع السيد هادي بن يحيى الكُحْلَانِي، وتقدّم^[٢] حاشدَ الذين بالعَارِضَةِ إلى محلِّ القرداع من أطرافِ بني سعد. ونهض السيدُ محمد القاسمي ومن معه من الحَيَمَةِ بالأثقالِ إلى مَعْرِبَةِ مَدُول، ورتبوا عليها الحِمْاءَ للمحافظة عليها. ولما مرَّضَ أكثرُ أهلِ الحَيَمَةِ الذين في مغارب صَعْفَانَ وتأخروا عن القدوم على وادي حار أمّدهم الإمامُ - عليه السلام - بالسيدِ العلم قاسم بن حسن الوادعي. ومعه كُتَيْبَةٌ من حاشد، فافترقوا إلى طائفتين. طائفة حاشد، قصدوا حصنَ الهادي وشويع من بني جرين، وأهل الحَيَمَةِ قصدوا محطة وادي حار، فرزهم الله النصر في الجهتين، وانهزم الأعداءُ إلى عُبال، وقد طرَقَهم طارقُ الخزي والنكال، ولكن، كان من حاشدَ عدمُ التدبُّرِ والنظرِ في العواقبِ، فأحرقوا حصنَ الهادي وشويع وغيرهما من قرى بني جرين، ورجعوا إلى صَعْفَانَ، وكان الصوابُ الإبقاء على المحلاتِ المذكورة وترتيبها من طرفِ المجاهدين لحفظِ الحدودِ رداءً لتكون لغيرها من محطات الجنودِ الإمامية في مَدُول والطَّرَفِ ومحطات جيش بُرع الآتي ذكره، إن شاء الله، في المنامة^(٢) والشطبة، وعَطَّار^(٣) لأنَّ ذلك الإحراقَ منعَ من إمكانِ البقاءِ فيها بعد ذلك. وكان المجاهدون كلما تقدموا عليها عادوا إلى صَعْفَانَ ولم يتمكنوا من البقاء، وصارت ميداناً لتردُّدِ الأعداءِ فيها، وتلك الحالةُ كانت سبباً

(١) المتراليوز: سلاح اوتوماتيكي بريطاني الصنع.

(٢) المنامة: أمام جبل بُرع، وبيت المنامة، سبق التعريف به.

(٣) عَتَّارَة: قرية من بلاد حراز، وبها حصن، وهي على الطريق بين مَنَاحَةِ والحَجَّيَّة، وبها طائفة من بني أسعد، انظر، معجم المصحفي، ٥٧٧/٢، ومؤرخنا يكتبها بالطاء.

[١] في س، أهل الأهنوم. [٢] في س، أهل حاشد.

لتعويق أكثر أعمال المحطات في تلك الجهات. وأما أهل الحَيمة فكان منهم، بعد الاستيلاء على وادي حار وإذاقة من به كاس الدوار، النهوض إلى جبل الطَرْفِ بأمر حاكم العرّ، وتقدّموا على حصن الزعلا، فأخذوه عنوة بحول ذي الحول والقوة، وثبت أقدامهم هنالك، وصار حظّ الأعداء أمامهم، أي أسود حالك.

وفي أثناء هذه الحروب نُدب عاملُ حَرّاز الأمير صمصام توفيق^(١) بعصاية / ١٢٣ / نافعة للهجوم على الحَجَبِيلَة / فهاجم مَنْ فيها بمنّ معه وطردهم عنها وأحرقها حيث أنه لا يتمكّن من البقاء فيها لعدم مناعتها، وعاد بمنّ معه إلى الضامر^(٢)، ولبث عاملُ حَرّاز هنالك مدّة ثم عاد إلى مركز القضاء، مناخه.

وبقي الأمير صمصام في الضامر مع جنّد وافر، ولم يكونوا من أهل حَرّاز تارة يمدّ جيش بُرع، وتارة جيش صَعْفَان، إلى أن كان ارتفاعُ جيش بُرع الآتي ذكره، فأمره الإمام بالانضمام إلى السيد العلم^[١] قاسم بن حسن الوادعي لضبط حدود صَعْفَان، لظهور الاستغناء عن محطة الضامر ومظنة الانتفاع به، وبمنّ معه في الجانب الآخر، وقد سبق بيانُ قدوم المجاهدين من حاشد على محلّ القراع^(٣) من بني سعد^(٤) واستيلائهم عليه، وطرّد الأعداء منه، ولكنهم لم

(١) صمصام توفيق بن عبدالله، العتيق: كان عبداً للإمام يحيى فأعتقه، وصار يدعى الأمير صمصام، كان علامة، ومذاكراً وإدارياً، تولى قيادة حروب المخّاثم عمالته، وله مشاركة في حروب اليمن الأسفل، عينه الإمام مديراً للورشة التي جاءت محرّكات من إيطاليا، انظر، حياة الأمير، ٥٥٤ .

(٢) الضامر: جبل في بلاد القُحري وأعمال باجل، انظر معجم المحقفي، ٣٥٢ / ٢ .
(٣) القراع: من قبائل مراد، منهم علي ناصر القردي من ولد جميل، انظر، معجم المحقفي، ٥١٠، تاريخ اليمن العسكري، ١٠٥، معجم الحجري، ٦٤٨ / ٢ وقد سبق التعريف بها.

(٤) بنو سعد: ناحية من أعمال المحويت في جِداد حَرّاز، بها قلعة الزاهر انظر، معالم الآثار، ٥٧، معجم المحقفي، ٣١٥ .

[١] سقطت من س.

يقفوا فيه سوى يوم واحد، ثم تركوه لا عن حربٍ وطعانٍ وضرب، وارتفعوا إلى مَدَوَّل، فطمع الأعداء الذين في بني سعد بذلك، وهم أَلْفَافٌ من الأشراف أهل الزاهر وغيرهم، ومن ذي غَيْلان^(١) باعوا دينهم بدنيا غيرهم وانخدعوا للأطماع فحاربوا الله بِشَرِّهم، وجمعوا معهم من بني سعد جماعة غير يسيرة، وتقدموا لمنزلة السيد هادي بن يحيى الكُحلاني، ومن مَعَهُ من المجاهدين في بني مُدَيِّن، وقائدُهم الشريفُ محمدُ بنُ علي مكرم، وقد تكاثَرَ جمعُ الأعداء. وفي بني مُدَيِّن محلاتٌ كثيرةٌ غيرُ صالحةٍ للحربِ وضَبُطُ جميعها يتعسَّرُ على مثل تلك العصابة، فالتحم الحربُ بينَ الفريقين، وكانت ملحمةً كبرى، تخلَّص في نهايتها السيدُ هادي ومن معه، وارتفعوا إلى بيتِ المشرقي، وتفرَّق جيشُ الأعداء في جميعِ قرى بني مُدَيِّن، وقد كانَ من في مَدَوَّل من المجاهدين أمَدُّوا السيد هادي ومن معه بعصابة من المجاهدين، فرجعوا معهم إلى مَدَوَّل، وازداد الشريفُ المذكورُ وجموعُ البغاة عُثُوًّا ونفوراً، وبما كانَ وتمَّ لهم في بني مُدَيِّن فرحاً وحبوراً، فناهضوا مَنْ في بيتِ المشرقي من جندِ الحقِّ، وفيهم الأبطالُ الكُماةُ والرجالُ الحُماةُ والأشدُّ الرماةُ إلى أن وصلوا إلى مسافةٍ قريبةٍ من المحلِّ، وحينئذٍ كان من الشريفِ المذكورِ مخاطبةُ المجاهدين بأن يلحقوا بالأولين منهم، فأجابوه بكلام فيه لين، فصاح على أصحابه بالهجوم، وتقَدَّمهم بنفسه، وكان ذلك دَلِيلاً والليلة مَقْمَرَةً، وثيابه مَبِيضَةً، فرماه المجاهدون بثلاثِ رصاصٍ في الصلبة المتصلة بالبيوت، أثبتوه بها، فخرَّ صريعاً، وزهقت روحه إلى عذابِ ذي الجبروت، ثم خرج إليهم المجاهدون،

(١) دَوَغَيْلان: من قبائل وهم محمدي وحسيني، وبنو غيلان من أهل أنس، وغيلان قرية وجبل في بلاد صَعْدَةَ، انظر، صفة، ١٢٩، الاكليل، ١/ ٢٣٦، معجم الحجري، ٦٢٧/٢.

١٢٤ / / وقد اعترى جميع المخدولين الفشل، ونزل بهم من بأس الله ما نزل، فهزموهم

بإذن الله تعالى، وأثخنوهم قتلاً وجرحاً، فانحدروا سراعاً إلى بني سعد، ولم يتمكن الأعداء من حمل قتيْلهم وأميرهم، بل اقتصروا على أخذ بندقيه، فأخذ بعض المجاهدين سلبه واحتز رأسه، وبعد برهة، تجمَّع الأعداء في سَمْهَر وعُبال، ووصلت إليهم الامداد من الضال^[١]، وتقدَّموا على مَنْ في رايِم والزَّعلا. وتقدم منهم الجيش الذي في بني سعد على بيت المشرقي، واستمرَّ الحرب بين الفريقين من وقت الفجر إلى آخر النهار، واشتغلت كل طائفة بمقاتلة مَنْ يَازائها من العدو، ونفذت المؤنة على مَنْ في الزَّعلا من الأنصار فشهِروا جنابَيْهم، وخرجوا من مراتبهم لمطاعنة الأعداء، فلم يقفوا أمامهم وانهمزوا عنهم إلى فوقِ سَمْهَر، ولكنَّ المجاهدين تغيَّظوا من عدم إمدادهم، وخشوا من الكثرة عليهم، وهم بلا زاد ولا زناد، والبقاء على تلك الحالة خارج عن دائرة المعتاد، فتركوا الزَّعلا وأثَّموا مَدُول، وكان وراء الزَّعلا بيت إبراهيم أحمد، وفيه من المجاهدين تسعة وثلاثون رامياً من نظام هَمْدان، والشيخ محسن العلي والبوني من الجبل وأصحابها. ولما رأوا مَنْ في الزَّعلا قد تركوها همُّوا بالحقاق بهم، فخطبهم العلي بكلامٍ أثارَ حفاظهم، فرجعوا إلى البيت المذكور.

ولما علم الأعداء بخلوِّ الزعلا من المجاهدين كَثُرُوا عائدين، فدخلوا الزَّعلا من دونِ ممانع، وحالوا بين مَنْ في بيت إبراهيم أحمد وبين إمكان الخلاص، وقطعوا عليهم الطريق، ويومئذٍ أقبل إبراهيم أحمد وأصحابه من وادي عُرافة^(١)، فلما وصل إلى باب بيته الصغير اثبت المجاهدون برصاصة قتلته في الحال، وقُتِل أيضاً معه واحدٌ من أصحابه، فتوارى الباقون عن عيون المجاهدين، وتظاهروا في اليوم الثاني، فقتل المجاهدون منهم اثنين، فتفرقوا بعد ذلك، وهابوا الدنو من

(١) وادي عُرافة: عُزلة من ناحية صَعْفان وأعمال حراز، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٥٩٧ ما ورد في الأصل عُرافة.

[١] في س، ابن ادريس الضال.

المجاهدين، والبيت الذي حوصروا فيه، ولكنه اشتدَّ عليهم الحصارُ من بعيدٍ،
وأثارَ طمعَ الأعداءِ في الاستيلاءِ عليهم تكاثُرُ جموعِ الباغين، ولا سيما بعدَ
ارتفاعِ مَنْ في/ بيتِ المشرقيِّ وحواليه من المجاهدين إلى مَدُول، فإنه تكاثُرَ / ١٢٥
الجمعُ من الأعداءِ، وملأوا القُرى ونهضوا إلى مَنْ في قبلي مَدُول وغربيّه من
الأنصارِ، وكرَّروا محاربتهم بقصدِ تعويقهم عن إمدادِ المحصورين، وإحالة
الإفراجِ عنهم، فلم يُعرفْ حالُهم إلاَّ بصوتِ النفيرِ، وكلَّما أُرسلَ المقدَّمي مددًا
للمحصورين، باشرهم بالحربِ جمعُ العدُوِّ القريبُ منهم، واستمرَّ الأمرُ خمسةَ
أيامٍ وعزائمُ المجاهدين متقاصرةً عن إنقاذِ أولئك، حتى مرضَ الحاكمُ تأثرًا من
تقاصرِ خُطى القومِ، وعزمَ على القدومِ بنفسه لدفعِ العارِ واللُّومِ، فشمرَ أهلُ
الحَيِّمةِ عن ساقِ الهمةِ الساميةِ، وصمَّموا على الوصولِ إلى المحصورين ولو
كانتِ القاضيةُ، وأمرَ حاكمُ العِرِّ وأميرُ الجيشِ بقيةَ المجاهدين بمحاربةِ مَنْ في
بيتِ المشرقي ليصرفوا نظرَهم عن طريقِ عنوةِ الحَيِّمةِ، لأنهم نزلوا إلى الوادي
وطلَّعوا من طريقه إلى المحلةِ المتوسطةِ بينَ بيتِ المشرقي وبيتِ إبراهيمِ أحمد
والزَّعلا، ففاجئوا مَنْ في تلكِ القُرى مفاجأةً، وهجموا عليهم بلا مبالاةٍ ولا
مُداجاةٍ، فهزموهم جميعاً بإذنِ الله، وحَقَّقَ اللهُ ظنونَهم، فوصلوا إلى المحصورين
في ثلثِ الليلِ، واشعلوا النارَ في سطحِ البيتِ الذي كان فيه المحصورون إعلاماً
للمجاهدين بما تمَّ لهم من الظفرِ وإدراكِ البغيةِ والوطرِ، وكانوا في حالِ
سلوكهم قد رتَّبوا طريقَهم بأكثرِهم، لأنَّ وراءَهم بيتَ المشرقي، وبيتُ المَزادةِ
والزَّعلا لم يكن من الأعداءِ تخلُّيتُها، فجعلوا الرِّتبَ وقايةً من العذرِ، ولم يحصلِ
من الآخرين اشغالُهم عنهم، ثم عادوا ومعهم من كان محصوراً إلى محطةِ
المجاهدين لم يشاكوا شوكَةً، ولا سالَ منهم دمٌ، وذلك من عنايةِ الله سبحانه

بالمجاهدين إظهاراً لمزية الإخلاص في الأعمال المرضية لذي القُدرة والجلال. وقد كان الأعداء ورؤساؤهم تمدّحوا بما فعلوا، وكتبوا إلى قائد الجيوش الإدريسية، بباجل يطلبون منه الإفادة في كيفية تقسيم سلاح المحصورين، وعلى أيّ صفة يكون إيصالهم إليه، فخيّب الله ظنونهم وردّهم بغیظهم لم ينالوا خيراً/ والحمد لله كثيراً، وبعد أسبوع من فكّ الحصار والإفراج عنهم بمنّ الجبار، كرّ المجاهدون على الأعداء، وجدّوا في محاربتهم فطردهم من تلك القرى، واستولوا عليها مرة أخرى. ونزل حاكم العرّ في بيت إبراهيم أحمد، ولم يجد بداً من بقائه هنالك لتقوية عزائم المجاهدين، وتثبيت أقدامهم في تلك المواقع، لأنّ حالتها كانت حائلة بين بقاء المجاهدين فيها، واستمرارهم على ذلك من شدة الوقت لعدم الماء للشرب والصلاة، فلم يصبر المجاهدون على البقاء هنالك إلاّ بعد معرفتهم أنّ أميرهم نازل ومقيم في أطرف المراتب، فصبروا على الشدائد صبر الكرام، إلى أن أغاث الله البلاد بواكف الغمام، ودبالة الحرب مشتعلة في أكثر الأيام.

ورأى حاكم العرّ أنّ مقابلة رمي العدو بالرمي من المجاهدين، لا يزيد الأعداء إلاّ جرأة على تكرار الغزو ليلاً والقُدوم نهاراً، فأمر المجاهدون بترك الرمي، إلاّ إذا وصل الأعداء إلى أفناء^(١) البيوت، فكان ذلك أضّرّ على الأعداء من طردهم إلى الخبوت^(٢)، لأنهم كانوا أشبه حالاً بالقروء، يهربون كلما رأوا المجاهدين عادين عليهم، بادروا بالفرار، ويعودون من فرارهم إذا عاد المجاهدون من مطاردتهم، وتلك عادة القروء لا عادة الجنود، فكان الإعراض

(١) الخبت: يقع في ناحية المحويت، وينقسم إلى عدة عُزل منها، بنو عمارة وبنو جبع والظاهر وعنس وغيرها، يحده المحويت غرباً وملحان جنوباً ولاعة والطور شمالاً، انظر، حياة الأمير، ٦١٨.

[١] في س، أثناء.

عنهم أشدَّ عليهم من المحاربة والمطاردة، ولم يجسروا على التقدُّم إلى حَيِّز المشاهدة، وسيأتي، إن شاء الله تعالى، بيان ما تجددَ في هذه الجهة^[١] من الحروب^[٢] بعد إكمال^[٣] ما كان في بُرْع بهذا العام لترتب ذلك على الحركات الجهادية هنالك^[٤].

وفيها جهَّز مولانا الإمام - عليه السلام - الشيخ نصير الدين علي بن المقداد راجح بجندٍ كثيفٍ، كامل العدَّة لقصد بُرْع وأطراف بلاد رِيْمَة.

وأمر مولانا الإمام السيد جمال الدين علي بن محمد الشامي أن يقومَ بجنوده لاستفتاح ما بقي من بلاد رِيْمَة حتى يكونَ التقاء الجيشين، وقصدُ بُرْع من الجهتين، فتوجَّه الشيخ نصير الدين بمن معه من الجنود من طريق بيت القابلي، وشرع في مناجزة الظالمين، ومنازلة مَنْ في طريقه من/ الباغين، وجرت بينه / ١٢٧ وبين الأعداء هنالك حروبٌ وخطوبٌ أسفرت عن انهزام الأعداء وجلالهم عن أطراف بلاد الطَّعام، واستقرَّ الشيخ نصير الدين في حصن المنامة أمام جبل بُرْع، وقد نكلَّ بالبغاة، وأذاقَ جموعهم زوَّام الحرب ورداه، وواصلَ الاهتمام في ترتيب جنوده وحماية كلِّ جمعٍ منهم لأطرافه وحدوده.

وأما جيش رِيْمَة فإنه تقدَّم من تلك الجهة على الحَضَن والزَّعلا، وزحفَ تحت قيادة أميره السيد جمال الدين علي بن محمد الشامي، وكان مؤلفاً من أهل الحِدَا وحَوْلَان وحاشد وجبل عيال يزيد، فاستولى على الحَضَن^(١) والزَّعلا وما وراءهما غرباً، وما كان إلى جهة القبلة من الحَضَن إلى جمعة المسخن بعد حروبٍ

(١) الحَضَن: غرب مدينة ذمار ومن أعمالها، والحَضَن، من أخصب وديان نجران، انظر صفة جزيرة العرب، ٢٢٧ .

[١] في س، الجهات. [٢] في س، الحرب.

[٣ - ٣] سقطت من س.

ضروس، جرت بينهم وبين الأعداء، أسفرت عن هزيمة المخالفين، وانتصار المجاهدين، واستولى المجاهدون على عزلة دَرْحَان، وجبل الزَعْلَا وما إليه من بني [١] الحوت^(١). وبلغ بعض أوائل الجيش إلى بني وقيد^(٢) والمسخن، وغنم المجاهدون مالا يُحصَر، وكانت القتل والجرحى من بلاد الطَّعَام كثيرة والأسرى منهم كذلك، واحتُزَّت رؤوس جماعة منهم، فأرسلها أمير الجيش إلى أبيه، عامل رِيْمَة، وطيف بها في البلاد.

وفي اليوم الثاني من القدوم، أقبل بنو حسن^(٣) بعقائر الطاعة، وكذلك شيخ دَرْحَان^(٤) ورتب الأمير ما وراءه كالْحَضَن والزَعْلَا. ثم زحف بجنوده على بني وقيد^(٢) وبني شَرَعْب والجمام والمسخن، فدخلها الجيش عنوة بمعونة الله سبحانه، وأنزل بأهلها، ومن كان لديهم من البغاة مَرَّ النكال وعظائم الأهوال. فانهزموا أقبح هزيمة، ولاذوا بالفرار وعدوه أكبر غنيمَة، ولم يستقرَّ لهم لعظم ما قاسوه من صَوْلَة المجاهدين هنالك قراراً فأصبحت البلاد عن أهلها خالية خاوية ولعظيم ذنوبهم وطغيانهم ناعية، وطالما جعلوا العتو لهم شعاراً واستحلوا مرارة البغي وردوا حياضه استكباراً، ولم يقبلوا نصيحة ناصح، ولا ارتدعوا عن منكرات القبائح، بل جعلوا ديارهم للباغين مأوى للغادي

(١) بني أبو الحوت: عُزْلَة من ناحية الجَبَى من رِيْمَة الأشابط، انظر، معجم الحجري، ٣٧٨/١.

(٢) بنو وقيد: عُزْلَة من ناحية بلاد الطَّعَام وأعمال رِيْمَة الأشابط، انظر، معجم المقحفي، ٧٠٣، معجم الحجري، ٣٧٩.

(٣) بنو حسن: عُزْلَة من ناحية بلاد الطَّعَام من رِيْمَة الأشابط، انظر، معجم الحجري، ٣٧٩.

(٤) دَرْحَان: قرية من ناحية هَمْدَان صنعاء من عُزْلَة حاتم، انظر، معجم الحجري، ٣٤٠/١، معجم المقحفي، ٢٥٠.

[١] في س، الخون.

والرائح، واشرعوا رماحهم إلى صدور المجاهدين / وبذلوا كل ما في طاقتهم في / ١٢٨
 سبيل إعانة أحزاب الطغيان على حزب الرحمن، فأذاقهم الله عذاب الخزي في
 الحياة الدنيا، وأراهم في أنفسهم وأموالهم ما يكرهون. وبهذه الأعمال تم بين
 الجيشين الاتصال، وأجمع رأيي المقادمة على قصد الجبل، ومنازلة من فيه بكل
 بطل فقصدته الجيشان من الجهتين، وجرت بين الأعداء وبينهم معارك
 وخطوب، كان النصر فيها، والظفر حليف المجاهدين والخذلان وهزائم حظ
 المخالفين، واستولى الشيخ نصير الدين وجنوده على الشطبة وعطار، وارتقوا^[١]
 إلى الجبال حرباً، وجرعوا الأعداء من كؤوس طعانهم أهوالاً وكرباً. وكذلك
 كان الحال لدن الجيش الآخر، فإنهم حاربوا من في جهتهم وأجلوهم عن
 أمامهم، وتسمنوا ذرى الجبل لا يخالطهم تهيب ولا فشل. وجاء الباغيين ما لا
 قبل لهم به، فولوا على أعقابهم منهزمين، وأرسلوا صريخهم إلى تهامة مستمدين،
 ولم يواجه المجاهدين أحد من أهل الجبل بالطاعة، بل فرؤا وعلى عصيانهم
 أصرؤا، فكانت جميع مؤن الجيش من الزاد تنقل إليهم من حصن المنامة ومن
 ريمة، وفي ذلك من الصعوبة ما لا يخفى إلى أن مل من ارتقى الجبل^٢ من
 الجيش^٣ الإقامة في مراتبهم، وتسلك بعضهم من هنالك، وأزمع على الفرار،
 وصادف ما كان من خور العزائم إقبال الجيوش من التهائم من عبال على
 العادة.

ولكن الشيخ نصير الدين لم يفارق حصن المنامة، فإنه جعله مقراً لمحطته
 ومعه عصابة نافعة من ذو غيلان وغيرهم، فقصدته الجيش القادم، وجرى بين
 الفريقين حرب عظيمة كان بها كسر حدة الجيش المهاجم ورجوعه إلى ما وراءه
 غير ظافر ولا هازم، وعندما بلغ إلى من بالجبل ما حصل من الغارات

[١] في س، وارتفعوا. [٢] سقطت من س.

اضطربوا، ولم يثبتوا، وخرجوا عن طاعة أمرائهم فتشتوا وجرى عليهم ما جرى على السابقين، وارتفع جيش رَيْمَةَ من الجبل راجعاً إلى أطراف رَيْمَةَ، وتبعه الشيخ نصير الدين ومن معه، وداخل الجميع الفشل وحسب الكل أن البقاء هنالك نوع من الزلل فركبوا مُتَوْنَ الخطل، وتفرق الجيش بأجمعه لما اعتراه من الملل، ولم يأت بالفائدة المطلوبة ولا أكمل ما ابتدء به من الأعمال المرغوبة، / ١٢٩ ولم يبال بما أدخل من الوهن، ولما ارتفعت المحاط عن جبل بُرَج تَنَمَّر المخالفون، وعادت أطراف بلاد الطَّعَام إلى الخلاف، وكاد الخلل أن يسري إلى ما فوقها من بلاد رَيْمَةَ، ولكن عامل رَيْمَةَ وولده شمرًا عن ساق الهمة في حفظ الأطراف وإطفاء نيران الخلاف، ومنع سريان ذلك الداء، ولم يعد الشيخ نصير الدين إلى حضرة الإمام - عليه السلام - بل قصد داره، وبقي فيها، وقد اعترته الأمراض والأسقام إلى أن دعاه منادي الحمام في التاريخ الآتي ذكره، وانتقل إلى جوار الربِّ العلَّام. ولما تمَّ للبغاة ما أرادوه في هذه الجهة، وكانت جموعهم قد تكاثفت، وأمدَّهم الضالُّ الإدريسي من لديه بأجناد ومهات، تزايدت وتكاثرت، انتفخت منهم الأوداج وثللوا بخمرة بغيهم، فأكثروا في ميدان تشويقهم إلى القتال من البكور والرواح والإدلاج، ونهض الشقي محمد طاهر رضوان قائدُهم الكبير إلى عُبال، وذلك في أواخر شعبان من هذا العام، وجمع إليه رؤساء جيوش الضال^(١) الذين كانوا في بُرَج، ومن في جوار صَعْفَانَ وما إليه، وجمع أيضاً قبائل القُحُري وبني سَعْدَ ومدُول والطَّرَف وبني جرين، حتى بلغ جمعهم زهاء ستة آلاف مقاتل ففرق بينهم الزانات وأمرهم بالتقدم على أصحاب الإمام ومراتبهم من جميع الجهات، وكانت محاط أنصار الحق متصلة من مغارب صَعْفَانَ إلى بيت إبراهيم أحمد في مدُول، وألزمهم أن يكون قدومهم

[١] في س، الضالُّ الإدريسي.

في يوم واحد، فتقدّموا في غرة شهر رمضان، وقد عني كلّ فريقٍ منهم بجهةٍ من الجهات، فطائفةٌ تقدموا من الحَجِيلةِ على المقرّبةِ وأكمة خليفة، وطائفةٌ قصدوا من بني جرّين المغارب، ومن وادي حار، عدني مَدُولَ والمشبه، وطائفةٌ من جهة سَمَهَر، قصدوا الزعلا، ومن جهة غرابة بيت إبراهيم أحمد وأخرى من بني مَدَيّين، وجمعوا عزمهم على بيت المشرقي، وفريقٌ كبيرٌ يَمُمُّوا الحَنَكَةَ، وقصدُهم قبلي مَدُولَ، وكانت أكبر الطوائفِ عدداً، ومدداً، التي من الحَجِيلةِ والحَنَكَةِ وسَمَهَر، فوقع بين الفريقين حربٌ عظيمٌ، ثبت فيه المجاهدون أكمل الثبات، وصبروا صبر الكرام، وحاربوا محاربة الأبطال الإثبات، ووقفوا في مراتبهم لم يزحزحهم عنها كثرةُ جموع الأعداء ولا إقدامُهم إليهم إقدامَ الأشداء / وبلغ / ١٣٠

الأعداءُ القادمون من الحَجِيلةِ إلى المقرّبة، فالتقاهم الشيخُ مقبل بن حسين هراش وأصحابه من حاشد بعد خروجه من أكمة، وفيها مدفعُ الإمام، يعينهم بالضرب على الأعداء وإصلاحهم^[١] نارَ البلى، فمال المجاهدون عليهم أيّ ميلة، وكسروهم بعونِ الله إلى الحَجِيلةِ، بعد قتل ذريع، وفتك مريع، متتابع سريع، والقومُ الآتون من الحَنَكَةِ بلغوا إلى قرب قرية مَدُولَ، فدافعهم من هنالك من النظام وطلع أمير الجيش ممدداً لهم بنفسه، ومعه الضباط، ومن عنده من العسكر، مع المدفع والمتراليوز، فهزموهم بإذنِ الله إلى بني سعد، بعد أن قتل منهم سبعة، واستشهد من المجاهدين واحدٌ فقط، وطائفةُ الزعلا بلغوا قريباً منها وصاروا ما بينها وبين بيت إبراهيم بن أحمد، فخرجت عليهم طائفةٌ من أهل الحيمة كانوا في بيت إبراهيم المذكور من ورائهم، وكادوا يُحيطون بهم هم ومن في الزعلا، فبادر الأعداءُ إلى فوقِ سَمَهَر بالانكسار ولاذوا بالفرا، وظهر من قتلهم أربعةٌ وعدةٌ من الجرحى، وسائر الطوائف من الأعداء ناوشوا

[١] في س، وأصلاهم.

من بازائهم من مراتب الأنصار، ثم كَانَ حظُّهم من قدومهم حظَّ الآخرين، فانهمزوا جميعاً آخرَ النهار، وعادوا بالخبيثة والفشلِ لم ينالوا خيراً ولا دفعوا عن أنفسهم ضيراً.

وفي هذه الأثناء بعدَ رجوعهم من قدومهم بتلك الأرزاء جمع محمد طاهر إليه منهم الرؤساء، ودارت بينهم المراجعة على ترتيب أطراف تُهامة وبني سعد، وتقوية محطة عُبال وسمهر، واقتصروا على ذلك لما علموه من عجزهم وخور عزائمهم عن القيام بدفع المجاهدين، فضلاً عما هم مكلفون من لدن الضالِّ من الاستيلاء على ما تحت أيديهم من المحال. وشرعوا في طلب الهدنة مدة شهر الصيام، فأسعدهم المقادمة إلى ذلك، لما فيه من المصلحة، واستأذن الإمام أمير الجيوش في الطلوع إلى حضرة الإمام، وزيارة أولاده، فأذن له الإمام - عليه السلام - ورُفِعَت المتارُسُ بعد المهادنة من الطرفين ببركة شهر الله، رمضان الكريم، وارتفع حاكمُ العرِّ إلى المنصب، ووكل الشيخُ علي بن أحمد قطع على المجاهدين غير النظام وعلى سعيد بك، قومندان^(١) النظام، وإلى الحاكم مراجعتهم في الإقدام والإحجام.

وفيها، في أوائلها كان توجيه أعمال قضاء رَدَاع ونواحيه وقبض واجباته إلى عهدة السيد العلامة يحيى بن علي الذاري، فتوجَّه إلى محلِّ عمله وقام به خير قيام، وحصل الواجبات وضبط الأشرار، وخابر مَنْ في السَّوَادِيه^(٢) من المخالفين/ واستمالهم فلم يبعدوا عن الانقياد، وكان ذلك مقدِّمةً لأعمال الجهاد الآتية في العام المقبل وتوطئة وتمهيداً لها.

(١) قومندان: قائد أو أمير جند.

(٢) السَّوَادِيه: قضاء من لواء البيضاء، شرقي دَمار بمسافة ١٥٠ كم، انظر، اليمن الكبرى، ٦٦، معجم المحققي، ٣٣١.

وفيها، في أثناء إقامته هنالك تمالأ بنوعمر^(١) من (....)^[١] على قتل الشيخ سعيد المرقب من مشائخ تلك الجهة، فضبط المعتدون أيما ضبطاً، وربطوا أحسن ربط وسبقوا في السلاسل والأغلال إلى حضرة مولانا الإمام، وأودعوا داراً لاعتقال، وفرضت على المتمالين الآداب لبيت المال ولحقهم بعدوانهم أشد النكال، وكذلك كان العدوان من بعض آل محسن يزيد من قيفة^(٢)، وهم من أتباع الشيخ علي بن أحمد بن جرعون على بعض المجاهدين النافدين عليهم، وقتلوا واحداً منهم، وقتل منهم المجاهدون، ونالوا منهم، وأرسل شيخهم على بن أحمد بن جرعون إلى مقام مولانا الإمام وأحيل الطرفان إلى المحاكمة لتداعي الطرفين بأن المعتدي هو الآخر.

وظهر في خلال ذلك من الشيخ محمد بن علي الجهمي نوعٌ تهاونٍ بالعامل، فحاول ضبطه ففرَّ المذكور إلى حضرة الإمام، واقتضى الحال إرسال سيدي جمال الإسلام علي بن حسين الشامي^(٣) كاشفاً إلى هنالك، فحقَّق الأحوال، وما رُفِع من الأقوال، وتبين من تحقيقه سلوك الشيخ محمد بن علي الجهمي في غير محجة الصلاح، فأودع دار الأدب بالقصر السعيد^[٢].

-
- (١) بنو عُمَر: أهل ذي ناعم من البيضاء، انظر، معجم المقحفي، ٤٦٤.
 (٢) قَيْفَة: من قبائل رَداع، وهي بطن من مراد، انظر، صفة، ١٥٢، معجم المقحفي، ٥٢٨.
 (٣) علي بن حسين بن عبدالله بن حسين الشامي ت ربيع الأول ١٣٧٢ هـ، عالم مبرز في كثير من العلوم ولا سيما العربية، شاعراً أديباً، وله مشاركة في علم التفسير والحديث، كان الإمام يحيى يشهد له بسعة علمه، تولى القضاء في مَقْبَنَة وَرَدَاع وذَمَار وحِرَاز، وعضواً في محكمة الاستئناف بصنعاء، ولد بصنعاء سنة ١٣٠٢ هـ، ثم انتقل إلى جحانة ورحل إلى الأهنوم ١٣١٦ هـ، حيث درس في هجره، انظر، تحفة الاخوان، ٩٨، نزهة النظر، ٤٢٧، هجر العلم، ٣٢٥.

[١] بياض في النسختين.

[٢ - ٢] من عبارة «وما يحسن ايراده ههنا إلى عبارة ومن ذلك الأبيات إلخ» سقطت من س.

ومما يَحْسُنُ إيرادُهُ ههنا نفثةُ أرسلها سيدي العماذُ يحيى بنُ علي الذاري
- عافاه الله - أثناءَ إقامته هُنالك إلى مولانا الإمام، وهي نفثةٌ أخذت حظَّها من
الإجادة والإحسانِ، ودلَّت على طولِ باعه في البيان، وهي:

[السريع]

أبْذاه للفضلِ بنظمٍ غريبٍ
واصبرْ على فقد لقاءِ الحبيبِ
تهملُه باللَّهوِ وفعلِ المعيبِ
سفاژُ فيها طَبُّ داءِ الكئيبِ
وادعُ إلى الله بقلبٍ مُنيبِ
ظهِراً وأحصاهَا عبْدُ رقيبِ
فهو ضياءُ نوره لا يغيبُ
والنصحُ من شأنِ الأديبِ الأريبِ
لهفي على نفسي بماذا أجيبِ
وبُحْتُ جَهْراً بالبكا والنحيبِ
مذُ كُنْتُ في بُردِ الشابِ القشيبِ
خمسون مني واستنار المشيبِ
راج وظنني أنني لا أخيبِ
مَنْ لي بهم في السوْدِ أغلى نصيبِ
حظاً يقيني هولَ يومِ عصيبِ
فتحِ والنصر المبين القريبِ

عمري لقد أَحَسَنَ يحيى بما
انصبَّ نهاراً في طِلابِ العلا
لكنه لو قالَ واللَّيلُ لا
وسامر الأسفارِ يا حبذا لأ
وصِلْ ورداً لا تكنْ وانيباً
وابك ذنوباً منك قد اثقلتُ
واتلُ كتابَ الله يا ذا النهي
قلتُ أنا ما قلتُ مستدرِكاً
والقولُ مني خالفَ الفعلَ يا
لا تعجبوا إن هِمتُ في وجهتي
كم بثَّ في أسرِ الهوى موثقاً
واليومَ ما عُذري وها قد دَنْتُ
ياربِّ إني مذنَّبٌ خائفُ
بالخمسةِ الأطهارِ أهلِ الكسا
هب لي من التوفيقِ يا ذا العُلى
واحفظْ أمامَ العصرِ وأمدُّه بالـ

/ ١٣٢

قلتُ، وهي كما تراها جميلةٌ موضوعاً ومقصداً، مفيدةٌ في النهايةِ والابتداءِ، وقد انتقدَ النظامَ بها ما حكاه غيرُ واحدٍ من المؤرخين، أنه وردَ بريدُ خراسانَ على الرشيدِ، وكان يحيى بن خالدٍ بن برمكٍ بين يديه، فرمى إليه بطاقةً فيها أنَّ الفضلَ بن يحيى تشاغلٌ عن مصالحِ العبادِ، بالصيّدِ والقنصِ، وكان عاملاً على خُراسانَ من قِبَلِ الرشيدِ، فكتبَ يحيى بنُ خالدٍ على ظهرها يلومُ ابنه على إهمالِ مصالحِ أعماله. ومن ذلك، الأبياتُ انصَبَ نهاراً في طلابِ العلى... الخ.

وفيهما صدرَ الأمرُ الشريفُ من مولانا الإمام -عليه السلام- بعزلِ السيدِ الأجلِّ محمد بن علي الذاري^(١)، ورفعَه من عمالةِ زَبِيدَ بعدَ طلوعِ جماعةٍ من تجارِ زَبِيدَ يشكون من مطالبةِ العاملِ لهم بالزكاةِ الباطنة، وأنَّ الهيئةَ التي كُلِّفَها تقريرُ ما على كُلِّ واحدٍ منهم جازفوا فيها وضعوه عليهم، وحملوهم ما لم يكن لديهم، فانتهى أمرُ شكواهم إلى قبولِ أيّامهم فيما يلزمهم من الزكاةِ، وتعيين السيدِ محمد بن محمد بن أحمد غمضان الكبسي كاشفاً يكون عزْمُه صحبتهم لتقريرِ أحوالهم، ورفع ما يشكونه من عدمِ رعايتهم، وعزموا جميعاً إلى هنالك واقتضى الرأيُ الشريفُ بعدَ ذلكِ إناطةَ قضاءِ زَبِيدَ وواجباته إلى السيدِ فخر الدين، عبد الله بن أحمد الوزير من جملةِ البلادِ التي تحت نظره، وكذلك أُضيفَ إلى ما بيده من الأعمالِ واجباتُ قضاءِ إبِ جميعه، جبلةَ وبلادها ومخلافِ الشوافي^(٢)

-
- (١) محمد بن علي بن أحمد الذاري ت ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ هـ، عالم عارف بالفقه والفرائض، تولى أعمال خبان ثم التَّادِرة فَعُتْمَةً ثم زَبِيدَ، وقد عزله الإمام بعد ارتفاع الشكوى منه، فعاد إلى الذاري، وتولى أعمال ناحيتها، ولد في رمضان ١٢٨٧ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٩، أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى)، ١٣٢/٢، هجر العلم، ٦٦١.
- (٢) مخلاف الشوافي: ناحية كبيرة، شمال غرب إب بنحو ميلين ويشمل عدة عُزل انظر، صفة جزيرة، ١٤٩، ٣٢١، معجم الحجري، ١/ ٤٩-٥٠، قرة العيون، ٣٣٧.
-

ومخلاف بَعْدَان وناحية المخادر، وكذلك ناحية حُبَيْش مِنْ أَعْمَالِ قُضَاءِ الْعُدَيْنِ،
فاتسعت الأعمالُ التي بنظره، وصارت معظم البلاد.

وكان المومى اليه حرياً بهذه الثقة من مولانا الإمام، فإنه اتصف بالتحرر
على العدل فيما هو بنظره، وضبط أمور الواجبات، وتقريرها على أحسن منوال،
وأجمل حال واستحصا^[١].

١٣٣ / وعيّن مولانا الإمام لعمالة زبيد الفقيه محمد بن عبدالله الشامي، عامل
حيس، حيث مُدَّ منابُ المذكور في قيامه بأعمال ناحية حيس، فكان في عمله
الأخير مشكور السيرة، مشهوراً بالعفة والاستقامة، وطيب السيرة، فحزم أمور
تلك الجهة، وضبطها أحسن ضبط،^[٢] ولم يُنسب إليه تقصير^[٣]، ورضي به هنالك
العامة والخاصة.

وأما السيد فخر الدين، عبدالله بن أحمد الوزير، فإنه بعد توجيه الأعمال إلى
نظره نهض من دمار وأقام في إب أشهراً يرتب أمور جبايتها وأحوالها، واستمد
من مولانا الإمام تعيين الفقيه محمد بن يحيى بن مداعس مأموراً للمالية، فأُسعد
إلى ذلك. ولما أكمل ما يحتاج إليه ذلك القضاء انتقل من إب إلى زبيد، وأقام
فيها زمناً رتب فيه قواعده، وأقام فيه شواهد، ثم قفل راجعاً إلى دمار، وقد بث
في تلك الجهات ما رام من الأنظار ونتائج الأفكار.

وفيها تحرك عامل الجشع والجزع في النصارى الذين في عدن، فأوحوا إلى
شياطينهم بما في أفكارهم من الانزعاج من جيوش مولانا الإمام، وتقذّمهم في
تلك الأصقاع، ودبروا الحيلة في ما تكون به الغيلة، وكاتبوا رؤساء يافع

[٢ - ٢] سقطت من س.

[١] سقطت من س.

وصديقهم الخبيث، نصر بن شايف، وسلطان المكلا القطيعي^(١)، والجميع إليهم ينتمون، وفي نصرانيّتهم يعمهون، وبذلوا لهم النقود الواسعة، والدخائر الحربية، حتى الدنميت الذي من شأنه أن القطعة منه تنسف الدار العظيمة، إذا أُلقيت فيه، وأمروهم بمحاربة أصحاب الإمام، والعزم على ذلك بأقدام واهتمام، فمضى نصر بن شايف نحو الأَجْعُود، وشوّقهم على الخلاف، والانضمام إلى مَنْ قَدْ جمعهم من الأَجْلَاف، فثاروا بمن لديهم من المجاهدين، واغتالوا جماعة من المجاهدين والأنصار، رزقهم الله الشهادة، وكتب لهم السعادة، وتجمع أهل يافع عن بكرة أبيهم، وانقسموا إلى طائفتين منهم، وهم معظمهم قصدوا الشَّعِيبَ، وهو من البلاد الإمامية، وفيه عاملة السيد محمد بن علي بن إسحاق، ومعه عصابة من الأنصار، وكان القاصدون للشَّعِيب لا ينقصون عن ستة آلاف مقاتل، وقيل ثمانية آلاف، منهم: أبوبكر بن علي النقيب، والسلطان فضل محمد، والحضارم والمفالحة^(٢) وأهل المؤسطة وغير هؤلاء، وأما الطائفة الثانية، فمنهم السلطان الخائن الناكث، صالح بن عمر البكري والداؤوي^(٣)

(١) غالب بن عوض بن محمد بن عمر اليافعي ت ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢، سلطان المكلا والشحر، كان لين الجانب، تولى بعد وفاة أبيه سنة ١٣٢٨هـ، ضم إلى بلاده وادي دوعن الشمالي والجنوبي ووادي حجر وميفع والريدة وبالحاف، عقد معاهدة مع آل كثير، توسط سنة ١٣٣٧هـ بالصلح بين يافع وإمام اليمن، أكثر إقامته في حيدر أباد الدكن، توفي بها أنظر، تاريخ حضرموت السياسي، ٢/ ٢٨، ٣٥، ٤٥، ملوك المسلمين المعاصرين، ٢/ ٤٢٨، الإعلام، ٥/ ١١٤.

(٢) المفالحة (المفلحي): ومنه قبائل السلياني والدهرشي والذرحاني وأهل مسلم وأهل خلّة وغيرهم، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٢١١-٢١٥.

(٣) الداؤوي من قبائل يافع العليا من أهل الحَدّ والتي تسمى العناق قديماً، ويسكنون الجنب والحمراء والخلقة وأهل ماحوم، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٢٠٤.

١٣٤ / والأبعوس^(١) والعناق وغيرهم، فجعلوا قصدهم جُبْن^(٢) وما إليها، وتفقدوا على أن يكونَ تقدم / القاصدين للشُعَيْب، وبعدَ أخذِهِم الأهبة، تقدّموا نحوَ الشُعَيْب والشيطانَ يقودُهُم ويُغويهم، وطَبَّقُوا أنحاءَ الشُعَيْب وغشِيها جيشُ الباغين، وحاصروا العاملَ وَمَنْ معه، وَضَيَّقُوا عليهم الحصارَ وحسبوههم أنهم قد صاروا تحتَ مخالِبهم وبرائينهم، وكانَ أميرُ الجيشِ سيدي يحيى بنُ محمد بن عباس في قَعْطَبَة حينئذٍ، وقد أهدقت به الأخطارُ من كلِّ مكانٍ، فبادرَ بإرسالِ مَنْ لديه من الجندِ نحوَ الضالِج، وأمرَ عاملَ الضالِج أن يعزَمَ بهم، وَمَنْ لديه من الجندِ نحوَ الأَجْعود، والشَّقِّي نصر بن شائف، فتقدم^[١] إلى البغاة والمخالفين وواقَعَهُم في أطرافِ الأَجْعود، وأسكنَ كثيراً منهم بطونَ اللحود، وفرَّقَهُم وشَتَّتَ شملَهُم، وفرَّ نصرُ بنُ شائف معَ مَنْ معه من النصاري، وكفى اللهُ المؤمنين شرَّ تلكَ الجهة، وقد كانَ أهلُ يافعَ قربوا من جبلِ حرير، وأرادوا ترتيبيته منعاً لمن يريدُ الإعانةَ للمجاهدين، ووصولَ المددِ إليهم من الضالِج، وأمدَّ مولانا الإمام - عليه السلام - سيدي عمادَ الدين بأسودِ القتالِ، وأبطالِ النزالِ من المجاهدين مرةً بعدَ أخرى، وأمرَ الامامُ النقيبَ المجاهدَ قائدَ بن راجحَ الخولاني بالعزمِ مجدداً من بَعْدان، ومعه جماعةٌ كبيرةٌ من أصحابِهِ، ومن أهلِ بَعْدان، وكذلك جمعَ الأميرُ جمعاً عظيماً من الشعرِ وعِمَارَ والعَوْد، ووجَّهَ الجميعَ إلى الشُعَيْب، وأمرهم بمنازلةِ أهلِ الإفكِ والريبِ، ومناجزتهم على جهةِ البدار، والتفريجِ عَمَّن تحتَ الحصارِ خشيةً من استسلامِهِم للعدوِّ الملازمَ لهم بالحربِ في الرواحِ والغدوِّ، فبادروا بالمسيرِ إلى أن وصلوا إلى أطرافِ الجهةِ التي استولى

(١) الأبعوس (البُعسي)، من قبائل يافع العليا منها الحَوْرِي والسيلي، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٢٠٩ .

(٢) جُبْن: مدينة من قضاء رَدَاع، انظر، صفة جزيرة، ٣١٥، معالم الآثار، ٩٣ .

[١] في س، متقدم.

عليها الأعداء، وفعلوا بها كلَّ قضيةٍ شنعاءٍ، فلا تسَلَّ عما دأهم البغاةَ من الجِلادِ، وحرَّ الوحزِ بالأسنةِ الحدادِ، وكيفَ عادتْ جموعُ كثيرهم إلى القلعةِ، وبدَّلوا من كِبَرهم بأقبحِ ذلَّةٍ، فإنَّ المجاهدين أقدموا عليهم إقدامَ الأسود، وهاجموهم مهاجمةً تتصدَّعُ بها الأكبادُ قبلَ الجلودِ، ولم يقتصروا على تبادلِ الرميِّ بالبنادقِ والمدافعِ، بل تناولوا جميعَ أصنافِ الطَّعانِ، وأرَّوهم من صنوفِ الشجاعةِ ألواناً وأَيَّ ألوانٍ، فكانتْ ملحمةٌ كبرى، ويوماً من أيامِ الله التي لا يزالُ يتردَّدُ لها في العالمين ذكرى، أسفرَ عن إنزالِ الله نصره على المؤمنين، وهزيمةَ الباغيين والمتفرنجين، ومنح المجاهدين أكتافهم، فطفقوا يقتلون ويأسرون من الأعداء، ويطاردونهم في تلك البقاع، وهم يفرَّون فرارَ الشاةِ عدتْ عليها الذئابُ في البِداءِ، لا يلوي الأخُّ على أخيه، ولا يهتُمُّهم غيرُ النجاةِ بأنفسهم، وإن تركَ الشجاعُ منهم ذويه وبنيه وأهليه / ومزَّقهم اللهُ شَرَّ ممزقٍ، وشبعت / ٣٥ السباعُ من لحوم قتلاهم، وامتلات منها البقاعُ، فقليل: إنَّ قتلاهم تجاوزَ عددها المئةَ، وفيهم من أعيانهم كثيرٌ كالسلطانِ فضل محمد ووليدِ الشيخ أبوبكر بن علي النقيب، والشيخ محمد بن زيد الحُرَيْبِيِّ وغيرهم، وأسر أيضاً من رؤسائهم وأعيانهم جماعةٌ، وانقشعوا عن الشُعَيْبِ كُلِّه، ولم يستقرُّوا إلَّا في بلادهم، وكفى اللهُ المؤمنين شرَّهم، وانتهب المجاهدون ما وجدوه من أموالهم ومهملاتهم، وتعدَّى النهبُ إلى أموالِ أهلِ الشُعَيْبِ.

ولما كان الأميرُ يعلمُ أنَّهم مُكرَّهون من البغاةِ على مسالمتهم، أمرَ مَنْ في يدهِ من شيءٍ من أموالهم برَدِّها فردوها، وصادفَ نهوضُ الطائفةِ الأخرى من الباغيين وقتَ فرارهم من الشُعَيْبِ، وقد وصلوا إلى الدركِ الأسفلِ من الوبالِ والدمارِ، فرجعوا معهم وشاركوهم في الفرارِ، وبطلَ ما أجمعوا عليه من الأضرارِ، وكفى اللهُ

مَنْ فِي جُبْنٍ شَرَّهْمُ بَدُونِ قِتَالٍ وَلَا مِقَاسَةً نَزَالَ.

وقد كان حاكمُ جُبْنٍ ومن معه من الرتبة في تلك الجهة تحيَّروا في أمورهم، واضطربوا، فأتاهم من الفرَج ما لم يحتسبوا، وأمدَّهم اللهُ بعنانيته وألطافه، فستروا وحجَّبوا، وتمَّ في كلِّتا الجهتين ما يُرامُ من الإصلاح، وإعادةِ الأمورِ إلى مجاريها وتقديرِ أحوالها، والمنةُ لله وحده.

ولا يخفى أنَّ عاملَ الشُعَيْبِ ومن معه ثبتوا ثباتاً عظيماً، وأبلوا في هذه الفتنة بلاءً جسيماً، وصَبَرُوا صَبَرَ الْكِرَامِ، ولم يبالوا بما داهمهم من الجيوش الكثيرة، والخطوب الكبيرة إلى أن أدركهم الفرَج، وذلك من تثبيت الله تعالى ببركة مولانا الإمام، وأعجبُ من ذلك أن أميرَ الجيشِ سيدي العماد، أرسلَ قبلَ قدومِ الباغين على الشُعَيْبِ وهجومهم ثلاثين نفرًا من النظام إلى عاملِ الشُعَيْبِ، فتأخروا في طريقهم، وباتوا في محلٍ يسمى أرضةً بالقرب من الضالع، فباكرهم جيشُ العدوِّ صباحاً، وباشرهم بالرمي، وقد تهيَّئوا للخروج إلى حيث أرسلوا فعادوا إلى البيوت، ودافعوا عن أنفسهم، وطمَّهم موجُّ الأعداء، فلم ينل منهم، ولم يُقْدِرْ على إخراجهم. ولما علمَ أميرُ الجيشِ بحالِ أولئك النظام، أرسلَ ممدداً لهم بعصابةٍ من جندِ الحقِّ، وتيسَّرَ لتلك العصابة التفرُّجُ عن المحصورين / ولم يصابوا بأذى، فما هابوا تلكَ الجموعَ، ولا نالهم منه خطبٌ يروع، وقايةُ الله أغنت عن مضاعفةٍ من الدروع وعن عالٍ من الأطم.

هذا، وقد ذكرنا ما كان في الأَجْعُودِ وأنهم - أعني الأعداء والمخالفين - لم يظفروا بمرام، وكان حظُّهم ذلك الحظُّ المشؤوم، ولما تألَّبت جموعُ يافعٍ وبلغهم ما عزموا عليه من القدوم، تراجعت إليهم أبعاضُ الآمال، وكادوا أن يعودوا لما

كانوا عليه من الضلال، ولكنَّ الأمير لم يترك امدادَ عاملِ الضالع، ولم تنسه مَنْ في هذه المحطة خطوب تلك المعامع، فثبتَ عاملُ الضالع، ومن لديه من الجنود، وجرى بينهم وبينَ البغاةِ عراكٌ وحروبٌ. فيها كُلُّها كان النصرُ للمجاهدين والخذلان، نصيبُ أعداءِ الدين.

ولما انقشعت غمامةُ فتنةٍ يافع، وجَّه الأميرُ همَّته لتقوية تلك المحطة، وتقدّم المجاهدون على بقيةِ أهلِ الخلاف، لم يكن منهم إلا المدافعةُ التي لا تُذكرُ حتى لاذوا بالفرار، وخلت منهم الديار، وبعدها واجهَ أهلُ الأَجْعودِ وبذلوا من أنفسهم الطاعة، وسلّموا ما اشترطَ عليهم من الرهائن، وكذلك أهلُ عبدالله^(١). ثم نهض الجيشُ إلى جبلِ رَدْفان وهو إلى محمد بن صالح القطيبي، وقد جمع جُوعاً، فكانت بينهم وبينَ المجاهدين محارباتٌ ومجادلات، كان النصرُ فيها لجندِ الحقِّ، واستولوا على معظمِ الجبل، ولم يبقَ لمحمد صالح وجموعه طاقةٌ على المقاومةِ واعتراهم الفشلُ، فتبدّد جمعُهم وخلي منهم، ربّعهم، واهتَمَّ عاملُ الضالع بتثبيت المراتبِ في تلك الحدودِ وتقويتها، وأعرضَ عن التوغُّلِ لما أمره الإمامُ بذلك لما رآه من المصالح العامة، الجديرة بالملاحظة والاعتبارِ وإن خفيت على كثيرٍ من ذوي الأنظار، واستقرت بعدَ ذلك الأحوالُ في تلك الجهاتِ وطهرها من أدران البغي والنجاسات.

وفي أوائل هذا العام، بعدَ أن كان من النجديين طائفةُ ابن السعود ما سردنا وقوعه، على قبائل يام منهم كثر الإرجافُ بغزوهم بينَ قبائلِ خَوْلان بن عامر، ودارت من أجل ذلك مراجعاتٌ بين علماء صَعْدَةَ وجهاتها، وبين رؤساءِ قبائلها، وأجمع أمرهم على الاستعدادِ للمقاومة والمدافعة، إن قصدَهم بأقوامه^[١]،

(١) آل عبدالله علي في ذي الهجيرة من قبائل القطيبي من الأَجْعود (ردفان)، انظر تاريخ القبائل البيانية، ١٥٢.

وترتيب أطراف البلاد إذا ظهرت آثار أقدامه.

١٣٧ / وأجمع رأيهم أيضاً على أنهم لا يحتاجون إلى مدد من غيرهم، لما هم عليه من كثرة العدد، وقوة الجلد، والتمكّن من صدّ غارات النجود وغيرهم، وإنما الذي يحتاجون إليه هو المدد بالسلاح ومؤنة وإجراء الكفايات، ووجود رئيس يجمع كلمتهم، ويكونون تحت قيادته يدبّر أمرهم، وحصروا أمالهم في التعويل على المولى سيف الإسلام، محمد بن الإمام الهادي^[٢]، وأنه لا يقوم غيره مقامه، ولا ينوب منابه، وراسلوا مولانا الإمام - عليه السلام - بما أجمعوا عليه، وكان المولى سيف الإسلام في تلك الأيام مقيماً في جبل الأهنوم بداره في المذان^(١)، فأرسلوا إليه عدداً منهم يحوي نفرًا من السادة والعُقّال، ولم يُسعدْهم إلى ما راموا معتذراً بأعذاره، وكان في تلك الفينة عاكفاً على العبادة، ومطالعة الأسفار لشدة شغفه بالعلوم، وارتشاف رحيقها المختوم، فطلبوا من مولانا الإمام الزامه بالإسعاد إلى ذلك المراد.

وقبل هذا الحادث كانت الظنون في أهل الشام مختلفة، فمن قائل أن أهل الشام إذا شاموا وسيلة للخلاف فلا بدّ من إهراهم إليها، لأنهم لم يدخلوا في الطاعة إلا رهبة بعد أن طال الحرب بينهم وبين الإمام نحو اثنتي عشرة سنة، أولاً في فتنة القاسمي^(٢)، ثم في فتنة الإدريسي، ولم يكمل إصلاح تلك الجهات وإزالة الخلاف إلا بعد أن انضم إلى جند الإمام جند الاتراك الذين دخلوا إلى

(١) المذان: مدينة في جبل الأهنوم، بها مركز ناحية شُهارة، إحدى نواحي محافظة حجة، انظر، البلدان اليمانية، ٢٥٤، معجم المقحضي، ٥٧٣.

(٢) المقصود حسن بن يحيى القاسمي الضحيجاني ت في ٥ جمادي الأولى ١٣٤٣ هـ، عارض الإمام يحيى، ولد بضحيان سنة ١٢٨٠ هـ، انظر، نزهة النظر، ٢٤١، هجر العلم، ١٣١.

[١] في س، بقومه.

[٢] في س، الهادي لدين الله، شرف الدين.

بلاد خُولان بن عامر مدداً لأنصار الإمام، وقد خلت منهم تلك الجهات، فظهور ما يستندون إليه باعثٌ لهم إلى العود إلى ما كانوا عليه ولا يخفى ما في هذا النظر من قوة الاستدلال.

ومن قائل، قد زال ما في الصدور، وصلحت أحوال الجمهور، وثبتت أقدامهم على الطاعة، فمن البعيد ميلهم إلى الخروج عن الجماعة، ولا سيما إلى مثل هذا الغريب، وهذا كما لا يخفى نظر مغزاه، الحمل على السلامة، لا سوى لتقدم ميلهم إلى الإدريسي وهو غريب، وعلى ما نراه مما ذكرنا من مراسلتهم، وما أجمعوا عليه، نجد أن الواقع قد حقق الرأي الأخير العاري عن الدليل، وما ذاك إلا من جملة سعود مولانا الإمام الخارقة، وما عوَّده الله تعالى من عناياته وكفايته لمهمات الحوادث السابقة، فكَمْ خطب جَلَل ظَنَّهُ أهل العقول مما يهولُ قد عادَ كأنَّ لم يكن بركته - عليه السلام - واندفع بأيسر مشقة وانقضى بسلام، وكفى الله الإمام شره، وكثيراً ما تكون الخطوب في تناهيها بعون الله تعالى لمولانا الإمام منقلبة إلى ما فيه صلاح المسلمين والإسلام، وكاشفة عن حصول ما لا يمكن الوصول إليه/ بالسيوف والأقلام.

١٣٨ /

ولما وصلت منهم هذه المراسلة، كان الأخذ بالحزم هو الذي عليه التعويل لدن مولانا الإمام. وقد كان من المنقول عن جماعة النجود الذين وصلوا إلى يام ودخلوا بدرأ من نجران، أنهم كانوا يرتجزون بقولهم: (قد أرجفت صنعا وبدرأ دين). ترجح لدى مولانا الإمام - أيده الله - إرسال المولى، سيف الإسلام، أحمد بن قاسم حميد الدين، والمولى القاضي علي بن علي اليماني، شيخ الإسلام،

والسيد العلم قاسم بن حسين أبوطالب^(١)، ناظر الأوقاف الصنعانية إلى المولى، سيف الإسلام، محمد بن الإمام الهادي إلى الأهنوم للمراجعة في هذا الشأن، وإلزامه الحجة بدخوله إلى بلاد صعدة، وقيامه بما عولوا عليه فيه، إذا ظهر من النجديّ العدوان، وقصد بلاد الإمام بما له من الأجناد الذين يسميهم بالإخوان، فتوجه المذكورون إلى تلك الجهة، ونزلوا في الأهنوم، ودارت بينهم وبين المولى، سيف الإسلام، محمد بن الإمام المراجعة، وفي نهايتها كان منه امتثال ما أمر به مولانا الإمام، وصرف الله شر أولئك النجود، فلم يكن منهم أقلّ تعرّض على بلاد الشام أو المام. وانحصرت فائدة هذا الاضطراب في بيان ثبوت أقدام سكان تلك الجهات على الطاعة وحسن نيّاتهم فيما التزموه من البقاء مع الجماعة، وهي فائدة كبرى، أدخلت إلى قلوب المؤمنين السرور، وضاعفت الحبور، وعمّت بها البشرية والله الحمد.

وفي هذه السنة، شرع مولانا الإمام ببناء داره السعيدة في بستان المتوكل^[١] بعد أن شرى^[٢] البستان وما حوله من بيت المال. وكان الأتراك لما أخرجوا ما كان فيه من العمارة، بنوا مكانها بناءً فخياً، وجعلوه مستشفى للجنود، فنقض مولانا الإمام كثيراً من المستشفى وعمّر في مكان الجانب الغربي من المستشفى داره السعيدة.

(١) قاسم بن حسين بن محمد بن أبي طالب، ت محرم ١٣٨٠ هـ، المعروف بالقاسم العزي، أبو طالب، مصلح، عالم أديب مشهور، واحد من الذين توسطوا في عقد صلح دغان بين الدولة العثمانية والإمام يحيى، عينه الإمام يحيى سنة ١٣٣٠ هـ لنظارة الأوقاف الداخلية، وأرسل سنة ١٣٣١ هـ ضمن وفد لمراجعة محمد بن الأدرسي لحقن الدماء، كما أرسل في عدة مهمات للتهدئة، وقام بأدوار في اصلاح ما بين القبائل من منازعات، ولد بالروضة في شهر رمضان ١٢٩١ هـ، انظر نزهة النظر، ٤٧٦، حياة الأمير، ٥٨٢ (من مؤلفاته، بلوغ غاية الأشواق في ذكر السفر إلى العراق، مخطوط مكتبة أوقاف صنعاء، رقم ٦٩٥).

[١] في س، قاسم بن حسين. [٢] في س، اشترى.

وفيها لما انقضت الهدنة بين المجاهدين الذين في صَعْفَانَ وما إليه، وبين أعوان الضال^[١]، جهَّز محمد طاهر رضوان من باجل جيشاً ومعهما^[٢] مدفعان من مدافع الضال، فاجتمع إليه أهل الحدود، وتقدَّم الجميع على بيت إبراهيم أحمد من جهتين، فطائفة ومعهم مدفع قصدوه من الجهة القبليَّة من تحت حماطة، والطائفة الأخرى ومعهم المدفع الآخر قصدوه من الجهة العدنية/ من ١٣٩ / المحلَّة التي فوق سمهر، وباشروا البيت المذكور بالرمي من المدفعين، ومكثوا يرمون عليه بهما يوماً كاملاً، فلم تُصب البيت رصاصة واحدة، وأعجزهم الله تعالى عن ذلك، فخارت قواهم وخمدت جمرتهم، وكان في البيت المذكور من المجاهدين علي بن أحمد الخمري، والنقيب حسن بن حسن الحداد، ونحو مئة رام من النظام وغيرهم، فانقسموا إلى طائفتين، وخرجوا إلى الأعداء، فطردوهم بمدفعيهم عن مكانهم، وأنزلوهم إلى البیداء، وأرجعوا المدفعين إلى باجل، وعادوا إلى الترتيب كما كان وأيسوا بعد أن بذلوا كلَّ جدٍّ وإمكان، وما النصر إلا من عند الله العزيز المنان.

وفي خلال هذه المدة، كانت المراجعة من السيد مساوي بن عبد الرب الساكن في دهو الدار، وقد مرَّ ذكره فيما سبق بالصُّلح بين مقادسة الإمام وبين محمد طاهر المذكور، وسعى في ذلك أتمَّ سعي، وعضده في مسعاه منصب المراوعة^(١) السيد عبد القادر بن أحمد الأهدل، وحاصل سعيهما قصد إصلاح أهل الحدود الذين خربت ديارهم، وسُلبت أموالهم بأن يكون من الطرفين تهجير تلك الحدود بارتفاع قوم الإمام إلى صَعْفَانَ، وانخفاض جيش الإدريسي

(١) المراجعة: مدينة تُهامية شرقي الحديدة بمسافة ٣٥ كم، يعود تاريخ عمارتها إلى القرن الثالث الهجري انظر، فرجة الهموم، ٣٢٠، اليمن الخضراء، ٨٩/١، المفيد، ١٥٦ معجم المقحفی، ٥٨١ .

[١] في س، الضال الادريسي. [٢] في س، ومع.

إلى باجل، والتزما التزاماً مكتوماً لمقادمة الإمام بإصلاح أهل الحدود من بني سعد إلى بني جرّين متى رجعوا إلى ديارهم وعمّروها، وادخلهم حظيرة الطاعة، لأنهما قد علما وعلم أهل البلاد أيضاً بأنه لا نجاة لهم من المهالك إلا بالدخول تحت طاعة الإمام. ولكنهم لا يتمكنون من الرجوع إلى ديارهم وبلادهم بما معهم في تهمّة من القراش^(١) والمتاع إلا باسم الصلح، لأنهم ممنوعون عن الرجوع من جهة محمد طاهر وأعوانه، فرفع مقادمة الإمام إلى الحضرة الشريفة حقيقة ما دار من المراجعة، فلم يحصل من الإمام الإسعاد^(٢) إلى رفع^(٣) مراتب الجهاد خشية من الغدر، وحثّ الإمام على تأمين مَنْ عادَ إلى بيته من أهل البلاد، ولما لم يحصل مرأى السّيدين، استأذن السّيد مساوي المذكور من محمد طاهر في طلوعه إلى حضرة الإمام، والتماس الإسعاد إلى ذلك المرام، وكان من قبل يستأذنه ولا يأذن به.

وفي هذه الأونة بعد الإياس رضي له بذلك، فوصل إلى حضرة الإمام، وقابله بكل بر وإكرام، وحرّر بيده الأوامر الشريفة بتأمين الناس وأصدقائه أن لا محيص لهم من الطاعة والانقياد، وأنه لا يمكن رفع المراتب، وعاد المذكور من المقام الشريف بما معه من الأوامر/ الشريفة الامامية شاكرًا لما تلقاه به الإمام / ١٤٠ من البر والإكرام والإرشاد إلى ما به يعمّ نفع الأنام، وكيفيه هول ما ارتكبه من الشرور والآثام.

ولما عاد السّيد بما زوّده الإمام به، وبثّ ذلك في أهل الحدود مالوا إلى المسالمة، وقد بلغت أرواحهم إلى التراقي من أهوال ما لاقوه من المشاق، وتلف منهم العدد الذي لا يُحصّر في فيافي تهمّة، فعادوا سراعاً إلى أوطانهم، واقتضى

(١) القراش: الحيوانات التي تعيش في المنزل ما عدا الكلاب والقطط، والبعض يراها إنما تقصر على حيوانات الركوب، الخمار والبغل والحصان، والتعبير شائع في اليمن.

[١ - ١] في س، برفع.

الحال تخفيف المراتب وتقليل الجنود للاستغناء عنهم، وأذن مولانا الإمام لحاكم العرّ بالارتفاع، وقد مكث هنالك هو والمجاهدون من أهل الحيمة سنة وعشرة أشهر، وأمر الإمام أمير الجيش الشريف عبد الله بن محمد الضمين بالعزم إلى مدّول، واستقرّ هنالك، ولم يبق بعد ذلك حادث يستحق الذكر والتدوين، وخاب أمل الشيطان اللعين، وأنت أيّها الناظر المتأمل، إذا تأملت ما سرّناه من حوادث تلك الجهة، وما كان فيها من^[١] المعارك والخطوب والنكبات والكروب تجدها نتيجة مساعي ذلك الشقيّ عبد الله بشرّ واغتنامه ما عليه حال أهل البلاد من الجهل البسيط والمركب، فحملهم على ركوب ذلك المركب الأصعب، وبدّ لهم من أمنهم خوفاً. ومن هنائهم جوراً وحيفاً. ولم يحمله على هذا السعي الخبيث غير ما ظنه من المدافعة بذلك عن أطماعه التي كان يعتادها أيام الأتراك، وطلب الاستمرار على ذلك في أيام دولة الإمام، فجلب المحنة بإيقاظ الفتنة، وأتلف تلك البلاد وأهلها وأموالهم، وجرى من عدل الله تعالى أن اجتاحت النوائب الشقيّ المذكور وولده وأكثر أهليه وأمواله فيمن اجتاحت، فلم يصل إلى مأرب، وباء بسوء المنقلب. وإنما أوردت هذه النبذة جلباً للاعتبار بما يجري في هذه الدار، وأنّ الأطماع من شأنها جلب البوار، وإنزال صاحبها إلى درك الدمار، نسأل الله العافية والوقاية من كلّ داهية.

وفي هذه السنة كملت عمارة البئر العظيم^[٢] والبناء الخالد الفخيم والإحسان الذي فات الأوائل، وكانت أمنية كلّ فاضل، وهو البئر المباركة العظيمة^[٣] التي شادها مولانا الإمام - عليه السلام - للجامع الكبير في صنعاء المحروسة،^[٤] والذي بعث همّة مولانا الإمام إلى هذا الخير المشكور والعمل

[١] في س، من الفساد والمعارك والخطوب. [٢ - ٢] سقطت من س.

[٣ - ٣] سقطت من س.

النافع المبرور، أنَّ الجامع الكبير على ما هو عليه من الشهرة وعظم القدر وقَدَم العهد، وعموم الانتفاع^[١]، لم يكن موجوداً به ماءً حلواً، بل ماؤه كثير الملوحة وكثيراً ما هَجَرَ الوضوء في مطاهيره المصلون، ولا سيما في زمن الشتاء حين تشتدُّ / ١٤١ / يبوسةُ الهواء ويبردُ الماءُ فاستعمال مثل ماء الجامع الكبير يجلبُ تشقُّق الأقدام، ولم يهتدِ أحدٌ من الأئمة والملوك والسلاطين، على كثرة عددهم منذ كانَ عمارة الجامع المذكور، إلى هذا العهد لإزالة هذا النقصان،^[٢] فقيَضَ الله مولانا الإمام لحفرِ البئرِ المذكورة في طرفِ بستانِ الجامع، وكان الشروعُ بحفرِ بئرٍ صغيرة حتى جرى اختبارُ الماءِ في تلك البئر الصغيرة، ووجدَ حلواً لا ملوحة فيه، وحينئذٍ أمر مولانا الإمام - عليه السلام - في توسيع البئرِ المذكورة إلى المقدار الذي تحقَّق الاحتياجُ إليه وإجراء طوايتها وجعلها مرتفعةً من فوق سطح الأرض ارتفاعاً يمكنُ به وصولُ الماءِ منها إلى الجامع، ثم صارَ إجراء الحفرِ فيما بين البئر ومطاهير الجامع، وشيَّدتِ الساقيةُ من البئرِ الجامع^(١) في قساطير^(٢) تحت الأرض، وطُمَّتْ بعدَ تشييدها بالتراب. وعمَّر مولانا الإمام منهلاً فوق حارة الأهر^(٣) ليستقي منه أهل تلك الحارات، فعمَّ به الانتفاعُ لاحتياج أهل تلك الحارات إليه، وعلى الإجمال، إنَّ هذا الأثرَ الكبيرَ عُدَّ من

(١) حول البئر والسبيل، انظر، مساجد صنعاء، ٧.

(٢) القساطير: جمع قسطار وهو الميزاب أو ما يشبهه، انظر، وصف صنعاء، ١٠١.

(٣) حارة الأهر: نسبة إلى مسجد الأهر التي عمرته فاطمة بنت الأمير الأسد بن إبراهيم بن أبي الهيجاء الكردي سنة ٧٧٦هـ، يعرف قديماً بمسجد بنت الأمير، في الجهة الجنوبية عدني الطريق النافذة من السائلة إلى جامع صنعاء، انظر مساجد صنعاء، ٧-٥، معجم الحجري، ٢/ ٥٤١.

[١] في س، فلم.

[٢] - جاءت هذه الفقرة مبتورة في س حيث جاء «فحفرها في طرف بستان الجامع الكبير، ووجد الماء حلواً، وأوصله إلى الجامع بواسطة ساقية من البئر إلى الجامع في قساطير تحت الأرض.

حسانات مولانا الإمام التي تأخر منها الزمان، وتقدّمت في باب البرّ والإحسان، ولم تعلق بها خواطرُ الأقدمين، ولم يوازنها ما تعاظمت من أعمال السابقين، ورُفعت إلى مولانا الإمام التهاني بإكمالها كما ارتفعت من الخاصّة والعامّة الأدعية المقبولة بمنّ الله إلى الربّ ذي الجلال، بإثابة مولانا الإمام أفضل ثواب كوفيّ به مَنْ قام بجليل الأعمال، وقد أرّخ إكمال عمارة البئر والسبيل السيد الأديب محمد بن عبد الرحمن شرف الدين^(١) بقوله:

[المتقارب]

وهادي البرايا سبيل الرشاد	إمام الأنام سليل الكرام
بشراً فيا نعم ما قد أشاد	أشاد لجامع صنع الكبر
فأكمل رونقه المستجاد	وأجرى له العذب من مائها
يدب الكرى في حليف الشهاد	تري الماء يجري إليه كما
ومال إليه جميع العباد	فقد صار جامعنا روضة
لجامعنا والسبيل المشاد	فلله بئر بناها الإمام
فقد بلغ الناس أقصى المراد	إذا قيل أرّخهما نـاظماً
وتاريخه ذا سبيل الرشاد ^٢	فتاريخها مثل تاريخه

سنة ١٣٣٩

(١) محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد شرف الدين ت ١٣٦٢ هـ، عالم، أديب، شاعر، التحق بالعمل لدى الإمام أحمد منذ ولايته للعهد، حين قاد الحملات لاستعادة المناطق التي استولى عليها جيش عبد العزيز آل سعود في صعدة، ولد في صنعاء ١٣٠٨ هـ، كتب البرق المتألق في رحلة سيف الإسلام إلى المشرق، انظر، نزهة النظر، ٥٣٣، هجر العلم، ١٩١٩.

١/ وينضمُّ إلى هذا الأثرِ الجليلِ ما أمر به مولانا الإمامُ من تحويلِ المنبرِ في الجامعِ المذكور^١، فإنَّه كان المنبرُ موضوعاً على صفةٍ تمنعُ من اتِّصالِ الصَّفِّ الأوَّلِ لحيلولةِ المنبرِ عن ذلك، ونحن معاشِرُ الهدوية^(١) من مذهبنا أنَّ الاتِّصالَ في الصَّفِّ الأوَّلِ واجبٌ، وإلاَّ بطلتْ صلاةُ المنقطعين عنه، المُوازين لمن خلفَ الإمامَ من أهلِ الصَّفِّ الأوَّلِ، فأمر مولانا الإمامُ بإدارةِ استطالةِ المنبرِ إلى جهةِ الشرقِ أو الغربِ، وأمكنَ بعدَ ذلك اتِّصالُ الصَّفِّ الأوَّلِ كما يُرام.

و^٢ هذا، وإنَّ كانَ أمراً يسيراً في بابِه، إلَّا أنَّ فائدَتُهُ كانت عظيمةً والاهتداءُ إليه مع مرورِ الأجيالِ، وهو على ما كان عليه من سابقِ الحال، دليلٌ على الفكرةِ السليمة^٢.

وفيها أمرَ مولانا الإمامُ قبيلةَ همدانَ بأنَّ يجمعوا مِنْ مقاتلتهم^[٣] عدداً معلوماً يكونون من جُملةِ النظامِ أسوةً بإخوانهم من القبائلِ المجاورةِ لصنعاءَ، فأظهروا الامتثالَ، ثم سلكوا سبيلَ المِاطلةِ والتسويقِ، وشوَّقَهُمْ على ذلك من لا خيرَ فيه من ذوي الجهلِ المُركَّبِ، بأنَّ صوَّروا ذلك الطلبَ والقيامَ والمبادرةَ إلى الانقيادِ له نوعاً من الإذلالِ، وصادَفَ في ذلك الحينَ، وعاملُ همدانَ السيدُ الجليلُ حسينُ بنُ علي الحيفي مُصَابٌ بالمرضِ، وقد أبل منه،^[٤] ولكن اعترأه ما هو شبيهه بالمانخولِيا فهو معتزلاً للأعمال^[٤]، فأكثروا من التجمع وإعلانِ الظواهرِ بأنهم لا يرضون بما ذُكر. وفي تلك البرهةِ رأيَ مولانا الإمامُ - عليه السلامُ - تعيينَ السيدِ الجليلِ محمد بنِ قاسمِ الظفري عاملاً على همدانَ، وأمره بالخروجِ إلى الناحيةِ ومباشرةِ أعمالِها، وأصبحه بعصايةٍ من الجندِ لإجراء ما أمرَ

(١) الهداوية: اسم يطلق على اتباع المذهب الزيدي، نسبة إلى الهادي إلى الحق الذي ركز دعائم المذهب في اليمن.

[١ - ١] في س ورد «وفيها أمر الإمام تحويل المنبر في الجامع».

[٢ - ٢] سقطت من س. [٣] في س، مقاتليهم. [٤ - ٤] سقطت من س.

به الإمام من جمع النظام وتحصيل الواجبات.

فخرج العامل الجديد مع أصحابه وتوجه إلى لؤلؤة^(١)، وقد كان اجتماع عدد غير يسير من جُشم^(٢) وغيرهم كالهائمين لا يدرون ما مغبة تلك الحركات في سوق بيت أنعم^(٣)، ومنها توجهوا إلى جهة لؤلؤة، فرأى العامل أن المقام هنالك ربما أدى إلى حدوث فتنة وهي غير مُرايدة للطرفين، فنزل بمن معه إلى ضلاع^(٤)، ومن هنالك بادر بالعزم ليلاً بنفسه والوصول إلى حضرة الإمام موضحاً للحال ومستمدداً لما يأمره به الإمام من مقابلة أولئك بالحرب أو الاعتزال، فرجع مولانا الإمام دخوله مع أصحابه إلى صنعاء، دفعاً للفتنة التي هي غير مقصودة، وانتظاراً لما يؤول إليه أمر أولئك المجتمعين من الإصرار أو الندم وسرد الاعتذار.

وفي صباح ذلك اليوم، وصل جماعة من عُقال همدان واعتذروا ونسبوا ذلك إلى السفهاء منهم والجهال، وطلبوا العفو من الإمام والإغماض عنهم، لأنهم لم / ٤٣ يقصدوا بذلك مقاتلة جنود الإمام، فقبل الإمام عُذرهم، وتفرق ذلك الجمع من

(١) لؤلؤة همدان: قرية وواد من ناحية همدان صنعاء على مقربة من ريعان، وهو واحد من متنزهات صنعاء الشمالية الغربية، انظر، اليمن الكبرى، ٧٥، قرة العيون، ٣٠٠ معجم المقحفي، ٥٥١.

(٢) جُشم: قبيلة من حمير، منازلها في بَعْدان وريمان وعروان وحملان بلواء إب وكذا سَعْوَان وشعوب بضواحي صنعاء المشالية انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ١/ ٨٦.

(٣) بيت أنعم: قرية في أعلى وادي ضهر من عَزْلَة الربع من أعمال ناحية همدان، على بُعد ١٤ كم شمال غرب صنعاء، انظر، السيرة المنصورية لابن دعثم، ١/ ٢٠٨، رياض الرياحين، ٨٦، صفحات مجهولة، ٨٨.

(٤) ضلاع: بلدة في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٨ كم، وهي من الوديان الخصبة المشهورة بزراعة القات، انظر، معجم المقحفي، ٣٩٦.

ذاتِ نفسه، واهتمَّ مولانا الإمامُ بالبحثِ عَمَّنْ تظاهر بمخالفةٍ ما أَمَرَ به الإمامُ، وحثَّ الناسَ على الاجتماعِ والتهاونِ بالطاعةِ، فأرسلَ مَنْ ضَبَطَهُمْ وأودَعَهُمْ دارَ الاعتقالِ، ثم أنفذَ الإمامُ - عليه السلام - أمره فيهم من أجل النظام، وانقادوا لما أُلْزِمُوا به. ولم يُهْمَلِ الإمامُ ما كان منهم من التجمُّع، فأمرَ عاملَ هَمْدَانَ السَّيِّدَ حسينَ الحَيفي، وقد شفاه اللهُ مما أَلَمَّ به من الأسقام، بالبحثِ عما يُزْرَعُ من القَضْبِ على المطرِ ويسْمُونَهُ بالقَضْبِ^(١) العقر، فلمْ تخلُ عنه قريةٌ من قرى هَمْدَانَ، فأمرَ الإمامُ عامله باستحصالي واجبه منهم لما مضى من السنين، وعيَّنَ على كُلِّ قريةٍ مقداراً من المالِ في مقابل ذلك، ولم يُرِدِ الإمامُ سوى تأديبهم على ما كان منهم، وزجرهم عن العُودِ إلى مثل ذلك، فأنفذَ العاملُ ما أَمَرَ به الإمامُ، وصلحتْ من أولئك الأحوالِ، فلمْ يَبْدُرْ منهم ما يكونُ داعياً للانتقام.

وفيها أسندَ مولانا الإمامُ عُمالةَ الطويلة^(٢) وبلادها إلى عهدة الشيخ راجح بن راجح بن سعد بن صالح وأبوه هو الشيخُ ظهيرُ الدين، أحدُ أعوانِ الإمامِ المشهورين بالوفاءِ والإخلاصِ في الطاعة، وكان مولانا الإمامُ قد أمرَ الشيخَ راجح بن راجح المذكورَ قبلَ توظيفه في العُمالةِ بِخَرَصِ الواجباتِ في تلكِ الجهة، فقامَ بذلكَ قياماً رَفَعَهُ إلى صَفِّ العَمالِ، والنظرُ إليه من الإمامِ بعينِ الكمالِ، وصادفَ في تاريخِ تعيينه أنَّ أحدَ أقاربِ النقيبِ محمد بن علي ردمان

(١) القَضْبُ: هو البرسيم عند غير أهل اليمن، انظر، مذكرات المؤيد بالله، ١٨٠ .

(٢) الطويلة: مدينة بالغرب من كوكبان بمسافة ٢٥ كم، في سفح جبل القرائع، بها مركز قضاء الطويلة المطل على بلاد المحويت من الغرب، وإلى الجنوب على بلاد حراز والحَيْمَة، انظر، صفحات مجهولة، ٧٢، اليمن الكبرى، ٦٣، طبق الحلوى، ٢٠١، معجم المقحفي، ٤٠٦، هجر العلم، ١٢٧٢ .

تعدّى عليه سفينة من بني النويرة^(١)، أهل الخبت^(٢)، فقتله، فجيء بالقاتل إلى حضرة مولانا الإمام مكبلاً وأودعه القصر السعيد، وأفهم الإمام النقيب محمداً المذكور وهو المطالب عن ورثة القتل، باختيار أحد الأمرين القصاص أو الدية، فكان ميل النقيب إلى الطرف الثاني، ولكنه لم يقنع بما يلزم شرعاً بل عن له أن يشتط في الطلب زاعماً أن المقتول نقيب والقتل غيلة، فهو يزيد مضاعفة الدية عملاً بما يعتاده أرحب من طريقة طاغوتهم الممقوت، فأقنعه الإمام عما لا يلزم شرعاً، فخرج من حضرة الإمام مغاضباً، وكاتب قبائل حاشد وبكيل مستنجداً لهم على أهل الخبت وزاعماً بأنه سيغزوهم بمن سيجمع إليه، فلم ير الإمام بقاء مثل الطويلة وبلاذها خالية من العامل / فانتخب مولانا الإمام / ١٤٤ راجح للعمالة المذكورة وأصدر أوامره الشريفة إلى الجهات التي يؤمل أن يكون مرور أصحاب ردمان منها، ومن سيجب من رُعاع القبائل بمحافظه أهلها لحدودهم، ثم زال ذلك الإبراق والإرعاد، ولم يجبه أحد إلى الفساد والعناد، فانقاد لأمر الإمام، ولم ينل من ذلك سوى تسويد الصحيفة، وتكدير رونق أعماله في الجهاد، فقد كان محمداً المذكور من أحسن أنصار الإمام واستفاد بحسن مناصرتيه جاهاً وقبولاً لما يقوله لدن قبائله أرحب وغيرهم، ولم يعلم المسكين أن سر ذلك هو حسن طاعته للإمام، ولما جرب نفسه في ضدّها خابت ظنونه، ولم يجد لداعي شره قبولاً ولا مجيباً، ولم يصف له يوم بعد ذلك، فإنه ابتلي بالمرض، وما زال ملازماً له إلى أن فارق الحياة، وانتقل إلى ساحة الوفاة.

(١) بنو النويرة: من سكان قُروى بخولان الطيال بالجنوب الشرقي من صنعاء، انظر، معجم المقحفى، ٥١٣.

(٢) الخبت: يقع في ناحية المحويت، يحده المحويت غرباً وملحان جنوباً ولاعة والطور شمالاً، انظر، حياة الأمير، ٦١٨.

وفيها عين مولانا الإمام القاضي أحمد بن محمد الأنسي^(١)، عامل قعطبة رئيساً لمالية تعز، وأناط به ترتيب أمورها وضبطها على أحسن منوال، وعين مكانه في عمالة قعطبة أخاه القاضي علي بن محمد الأنسي فتوجهها إلى محلي أعمالها^(٢) وقاما بما عهد إليهما.

وفيها توفي الشيخ محمد ناصر مقل^(٣)، عامل القماعة، وأسند وصيته إلى مولانا الإمام بثلاث تركته، فوجه الأمام، عمالة القضاء المذكور إلى ابن أخيه الشيخ قايد بن صالح مقل لمكان كفاءته على القيام بالأعمال، فلم يؤثر عنه تقصير أو إخلال.

وفيها وصل إلى مقام مولانا الإمام الشريف ناصر بن شكر مرة ثانية بكتب من الشريف حسين بن علي بن محمد بن عون تتضمن عين ما في الكتب الأولى والخاص في ذلك الموضوع، فمكت برهة في حضرة الإمام ثم قفل راجعاً إلى مرسله مزوداً بالجوابات اللازمة والإفادات الهامة.

وفيها ظهر من بعض السادة آل النعمي سكان الشرف الميل إلى ناجم تهامة^(٤)، ونزل بعضهم إلى ميدي^(١)، ودارت بينه وبين أعوان الضال^(٢) مراجعات، وعاد من هنالك وقد وصلوه بالحظ البخس من الخطام، ووعدوه

(١) أحمد بن محمد الأنسي: ت في شعبان ١٣٤٦ هـ، كان رئيساً لمالية تعز ثم نائباً لأمر لواء تعز، حمل رسائل من الإمام يحيى لمصطفى كمال، وعين ناظراً للمعارف عند تشكيلها ١٣٤٦ هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٣٤.

(٢) ميدي: مدينة على ساحل البحر الأحمر غربي حرض بمسافة ٣٠ كم، من قبائلها بنو مروان، تتبع ادارياً محافظة حجة، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٩، معجم المقحفي، ٦٤٩.

[١] في س، عمليهما.

[٢] في س، مقل باشا.

[٣] في س، تهامة ابن ادريس.

[٤] في س، الادريسي.

بالمَدَدِ والمَعُونَةِ وعهدوا إليه بإفسادِ قبائلِ الشرفين، وأعطوه ما طلبه من المؤنَّة، وكان مولانا الإمامُ يثقُ بالسادةِ بني النعمي كُلِّهم، ولهم هنالك حظٌّ كبيرٌ وكلمتُهم مقبولةٌ لَدَنَ الصغيرِ والكبيرِ خصوصاً السيد / علي بن يحيى بن علي / ١٤٥ النعمي فهو من ذوي العرفانِ، ومن شاركَ مولانا الإمامَ في أيامِ الطلبِ في القراءة، وهو يتولَّى عن أمرِ الإمامِ أكثرَ وظائفِ الحكومةِ في تلكِ الجهة، فلم يكنْ يَحْطُرُ على بالِ أحدٍ أن يَظْهَرَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ الميلُ عن الحقِّ إلى جانب الضلالِ والسعي فيما يُغْضِبُ ذي الجلالِ ويَجْلِبُ الخزيَ والسوبالَ، فشرعَ النازلونَ إلى تُهامَةٍ بعدَ رجوعِهم في إفسادِ تلكِ الجهة، وتمَّ لهم ما أرادوه من استمالتهم إلى ما يرومون، وشرعوا في إعمالِ الحيلةِ للاستيلاءِ على حصنِ كُحلانِ الشرف، وفيه عاملُ الإمامِ السيدُ محمدُ بنُ محمدَ حَجَّاف^(١)، فتَيَقَّظَ العاملُ المذكورُ، وشعرَ بما قد حصلَ من التمايُزِ على المكرِ والخديعةِ، وأخذَ من أَعْمالِهِم الحَذَرَ فلم يَتَمَّ لَهُمْ ما دَبَّروهُ من الاحتيالِ والمكرِ والاغتيالِ، وظهرَ الخفيُّ وبانَ وتميَّزَ مَنْ كانَ قَدْ مالَ إلى المباينةِ وأغواه الشيطانُ، وجرتْ مصادماتٌ ووقعاتٌ، وأمدَّ مولانا الإمامُ عامِلَه بجندٍ من ذوي الثَّباتِ وحسنِ النِّيَّاتِ، فتضاءَل أمرُ الفتنةِ، واختفى شبحُ المحنةِ، وفرَّ مَنْ مالَ إلى الفسادِ، وأعلنَ المباينةَ، وأقصرَ عن الاسترسالِ في ميدانِ الغوايةِ مَنْ لم يكنْ قَدْ أبدى الجفاءَ، وجاهرَ بعدمِ الوفاءِ، وتنصَّلَ عَمَّا قامَ به المجاهرونَ، وأظهروا البراءةَ منهم ومنْ أَعْمالِهِم، وما دَبَّروهُ مِنَ الخديعةِ والإفسادِ ومحقِّ الصَّلاحِ المنشورِ لَوائِهُ في البلادِ، ووصلَ إلى

(١) محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن مطهر جَحَّاف ت صفر ١٣٥٩ هـ، عالم، فقيه، رحل من ظفير حَجَّة سنة ١٣٠٠ هـ، حين قصفه الوالي العثماني محمد عزت بالمدفعية، تولى للإمام يحيى بلاد الحَيمة وبلاد الشرفين، ثم عاد إلى الأهنوم، مولده في ظفير حَجَّة سنة ١٢٩٦ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٧٦، هجر العلم، ١٣٣٢ .

حضرة مولانا الإمام السيد علي بن يحيى النعمي متنصلاً مما نسب إليه من الرضا بأعمال سفهاء ذويه، وشاكياً من أعمال العامل، وأنه هو المسبب لما ظهر من الاختلال، وبعد ذلك لم تمض مدة وجيزة إلا وقد عادت الأمور إلى مجاريها كما كانت من قبل وزال ما حدث من الاختلال وجَلَّ.

وفي شهر شوال من سنة ثمان وثلاثين كانت وفاة القاضي أحمد بن علي السياغي^(١)، ناظر السنارة بمحروس حصن السنارة، وكان حازماً هماماً وفاضلاً حساماً، وعُقب وفاته وجه مولانا الإمام ما كان بنظره من الأعمال إلى السيد الهمام أحمد بن عبد الكريم حجر^(٢)، فقام بالأعمال خير قيام وحسنت نيابته كما يرام.

وفيها أيضاً في التاسع والعشرين من شهر جمادى الأولى كانت وفاة القاضي إسحق بن عبد الله المجاهد^(٣) بمحروس حصن كحلان تاج الدين، وقبره قريب من

(١) أحمد بن علي بن عبد الكريم بن أحمم السيّاغي ت شوال ١٣٣٨ هـ، عالم في الفقه، حافظ، له معرفة بالطب، هاجر إلى صعدة سنة ١٣٠٥ هـ، والتحق بالإمام الهادي شرف الدين تولى أعمالاً كثيرة منها ناظرة الشام بالنيابة، انظر، هجر العلم، ١٥٣١ .
(٢) أحمد بن عبد الكريم بن حسن حجر ت ١٣٦٢ هـ، تولى ووالده قبض الزكوات في بلاد أرحب، ثم وكيلاً لبيت المال في صعدة ثم نظارة صعدة سنة ١٣٣٨، كان وكيل بيت المال والصرف للجيش الذي أخضع يريم، ولد بصنعاء ١٢٨٨ هـ، انظر، نزهة النظر، ٩٢، حياة الأمير، ٥٣٠ .

(٣) اسحق بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله المجاهد ت ٢٩ جمادى الأولى ١٣٣٨ هـ، عالم محقق في الفقه وأصوله، تولى حكومة سنحان ثم انتقل سنة ١٣٣٦ هـ بتكليف من الإمام يحيى إلى كحلان عقّار للتدريس فيه وبقي حتى توفي، انظر، نزهة النظر، ١٧٣، أئمة اليمن، ٤٦/٢، هجر العلم ١١٧٦، حياة الأمير، ٦٠، ٥٣٧ .

جامع كُحلان في الجهة القبليّة، وكان مولانا الإمام أمره بالعزم إلى/ هنالك / ١٤٦
 للقيام بتدريس العلم الشريف، فامثّل أمر مولانا الإمام، ومكث هنالك مدة
 قائماً بما أمر به، ثم اعترته الأسقام إلى أن وافاه الحِمام،^١ وهو من بيتٍ اشتهر بهم
 العلم واشتهروا به، ومكّنوا من غوامضه جميع طلابه، ولم يزل هذا القاضي
 ملازماً للتدريس من عهد شبابه إلى أن شاخ، وطبعه يميل إلى الانقباض عن
 مخالطة الناس في جميع أحيانه، وإذا حضر مجلساً لزم السكوت إلاّ جواباً، ومع
 ذلك^٢ فقد ولي حكومة سنحان في زمن الحكومة العثمانية مدة طويلة. ولما
 جرى الائتلاف كان ممن عُيّن شاهداً لدن الحاكم الأول في صنعاء، واستمر على
 ذلك إلى أن ألغي توظيف الشهود لدن الحكام، وعُيّن حيث ذكرنا، إلى أن توفي،
 رحمه الله،^٣ وإنما أدرجت ذكر وفاته ووفاة عامل السنارة ههنا للسّهو عن إدراج
 ذلك في حوادث السنة الماضية ووفاتها حريةً بالتقييد، فأثبت ذلك لمن يريد^٤.

في أوائل سنة تسع وثلاثين، والإمام - عليه السلام - مقيم في الروضة كان
 من مولانا الإمام تكليف أهل الغولة^(١) وبيت الذيب^(٢) بما كلف به إخوانهم
 من بني الحارث من النظام والانقياد والامثال بكل ما يأمرهم به والمذكورون،
 لكون محلّهم بالقرب من مساكن قبيلة أرحب، قد كانوا حالقوا أرحب في زمن
 الأتراك للتخلص من مطالب الأتراك ولأموّر اقتضت ذلك، فأرادوا الاستمرار
 على تلك الحال مع وجود الفرق بين الزمانين والحالين، وجَدَّ عليهم الإمام فيما
 طلب منهم، والمذكورون قد سَوَّل لهم بعض عُقال أرحب تحسين الامتناع،
 فأنفذ عليهم الإمام عصابةً من حاشد، وأوصلوا عُقالهم وأعيانهم إلى حضرة

(١) الغولة، قرية في أرحب، وأخرى في بني الحارث، انظر، اليمن الكبرى، ١٨٦، معجم
 المحقفي، ٤٨٦.

(٢) بنو الذيب: قرية من بلاد بني مطر (البُستان)، انظر، معجم المحقفي، ٢٥٤.

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س.

الإمام وأودع بعضهم الحبس.

وفي أثناء ذلك وصل جماعة من عُقَّالٍ أَرْحَبَ يراجعون من أجلهم، فأقنعهم الإمام أن لا محيص لأولئك عن الامتثال لما أمروا به، وانقضت تلك الحادثة، ولم يجز ما يكدر صفو السكون، وبعد أن ظهر التحزب لهم من بعض السفهاء، وأرادوا بذلك إشعال نار الفتنة، فصدّمهم الجِدُّ من الإمام، وألزمهم السكوت والإقلاع عن تلك الأحلام، وفيها في شهر شوال، رَفَعَ إلى مولانا - عليه السلام -.

١٤٧ / السيد النبیه محمد بن عبدالرحمن بن أحمد شرف الدين تهنئة بعيد الفطر السعيد^١ حرية بالاثبات، ومطلعها:

هلالٌ لشهرِ العيدِ باليُمْنِ قد بدا	حكى زورقاً في جُفَّةِ البحرِ عَسَجدا
أم العيدُ وافاناً بكلِّ مسرة	على رغمِ أنفِ الحاسدين مع العدى
أم السَّحَرُ لا - استغفرُ الله - إنه	حرامٌ وسحرُ النظمِ سحرٌ من اهتدى
أم الروضُ إنَّ الروضَ تزهو زهوهُ	زماناً وزهرُ النظمِ يزهو مؤبداً
ألا إنَّه نظمٌ تَخَيَّرْتُهُ لِنَـ	دعانا إلى الباري تعالى وأرشدنا
يُنيهِ بالعيدِ السعيدِ وبالعلی	وبالعزِّ والمجدِ الأثيلِ وبالندى
ولا غرو أن ازرى نظامي بالبها	وبالبحثري والحاجري وأحمدا
فما زانه حتى على الشمسِ قد علا	سوى مدحٍ من ندوة مولی وسيدا
إمامُ الهدى يحيى سليلُ محمدٍ	ومنْ بخصالِ الفخرِ طُراً تفرّدا
له همةٌ تمحو دُجى كلِّ مشكلٍ	له خُلُقٌ يجلو عن المهجة الصدى
ولا عيبَ فيه غيرَ أنَّ عدوّه	إذا جاءه أسقاه كأساً من الردى
أيا روضة الإيمانِ يا نزهة التقي	ويا منبع الآدابِ والفضلِ والهدى

[١ - سقطت من س، من عبارة «حرية بالاثبات ومطلعها حتى ونفى عنها الغلواء».

تَقَبَّلْ مِنْ الْمَمْلُوكِ جَوْهَرَ مَدْحِهِ تَخَيَّرْتُهَ وَأَسْمَحَ فَنَفْسِي لَكَ الْفَدَى
وَعُذْرًا فَإِنَّ الْقَلْبَ فِي غَيْرِ بُرْجِهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَا نَجْمِ الْبَلَاغَةِ مَا بَدَا
أَطَالَ إِلَهُ الْعَالَمِينَ بِقَاكَ يَا حَيَوَةَ الْهُدَى وَالْمَكْرَمَاتِ وَأَيَّدَا
وَلَا زِلْتَ بَدْرًا فِي سَمَاءِ هِدَايَةِ لَشَمْلِ ظِلَامِ الْمُعْتَدِينَ مُبَدِّدَا
وَلَا زَالَ شِعْرِي فِي امْتِدَا حِكِّ جِيدَا وَنَجْمِ ذِكَاثِي هَكَذَا مَتَوَقِّدَا

ولهذه القصيدة بقية تركت إثباتها لعدم إشتغالها على ما يبعث إلى ذلك من محاسن البيان وحسن الافتتان، وقد سرد الناظم عذره في دعواه، وعلو شعره على من ذكره من الفحول، بأن ذلك لعلو قدر ممدوحه - عليه السلام - وهو عذر / ١٤٨ مقبول أزال غرابة الدعوى، ونفى عنها الغلواء^(١).

وفيها كان استفتاح القسم الأعظم من ناحية المقاطرة، وهذه الناحية معدودة من قضاء الحُجَرِيَّةِ، إلا أنها ما زالت بكرة إلى قبل هذا التاريخ، واشتهرت قلعته بالمناعة والحصانة وعدم النظير في الارتفاع، وانتفاء المضاد، وانضم إلى ذلك ما قيل أن المشير مصطفى عاصم باشا، ووقته هو الوقت الباسم، والفائق على سواه من أزمنة ولادة الأتراك، عاد عن هذه الناحية خائباً، ولم يظفر منها بطائل، قيل عن جيشه إنه هُزِمَ، فطار صيت تلك الجهة في الآفاق، واشتهر بأنها مما لا تؤخذ عنوة، ولا يوجد مثل رجالها في القتال والنزال، ولا يبعد أن يكون من المتولين من بني علي سعد^(١) في أيام الحكومة العثمانية إلى اتخاذ مخالفة أهل المقاطرة وتمردهم وسيلة للإبقاء عليهم، وإحالة أمور قضاء الحُجَرِيَّةِ إليهم وبياناً لمزية إطاعتهم، ومنذ دخول أعمال الحُجَرِيَّةِ تحت ولاية مولانا الإمام مكثوا على ديدنهم المعلوم، وقد أفرطوا في عتوهم في آخر أيام دولة

(١) بني علي سعد: أسرة حكمت الحُجَرِيَّةِ، وهم من بني الجماعي، يسمون أهل الأصيلع، انظر، حياة الأمير، ١٤١ .

الأتراك حتى أن منهم من قتل الشيخ أحمد نعمان^(١) قائم مقام الحُجَرِيَّة، وهو في خيمته وحواله أصحابه وعساكر الأتراك الموصوفون بالحزم وعدم الإخلال بنظام الحراسة والتعبئة وفرَّ من بينهم، وما زالوا على إصرارهم واستكبارهم، والمجاورون لهم من أهل الطاعة يشكون منهم دوام العدوان، ومع ذلك فقد تهاؤنوا بأمر الدين حتى لم يبق لديهم منة ومن تعاليمه ما يُعدُّون به من أهل الإسلام، إلى حدِّ إهمالهم لعقود الأنكحة وترك الصلاة وخراب المساجد. وساعدتهم على ما هم عليه والازدياد منه جعل قلة أعيانهم وانتفاعهم دخولهم بكثرة إلى بلدان الأجانب وبقاءهم خُدَّاماً لديهم، فمن أعذر منهم بادر مسرعاً إلى النصارى، وشبَّ وشابَّ لديهم، فرفع جلية الحال وحقيقة الواقع من أمرهم، أمير الجيش سيدي جمال الدين، على بن عبد الله الوزير إلى مسامع مولانا الإمام، وأسعد^[١] الإذن له بإصلاح تلك الجهة وإدخالهم إلى حظيرة الطاعة وتجديد ما اندرس من رسوم الدين وتعاليمه هنالك / فألزمه مولانا الإمام - عليه السلام - بأخذ الأهبة والاستعداد، ووالى إليه إرسال الأجناد، وأمره بمراسلة أهل الناحية المذكورة، وهي عُزل مخاليف جمَّة منبثة في تلك الأصقاع، وفي جبل المقاطرة المذكورة ودعائهم إلى الله تعالى والانضمام إلى الموحدين وأحزاب التقوى واليقين، فلم تعمل فيهم وسائل الصَّلاح ولا أثمرت بالمراد من النَّجاح، وحينئذ أصدر أمير الجيش أمره إلى عامل الحُجَرِيَّة بالوصول إلى تعز، فوصل إليه مبادرة، وطالت بينه وبين الأمير المراجعة فيما

(١) أحمد نعمان ت ١٣٣٣ هـ، كان قائم مقام قضاء الحُجَرِيَّة، زار استانبول مع عدد من زعماء لواء تعز قتل في قرية الزُّمْلِيَّة في عُزلة الزعازع، وهو يجهز جنوداً لارسالهم إلى الحج للمشاركة في حملة سعيد باشا، القائد العثماني، على الانجليز في عدن خلال الحرب الكونية الأولى، انظر، هجر العلم، ٦٩٠ .

[١] في ص، واستمد.

يكونُ البناءُ عليه من عزم الأميرِ بنفسه وتوليّه لقيادة جيوشه أو استنابة مَنْ يقومُ مقامه في تولي زعامة الإصلاح ومباشرة الكفاح، فاستقرَّ الرأيُ الأخيرُ على بقاء الأميرِ بتعز، وتوجيه قيادة الجيوش^(١) إلى عامل الحُجْرِيَّة الشيخ عبد الوهاب نعمان مع معاضدة أخيه الشيخ عبد الواسع بن نعمان^(٢)، واستمدَّ الأميرُ من مولانا الإمام توجية عمالة ناحية المقاطرة إلى عهدة الشيخ عبد الواسع نعمان^(٣)، فصدرَ الأمرُ الشريفُ بذلك، وعندها جمع الأميرُ الأجناد، وانتخبَ حماة الأبطالِ وسراة الجهاد، واستكملَ ما يلزمُ لهم من المُهمَّاتِ وذخائرِ الحربِ والأقواتِ وحملها على الجمالِ، وعرض الأميرُ ذلك الجيشَ مع قائده، وزوَّدَ الجميعَ ما يلزمُ من النصائحِ وألزمَ الكلَّ الإعراضَ عن القبائحِ وصيانة الرعية والاستعانة بالله تعالى على العدو، وعدمَ الاغترارِ بالكثرة وكمالِ العدة، فتوجه الجيشُ إلى يَفْرُس^(٤) وباتَ بها.

وفي اليوم الثاني كان مبيتُه بمركز قضاء الحُجْرِيَّة، ومنه فرَّقَ استصوابُ مناجزة أهلِ عزلة الأكاحلة^(٥)، إذ هي أقربُ العُزَلِ من سائرِ البلادِ، وسكانُها أخبثُ من غيرهم جراءة وعدواناً لقُرْبِهِمْ من بلادِ أهلِ الطاعة، فقَسَمَ العاملُ الجيشَ إلى طوائفَ للإحداقِ بالعُزلة المذكورة من جميع جهاتها، فتقدَّم عليهم من الجهة الشرقية الشيخ محمد بن أحمد نعمان^(٦) مع أهلِ أَرْحَبَ وغيرهم، وهم

(١) عبد الواسع أحمد نعمان ت ١٣٣٩ هـ، عُين عاملاً على المقاطرة قبل إخضاعها، إلا أنه مات أثناء المعارك، انظر: حياة الأمير، ٥٦٩ .

(٢) يَفْرُس: مدينة كبيرة في الحُجْرِيَّة بالغرب الجنوبي من تعز بمسافة ٣٠ كم، انظر، اليمن الكبرى، ٣٤، معجم المقحفي، ٧١٥ .

(٣) الأكاحلة: من عُزَلِ المقاطرة، في الجنوب الشرقي من قلعتها، انظر: حياة الأمير، ٦١٠ .

(٤) محمد بن أحمد نعمان : ت ٢٥ ربيع الآخر ١٣٨٧ هـ، إداري قدير، كان مساعداً للوالي العثماني محمود نديم، وتولى قيادة الحملات على الحج، وكان عاملاً على القَبِيْطَة ومَقْبَنَة =

جيش كثيرٌ معهم أحدُ المدافع، ومن الجهةِ العدنية الشيخُ عبدُ الواسعِ نعمان،
ومعه ثلثةُ النظامِ وغيرُهم من ذوي الإقدام، ومن الجهةِ القبليّةِ الشيخُ محمدُ بنُ
هاشم المذحجي، وقائدُ الجيشِ وباقي المجاهدين ومعهم مدفعان من جهةٍ،
وجرتُ بين الفريقين حروبٌ عظيمةٌ في كلّ جهةٍ من الجهاتِ، واستمرَّ الحربُ
طولَ النهارِ/ إلى أنْ غرَبَتِ الشمسُ، وقُتِلَ من الباغين جماعةٌ وأُسِرَ منهم عدّةٌ / ١٥٠
من أهلِ الشجاعةِ، واستولى المجاهدون على كثيرٍ من محلاتِ تلكِ العزلةِ، ولم
يبقَ غيرُ الحصونِ المنيعَةِ فيها، وقد أحْدَقَ عليها المجاهدون، واستشهدَ في ذلكِ
اليومِ عبدُ الواسعِ نعمان، وخُتِمَ له بالحسنى، وهي خيرُ الحسانِ، وبات كلُّ فريقٍ
من المجاهدين على تعبئتهم في المحلاتِ التي قد استولوا عليها.

وفي اليومِ الثاني، تقدّم المجاهدون، كلّ طائفةٍ على جهتها، فرزَقَهم اللهُ
الظفرَ بالأعداءِ وتمزيقَ شملِهِم في ذلكِ الفضاءِ، واستولوا على جميعِ الحصونِ،
وغنموا من الأعداءِ ما لا يُحصى، واحتزّوا رؤوسَ كثيرٍ من قتلاهم، وحملها
الأسارى وسبقوا إلى مركزِ اللواءِ ومقام أميرِ الجيشِ، وكانت شهداءُ أنصارِ
الحقِّ في هذه الواقعةِ قليلةٌ بالنسبةِ إلى مَنْ قُتِلَ من البغاةِ وأهلِ العنادِ، وبعد
الرفعِ إلى الأميرِ بصفةٍ ما جرى وبلوغِ ذلكِ إلى مسامعِ الإمامِ، صدرَ الأمرُ
الشريفُ من مولانا الإمامِ بهدمِ بيوتِ شاهر^(١) وحصونِهِم فأُخِضَتْ بِالْعَدَمِ
وُسُوِيَتْ بالهدمِ إلى القرار.

= والمخا، نجح وعبد الجليل بن أحمد باشا في صد القوات الإيطالية عن المخا، ولد
سنة ١٢٩٩ هـ، انظر، هجر العلم، ٦٩٣، حياة الأمير، ٥٨٧.

(١) هو شاهر بن قائد، قاتل الشيخ عبد الواسع بن نعمان، وحصون شاهر تقع في قرى دكة
والأكام والمسيجد وهي حصون شاهر بن سمان بن عبد الله المكابري، انظر، حياة الأمير،
٦١٨، ١٤٣.

وصدر الأمر الشريف بتوجيه عمالة المقاطرة إلى الشيخ عبدالعزيز^(١) بن عبدالواسع نعمان مكان أبيه الشهيد، واستمدَّ عامل الحُجْرِيَّة من الأمير زيادة المدد، فأمدّه الأمير بما رام من الأقوام.

وفي أواخر شهر ذي القعدة الحرام من هذه السنة، باشر عامل الحُجْرِيَّة تقديم المراتب وتجهيز طوائف الجنود من طرفه إلى جهة الأحكوم^(٢) وحدود الأشبوط^(٣)، وقصد بذلك أن تزحف الجنود على العزل الشرقية من قلعة المقاطرة وهي، الزعيمة^(٤) والمدجرة والأشبوط والزعاغ^(٥).

فلما وصل الجند الإمامي إلى حدود الأشبوط، طلب أهلها الأمان، وفتحوا بلادهم بدون حرب للمجاهدين، وسلموا بذلك من المعرة والسقوط في حفر الهلاك والمضرة، وزحفت طائفة أخرى من المجاهدين على عزلة المسيجد^(٦) وما إليها وهي في الجهة القبليّة فطلبوا الأمان حين عاينوا صولة الجند الإمامي قد غشيتهم، وفر عنهم الشيطان.

وفي أوائل شهر ذي الحجة الحرام تقدّم الجند الإمامي من الأشبوط، وجرى

(١) عبد العزيز بن عبد الواسع نعمان: عُين قائداً لحملة القَيْيطة ثم عامل المقاطرة بعد موت والده، انظر، حياة الأمير، ٥٥٩ .

(٢) الأحكوم: عزلة في ناحية الشّماين من قضاء الحُجْرِيَّة، في الجانب الشرقي من جبل المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦٠٩، اليمن الكبرى، ٥٠ .

(٣) الأشبوط: عزلة من ناحية المقاطرة وأعمال الحُجْرِيَّة، تقع في الجانب الشرقي من قلعة المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦١٠، معجم الحجري، ٨٠ / ١ .

(٤) الزعيمة: عزلة تقع شرق جبل المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦٢١ .

(٥) الزعاغ: عزلة شرق جبل المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦٢١ .

(٦) المسيجد: عزلة من المقاطرة، تقع قرب قلعة المقاطرة المشهورة، انظر، حياة الأمير، ٦٣٠ .

بينهم وبين الزعازع والزعيمة حربٌ عظيمٌ أسفرَ عن نصرِ الله للمجاهدين، وحلولِ مكرِ الله على الباغين، وانهزامهم هزيمةً فاضحةً بقلوبٍ مسودةٍ ووجوهٍ كالحية بعدَ قتلٍ كثيرٍ من غَوَاتِهِم والإِثْخَانِ في طغَاتِهِم، وتقدّم المجاهدون الذين في عزلة المُسَيِّجِد على باقي،/ العزلِ الشرقية فاستولوا عليها بعدَ حربٍ شديدٍ، ١٥١ / حتى اتفقوا بالذين من الأَشْبُوْط، واستولوا على الزعازع والزعيمة بعناية الله العظيمة، وأما الجهةُ الغربيةُ من الجبلِ المذكورِ، فلما شاهد سكانها ما أصاب سكان الجهة الشرقية من النكالِ، وما كانت عليه الحالُ فيمن طلبَ منهم الأمانَ وتركَ القتالَ، وصلَ جماعةٌ من أهلِ السودِ، وهي من الطرفِ الغربيِّ، وطلبوا الأمانَ، وبذلوا فتحَ بلادِهِم للمجاهدين، فأرسلَ قائدُ الجيشِ إلى ذلك الطرفِ ثلثةً من المجاهدين، فرتبوه إلى حدودِ المكابرةِ، وسبقَ أحدُ المدافعِ إلى شرفِ الجاهلي^(١) من شَرْجَب، فكان الرميُّ به على عُرْلَةِ الدهمشة^(٢)، والهويشة^(٣)، فأروا ما لم يخطرَ لهم على بالٍ من أليمِ النكالِ، ولم يجدوا منجاةً مما داهمهم من الوبالِ غيرَ الالتجاءِ إلى الطاعةِ، والدخولِ في سلكِ أهلِها وهو أربحُ بضاعةٍ، وهنالك أمرَ العاملُ بالتوقفِ عن القدومِ، وأعادَ نظره إلى أحوالِ الأجنادِ، وتقويةِ مراتبها الكائنةِ في الأغوارِ والأنجادِ، وأخذَ الأهبةَ والاستعدادَ لجلبٍ ما لا بدُّ منه من المؤن اللازمة للجهاد.

وفي سادس^[١] شهرِ ذي الحجة الحرام، جهَّزَ الأميرُ مدداً لمن في تلك الجهة

(١) شرف الجاهلي. حصن في شَرْجَب ويطل على قلعة المقاطرة الشرقية، انظر، الاكليل،

٨٦/١، نشر العرف، ٥٨/١، معجم المحقفي، ٣٥٢، ٣٤٩.

(٢) الدهمشة: عُرْلَة من المقاطرة، وتقع غربي القلعة، انظر، حياة الأمير، ٦٢٠، معجم المحقفي، ٢٤٢.

(٣) الهويشة: عُرْلَة من المقاطرة، تقع في الناحية الغربية من جبل الفلق، انظر، حياة الأمير، ٦٣٢.

[١] في س، سادس عشر.

من الجنود، السيد المقدام حسن بن قاسم بن عبدالله عثمان الوزير^(١)، ومعه جيش واسع من أهل العُدين وأهل الجبل والنقيب عبدالله بن سعيد الجبري، ومعه أصحابه بنو جبر، وأرسل معهم الأمير أحد المدافع، وما يلزم من المؤن والمهمات، وأمرهم بأن تكون طريقهم على جهة خدير^(٢) ثم القبيطة^(٣) فالمفالس^(٤) ليكونوا زيادةً لمن في المراتب الشرقية. وجَهَّز أيضاً كتيبة تحت قيادة السيد علي بن عبدالله الشُّهاري، وبمعيته جماعة من رؤساء العُدين ومشايخها، وجَهَّز على أثر هؤلاء عامل جبل حبشي في جيش كبير، واجتمع المدد إلى مركز قضاء الحُجَريَّة، وكَمَّل به نصاب التقدم على الفرقة الغوية، فكان الإجماع على قصد استكمال الجهة الغربية، وفيها عَزلة الزَّريقَة^(٥)

-
- (١) حسن بن قاسم بن محمد عبدالله عثمان الوزير ت، شارك في فتح المقاطرة، تولى عدة عمالات في لواء تعز، ثم عاملاً على جبل راس ومات بها، انظر، حياة الأمير، ٥٤٥ .
- (٢) خدير: تقع بالجنوب الغربي من ماوية بمسافة ٤٢ كم يطل عليها جبل صبر من الغرب، مركزها، الدمنة، أشهر أسواقها الراهدة، انظر، حياة الأمير، ٦١٩، اليمن الكبرى، ٥٠، معجم المقحفي، ٢١٣، (تعرف اليوم بخدير السلمي نسبة إلى حيدرة بن اسماعيل السلمي عاش في القرن ١١ هـ).
- (٣) القبيطة: من ناحية قضاء الحُجَريَّة، مركزها حيفان، وهي بالشرق من التربة، وعلى بعد ٣٠ كم منها، من أسواقها المفالس على بعد ٢٠ كم من حيفان، انظر حياة الأمير، ٦٢٨، اليمن الكبرى، ٣٠، معجم المقحفي، ٥٠٦ .
- (٤) المفالس: سوق وناحية القبيطة، يقع على بعد ٢٠ كم، جنوب حيفان من الحُجَريَّة انظر، حياة الأمير، ٦٣١، معجم الحجري، ٦١٦، اليمن الكبرى، ٥٠ .
- (٥) الزَّريقَة: عَزلة كبيرة تقع في أقصى غرب المقاطرة على حدود الوازعية، انظر، حياة الأمير، ٦٢١ (بالجنوب من مدينة التربة الواقعة إلى الجنوب من مدينة تعز)، انظر أيضاً معجم المقحفي، ٢٩٠ .
-

والنجيشة^(١) والصوالحة^(٢) والمكابرة^(٣) وواديهم.

فَقَسَمَ الْجَيْشُ بَعْدَ تَقْوِيَةِ الْمَرَاتِبِ إِلَى طَائِفَتَيْنِ، طَائِفَةٍ، يَكُونُ قَصْدُهَا الزَّرِّيْقَةُ وما إليها، وطائفةٌ يَكُونُ نَزْوُهَا وادي المكابرة لتقوية تلك الجهة.

ثم يكون قصدُها النَجِيشَةُ، وأمرٌ على الطائفتين أميرين، وأرسل أيضاً ثلثة^[١] كبيرةً لقصدِ الصوالحة/ والنجيشة، فتوجهت الطوائف إلى الجهاتِ تَزْفُها العنايات، فأما المكلفون بالقدوم على الزَّرِّيْقَةِ وما والاها، فقصدوا أولئك الأقوامَ ونازلوهم في عقرِ دارهم، وجرت بينهم حروبٌ شديدةٌ وخطوبٌ عنيدةٌ، كانت فيها الدائرةُ على الأعداءِ بعدَ قتلى منهم عديدة، وجرحى، وانهزموا وانقشعوا إلى جبلٍ مُنيفٍ^(٤)، وهو مشهورٌ في تلك الجهة بالحصانة والمناعة، فتبعهم المجاهدون وأحرقوا بالحصن المذكورِ إحدائقَ الهالة بالقمر، ووثبوا عليه من كلِّ جهةٍ، فلم يَسعِ البغاةُ غيرُ الفرارِ والخروجِ منه قبل البوار. واستولى المجاهدون بذلك على جميعِ بلادِ الزَّرِّيْقَةِ وغنموا مما فيها أموالاً جمّة، وكان الشهداءُ من المجاهدين يُعَدُّون بالأصابع في هذه الواقعة. وذلك من وقاية الله وحسن عنايته.

(١) النجيشة: عُزلة من المقاطرة تقع في الناحية الغربية من جبل القلعة، انظر، حياة الأمير، ٦٣٢.

(٢) الصوالحة: تقع بالقرب من جبل المقاطرة، هي والنجيشة والزريقه والمكابرة تسمى بالعزل الغربية، انظر، حياة الأمير، ٦٢٤، معجم المقحفي، ٣٨٩.

(٣) المكابرة: عُزلة من المقاطرة، تقع في غرب قلعتها، وهي واسعة، بها وادٍ يسمى باسمها، ويقع وادي أديم في أسفلها، انظر، حياة الأمير، ٦٣١.

(٤) جبل مُنيف: يقع في الضالع ما بين الزَّرِّيْقَةِ والمقاطرة وهو من جبال ناحية المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦١٥، معجم الحجري، ٧٢٢/٢.

[١] في س، بضاعة.

وفي اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر، تقدم المجاهدون الذين أمروا بقصد النجيشة والصلوحة على تلك الجهة، وقد تجمعوا وانضم إليهم فلول من أهل البلاد التي قد استولى عليها أنصار الحق، فلما التقى الجمعان، تحركت على الباغين من الطائفتين المدفعان، وقذفا عليهم صواعق القتل، وهجم عليهم المجاهدون من الغور والجبل وضايقوهم وأحاطوا بهم من جميع الجهات، ثم ألقواوهم إلى الفرار، فولوا الأدبار لا يصدقون بالنجاة، وقد خاب منهم المسعى، وتعاضم الخسران وكثر القتل فيهم، وشبعت من لحومهم النسور والعقبان، واستولى المجاهدون على جميع النجيشة والصلوحة، واستشهد في هذه الحرب أنفاز من المجاهدين، رزقهم الله الشهادة، وهي درجة الحسنى والزيادة، وكانت الغنائم في هذه الجهة كثيرة، نال منها المجاهدون حظوظهم الوفيرة.

ولما رفع قائد هذه الجيوش إلى الأمير خبر ما من الله به من النصر على أهل الجهاد، وما جرى من العذاب على ذوي البغي والفساد، وما هم عليه بعد ذلك من الإصرار على العناد، وما بقي تحت أيديهم من البلاد نحو اثنتي عشرة عزلة من العزل المجاورة للقلعة وحصونها، وأن أكثر الجيش قد تبدد في المراتب لاتساع الأطراف، ولزوم ترتيبها وقاية للمجاهدين من غدر ذوي الاعتساف فلا بد من المدد اقتضى رأي / لزوم نهوضه بالذات، وإقباله إلى هذا المرام على / ١٥٣
أكمل صور الثبات، فاستقر من في جهات اللواء التعزي من المقاتلة والرجال، ونشر رسائله إلى جميع الأعمال، ورتب مكانه في تعزيز مأمور المال القاضي أحمد بن محمد الأنسي، وأعانته بعامل البلاد التعزية السيد محمد بن أحمد بن علي عبد الجبار، وجلب من في القضاة من الأجناد الباقية، فاجتمع لدن الأمير جيش عظيم، رؤساؤه أبطال القتال، وفرسان ميدان النزال مثل حاكم العدين

السيد حمود بن محمد^(١)، والسيد عبدالجليل بن أحمد بن علي عبدالجبار^(٢)، والشيخ عبدالله بن يحيى عبدالجليل. واثنان من أولاد علي بن عبدالله بن سعيد^(٣) وعبدالله عثمان^(٤)، وأحمد بن عبدالعزيز المجاهد وغيرهم فتجهز الأمير للمسير واستصحب كل لازم من المهمات، وذخائر الحرب، ومن الجملة المدفع السريع، ذو الطلقات المتعددة في الوقت القصير ومتراليوز، ولم يأت سابع وعشرون شهر ذي الحجة الحرام، إلا وقد وصل الأمير بجمعه الغفير وجيشه الكبير إلى مركز قضاء الحُجْرِيَّة^(٥)، وهنالك كان إجراء التدبير في ما يكون عليه التعويل. واستصوب الأمير إعادة إرسال الرسائل إلى أولئك المخالفين لعلمهم ينقادون فانقضى ما بقي من أيام العام قبل إكمال العمل الموافق للمرام. ولذلك كان تأخير بيانه إلى سياق حوادث سنة أربعين، لوقوعه، في أول شهوره، وسيأتي إن شاء الله تعالى.

-
- (١) حمود بن محمد بن أحمد بن محمد بن الإمام (الدولة) ت ١٣٨٥ هـ، صاحب كتاب زورق الحلوى في سيرة قائد الجيوش وأمير اللوا منه نسختان مخطوطتان في مكتبة الجامع الكبير رقم ١٠٢ تاريخ و ٨٨ مجاميع، انظر فهرس مخطوطات المكتبة الغربية ١١٧ . كان شاعراً، جزلاً فصيحاً، عُين سنة ١٣٣٨ حاكماً لبلاد العُدَيْن، ولد بدمار ١٣٠٥ هـ. انظر، حياة الأمير، ٥٤٩، نزهة النظر، ٢٩٤ .
- (٢) عبد الجليل بن أحمد بن علي عبد الجليل باشا، شقيق عامل تعز محمد بن أحمد، كان عاملاً لناحية مَقَبَنَة ثم المحّا، توفي بعدن، انظر حياة الأمير، ٥٥٦ .
- (٣) المقصود علي بن عبدالله سعيد باشا، أحد كبار مشاريخ العُدين .
- (٤) عبدالله عثمان: تولى أيام الأتراك مَقَبَنَة، شارك في حملة المقاطرة، أثر التآمر على قتل علي بن عبدالله الوزير هرب إلى الادريسي وحارب معه في بُرْج ومن ثم عاد إلى تعز، في زمن الإمام أحمد، تولى عمالة صنعاء، ثم الطويلة والمحويت، انظر حياة الأمير، ٥٦٤ .
- (٥) مركز قضاء الحُجْرِيَّة، تربة دُبْحان على بعد ٧٠ كم من تعز، انظر اليمن الكبرى، ٥٠ .
-

وفي أثناء هذه السنة، قبل الذي ذكرناه من غزوة المقاطرة جرى في قضاء القماعة حادث مهول وحرب يطول، وسببه فيما بلغ، أنه لما اسند مولانا الإمام عمالة القضاء المذكور إلى الشيخ قايد صالح^(١)، كان محمد عبدالسلام كاتب الشيخ محمد ناصر، اليه في الحقيقة الحل والعقد، لا سيما في أواخر أيامه. فلما أسندت العمالة إلى الشيخ قايد صالح، وكان الجو بينه وبين محمد عبدالسلام غير صافٍ، انعزل عن الأعمال، وهجر عن المراجعة في جميع الأقوال والأفعال، فقبل إنه الذي شوق أهل حمر^(٢)، وهم مخلاف عظيم، وأهل قوة وشكيمة وجراءة وإقدام، وهؤلاء هم في الحقيقة رجال محمد ناصر الدين كان يغزو بهم سائر الأقوام، ويناضل بهم من ناوئه من الانام، وصادف هذا التشويق هوى في نفوسهم من قايد صالح، لأنهم كانوا لا يودونه، فشاروا للخلاف، ونادوا بالعصيان، وسلكوا مسالك الطغيان، فلم يشعر من في ماويه، وهي مركز القضاء، إلا بالرمي إلى المركز، من المخالفين، لأن قراهم ممتدة إلى قرب ماوية، وكان الأمير جمال الدين^[١] قد عرف/ من حال أهل اليمن الأسفل، أن شرارة / ٥٤ الخلاف من أهله إذا تركت بدون إطفاء استطار لهيها إلى أن يملأ الفضاء فيستحيل الإخماد، ويتعذر محو الفساد، فلذلك جعل همه عند ظهور أقل خلاف المبادرة إلى إزالته قبل اتساع الخرق، ومتابعة إرسال الجنود إليه إلى أن ينقضي، وذلك من توفيق الله تعالى للأمير، ومن بركة دعاء مولانا الإمام له بالتشديد، فلما شئت نار الخلاف من أهل مخلاف حمر، وهم كما وصفناهم من

(١) قايد صالح الصراري: هو قريب الشيخ محمد ناصر مقبل صاحب ماوية، كان عامل ماوية بعد وفاة محمد ناصر مقبل، قتله آل هريش في ماوية سنة عام ١٣٤٢ هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٨٣ .

(٢) حمر: عزلة من بلاد ماوية وأعمال تعز، انظر، معجم الحجري، ١ / ٢٨١، معجم القحفي، ١٩١ .

[١] في س، جمال الدين، علي الوزير.

الشدة والإقدام، بادر الأمير بارسال الجنود من تعز، وهم كثير وعين لهم جهة من الجهات المتصلة بالمخلاف المذكور، وأرسل من جهة ثانية السيد عبد الجليل بن أحمد بن علي عبد الجبار، ومعه جيش واسع، ومن جهة أخرى، عبد الله بن يحيى عبد الجليل ومعه أصحابه، ومن جهة صبر أهل صبر بعاملهم. ولما كثرت الجموع وتلاحقت بالأصول والفروع، أمرهم الأمير بالتقدم من كل جهة على أهل الخلاف، وذلك المخلاف، فأحذقوا بهم من كل جهة، وأصدقوهم في الحرب، فلم يمض غير يوم أو يومين حتى تبدد جمع أهل الخلاف، وتمزقوا وتفرقوا في الأطراف والأكناف، ولم بهم كل ما يخاف، وانتُهبت أموالهم، وقتل منهم كثير، ولم ينفعهم إقدامهم ولا ما كانوا عليه من الجراءة عند اتصافهم بالبغي المشؤوم، لأن الباغي بسيف الحق مهزوم، وامتلاّت بهم بلاد الحواشِبِ وغيرها. ودخل بعضهم إلى عدن، وأرادوا الانتصار بالإفرنج، فلم يسمعوا منهم لأنهم لا يسمعون، ويصغون إلا لمن عرفوا منه تمكّنه من القيام بالفتنة، لا لمن قد أسلمته، ذنوبه. فغرق في بحر المحنة، ولما أيسوا من فرج البغي وشعوبه بادروا إلى طرق باب الفرج، بأعلان كل منهم لإنيته وتوبته، وطلبوا الأمان والإذن لهم بالعود إلى الأوطان. فأسعفوا بها أرادوا ورجعوا، وقد طارت سكرة الجراءة من أدمغتهم، فلزموا السكون وطردوا عن أنفسهم سوء الظنون، وما هو من قبيل الجنون، وكان ما وقع عبرة لغيرهم جالبة للانزجار، ومحدرة من الوقوع في محاذير الأخطار.

وفي هذه السنة وقع انفصال الوالي على عدن من قبل الانجليز، ووصل غيره خلفاً له^(١)، وكان الأول قد سلك بازاء دولة الإمام مسلك المعادة، وكلهم -

(١) المقصود ولاية عدن من طرف الانجليز، J.M. Stewart و L.N. Beatty القائمان بأعمال المفوض السياسي في عدن والآخر هو T.E. Scott.

أعني الانجليز - أعداء، ولكن منهم من يُخفي ذلك مؤملاً أن يجني من وراء / ١٥٥
خطته فائدة لحكومته وبني قومه، والإنجليز قومٌ اشتهروا من بين طوائف أمم
الافرنج بالاحتياال والتضليل والتمويه بأساليب يدق فهمها على اللبيب، فكم
عزوا بمظاهر سلهم طوائف الأمم، وقد نصبوا تحت تلك المظاهر شباك
الاصطياد، وقادوا من لم يتيقظ لهاوي مغاريهم، فأوقعوه في حفرة الإنكاد. وقد
كان الوالي السابق جس نبض الإمام ببعض المكاتبه^(١)، فوجد الإمام ممن لا
ينخدع ولا تروج لديه التمويهات والأضاليل، فترك المكاتبه.

ولما وصل خلفه إلى عدن، عدل عن تلك الخطة، وخابر الإمام - عليه
السلام - بأن مرامه ومرام دولته أن لا يكون بين الإمام وبين الإنجليز الخصام،
وأنه مأمور بتنظيم مصالحه تتضمن تحسين علاقات الجوار، وضمان حقوق من
يصل من رعية الإمام إلى عدن وتلك الديار، واستمد من الإمام إرسال مندوب
من طرفه للمراجعة في ذلك الموضوع، ولاقتضاء المصلحة العامة ملاحظة مثل
هذه الأمور ودفع الشرور، وترجح لدن مولانا الأمام انتداب القاضي عبدالله بن
أحمد العرشي^(٢) الخولاني، فتوجه إلى عدن، وأقام هنالك عن أمر الإمام، ولم
يذهب إلى ذلك الساحل إلا مزوداً بالوصايا من الإمام، وأهم ما هنالك أن لا
يكون منه ابداء أي شأن أو الخوض فيه إلا بعد الإذن من الإمام توكياً من مكر
الكافرين، وقد بلغ إلى الإمام أن مندوبه المذكور قبل بحسن التلقي، ولو حظ
ملاحظة تليق بمخدومه العظيم ومرسليه الكريم.

وأقول ههنا، وقف شواطئ القلم في بيان ما جرى بهذه السنة^[١] من الحوادث

(١) الموفد البريطاني هو هورلد جيكونب، ومندوب الإمام في عدن عبدالله العرشي .

(٢) عبدالله بن أحمد العرشي الخولاني، ضابط الاتصال بين الإمام وبريطانيا، انظر، حياة
الأمير، ٥٦٠ .

[١] في س، سنة ١٣٣٩ .

المستحقّة للتدوين، دونَ ما عداها من صغارِ الحوادثِ التي لا تتضمنُ بيانَ
الغايةِ الحاصلةِ من موضوعِ التاريخ، وما وقعتُ عليه من المدائح المرفوعة إلى
مقامِ مولانا الإمام في التهنية بعيد الأضحى السعيد، ما قاله السيد الأديبُ
محمدُ بنُ عبدالرحمن بن أحمد شرفُ الدين الذي سلف ذكره، فإنه هنا الإمامُ
بقصيدةٍ مطلعها:

لقد زدتني شوقاً وهيّجت أشجاني
أذاقوا فؤادي كاسَ صِدٍّ وهجران
إذا ابتسموا كالوردِ في شهرِ نيسان
يرينا إذا ما لاحَ ذُراً بمرجان
فؤاداً خفوقاً مثل لمغك سيان
مفوّقة من قوسِ حاجبِ أعيان
يخافُ من الإنصافِ إظهارَ نقصان
سقيمةُ أجفانٍ ضعيفةُ أركان
فجادت بوذقي من كروبٍ وأحزان
إذا قلتها والدمعُ يجرُحُ أجفاني
فقد أحرقَ القلبَ الكثيبَ بنيران
ولا الروضةُ الغناءُ ولا شُعْبُ بؤان
معتقةُ من عهدِ موسى بن عمران
وكثرةُ أموالٍ وصحةُ أبدان
به مدحُ خيرِ الناسِ أفضلِ إنسان
أديبٌ نجيبٌ بحرٌ علمٍ وإيمان

رويداً بقلبِ الصَّبِّ يا برقَ نعمان
وبالغت في تذكيرِ قلبي أحبةً
أردتَ بهذا الومضِ تحكي غورهم
حكيت ولكن فاتك الشبُّ الذي
أفتقَ أيها البرقُ الخفوقُ فإنَّ لي
ولي مَنْ رمتني مقلتهاه بأسهم
هو البدرُ إلاَّ أنه غيرُ منصفٍ
ولا عيبَ فيه غيرَ أنَّ عيونه
أثارَ غيومَ الغمِّ فوجَّ صدوده
فوا حرباً إن كان ذا اللفظُ نافعي
ويا أسفي من هجرِ يوسفَ عصره
ولا طابَ لي عيشي ولا سفحُ مربعي
ولم تُذهبِ الكربَ الشديدَ من الجفا
فلا خيرَ في عمرٍ تقضى ببعده
ولا خيرَ في شعرٍ رقيقٍ ولم يكنْ
إمامٌ نقيُّ المعنى مهذبٌ

/ ١٥٦

له خلُق كالروض بلّله الندى وأضحك فيه زهرة برق أمزان
وكفّ يخاف المأل من سيف بذلها إذا ما انتضاه في معامع إحسان
إذا قلت ما بين السورى مثل ذاته صدقت ولم تنطق بزور وبهتان
فصيح إذا ما راض أشقر فكره بميدان ذاك الذهن أزرى بسحبان
ألا إنه يحيى إمام زماننا وأفضل ملك في البرايا وسلطان
إمام الهدى بحر الندى قامع العدى مذيّق الردى ماحي دجنة طغيان
وغوث لمن أسقاه صرف زمانه كؤوس خطوب كؤوس ابنه الحان / ١٥٧
ونجم إذا ما انقض في جو غزوة ليرجم شيطانا هوى كل شيطان

ولها بقية، قال في آخرها، وقد فرغ من المديح والنسيب:

فدونك يا من ألبس الله ذاته برود سعادات وعلم وإيمان
نظاماً من الفكر السليم كأنه أزاهر روض أو جواهر بستان
تخيرته مدحاً لذاتك موقناً بأي في ذا العصر أعجز أخواني
وصل على طه الحبيب وآله وأصحابه والتابعين بإحسان

وفيا وقفت عليه من شعر الفقيه الأديب أحمد الجلال مادحاً لمولانا الإمام -
عليه السلام - في أثناء هذا العام قوله من قصيدة، مطلعها:

[مجزوء الرمل]

أيها البدر اليماني وأخا الآل الأطايب
والسراج النيرالو هاج والجم المناقب

والإمامُ الفاضلُ الهادي إلى أهدي المذاهب
 قمرُ الأكوانِ عينُ الدهرِ ميمونُ المناقب
 يا شريفَ القدرِ عنك البدرُ في الدَّيْجورِ نائب
 طُلْتَ باعاً في المعالي تحتَه غرُّ الغرائب
 ومنها:

يا إمامَ اليمنِ الميمونِ كلُّ فيك راغب
 وكما لَنتَ جناباً لم يُجَانِبْكَ بجانب
 سالَمْتُكَ الأرضُ حتى سكنتُ منها الضوَّارِب
 جاءَكَ النصرُ من الله الذي أُولى المواهب
 وأتاك الناسُ أفوا جأً على ظهْرِ النجائب
 لك ما بينَ يدِ الشرِّ قِ وما بينَ المغارب
 ما لها غيرُك مهما رامها الغيْرُ وكاذب
 ورمى اللهُ أعادي — ك من الحرب بحاسب

وهي طويلةٌ اقتصرْتُ على هذا القدرِ منها دلالةً على ما في الباقي من
 الانسجام والسهولة وحسنِ المعنى، وله من قصيدةٍ أخرى غديريةٍ مطلعها:

[مجزوء الكامل]

أضربتُ عن ضَرْبِ القيانِ وَغَنَيْتُ عن كلِّ الأغاني
 وثَبَيْتُ طَرْفِي عن جما لِ الخَرْدِ البيضِ الحسانِ
 وَلَوَيْتُ عن ظبي اللوى وبهاءِ غَرَّتِه عناني
 وجعلْتُ حَبَّ حَمَمِيِدٍ ووصيةً مِّمَّا عناني
 يا حَبْذا طه أخوال قرآنٍ والسَّبْعِ المثاني

/ ١٥٨

وَهُوَ الَّذِي شَهِدْتُ لَهُ
بِرَكَاتِهِ عَمَّتْ لَقَدْ
اللَّهُ أَنْقَذَنَا بِهِ
نَطَقَ الْكِتَابُ بِمَدْحِهِ
وَبِذِكْرِهِ تَصَفَوُ الْقُلُوبُ
وَكُنَّا عَلَيَّ قَطُّ لَمْ
تَفْسُدِ النَّبِيُّ وَصَنَعُوهُ
مَا زَالَ نَاصِرَهُ وَكَأَنَّ
وَلَاةَ خَيْرٍ وَلَا يَلِيَّةَ
وَعَدَا لَهُ يَوْمُ الْغَدِ

وما زال سارداً من هذا السهل اللطيف لكل معنى ظريف إلى أن قال، ونعم ما قال:

وَأَحِبُّ آلَ مُحَمَّدٍ
فَهُمُ الْأَهْلَةُ وَالْأَدَلَّةُ
وَهُمُ الْأَمَانُ لِمَنْ عَلَى
مَا إِنْ سَأَلْتُ اللَّهَ كَأُ
أَوْ أَرْجِيهِ بِفَضْلِهِمْ

لِيُودِدَهُمْ دَاعِ دَعَانِي
الدُّنْيَا وَيَا لَكَ مِنْ زَمَانِ
سَ وَدَادِهِمْ إِلَّا سَقَانِي
نَيْلَ الشِّفَا إِلَّا شَفَانِي

ومنها في مدح مولانا الإمام - عليه السلام -

يا سائلي عَنْ فَضْلِ جَمِّ الـ
أَعَنِ الإِمَامِ أَخِي الْفَضَا
أَعْرِفْتُمَا مَنْ تَسْأَلَا
مِنْ فَضْلِهِ الْجَمُّ الْغَفِيرُ الـ
يَا أَيُّهَا الْبَدْرُ الَّذِي
أَنْتَ الإِمَامُ ابْنُ الإِمَا
وَأَخُو الْمَفَاخِرِ فِي الْأَوَا
وَلَقَدْ كَسَوْتَ الْكَوْنَ نَوَا
لَا يَنْكَرَاكَ إِنْ قَعَدْتَ
فَضْلَ عَمِنَ تَسْأَلَانِي
ثَلْ كُلُّهَا تَسْتَفْتِيَانِي
نِي عَنْهُ أَمْ لَا تَعْرِفَانِ
جَزَلٍ مَاذَا تَنْكَرَانِ
يَهْدِي إِلَى نَيْلِ الْجَنَانِ
مِ وَصَاحِبِ الْقَطْرِ الْيَمَانِي
خِرَ وَالْأَمَانُ مِنَ الْهَوَانِ
رَأَى مَا كَسَاهُ النَّيِّرَانِ
عَلَى السَّمَاءِ الْفَرْقَدَانِ

وهي طويلة غالبها إلى شأو الإجابة مرفوعٌ، وفي قالب الحسن والسهولة مصوغٌ ومصنوعٌ. ومِنَ نظم في هذا العام، وقد نظمته إلى تلك السُدَّةِ السَّنيَّةِ مزاحماً لذوي النظام، محرَّزٌ هذه السطورِ المعترفُ بالقصورِ، وقد أثبت ذلك جميعه لما فيه من الإمام بأكثر وقائع هذا العام، وسرد مِن الله الجسام التي حصلت بركة مولانا - عليه السلام - وهي غديرية، مطلعها:

[الطويل]

حديثُ الهوى حلُّ ولا بدع أن يحلو
ومن خبري في الحبِّ وردتْهُ
علقتُ الهوى طفلاً ومَنْ يصحبُ الهوى
وخضتُ وحقَّ الحبِّ جُتَّتْهُ التي
وقد علم العُدَّالُ أَنِي ومسمعي
فما زال لي نقلاً يصحَّحه النُّقْلُ
نميراً فطاب النَّهْلُ لي منه والْعَلُّ
صبيّاً فَمِنْ فَرَضِ الْمَحَالَاتِ أَنْ يَسْلُو
أقامَ بِشَاطِئِهَا الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ
رفيقان لا ينسابُ بينهما عدلُ

إِذَا أَجْمَعُوا أَمْرًا وَسَاقُوا جِيوشَهُمْ
وَكَمْ رَدَّدُوا زوراً فَرَّدُوا بَغِيظَهُمْ
وَمِنْ مَذْهَبِي أَنِّي لَنْ أُوَدِّعُوا الْهُوَى
حَفِظْتُ لَهُمْ عَهْدِي الْقَدِيمَ وَمَرْتَعِي الـ
وَعَالَطْتُ جُلَّاسِي فَلَمْ يَعْمَلُوا بِمَا
يَقُولُونَ يَا هَذَا نَحْوُكَ مُفْرِطٌ
عَلَامُ الضَّنَا فَارْفُقْ بِنَفْسِكَ إِنَّمَا
وَلَوْ شَرَبُوا مَاءَ الصَّبَابَةِ وَالْجَوَى
جُعِلْتُ فِدَىِّ لِلنَّازِحِينَ وَإِنْ يَكُنْ
هُمْ أَوْثَقُوا قَلْبِي أَسِيرًا وَأَطْلُقُوا
وَشَنُّوا عَلَى لَبِّ الْمَتِيمِ غَارَةً
أَخْلَايَ إِنَّ الرَّمْلَ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ
وَمَا رَبُّكُمْ لَا أَبْعَدَ اللَّهُ عَهْدَهُ
سَقَى عَهْدَنَا فِيهِ مِنَ الْغَيْثِ صَيِّبٌ
وَيَا مَنْزِلًا لَمْ أَعْرِفِ الْمَطْلَ عَنْدهُ
إِلَيْكَ اسْتِيقَايَ وَالْهُوَى يَسْتَفِزُّنِي
لَعَلَّ لِمَاضِينَا بِسَفْحِكَ أَوْبَةً
بِمَنْ سَيْفُهُ سَمُّ الْمَنَايَا وَجُودُهُ
وَمَنْ قَيَّضَ الْبَارِي بِيُمْنٍ جِهَادَهُ

عَلَيَّ انشَنُوا وَالْجَيْشُ مِنْ عِنْدِهِمْ فَلْ
وَدُقْ لِبَشْرِي النَّصْرَ فِي مَسْمَعِي طَبْلُ
فَوَادِي وَإِنْ صَدُّوا عَنِ الْوَجْدِ لَا أَخْلُو
جَمِيمَ وَإِنْ جَارُوا فَجَوُّهُمْ عَدْلُ
كَتَمْتُ وَبَابُ السَّرِّ عِنْدِي لَهُ قَفْلُ
وَطَرْفُكَ وَكَافٌ وَجِسْمُكَ مَفْتُلُ / ١٦٠
تَعَزُّ عَلَيْنَا وَالْفِرَاقُ لَهَا ثَكْلُ
لَمَّا دَارَ فِي الْأَفْـوَاهِ لَيْتَ وَلَا عَلَّ
فَوَادِي لَهُمْ دَارًا وَهَلْ مِثْلُهُمْ نَزَلَ
دَمُوعِي وَقَالُوا فِي الْهُوَى يَحْسُنُ الْقَتْلُ
فَمَا رَجَعْتُ إِلَّا وَمَنْ نَهَيْهَا الْعَقْلُ
تَنَكَّرَ فِي عَيْنِي وَأَوْحَشَنِي الرَّمْلُ
كَمَا كَانَ وَالْغَيْدُ الْحَسَانُ لَهُ أَهْلُ
يَكْرُرُ تَقْبِيلَ الثَّرَى حِينَ يَنْهَلُ
وَلَا غَابَ عَنِّي مِنْ أَمَانِي اللَّقَا وَصَلُ
عَلَيْكَ وَمِنْ ذَكَرَاكَ فِي كَيْدِي مَهْلُ
كَمَا عَادَ دِينَ الْحَقِّ فِي أَفْقِهِ يَعْلُو
نَمِيرُ الْعَطَايَا لَا يَسَاجِلُهَا الْوَبْلُ
مَنَاقِبَ لِلْإِسْلَامِ عَزَّ لَهَا مِثْلُ

إِمَامُ الْهُدَى يُحْيِي وَلِلَّهِ دُرَّةٌ
وَدَكَّ صُرُوحَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ بَعْدَمَا
فَأَقْصَرَ عَمَّا يَشْتَهِي الْغِيَّ مَبْطُلٌ
وَأَبْصَرَ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْإِفْكِ إِنَّمَا
وَمَا خَفَقَتْ أَعْلَامُهُ وَقُلُوبُهُمْ
وَحِينَ طَغَى فِرْعَوْنُهُمْ وَقَبِيلُهُ
طَمَى فَوْقَهُمْ بَحْرٌ مِنَ الْجَنْدِ مُغْرِقٌ
فَسَلَّ زُمْرَ الضَّلَالِ أَنْتَى تَوَجَّهُوا
هُمُومًا أَدْرَكُوا الْآيَّامَ سُودًا بَيِضَةً
وَسَائِلَ بِأَقْوَامٍ دَعَاهُمْ إِلَى الرَّدَى
وَكَانُوا عَلَى خَيْرٍ فَلَمَّا تَوَرَّطُوا
فَذَاقُوا جَزَاءَ الْبَغْيِ لَمَّا أَتَتْهُمْ
فَمَا صَدَّهُمْ حَصْنٌ وَلَا رَدٌّ بِأَسْهُمْ
وَكَمْ دَوَّخُوا أَقْطَارَهَا بِوَقَائِعِ
وَصَعْفَانُ مَا صَعْفَانُ خَانُوا فَعَوَّجُوا
وَفِي مَدَوَّلٍ دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ مُدَّةً
وَفِي الطَّرَفِ النَّائِي وَأَطْرَافِهِ الَّتِي
وَفِي بُرْعٍ أَبْدَى الْجَنُودُ بَرَاعَةً
صَدَاهَا مَدَى الْأَيَّامِ يَبْقَى وَأَمْرُهَا
وَمَا يَفْعُ لَا سَدَّدَ اللَّهُ يَافِعًا

/ ١٦١

إِمَامًا مَحَامَا شَادَهُ الْبَغْيُ وَالْجَهْلُ
تَطَاوَلُ عَنْقُ الْمُلْحِدِينَ بِمَا ضَلُّوا
تَخْطَى إِلَيْهِ الْخَتْفُ أَوْ قَادَهُ الْعُلُ
دَعَى الْخُطْبُ إِذَا زَلَّتْ بِأَقْدَامِهِ النُّعْلُ
بِأَقْصَرِ مِنْهَا حَيْثُ عَمَّتْهُمْ الْخُتْلُ
وَجَاءُوا بِزَوْرِ الْقَوْلِ وَالْأَسْ مَخْتَلِ
وَمَا دَبَّ لِلْإِيمَانِ فِي طَبْعِهِمْ نَمْلٌ
عَنِ الطَّعَنَاتِ الْحُمْرِ تِلْكَ هِيَ النُّجْلُ
فَمَطْعُمُهُمْ طَعْنٌ وَمَلْبَسُهُمْ ذُلٌّ
بِرْمِيَةِ شَيْطَانٍ فَضَلَّتْ بِهِمْ سُبُلُ
تَلَاطَمَ مَوْجُ الشَّرِّ عَنْهُمْ وَقَدْ زَلُّوا
كِتَابٌ مِنْ نَصْرِ الْإِلَهِ لَهَا كِفْلُ
جِيوشٌ وَهَلْ تَقْوَى عَلَى الْأُسْدِ الْبَزْلُ
يَدُلُّ عَلَى آثَارِهَا الْحَزْنُ وَالسَّهْلُ
فَكَانُوا كَأَمْسِ الدَّابِرِ انْحَلَّ وَانْحَلُوا
وَدَالَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَامِعِهَا خَبْلُ
يَطْوُلُ لَهَا التَّعْدَادُ بِالْحَتْفِ قَدْ أُنْثُوا
أَفَاقَ بِهَا الْعَاصِي وَمَالَتْ بِهِ الزُّحُلُ
إِلَيْهِ يُسَاقُ الْقَوْلُ وَالْمَنْطِقُ الْجَزْلُ
أَذِيقُوا الرَّدَى فَالْطِفْلُ مِنْ هَوْلِهَا كَهْلُ

أَتَوْا بِجَمُوعٍ سَدَّ أَلْفَافَهَا الْفَضَا
 وَجَاءُوا وَفِيهِمْ دَاءٌ أَشْعَبَ فَاَنْطَوُوا
 فَحَطَّطَهُمْ حَطَّ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا
 وَفِي حَمْرِ حُلُّوا الْوَقَائِعَ إِنَّهُمْ
 وَلِلَّهِ مَا ذَاقَ الزَّعَانِعَ إِذْ رَأَوْا
 كَمَا ذَاقَ سُكَّانُ الْمِقَاطِرَةِ الرَّدَى
 وَلَوْ أَنْصَفُوا مَا حَامَ طَيْرُ حِمَامِهِمْ
 وَكَمْ فَتَكَاتٍ ضَمَّهَا الْعَامُ بَعْضُهَا
 لَقَدْ لَبَسَ الْإِسْلَامُ خَلْعَةَ جَدِّهِ
 وَرَدَّ لَهُ عَهْدَ الشَّبَابِ كَأَنَّمَا
 وَجَلَّتْ بِمَنْنِ اللَّهِ فِينَا مَوَاهِبُ
 أَمَانٌ وَإِيمَانٌ وَخَيْرٌ وَرَاحَةٌ
 وَتَحْكِيمٌ شَرَعَ اللَّهُ فِي كُلِّ حَادِثٍ
 وَحُبٌّ لِنَشْرِ الْعِلْمِ وَالْبَحْرِ عِلْمُهُ
 إِمَامَ الْهُدَى عَزْدَرًا فَإِنِّي مُقَصِّرٌ
 وَأَيَّامُكَ الْبَيَاضُ فِي الدَّهْرِ غُرَّةٌ
 وَطَوَّلُ بَقَاكَ الْيَوْمَ لِلدِّينِ وَالْدُّنَى
 وَقَدْ جَاءَ عِيدُ النَّحْرِ فَالْأَعْيُ عَلَى الْعِدَى
 وَمَنْ أَفْضَلُ الْمَرْغُوبِ أَتَى قَائِلُ
 فَكُم مِّنْ قَلْدَتِهَا فِيهِ رَاغِبًا

فَأَنْصَرُوا إِلَى حَتْفٍ وَكُثُرُهُمْ قُلُ
 بِأَيْدِي الْعَوَالِي فِي الشُّعْبِ وَقَدْ ضَلُّوا
 بِأَجْعُودِهِمْ لَمْ يَجِرْ فِي مَحْفِهِمْ رُسُلُ
 رَأَوْا أَحْمَرَ التَّنْكِيلِ لَيْسَ لَهُ مَهْلُ
 زَعَانِعَ حَرْبٍ شَابَ مِنْ هَوْلِهَا الْبَطْلُ / ١٦٢
 وَعَمَّ عَلَيْهِمْ فِي مَعَاقِلِهِمْ عَقْلُ
 عَلَيْهِمْ وَلَا دَانِي تَقَاطُرُهُمْ غَلُّ
 سَرَدَتْ وَمَا أَهْمَلْتُ بَعْضَهُ كُلُّ
 بِهَا وَهِيَ نَسْجُ السَّيْفِ لَمْ يَحْوِهَا الْغَزْلُ
 تَرَاجَعَ عَهْدُ الْوَحْيِ إِذْ جَاءَتِ الرُّسُلُ
 بِدَوْلَتِهِ الْغُرَاءِ دَامَ لَهَا الظِّلُّ
 وَمَحْمُودُ أَحْوَالٍ تَجَلَّى بِهَا الْعَذْلُ
 وَذَلِكَ أَسَاسُ الْأَمْرِ فِي حُكْمِهِ الْفَضْلُ
 تَجْمَعُ فِيهِ الْوَهْبُ وَالْعَقْلُ وَالنَّقْلُ
 مَزَايَاكَ لَا تُحْصَى وَأَيَّسَرُهَا الْفَضْلُ
 وَمَفْرَدُهَا عِيدٌ مُحَاسِنُهُ تَحْلُو
 هُوَ الْعِيدُ وَالْيَمْنُ الْمَحْصِلُ وَالْأَمْلُ
 يُبَشِّرُ أَنَّ النَّحْرَ فِيهِمْ هُوَ الشَّغْلُ
 تَهَنُّ بِهِ عِيدًا وَأَمْثَالُهُ تَتَلَوُ
 إِلَى اللَّهِ لَا يَدْنُو بِمَعْشَارِهَا الْمَحْلُ

وَلَلَّهِ ذَاكَ الْمَوْكِبُ الْفَخْمُ إِنَّهُ
 بَرَزَتْ، وَقَدْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِعَسْكَرٍ^[١]
 وَسِرَتْ بِهِمْ بَعْدَ الصَّلَاةِ كَأَنَّمَا
 وَلَوْلَاكَ مَا قَرَّتْ عَيُونٌ وَشَاهَدَتْ / ١٦٣
 وَلَمْ أُنْسَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ مَوَاكِبًا
 تَمَثَّلُ فِيهِ الْإِحْتِفَالُ وَطَالَ مِنْ
 هَوَا الْيَوْمِ نَرَجُو مِنْ هَوَاهُ وَسِيلَةً
 فَقَدْ عَقَّدَ الْمُخْتَارُ فِيهِ لِصُنُوهِ
 إِذَا مَا تَلَى رَدَّ الصَّدَى كُلَّ كَائِنٍ
 وَمَا وَصَفُهُ سَهْلٌ وَقَدْ مَارَتْ الدُّنَى
 وَكَمْ لِلْوَصِيِّ الْمُرْتَضَى مِنْ مَنَاقِبٍ
 وَمَنْ رَامَ غَرْفَ الْبَحْرِ أَمْضَى زَمَانَهُ
 وَسَيَّانٍ إِطْنَابِي وَإِيجَازُ مَدْحَتِي
 فَيَا مَالِكًا بَزَّ الْأَئِمَّةَ رُتْبَةً
 إِلَيْكَ ثَنَائِي أَوْ هَنَائِي كَأَنَّهُ
 تَرَفَّعَ إِخْلَاصًا وَرَقَّ لَطَافَةً
 فَدُمُ لِلْوَرَى غَوْثًا وَغِيثًا وَرَحْمَةً
 وَلَا زَالَ صَنَعُ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
 وَفِي بَخْتِمِهَا صَلَّى الْمُهَيْمَنُ سَرْمَدًا
 عَلَى الْمُصْطَفَى وَالْآلِ مَا لَاحَ بَارِقٌ

أَقَرَّ لَعَيْنِ الدِّينِ فِيهَا رَوَى النَّبْلُ
 هُمُ الْأَشَدُّ لَا نَابُو السَّلَاحَ وَلَا عُزْلُ
 تَلَاظَمَ مَوْجِ الْبَحْرِ فَانْتَظَمَ الْحَفْلُ
 عَلَا الدِّينَ مِنْهَا الْكُلُّ يَتَّبَعُهُ الْكُلُّ
 يُشَدُّ إِلَى إِدْرَاكِ بَهْجَتِهَا الرَّحْلُ
 مَنَاقِبِهِ مَا شَادَهُ الْفَرْعُ وَالْأَصْلُ
 يُزَادُ بِهَا مَنَعٌ وَيَدْنُو بِهَا بَذْلُ
 لِسَوَاءٍ وَلَا يَمَّا لِيَبْرَمِهِ حُلُّ
 بِتَحْقِيقِهِ وَاهْتَزَّ شَوْقًا لَهُ الْفِعْلُ
 بِهِ عِظَمًا هَيْهَاتَ مِنِّي لَهُ حَمْلُ
 إِذَا عُدَّ مِنْهَا لِبَعْضِ حَارِبِهِ الْعَقْلُ
 عَلَى تَعَبٍ وَبَحْرٍ لَمْ يَذَرِ مَا يَبْلُو
 لَدَيْهِ وَفَوْزُ النَّفْسِ مِنْهُ هُوَ السُّؤْلُ
 وَرَأْيَا كَانَ الْغَيْبُ قَدَامَهُ مَجْلُو
 جَنَانٌ سَقَاها الْغَيْثُ فَالِدَّوْحُ مُحْضَلُ
 وَمَا فَاتَهُ جِدُّ وَلَا شَانَهُ هَزْلُ
 وَطُودًا بِهِ تَحْيَى الْفَرَاثُضَ وَالنَّفْلُ
 نَزِيلُكَ يَا مَنْ سَيِّئُهُ الْكَرَمُ الْجَزْلُ
 وَسَلَّمُ تَسْلِيًا يَتِمُّ بِهِ الْفَضْلُ
 وَبَاكَرَ مِنْ فَيْضِ الْغَمَامَةِ مُنْهَلُ

[١] في الأصل، بعساكر وهو خلل عروضي.

/ قلتُ: وقد سبق بيانُ العُذر في زبر هذه القصيدةِ كاملةً، وهو ما اشتملت / ١٦٤
عليه من سردِ حوادثِ هذا العام، والإشارة إلى ذلك على سبيل الإجمال، وهي
حريةٌ بالتقييدِ وصيانتها عن تمزيقِ الزمانِ المبيد.

وفي هذه السنةِ كانَ مِنْ أعوانِ ابنِ سعودٍ إعادةُ الكرةِ والغزو إلى يام،
وكانت آراؤهم قد اتفقت على مدافعةٍ مِنْ يطرُقهم من تلك الجهة، فحينَ
بَلَغهم إقبالُ جيشِ ابنِ السعودِ بادَرُوا إلى أطرافِ بلادهم وقابلوه بالحرب،
وتجمَّعوا عليه مِنْ كُلِّ جانبٍ، فهزموه هزيمةً فاضحةً وصدَّوه عن بلادهم، وقُتِلَ
من الفريقين عددٌ كثير.

ومن جملةِ القتلى أميرُ جيشِ ابنِ سعود، فأدركوا بهذه الواقعةِ ثارهم،
وانتقموا من عدوهم الذي أثخنَ فيهم في العام الماضي، واحتَوُوا على ما أَجْلَبَ
عليهم في هذه الحرب، والحربُ سجالٌ.

ومن الحوادثِ الواقعة في العراقِ، وقد قدَّمنا أنهم في العام الماضي ثاروا
بالانجليزِ مطالبين بالاستقلال، ولم يخضعوا لإرادتهِ وساعدَهُمْ على ذلك ما كانَ
يجري بينَ اليونانِ والأتراكِ من الحروبِ والوقائعِ العظامِ، وصادفَ في خلالِ
ذلك أن الشريفَ فيصلَ بنَ حسينَ بنِ علي بن محمد بن عون، لما فرَّ من الشَّامِ
قصدَ لَنَدنَ، دارَ مملكةِ الانجليزِ وعاصمتهم، فاتفقوا معه على تشكيلِ دولةٍ
عراقيةٍ تكونُ تحتَ حمايتهم، ونَصَّبه ملكاً عليها، فعادَ مِنْ هنالك إلى بغدادَ، وتمَّ
بمعرفتهم نَصُّهُ مَلِكاً على العراقِ، وتشكيلُ حكومةٍ للعراقِ تحتَ حمايتهم،
وخَفَّ بذلكِ حِمْلُ الانجليزِين هنالك، إذ قَلَّلُوا جيوشهم التي كانت مرابطةً في
العراق، وسكنت الأحوالُ بالنسبةِ إلى ما سبق، وبقي من أهل العراقِ أفرادٌ

فارقوا أوطانهم إلى غيرها من البلاد غير راضين بهذه الترضية، لعلمهم بأن الانجليز باق على تسلطه، وأن فيصل بن حسين ليس إلا آلة لهم، مُنفذة لمآربهم، وموصلة لهم إلى مطالبهم ورغائبهم.

ومن الحوادث العظام في هذا العام، ما جرى بين الأتراك الذين تجمعوا في الأناضول، وقد سبق ذكرها، صاروا إليه وبين اليونان، فإنه جرى بين الفريقين حروبٌ عظيمةٌ.

وكان اليونانيون^(١) قد احتلوا ولاية آيدين^(٢) التي مركزها مدينة إزمير، وهي المدينة الثانية بعد الأستانة في العظم وعموم المنفعة، وكان ذلك باتفاق دول الإفرنج / الكبيرة على ذلك، فشجعهم على التوغل في بلاد الأناضول الانجليز انتقاماً من الأتراك المغاضبين، فاستولى على ولاية خداوندكار^(٣) التي مركزها مدينة بروسة^(٤)، وهي مدينة عظيمة كانت مقر سلطنة آل عثمان، قبل استيلائهم على أدرنة^(٥) والقسطنطينية، وتجاوزها بحروب كان الأتراك يتظاهرون أمامها

(١) الحرب اليونانية، جاءت أثر أزمات بين الدولة العثمانية واليونان منذ سنة ١٨٨٢ م وحتى اليوم، وتقوم بسبب الحدود الشمالية لليونان.

(٢) آيدين: تقع في غرب الأناضول، وهي مركز لولاية باسمها، فتحها العثمانيون سنة ١٤٢٦ م.

(٣) خداد وندكار: كلمة فارسية معناها الصاحب أو الحاكم، كانت سنجق في العهد العثماني فتحها العثمانيون زمن أورخان، ثم أصبحت ولاية منذ عام ١٨٦٧ .

(٤) بروسة: تعرف باسم بورصة، تبعد حوالي ٢٢٠ كم إلى الجنوب الغربي من استانبول، على قمة جبال اولداغ، فتحها العثمانيون سنة ١٣٢٦ م، وأصبحت أول عاصمة لهم .

(٥) أدرنة: مركز ولاية، تقع في القسم الأوروبي، غرب استانبول، تمتد حتى الحدود اليونانية والبلغارية، فتحها العثمانيون زمن السلطان مراد الأول، وكانت العاصمة العسكرية للفتوحات في أوروبا وحصار القسطنطينية.

بالانهزام، إلى أن وصلَ بجنوده إلى ضفافِ نهرسقاريا^(١) الكائن بالقرب من مدينة أنقرة^(٢)، التي جعلها الأتراكُ مقراً لهم ولسلطنتهم الجديدة، وهناك كانت بينَ الفريقين واقعةٌ عظيمةٌ استمرَّ الحربُ فيها بدونَ انفصالٍ نيّفاً وعشرين يوماً، وتعاطى الفريقان فيها من كُؤوس الطّعانِ وفنون القتالِ ما يهولُ، وفي نهايتها انهزمَ اليونانيون، وقد تخضّبت تلك البقاعُ بالدماءِ، وامتزجَ ماءُ النهرِ المذكورِ بها، وتراجعوا إلى مدينةِ اسكي شهر^(٣)، ومدينةِ أفيون^(٤) قره حصار، وكانتا محطتين لجندهم، وهما في قلبِ الأناضول، وغنمَ الأتراكُ منهم ما لا يُحصى من الغنائم، والتي تقدّرُ بالملايين من الجنيهات، فيها الأسلحة والمدافع والسياراتُ المدرّعة.

^[١] قلْتُ: وهذه السياراتُ من مخترعاتِ الانجليز، صنعوها في أثناء الحربِ العامّةِ الكبرى، ولم نشاهدها حتى الان، ولكن بلغَ من وصفها، أنّها آلةٌ تسيرُ بقوةٍ بخاريةٍ، وقد جُعِلَتْ مُدَرَّعةٌ بالحديد، ووُضِعَتْ عليها من آلاتهم الجهنميّةِ عدّةُ مدافعٍ ومتراليوز،^[٢] فيكون المهاجمةُ بها، وظهر لها أثرٌ عظيمٌ في الحروبِ التي كانت بينَ دولِ الإفرنج والألمان^[٣].

(١) نهر صقاريا: يقع شمال غرب الأناضول (انقرة)، كان يعرف بباء أنقرة، وسمي باسم مدينة تقوم على النهر.

(٢) انقرة: مدينة في وسط الأناضول، فتحها العثمانيون سنة ١٣٥٦ م، زمن السلطان اورخان، اشتهرت بقلعتها الحصينة، هي عاصمة الجمهورية التركية منذ أعلنها مصطفى كمال منذ سنة ١٩٢٣ م.

(٣) اسكي شهر: مدينة تقع في الأناضول الأوسط، وهي أول مدينة سقطت في يد العثمانيين زمن عثمان الذي تنسب إليه الدولة، وأصبحت عاصمة لهم، ومنها انطلقت القوات العثمانية توسع رقعة دولتهم إلى بورصة ونيقية، وهي اليوم مركز ولاية كبيرة.

(٤) أفيون: مدينة في الأناضول، سميت بهذا الاسم لاشتغالها بزراعة الخشخاش منذ القرن الأول قبل الميلاد، والذي يؤخذ الأفيون من زهرة، شكلت طريق تجاري مهم إلى جزر الهند الشرقية وإيران ومصر والصين، وبها قلعة حصينة.

[٢ - ٢] سقطت من س.

[١ - ١] سقطت من س.

وبعد أن تراجع اليونان إلى المدينتين المذكورتين، تقدّم الأتراك إلى أن وقفوا بإزائهم، واستمرّ تبادل الحرب بين الفريقين طول هذا العام، ولكنه تبادل موضعين، ومكث كل فريق يستعدّ للآخر، ودول الإفرنج مثل الانجليز ومن على شاكلتهم، يتوسّطون في المصالحة بين الطائفتين، ولم يثمر من سعيهم ما يكون به انتهاء الحرب، للخلاف الحاصل منهم^[١] بالنظر إلى اليونان، فالإنجليز كانوا يمدّون اليونان بكلّ وسائل الإمداد والإعانة، والفرنسية والطيّليان كانوا غير راضين بتوسّع دولة اليونان في البلاد الأناضولية، ويودّون إخراجهم منها، ومن ههنا ظفّر الأتراك من الفريق المجانب لليونان بمدد من الذخيرة ونحوها واتفقوا مع أهل انقره على / تخلية ولاية أضنة من تحت أيدي الفرنسية^[٢] وتسليمها إلى الأتراك، وكان الفرنسيون قد وضعوا أيديهم عليها منذ عقْد الهدنة بينهم وبين الأتراك، ورفعوا أيديهم عن القسم الشمالي، من ولاية حلب^(١) مثل مرعش^(٢) وعينتاب^(٣) وغيرهما بحجة أن أكثر سُكّانها من الأتراك، وكذلك رفع الطليان جيوشه من مدينة أنطاكية^(٤) وما جاورها، وكانت

-
- (١) ولاية حلب: خضعت للحكم العثماني منذ زمن السلطان سليم الأول سنة ١٥١٦ م، وشكلت إحدى ولايات الشام المهمة، وامتدت أراضيها عبر الأناضول، وبعد صدور قانون الولايات سنة ١٨٦٤ م أصبحت تضم ألوية، حلب، الرقة، عينتاب، كيليس.
- (٢) مرعش: مدينة تقع في جنوب الأناضول، مركز ولاية، فتحها العثمانيون عام ١٤٤٩ م زمن السلطان مراد الثالث على يد ولده محمد الفاتح، وشكلت مركزاً للصراع بين محمد علي والدولة العثمانية، أغلب سكانها من العرب.
- (٣) عينتاب: في جنوب شرق منطقة الأناضول، وهي مركز لولاية، تقع على أحد فروع نهر الفرات، قريبة من الحدود السورية، بها قلعة شهيرة فتحها العثمانيون سنة ١٥١٦ م، زمن السلطان سليم الأول، وهي مركز ولاية اليوم.
- (٤) أنطاكية: عاصمة لواء الاسكندرونة، الجزء المسلوب من بلاد الشام، وهي قضاء يتبع ولاية حلب، منذ سنة ١٦٣٧ احتلتها تركيا بالقوة وأصبحت تعرف بولاية خطاي.

[١] في س، بينهم. [٢] في س، الفرنسيين.

تحت أيديهم، ودخلها الأتراك، وبظهور هذا الاختلاف بين دول الإفرنج التي لا تزال تقول، بأنها متحالفة على العدو المشترك بينها، قويت عزائم الأتراك وأطاعهم في التمكن من طرد اليونانيين والانجليز من بلادهم، وأمدّهم جميع العالم الاسلامي بالإعانات المتتابعة من النقود وغيرها، والكل يرجون أن يعود إلى الأتراك بعض ما كانوا عليه من التمكن والقوة ليكونوا سداً حائلاً بين دول الإفرنج وبين زيادة تمكّنهم من بقية بلدان الإسلام، فهذا ما كان عليه حال الأتراك في هذا العام.

ودخلت سنة أربعين بعد الثلاث المئين والألف.

والأحوال العامة كما ذكرناها، وأحوال اليمن كما أسلفناها ومولانا الإمام مقيم برؤفة حاتم لتمضية فصل الخريف، وناجم التهائم محمد بن علي الإدريسي باق في صبيّا^(١)، وتحت تسلّطه^[١] الجهات التي أسلفنا ذكرها، والحرب لا يزال مستمراً بين أعوانه وبين جنود الإمام في بلاد الطعام^[٢]، وكل فريق واقف بإزاء الفريق الآخر في مراتبه، والرمي بين الفريقين غير منقطع والأحوال ساكنة في بلاد الشام، أعني صعدة وبلادها، والعمال في جميع الجهات من ذكرناهم في العام المنصرم.

وفي أوائل هذا العام، وصل إلى مولانا الإمام من سيدي المولى سيف الإسلام، وبذر الآل الكرام، محمد^(٢) بن أمير المؤمنين المتوكل على الله، إمام

(١) صبيّا: بلدة عامرة في المخلاف السلياني، شمال جازان بمسافة ٦٥ كم، انظر هجر العلم، ١١٥٤.

(٢) محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين، سيف الإسلام، الأمير البدر، أمير لواء الحديّدة ت غرقاً في ١٦ ذي الحجة ١٣٥٠ هـ، عالم، أديب، شاعر، ولاء الإمام يحيى أعمال قضاء =

[١] في س، سلطته. [٢] في س، الطعام بريمة.

الزمان، تهتئة غراء، وقصيدة عصماء جمعت بين محاسن الاستعطاف، ولطيف العتب، وطلب الاعتاب والإتحاف والمدح الرفيع والمعنى البديع ولا غرو، فالذُر لا يستخرج إلا من ذلك البحر العباب، والبلاغة لم تقف إلا على تلك الأبواب، وهي كما تراها، تأخذ بالألباب، وتمتزج بالأرواح، وتجلب لسامعها لطافة الانشراح ومطلعها^[١].

[الطويل]

عن الحي هل عهد الهوى عندهم يُرعى
لعلّة قلبي في سوى وُصْلِهِمْ نفعاً
وأبدلها بالدمع عن نفسه خلعا
وذلك شيء لم يكن منكم بدعا
إذا تمّ فيها الاتصال انتهت قطعاً
وراحوا وقد صارت محاسنهم جدعا
فقد وجدت في فرد ذاتكم جمعا
وعادت وقد صار الغرام لها طبعا
فهام وأضحى وهو ذو مهجة لوعا
وسامته قيذا لا يطيق له ضلعا
عسى أنها إن راسلت شعثت صدعا

نسيم الصبا سل في السرى بارق الجرعا
وخبرهمو أي طلبت فلم أجـد
أهبل الحمى قد طلق النوم مقلتي
أسرّتهم وأرسلتم فؤادي ومدّمي
لكم في قلوب العاشقين مضارب
تخير أهل الحسّن في كنه حُسْنِكُم
إذا افترقت أجزاؤه في جميعهم
لقد فتنت شمس الضحى بجمالكم
فأخبرت البدر المنير بما رأت
ومال بصهباء الهوى، فانتبرت له
وصاغته خلخالاً لإتحافكم به

/ ١٦٧

= الشرفين من أعمال لواء حجة، فانخذ المحابشة مقرّأ له، ثم عين أميراً على لواء الحديدة في شعبان ١٣٤٦ هـ، اهتم بفتح المدارس ونشر المخطوطات التراثية، ولد في القفلة في رمضان سنة ١٣١٦ هـ، انظر، تحفة الإخوان، ١٣٨، نزهة النظر، ٥٩٨، ائمة اليمن، ٢/ ٢٩٠، وانظر الشوقيات، ٣/ ١٦٩، فقد رثاه أحمد شوقي بقصيدة مطلعها:
مضى الدهر يا ابن امام اليمن وأودى بزين شباب الزمن

[١] ورد في س الأبيات الأربعة الأولى فقط.

وَضَمَّتْ أَزَاهِيرَ النُّجُومِ قِلَادَةً
وَأَهْدَتْ إِلَيْكُمْ كُلَّ ذَاكَ تَوَدُّدًا
قَرَأْتُ كُتُبَهُ أَهْلُ الْغَرَامِ فَسَلَّمُوا
رَجَاءً وَصَالٍ بَلْ رَجَاءٌ إِبَابَةٌ
أَحَبَّةَ قَلْبِي طَالَ وَاللَّهِ هَجَرُكُمْ
إِذَا أَشْفَقْتُ شَمْسُ الضُّحَى مِنْ جَمَالِكُمْ
فَمَا حِيلَتِي فِي وَصْلِكُمْ أَوْ وَسِيلَتِي
أَمَا تَرَحَّمُوا جِسْمًا نَضَاهُ فَوَّادَهُ
وَصَبَّ عَلَيْهِ صَوْبَ حُزْنٍ وَلَوْعَةً
يُشِبُّ نَسِيمُ الشَّرْقِ نِيرَانُ صَدْرِهِ
لَهُ فِي هَوَاكُمُ مَعْجَرَاتُ نَبْوَةٍ
دَمٌ مَدَّهُ بِحَرٍّ وَنَارٌ تَأَجَّجَتْ
وَرِيحُ الصَّبَا فِي قَبْضَتِي إِنْ تَنَسَّمْتُ
وَلَيْلَةَ أَسْرَى بِي إِلَى عَرْشِكُمْ غَدَتْ
يُلِينُ جَلَامِيدُ الْحَدِيدِ تَنْفَسِي
وَكَمْ لِي فِي شَرِّ الْهَوَى مِنْ قَضِيَّةٍ
صِلُونِي صِلُونِي قَدْ حَاجَّجْتُ إِلَيْكُمْ
وَالْأَتَرَقُّوا لِي رَفَعْتُ شَكَايَتِي
إِلَى مَلِكٍ لَوْ كَانَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
إِلَى مَلِكٍ مَعْنَى الْفَضَائِلِ ذَاتُهُ

بُحْسِنَ نَظَامُ لَا شَيْءَ لَهُ قَطَعَا
هَدِيَّةً صَبَّ صَبَّ مِنْ جَفْنِهِ الدَّمْعَا
وَصَلُّوا إِلَى مَحْرَابِهِ الْوُتْرَ وَالشَّفْعَا
عَلَيْهَا وَخَوْفًا أَنْ تَرُدُّوا لَهُ الْمَنْعَا
أَلَا تُبَدِّلُونَا بَعْدَ خَفْضِ الْجَفَا رَفْعَا
وَمَا قَابِلْتُ فِي الْفَضْلِ مِنْ نَعْلِكُمْ شِشْعَا
وَقَدْ ضِيقْتُ فَمَا نَالَ مِنِّي الْجَفَا ذَرْعَا
وَصَاغَ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ الْقَلْبِ ذَرْعَا
وَأَوْدَعَهُ بَعْدَ الْعَذَابِ فَمَ الْأَفْعَى
وَيُيَكِّهِ ضَحْكُ الْبَرْقِ مَا سَرَى لَمْعَا / ١٦٨
تَحْدَى بِهَا الْعُشَّاقُ إِذْ عَدَّهَا سَبْعَا
وَشَرَّ غَرَامٍ قَدْ صُدِغَتْ بِهِ صَدْعَا
أَثَرَتْ عَلَيْهَا مِنْ جَوَى مَهْجَتِي نَقْعَا
مَلَائِكَةُ الْعُشَّاقِ مِنْ هَيْبَتِي صَرَعَا
وَأَفْهَمُ شِدْوَ الْوُزْقِ إِنْ رَفَعْتَ سَجْعَا
تَرَدَّدَ فِيهَا كُلُّ مَنْ يَعْرِفُ الشَّرْعَا
وَفِي سَوْحِكُمْ قَدْ طُفْتُ سَبْعِينَ لَا سَبْعَا
إِلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ مَنْ يَسْعَى
نَبِيٌّ لَكَانَ الْمُصْطَفَى بَعْدَهُ قَطْعَا
نَمَا فِي الْعَلَا وَالْمَجْدِ حَتَّى عَلَا السَّبْعَا

إلى ملكٍ لو سابقَ الغيثَ جودُهُ
هو العامِرُ الدينَ الحنيفيَّ بعدَ ما
هو المالىءُ الآفاقَ عدلاً وحكمةً
خليفةُ ربِّ العالمين على الورى
كريمُ السجايَا والمُحيَا بهيبةٍ
إمامٌ يخافُ الدَّهرُ من صولاتِهِ
هزبرٌ تراهُ في الحروبِ غَضَنَفرا
يسوقُ الكِماةَ الأسدَ في حَلَبَةِ الوغى
لقد أذعنَ العاصي وَذَلَّتْ وأَقْبَلَتْ
لَقَدْ مَلَأَ الأرضَ العريضةَ فضلهُ / ١٦٩
منزَهَةً عن لَوٍ ولولا صفائُهُ
تبارى بيميناه اليراعُ وسيفُهُ
إذا قامَ دَجَّالٌ بتمويهٍ باطلٍ
وما هو إلاَّ صالحٌ في ثمودِهِ
به اختالَ هذا الدِّينُ في بُرْدِ عزِّهِ
إليكَ أميرَ المؤمنين قصيدةٌ
إذا انخَفَضَتْ تحتَ الثرى فنظامُها
وهيئتَ عاماً قادمأً بمسرةٍ
وبالقالِ أَرخُ نجمَ عزِّكَ طالعُ

لأعجزَه فخراً وأتعبَه صنعا
عفا رُسْمُه واستظهرتْ بِدَعْ شُنعَا
وقد حكمتُ حكامُها العسفَ والضلعا
وأفضلُ من يُرجى وأكرمُ من يُدعى
تخرُّ مُنيراتُ النجومِ لها رُوعَا
لقد صَيَّرَ الأيامَ تجري لنا طُوعاً
إذا ضاقَ فرسانُ الطَّعانِ لها ذرعا
فشطَّروهم كالشاءِ وهو لهُم يَرعى
لهيئتِهِ الأقيالُ مسرعةً هَطْعَا
ولم يَبْقَ جنساً للمعالي ولا نَوْعا
فما صِفَةُ منها لِللَّوْلا ولو تُدعى
فذا كاتبٌ فصلاً وذا كاتبٌ قَطْعَا
تَلَفَّتْ له من عزمِهِ حيَّةٌ تسعى
فأشقى الورى من في مناوأتِهِ يسعى
وهُنَّيْ عُمراً بعد أن كادَ أن يُنعى
نَظَّمْتُ بها في سلكٍ قافيتي جَزْعَا
بِذِكْرِكَ من فوقِ الثريا سَمى رِفْعَا
مقاديرُهُ فيما تريدُ به تسعى
له الله يا يحيى بتوفيقه يَرعى^[١]

سنة ١٣٤٠

[١] أي بحساب الجُمَّل ١٣٤٠ .

ولما دخلت هذه اللطائف إلى غرفِ الأسماع، ومثلت مثول الاستحسان
لَدُن مولانا الإمام، وهو مليكُ البلاغة والإبداع، أجابَ نجله الكريمُ بنظامٍ
يُجَلُّ النسيمَ رقةً ولطافةً ويناطح الكواكبَ جزالةً وأناقةً ومطلعه:

[الطويل]

أماناً فَمِنْ حَقِّ الْمُتَيَّمِ أَنْ يُرعى وجوباً على المختالِ في حُسْنِهِ شرعا
وَمَنْ مديحه الجزل:

هَمَامٌ إِذَا عُدَّ الفحولُ وصارمٌ يصولُ وبدرٌ طالَ إشراقه لمعا
له الهمةُ القَعَساءُ تَرَبَّتْ وشأنه عظيمٌ وأسرارُ النهى فيه تُستدعى
وكانَ بحمدِ اللهِ أكملَ سيدٍ علا فوقَ هامِ النجمِ وانتعلَ الهقعا
وجلَّتْ معاليه كما طابَ أصله حلالاً وطالَ المجدُ مِنْ نُبْلِهِ فرعا

١٧٠ /

/ومنه:

وقد جاءني منك النّظامُ كأنه فواكهُ جنّاتٍ دَنَتْ وزَكَتْ يَنعَا
أنا لَكَ رَبُّ العرشِ طَوْدَ فضيلةٍ وليس الذي أعنيه رضوى ولا سلعا
وأبقاكُ محمودَ المساعي متوجّأً تُداني من الآمالِ أعظمها مَسعى
بجاءِ رسولِ اللهِ أَفْضَلَ مَنْ مشى وأسرى به الخلاقُ فاخترقَ السَّبعا
عليه صلاةُ اللهِ ثُمَّ سلامُهُ مع الآلِ ما صبَّ الحيا صوبَهُ هَمْعاً^[١].

وَمَنْ رَفَعَ إلى مقامِ مولانا الإمام - عليه السلام - تَهَانِيَةً بِقدومِ هذا العام،
سيّدي فخرُ الدين همام بنِي الرسولِ الأمين، المولى عبدُ الله بنُ إبراهيم، بنُ
الإمام^(١)، وذلك قوله^[٢]:

(١) عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن المهدي ت شعبان ١٣٤٩ هـ، أديب، شاعر،
كان له شأن في العهد العثماني، تولى القضاء ببلاد كوكبان، هاجر إلى هجرة حوث، قاد
حملة عسكرية على إب سنة ١٣٢٣ هـ، وفتح المخادر وبعدان ومناطق واسعة من =

[١ - ١] سقطت القصيدة من س. [٢] سقطت من س، ولم يرد في س إلا مطلع القصيدة.

[المتقارب]

تفرّد بالفخرِ قطرُ اليمَنُ
 به الأمنُ قد سادَ حتى لَقَدْ
 ورنلنا السعادةَ واستحكمتْ
 سقاهُ الإلهُ الشرابَ الطهورَ
 وأحيّا بيحيى إمام الهدى
 منارَ الشريعةِ واختصّه
 وأرشدنا وحمى قُطْرنا
 وقد حاولَ الكافرونَ القضا
 شياطينه تارةً جهّزوا
 وأخرى استمالوا بأموالهم
 ولكنَّهُمْ كُلُّهُم أوقدوا
 بغيثٍ من النّصرِ مستأصلٍ
 أعانَ ذوي البغي أهلَ الضلالِ
 ولا تنسَ ما كانَ من نَجديهم
 ونحن نبيتُ براحائنا
 وهذا الإمامُ التقيُّ الذي
 يواصلُ أيامه بالليالِ
 فيا قُطرُ يهنيك كَسْبُ الفَخارِ
 ويامنُ به قد أقامَ احمدا

ونالَ من الله أسنى المننِ
 أمّنا به من ظلامِ الفتنِ
 عراه فأكرم به منَ وطنِ
 وأسدى له كلَّ فضلٍ ومنِ
 سليلِ الأئمةِ محيي السننِ
 بتأييده فأرانا السننِ
 فما مسّسه من كفورِ ذرّنِ
 على القُطرِ واستدرجوا بالشّطنِ
 بجازانَ بعضُ البغاةِ الخونِ
 ذوي الجهلِ اتباعهم من عدنِ
 على النارِ أطفأها ذو المننِ
 لمن حاربَ الحقَّ منهم ومنِ
 ومن كان مستخفياً واستجنِ
 وأهلِ عسيرٍ وداعي الحنِ
 ونصبُحُ في الأمنِ لا نُمتَهَنِ
 يُقاسي شدائدَ أهلِ الإحنِ
 لراحاتنا مانعاً للوسنِ
 بهذا الإمامِ فطِبْ واشكُرْ
 إلهمكم حمداً أهلِ القطنِ

= اليمن الأسفل ثم قاد حملة على مطرح ذيغان من غيال سُريح، كان ضمن الوفد الذي سافر إلى استانبول للمفاوضة حول اصلاح اليمن سنة ١٣٢٥ هـ، وفتح يريم وله دور في مفاوضات صلح دَعان، ولد في صنعاء سنة ١٢٧٨ هـ، انظر، نزهة النظر، ٣٦٦ .

ولا تبخلوا بالدُّعَاءِ للإمام
عَقِيبَ الصَّلَاةِ وعند الصَّلَاةِ
إمامَ الهدى ومُبَيِّدَ الرَّدَى
إِلَيْكَ نَظَامُ الهِنَا صَادِحاً
يَنَادِيكَ هَذَا زَمَانُ الفُتُوحِ
وَجَاءَ بِهِ الفَالُ أَرْنَحُ سَمَا
وَإِذْ جَاءَ بِالْخَيْرِ أَرَحْتَ جَا
وَحَطَّ^[١] عِدَاكُمْ بِتَارِيخِهِ
وَأَرْنَحُ كَمَا لَ جِيُوشِ الإمامِ
بِأَسْرَارِ أَقْـوَالِكُمْ وَالْعَلَنُ
عَلَى جَدِّهِ المِصْطَفَى الْمُؤْتَمَنُ
وَبَحَرَ النَّدَى وَمِلَادَ الزَّمَنِ
بِشُكْرِكَ فَالشُّكْرُ سَامِي الْفَنَنِ
وَعَامُ الهِنَا وَانْدِفَاعِ الْحَزَنِ
وَبِالْفَتْحِ بَشِّرْ إِمَامَ الزَّمَنِ
تَهْنِئْ بِعَامِ انْدِفَاعِ الْفَتَنِ
فَأَبْشِرْ عِدَاكَ بِشَرِّ الْعَطَنِ
أَبَانَ لَهُمْ كُلَّ نَعْتٍ حَسَنِ

سنة ١٣٤٠

^٢ولا يخفى على الفطن اللبيب ما في هذه القصيدة من الأسلوب الغريب،
والانطباع العجيب، وجلالة قدر قائلها فوق قدرها، وله من بنات الأفكار ما
يزاحم شمس النهار^٢ بهاء وإشراقاً وعُلُوّاً واتساقاً^٣.

١٧٢ /

وفي أوائل محرم الحرام من هذه السنة، وردت البُشْرَى مِنْ أمير الجيش
سَيِّدِي جَمَالِ الدِّينِ، عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْوَزِيرِ بِاسْتِيْلَائِهِ عَلَى قَلْعَةِ الْمُقَاتِرَةِ، وَمَا
حَوْلَهَا عُنُودٌ، وَتَفْصِيلُ مَا جَرَى هُنَاكَ، أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ أَمِيرُ الْجَيْشِ إِلَى مَرْكَزِ قَضَاءِ
الْحُبْرِيَّةِ، وَتَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ مِنْ جَمْعِ الْأَجْنَادِ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْنِ، بَادَرَ إِلَى مَا
ذَكَرْنَاهُ مِنْ مُرَاسَلَةِ الْبَاغِينَ، وَاسْتِمَالَتِهِمْ إِلَى جَانِبِ الْحَقِّ، وَتَخْوِيفِهِمْ مِنَ الْأَضْرَارِ
الْأَشَقِّ. وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ وَصَلَ إِلَى مَقَامِ الْأَمِيرِ شَمْسَانَ^(١) عَبْدُ اللَّهِ مِنَ الْمَكَابِرَةِ
سَاعِيًا فِي الْإِصْلَاحِ، وَطَالِبًا رَفَعَ الْكَفَاحِ، فَأَرْسَلَهُ أَيْضًا مَعَ كُتُبِهِ، وَدَارَتْ

(١) شَمْسَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَكَابِرِيُّ: قَائِدُ حَمْلَةِ التَّمَرْدِ فِي الْمَكَابِرَةِ، وَكَانَ يَدْعُمُهُ شَيْوْخُ
الْمُقَاتِرَةِ، وَلَدَهُ شَاهِرُ بْنُ سَيْفٍ، انْظُرْ، حَيَاةُ الْأَمِيرِ، ٥٥٣.

[١] فِي الْأَصْلِ، وَحَطَّ. [٢ - ٢] سَقَطَتْ مِنْ س. [٣ - ٣] سَقَطَتْ مِنْ س.

المراجعة بين الأمير وبينهم، فأنكشف من نهايتها أنهم على العصيان مُصرون، وبقلعتهم وما حولها من الحصون مُمتنعون، وأنهم لا يرضون بتمكين الحق من قلعتهم، وظَهَرَ منهم العزم على غدر من كان قد أرسله الأمير إليهم لقبض رهائتهم إن أطاعوا، ولم ينبج منهم إلا بالاحتراز من مكرهم ووسائل غدرهم. ولما تيقن الأمير منهم ذلك، بادر بنقل محطته نحو تلك الجهة. فاستقر في محل قريب من محلات البغاة، وعبأ الجنود وقوى المراتب، فجعل في الجهة الغربية عامل الحَجَرِيَّة، والسيد عبد الجليل بن أحمد بن علي عبد الجبار^(١)، ومعهم جيشٌ نافع وأحد المدافع، وفي الجهة العدنية السيد يحيى بن محمد الوادعي^(٢) وجيشٌ وافر وأحد المدافع، وفي الجهة الشرقية عددٌ كبيرٌ تحت قيادة السيد حسن بن محمد عثمان الوزير^(٣) ومعهم مدفعٌ أيضاً، ولم يبق سوى الجهة القبليَّة وقد رُفِعَ إلى الأمير أنَّ منها يمتارُ البغاة، ولا يتمُّ حصارٌ بدون ترتيبها ومضايقة الأعداء من جهتها، وترجَّح لذن الأمير أنَّ المهاجَّة والأخذ عنوة هو أصوب من العدول إلى الحصار وانتظار ما يؤول إليه حال البغاة من الاضطراب، لما في المناجزة من الاقتراب إلى منح الربِّ الوهاب، ولم يرجَّح ذلك إلا بعد الاستشارة وتكرير الاستخارة، والتقرُّب إلى الله تعالى بتفريق الصَّدقات وتلاوة كتاب الله تعالى،

(١) شقيق محمد بن أحمد باشا، عُين عاملاً لناحية مَقْبَنَة ثم المخا لأكثر من اثنتي عشر سنة، ولما أصيب بمرض في عهد ولي العهد، فنقل إلى عدن ومات هناك، انظر، حياة الأمير، ٥٥٦.

(٢) يحيى بن محمد بن محسن الوادعي، مقدم، شارك في حملات حُبَيْش وصَبْر والمقاطرة، أعتاد أن لا يفارق البندقية ولا لبس الطيار الملىء بالخيرة، انظر، حياة الأمير، ٦٠٦.

(٣) ما ورد في حياة الأمير، ١٥٠ حسن بن قاسم عبد الله عثمان الوزير، ولد سنة ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٦ م، تولى عدة عمالات بلواء تعز، آخرها في عُمالَة، حَيْفَان، وعينه الإمام عاملاً بجبل راس حيث مات هناك.

استمداداً لتعجيلِ النصرِ والظفرِ، وإعانةِ التالينِ بالأموالِ.

وفي خلال تلك ورد/ على الأميرِ كتابٌ من حاكمِ جبلِ صَبرِ السيدِ عليٍّ / ١٧٣
بن محمد بن أحمد، السابقِ ذِكرُهُ، قدْ أودَعَهُ نظماً بديعاً، فكانَ فالاً دالاً على
النصرِ وقربِ الفتحِ، ومطلعه:

تقدّمَ فَقَدْ ثَلَّتْ عروشُ الجبابرةِ
وَشَبَّتْ بنارِ الحربِ مِنْ حَوْلِ جيشهم
فبأوا وقد باعوا من الكُفْرِ دينهم
يظنونَ جَهلاً مانعتهم حصونهم
وأنى لهم أمنٌ وقد سار نحوهم
ستعلو ذُرَاهم أسدُ حربٍ ضراغمُ
كأنى بهم والحربُ قد اثختهمو
كذا كل باغٍ سوف يُجزى ببغيه
فقل لبغاةٍ خالفوا الأَمْرَ إنَّها
ألم يعلموا ما أوقعَ اللهُ سابقا
وأنَّ أميرَ المؤمنين إمامنا —
ومنها: —

فَدُمَ سيّدي في موكبِ النصرِ فاتحا
وتاريخُها حم^[٢] إنَّ إمامنا

معاقلها طُراً وليستَ بنادِرةِ
سيملكُ جَبَلُ شمسَانَ بعدَ المقاطِرةِ
سنة ١٣٤٠

[٢] حاميم

[١ - ١] سقطت من س.

وجبل شَمْسَان^(١) الذي ذَكَرَهُ النَّاظِمُ وعِناهُ، هو الجبل المُطَّلُ على عَدَنَ، ومن يملكه يكون مالكا لعَدَنَ، وهو مُراد النَّاظِمِ^[١].

ولما تمَّ للأمير ما ذكرناه من ترتيب الجهات الثلاث، انتدب للجهة القبليَّة السيد الأجلَّ حمودَ بنَ محمد، حاكمَ العُدَيْنِ معَ جنْدٍ كثيرٍ، فيه من رؤساء المجاهدين / جماعةٌ من أهلِ البصائرِ والثباتِ، وأصحابهم المدفعَ السريعَ، وألزمهم الأميرُ بالمهاجمة وتركِ الحصارِ، وعيَّنَ لهم الجهة المقصودة، فبادروا بالعزم وارتقوا من محلِّ الجاهلي إلى المحلِّ المقصودِ، فقرَّبوا بذلك من الحصون الأربعة المسماة بالليم^(٢)، وهي أربعة حصونٍ شواهُقٍ لا يمكنُ الوصولُ إلى القلعة وحصنها المسمَّى بالتميدني^(٣) بدونِ الاستيلاءِ عليها، وقد كان الأعداءُ حصَّنوها تحصُّناً باهراً وعمَّروا المتاريسَ في جوانبِها، وأوقفوا فيها رجال القتال، وجميعُ هذه الحصونِ يحمي بعضها البعض الآخر.

فلما رأى الأعداءُ طلائعَ المجاهدين، بادروهم بالحربِ ومتابعة الرِّمِّي، وتوقَّفَ المجاهدون إلى أن تكاملتْ عدَّتُهم ورتَّبهم قائِدُهم، فجرى بين الفريقين حربٌ عظيمٌ وصبرَ فيه المجاهدون صبرَ الحرِّ الكريم، وأقدموا فيه إقدامَ الأسودِ، وبذلوا كلَّ مقدورٍ ومجهود، وكانَ للمدفعِ السريعِ أثرٌ كبيرٌ في تقوية القلوبِ، وصبرها على تلك الكروبِ والخطوبِ، فإنَّه نسفَ بعضَ نُوبهم المستحكمة^[١] وصدَّ الغاراتِ، فلمْ تغربْ شمسُ ذلك اليومِ إلَّا وقد يسَّرَ اللهُ

(١) شَمْسَان: جبل مشهور في الغرب الشمالي من مدينة عَدَن، ويطل عليها، انظر، معجم المقحفي، ٣٦٣، معجم الحجري، ٤٥٧/٢.

(٢) الليم: مجموعة من الحصون المتناسكة الطبيعية، تشكل حراسة لقلعة المقاطرة، وهي تقع شمالها وجنوبها، انظر، حياة الأمير، ٦٢٩.

(٣) حصن التميديني: أحد الجبال المشهورة في جنوب قلعة المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦١٧.

[١] في س، المتحكمة.

للمجاهدين الفتحَ وعظيمَ المنح، باستيلائهم على الحصونِ المُسمَّاةِ بالليِّم، وأجأ مَنْ فيها منَ البغاةِ إلى التردّي من شواهِقِهما أو الاستسلامِ إلى أيدي المجاهدين، وعمَّ مَنْ فيها القتلُ والأسْرُ والتردّي.

وفي ذلك اليوم، تقدّم أيضاً المجاهدون الذين بالجهة الغربية على قريتي الخَزَفَار^(١) والقاعدة^(٢)، وبعدَ حربٍ غير يسير استولّى المجاهدون عليها، وفرَّ منها الأعداءُ، وتقدّموا في تلك الجهة، إلى أن تيسّر لهم الاتصالُ بالمجاهدين الذين استولّوا على الليم.

ولم تَمْ لها تين الطائفتين القيامُ بهذا العمل المبرور، رفع أمراؤهما خبر الفتح إلى الأمير، وساقوا الأسارى إليه، فشحذَ الأميرُ عزائم الجنود الذين في الجهاتِ الباقية، ونسب إليهم التواني، وألزمهم بالبدارِ واللاحقِ بإخوانهم وقربِ بنفسه من إحدى الجهات.

وفي اليوم الثاني، تقدّم جميعُ الجيش من جميع الجهاتِ على القلعة/ وحصن / ١٧٥ التميدي، وكان مَنْ فيهما من البغاةِ قد أجمعوا على عدم تسليمها أو الموتِ دونها ولم يَفْتَّ في أعضادهم ما جرى على مَنْ في الليِّم، لأنهم كانوا على غاية من الجهل وضعف الأحلام، ومن ظنونهم الفاسدة أنهم^[١] لا يقدرُ عليهم أحدٌ، ولا تؤخّذُ قلعتهم عنوةً، ومن الغريب، أن نساءهم كنَّ أكثرَ منهم جراءةً، فإنهم في

(١) الخَزَفَار: قرية صغيرة، واقعة غرب جبل قلعة المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦١٩، نُسب إليها الصوفي حميد الدين الخَزَفَارِي المشهور في بداية هذا القرن الميلادي، انظر أيضاً، معجم المصحفي، ٢١٤.

(٢) القاعدة: من عُزل المقاطرة، من عُزلة مكابرة الجبل، انظر، اليمن الخضراء، ٨٤ / ١، اليمن الكبرى، ٤٥، معجم المصحفي، ٥٠٤.

[١] في س، انه.

أثناء الحرب كانوا يسمعون منهم من التويخ والتقريع ما يحمّلهم على معاودة الجِدِّ في الحرب، ودوام الإصرار والامتناع، فنهض إليهم المجاهدون بنيات صادقة، وأقدام إلى الفوز متسابقة، فاستمرَّ الحربُ نهارَ ذلك اليوم من قبيل الفجر، وكان يوماً مهولاً، أبلى فيه المجاهدون، ولم يهابوا المنون، ولم يصدّهم عن الإقدام والتسابق في الارتقاء إلى تلك الشواهِق ما كان يقذفه عليهم الأعداء من الأحجار ولا الصخور التي أرسلوها على المجاهدين من مدقات البارود، وأعظمُ الأفعال كان لهذه الصخور والأحجار في هذه الحرب.

وما زال المجاهدون في تقدّمهم إلى أن دخلوا القلعة وحصن التميدني عنوةً، وحينئذٍ أيسَّ الأعداء من الخلاص، إلّا بالاستسلام والنزول على حُكْم الأمير، وخابروا في ذلك مَنْ دخل إليهم، وأسكتوا بنادقهم، وخضعوا بعد الإباء الشديد والإصرار الأكيد، فبادرَ الأمراء إلى إعلام الأجناد بذلك، ووقفت الحرب، وكان إخراج النساء والأطفال وإيداعهم إلى محلّ الصون عمّا يشين، وجمع الأسارى، وقد بلغوا إلى مئتين وخمسين نفراً، وبلغ عددُ القتلى منهم في هذين اليومين إلى المئتين.

وأما شهداء المجاهدين فكانوا عدداً غير كثيرٍ وذلك من وقاية اللطيف الخبير والغنائم التي ظفّر بها المجاهدون لا تُحصى.

وفي اليوم الثاني من الفتح، وصل الأمير إلى القلعة وحصونها وطافها، ورأى ما هي عليه من المناعة والحصانة، فكان أخذها عنوةً لديه بعد المشاهدة، من غرائب صنع الله وتيسيره، ولم يرجع منها إلّا بعد / ١٧٦ ترتيبها وتقرير أمورها وإصلاح أحوالها وأحوال الناحية المذكورة، وارتفع إلى مركز قضاء الحجرية.

ووصل إليه أهل الزعازع مُذعنين للطاعة والدخول في سلك الجماعة، فأمرهم بعمارة المساجد وتشيد المعابد، وكان الفتح المذكور فتحاً عظيماً انتظمت به أحوال قضاء الحُجَرِيَّة وهابه البعيد والقريب، وتحدثت به الركبان، وأذهل مَنْ في قلوبهم مرضُ ضعف الإيمان، وارتاع له مَنْ في عَدَن من عِبْدَةِ الصُّلْبَان، وقوي به جانب الحق، وانهدَّ به رُكْنُ الباطلِ وانشقَّ، ثمَّ كان مِنَ الأمير إرسال الأسارى^[١] صحبة ثلثة من عسكري النظام، إلى حضرة مولانا الإمام - عليه السلام - فوصلوا إلى الحضرة الشريفة والإمام مقيمٌ بداره السعيدة بمحروس الروضة، وقد عمَّهم الخوف والفرق، واستولى عليهم الجزع وحلق، لما أسلفته أيديهم من الذنوب، فحين وقعت عين الإمام عليهم، بادرهم مولانا الإمام بما جُبِلَ عليه من مكارم الأخلاق، وأزال عنهم ما داخلهم من الفرع والإشفاق، وأمنَّهم وسكَّن روعَهم وأسمعهم من العتاب اللطيف ما أخذ بمجامع قلوبهم، فدعوا للإمام واعتذروا مما جرى منهم بما كان يصل إليهم من التخويف من ذوي الأغراض.

ثمَّ أمر مولانا الإمام في تلك الحال بفك أغلالهم وأطلقهم من عقابهم، وأمرهم بالكفايات وكساحم جميعاً وأذن لهم بالعود إلى أوطانهم وديارهم، فهبوا سراعاً وكانوا قبل ذلك لا يُصدِّقون بالنجاة، ولا يؤمِّلون الفكَّ مما نسجتْ أيديهم على أنفسهم من شباك الأسرِ وبلَّواه.

وبعد مدَّة، وصل أيضاً إلى مقام مولانا الإمام الشيخ شمسان عبد الله، ومعه جماعة من أصحابه، وقد خاض أحشاء تهامة وغيرها هائماً على وجهه، فقابله مولانا الإمام بالتأمين وأسعفه بمراحه من الإذن له بالعودة إلى بلده، والأمر

[١] في س، الأسرى

برعايته والأغماض عما سلف من ذنوبه.

وقد قيل في هذا الفتح من الأشعار وبنات الأفكار ما يناسب ما له من العِظَم وعلو المقدار، ^[١] فمن ذلك ما نظمه سيدي العلامة عبد الوهاب ^(١) بن أحمد بن علي بن يحيى بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن عبد الله، بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد - عليه السلام - وإنما قدّمتُ قطعته على غيرها لجلالة قدر قائلها من العلم والعمل والورع الشحيح، وتحري مرضاة الرب، عز وجل، ووجه بها إلى سيدي الأمير جمال الدين، حفظه الله تعالى، وهي كما تراها / ١٧٧

[الطويل]

لَفَتَحَ عَظِيمٌ مَوْجِبٌ أَعْظَمَ الشُّكْرِ	تُهْنِي جَمَالَ الدِّينِ بِالْفَتْحِ إِنَّهُ
إِلَيْكَ فَنِلْتَ الْفَتْحَ بِالسَّيْفِ وَالْقَهْرِ	نَهَضْتَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ نَاطِرٌ
حَبَاهُ إِلَهُ الْخَلْقِ مَشْتَهَرَ النُّصْرِ	وَحَظُّ إِمَامِ الْعَصْرِ فِي النَّاسِ غَالِبٌ
وَأَعْدَاؤُهُ بِالذُّلِّ بَاءَتْ وَبِالْخُسْرِ	وَأَجْنَادُهُ مِنْصُورَةٌ أَيْنَ وَجْهَتْ
وَيَحْرُسُهُ مِنْ كُلِّ سَوْءٍ وَمِنْ مَكْرٍ	فَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يُطِيلَ بَقَاءَهُ

وَمِنْ نَظْمٍ فِي هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ وَالْمَنْحِ الْجَسِيمِ الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَكْوَعِ الدِّيْبِيِّ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ مَطْلُوعُهَا:

(١) عبد الوهاب بن أحمد بن علي المعروف بعبد الوهاب بن أحمد الوريث ت شوال ١٣٥٠ هـ، علامة، أديب، شاعر، هاجر سنة ١٣٠٩ هـ إلى الحداء مؤازراً للإمام المنصور محمد بن يحيى، تولى القضاء في يريم وبلادها، ولد سنة ١٢٨٧ هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٠١.

[١ - ١] من عبارة «فمن ذلك ما نظمه إلى وفي هذه السنة السيد الأجل المقدام علي بن علي السراجي، سقطت من س.

[الطويل]

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله
على ملّة الإسلام بالنصر للذي
ولي الرقاب الحائز الفضل عن يد
إمام الزمان الفذ يحيى نصرته
بمنك مولانا تسنم ذروة
بإحسانك اللهم قد طأ طأت له
بهمة العلياء في الذب للعدى
وإخلاصه الأعمال لله لا سوى

ومنه في صدد الشاء على أمير الجيش:

[الطويل]

تقدم عن أمر الامام وهمته
وأرقل نحو القوم بعد نصائح
فلم يسمعو نصحاً فأمضى عزائماً
وجال بميدان اللقا في جحافل
رقى ذروة الحصن المنيع بجيشه
فبعضهم أسرى ومنهم إلى الردى
ودوخ أقطار البلاد ووأوثق الر

رضاربّه حرباً وسلباً بأحوال
لهم منه والإنذار من قبل إرقال
إلى أخذه والله عون له كالي
تسدّ الفضا كالأسد أشبال أبطال
فجرّع من فيه مَرارة أهوال
تردّى ومنهم مجفل أي إغفال
هائن والأسرى بضبط وإغلال

/ ٧٨

وهي طويلة استغنيت عن إكمالها لما في المذكور من الدلالة على الباقي، وما فيها نفثة فقيه لا نفثة أديب.

وَمِمَّنْ نَظَمَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَأَتَى بِالْعَجَابِ مِنْ مُحَاسِنِ الْأَدَابِ السَّيِّدُ الْجَمَالِي
عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِي، وَذَلِكَ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ الْبَاعِ فِي نَادِي الْفَصَاحَةِ
وَبِمَجَالِ الْإِحْسَانِ وَالْمَلَاخَةِ:

[البسيط]

يَا مَنْزَلَ الْحَيِّ إِنَّ الْوُزُقَ وَالْبَانَا	زَهَتْ قُدُورًا وَأَلْحَانًا وَأَلْوَانَا
وَكَلَّمَا مَرًّا مِنْ عَصْرِ الشَّبَابِ فِيهَا	بُشْرَى لَنَا أَنْ نَرْجِيَهُ وَيَلْقَانَا
وَإِنَّ طَالَعَنَا الْمَيْمُونَ غَايَتُهُ	عَيْنُ السَّلَوِ فَبِالْإِقْبَالِ آوَانَا
غَصْنٌ يُعَدُّ لَهُ لَيْنُ الْقَوَامِ فَإِنْ	هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى أَعْطَافِهِ لَنَا
شَمْسٌ إِذَا نَشَرَتْ جُنَحَ الظَّلَامِ عَلَى	صَبَحِ الْجَبِينِ رَأَيْتُ الْوَرْدَ أَوْجَانَا
يَا أَيُّهَا الصَّبُّ إِنَّ الْحَادِثَاتِ لَهَا	فِي النَّازِحِينَ تَبَارِجًا وَأَشْجَانَا

وَمَا زَالَ نَاظِمُ هَذِهِ الدُّرَرِ سَاحِبًا ذِيوَلِ النَّسِيمِ وَالتَّشْبِيبِ حَتَّى تَخَلَّصَ إِلَى
مَدْحِ الْأَمِيرِ وَمَا تَمَّ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْفَتْوحِ وَالْخَيْرِ الْمَمْنُوحِ، إِلَى أَنْ قَالَ: [البسيط]

مَا لَلْمَقَاطِرَةِ الْفِيحَاءِ هَاجَ بِهَا	مَوْجُ الضَّلَالِ فَأَبْدَتْ مِنْكَ عَصِيَانَا
وَعَرَّهَا مِنْكَ بِالْجِدِّ الْمَطْوُوقِ مَا	لَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ الطَّرْفُ إِمْعَانَا
وَأَوْثَقَتْ أَهْلَهَا فِي عَزٍّ مَنْعَتِهَا	وَلَا يُعِزُّ رَدَاءُ الْكِبَرِ شَيْطَانَا
حَتَّى دَعَتْكَ بِجَيْشٍ مَا قَصَدَتْ بِهِ	إِلَّا تَشِيدَ لَلْإِسْلَامِ أَرْكَانَا

[البسيط]

ومنها:

إِنَّ الْمَقَاطِرَةَ الْفِيحَاءَ مَا نَظَرْتُ	كُفُوءًا سِوَاكَ وَلَا أَوْلَتْهُ إِمْكَانَا
نَشَرْتُ فِي الْقِيْضِ هَامَ الْمَارِقِينَ لَهَا	دَرًّا وَمِنْ عَلَقِ الْأَوْدَاجِ مُرْجَانَا

/ ١٧٩ / قلتُ: ولها بقية مفرغة في هذا القالب البديع، والأسلوب الجامع لمحاسن
البيان الرفيع. ومما قاله الشيخ الأديب إسماعيل بن أحمد بن قاسم بن يحيى علي

سعد الجماعي مهتاً للأمير:

[البسيط]

لله درُّ أمير الجيش إنسانا به تزيت الأيام وابتهجت
ولا يزال لعين الدهر إنسانا بعد التعبس أزماناً فأزمانا

ومنها بعد نظام بديع:

قُلْ لِلْجَهْلِ بِأوصافِ الأمير أما أغنت مضاربُه ضماً وعميانا
كم فتكة في العدى جلت مواقعها حتى أطاعوه إسراً وإعلانا
وما المقاطرة القصوى بقاصية عن بأسه بل كساها الذلُّ قمصانا
وها هي اليوم في أبواب دولته تُعلى الأذان لشكوى^[١] مرَّ ما كانا
من بعد ما كانت الأتراك تاركة لها واخلاطها صيداً وفرسانا

وهي طويلة: وقد قيل في هذا الفتح من الأشعار ما لا تسعه هذه الصحائف المقصورة على سلوك جادة الاختصار، وقد أثبت منها ما يدل على جسامه هذا الفتح المستجاد، وإنَّ الظنون كانت تحيل التمكّن منه، وإبدال صعوبته بالانقياد والانخراط في سلك ما منَّ الله به على مولانا الإمام من التمكين والإسعاد، وعلى مقدار ما كان في النفوس للمقاطرة من الصعوبة، وبعد المنال، كان تأثير صدى الفتح إعظاماً له في قلوب الرجال، ولا سيما في عدن وما جاوره، فإنّه أذعر الإفرنج ومنّ والاهم، ودك من آمالهم بنيانها الشامخ وأبلاهم، والله الحمد والمنة^[١].

وفي هذه السنة، توفي السيد الأجل المقدم علي بن علي السراجي^(١) بعد

(١) أحد القادة البارزين في عهد الإمام، عُين عاملاً على بلاد البُستان بعد صلح دَعَّان من قبل الأتراك ومن ثم عينه الإمام على نفس المنطقة، له مشاركة فعالة في الوقائع إلى جانب الإمام، انظر حياة الأمير، ٥٧٥.

[١] في زورق الحلوى: تعلّى الأذان وتشكى مرَّ ما كانا، والقصيدة وردت في زورق الحلوى في سيرة أمير الجيش، أمير اللوا للعلامة الأديب الملقب باسم حمود الدولة.

مرضى طال، وكانت إليه عمالة بلاد البُستان، فوجه مولانا الإمام عمالة تلك الناحية إلى عهدة الشيخ عبدالله بن أحمد ناصر الرماح من مشايخها، فقام بأعمالها، وأجال نظره في متعدد أحوالها^(١) وجبى أموالها، وكانت بواقي الواجبات فيها كثيرة، فاشتهر بحسن النصح والمسارة إلى الامتثال والقيام بما يؤمر بإجرائه من الأعمال. وكانت هذه العمالة قد تطلّع إليها كثير من الاعوان بعد وفاة عاملها، فانصرفت إلى الشيخ المذكور، وأعرضت عمن تطلّع إليها من ذوي القدر المشهور لما رآه الإمام - عليه السلام / من المصلحة العامة المرجحة لتعيين المذكور وتوليته^(٢).

وفيها، في أواخر شهر صفر، وصل إلى حضرة مولانا الإمام السيد علوي بن حسن الجفري^(٣) أكبر أعوان سلطان لحج عبد الكريم بن فضل العبدلي^(٤)، والشيخ صالح بن سعد العبادي^(٥) من رجال السلطان المذكور ومعهم كتب من حكومة عدن مرسلّة معهم إلى مولانا الإمام، ومعهم واحدة من السيارات المسماة باللاتومبيل التي تسير بإيقاد البنزين فيها،^(٦) وهذا البنزين نوع من زيت البترول المسمى بالقاز، الذي صار التعويل عليه في التسريح بهذه الأزمنة المتأخرة، إلا أن البنزين أرفع درجة وقوة من القاز^(٧)، ووصل معهم مهندس

(١) السيد علوي بن حسن الجفري: كان وزيراً لسلطان لحج، قام بدور في المفاوضات مع الإمام ت ١٣٧٥هـ / ١٩٢٥م، انظر، حياة الأمير، ٥٧١ .

(٢) عبد الكريم بن فضل بن علي بن محسن العبدلي ت ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م، سلطان لحج، منحته بريطانيا لقب سير ونشان امبراطورية الهند من الدرجة الثانية (KCIA)، ولد في الحوطة، وتولى بعد مقتل ابن عمه علي بن أحمد سنة ١٣٣٣هـ، انظر، هدية الزمن، ٢٣١، ملوك المسلمين المعاصرين، ٤١٠، الأعلام للزركلي، ٤ / ٥٤ .

(٣) صالح بن سعد بن سالم، أحد امراء لحج، كان مثل وزير للسلطنة، انظر، هدية الزمن، ٢٣٩ .

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س.

هندي اسمه أحمد خان لأجل تركيب أدوات السيارة المذكورة وآلاتها، لأنها كانت محمولة على الجمال قطعاً. وهذه السيارة أرسلت لمولانا الإمام هدية^(١) من الانجليز. فلما وصل المذكورون إلى حضرة الإمام، قابلهم بكل برٍّ وإكرام، وأنزلهم في دار ضيافته، وكان وصول المذكورين فيما ظهر لغرضين:

الأول: ما كان من تكليف حكومة عدن بذلك.

والثاني: بيان ما عليه حال سلطان لحج من الميل إلى جانب الإمام وتمسكه بالموالاة، واستمداد جلب حسن النظر من الإمام إليه.

ولما جرى بين المذكورين وبين الإمام، الاتفاق، قدّم الشيخ صالح بن سعد من نظم هذه القصيدة الآتية وهي:

أَتَيْنَاهُ نَسْعَى مِنْ مَحَلٍّ وَمُحَرِّمٍ صَعُوداً وَنُمُضِيهَا بِجِدِّ مَصْمَمٍ وَلَيْسَ طِلَابُ الْعِزِّ مَوْضِعٌ مَنْدَمٍ مَتَى يَدْعُ دَاعٍ لِلتَّجَشُّمِ أَسْأَمٍ يَنْشُطُنِي سِيرِي إِلَى خَيْرٍ مَقْدَمٍ بِتَرْجِيْعِهِ بِالْقَلْبِ طَوْرًا وَبِالْفَمِ فَإِنَّكَ مَهْمَا تُسَعِّفِ الْيَوْمَ تُكْرِمُ وَذَاكَ قَلِيلٌ فِي الشَّهَامَةِ فَاعْلَمْ بِزَوْرَتِهِ حَرَّ اللَّظَى مِنْ جَهَنَّمَ وَنُذْرِكَ لِلْأَدْوَاءِ أَفْضَلَ مَرْهَمٍ وَأَبْرَزَ حُكْمِ اللَّهِ لَمْ يَتَكْتَمِ	إِلَى الرُّكْنِ مِنْ بَيْتِ الْإِمَامَةِ نَرْتَمِي نَجَاوِزُ مِنْ شَمِّ الْجِبَالِ وَنَرْتَقِي تَجَشَّمْتُ لِلْعُلَيَاءِ أَصْعَبَ مَرْكَبٍ وَلَدَّ رَحِيلِي لِلْمَعَالِي وَإِنِّي هَضَابٌ وَوَدْيَانُ رَكْبَتُ صَعَابِهَا وَيُسْعِدُنِي حُبُّ يَحْيَى خَوَاطِرِي أَقُولُ لَغَيْثَانِ النُّجَبِ تَجَلُّدًا وإِلَّا فَسَعِيًّا ثُمَّ حَبَوًّا إِلَى الْعُلَى نَزُورُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِنَتَّقِي وَنَحْظِي مِنَ الدُّنْيَا بِرُؤْيَا وَجْهِهِ إِمَامٌ دَعَا لِلَّهِ وَالْحَقِّ جَاهِدًا

(١) انظر حول الهدية وإلى عدن الجنرال استيورات كتاب، هدية الزمن، ٢٧٠.

تردّى شعار الدين والعلم والتقى
 بِسْمَتِ عَلَى هَذِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 لَهُ رَهْبَةٌ فِي قَلْبِ كُلِّ مَنْ فَاقِي
 تُعْظَّمُهُ كُلُّ الْقُلُوبِ وَتَنْطَوِي
 يَسُوسُ عِبَادَ اللَّهِ بِالْدينِ وَالْحِجَى
 تَلِينُ لَهُ الشَّمُّ الصَّعَابُ وَتَنْتَهِي
 يَرْوُحُ بَلْقِيَاهُ الْمَوَالِي مُسَوِّدًا
 رَأَيْتُ بِلَادًا أَنْتَ سُسْتِ نِظَامَهَا
 إِمَامَ الْهُدَى جَنَّا إِلَيْكُمْ بِرَغْبَةٍ
 لَنَا سَلَفٌ فِي حَبِّكُمْ مَتَّعْمُقُ
 وَإِنِّي لَشَيْعِيٌّ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 وَرَثَتَ بَقَايَا مِنْ مَحَبَّةِ مَالِكٍ
 وَإِنْ لَكُمْ فِي لَحَجٍّ فَرْدًا مَشَايِعًا
 يَبَادِلُكُمْ مِنْ خَالِصِ الْوَدِّ جَهْدُهُ
 وَيُولِيكُمْ حُسْنَ النَّصِيحَةِ عَالِمًا
 فَعُظْفًا عَلَى عَبْدِ الْكَرِيمِ إِمَامِنَا
 لَهُ فِيكُمْو رَأْيٌ أَكِيدُ بِحَبِّهِ
 وَإِنْ لَهُ حَقًّا بِطَارِفِ وَدِّهِ
 شَهَادَةٌ حَقِّي لَسْتُ فِيهَا بِزَائِعٍ
 وَدُمُ سَيِّدِي فِي مَرْسَحِ^[٢] الْعَزِ رَافِلًا
 وَصَلُّ عَلَى خَيْرِ الْبَرَايَا مُحَمَّدٍ

/ ١٨٢

وَقَامَ بِأَمْرِ سَاسَةِ الشَّرْعِ مُحْكَمٍ
 وَسِيرَ عَلَى خَطِّ الْوَصِيِّ الْمَكْرَمِ
 وَحُبُّ ثَوَى فِي الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
 عَلَى شَغْفٍ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مُعْظَمِ
 وَيَهْدِي إِلَى طَرِيزٍ مِنَ الْحَقِّ مُعْلَمٍ
 بِأَفْكَارِهِ أَوْ بَانْتِضَا كُلِّ لَهْذَمٍ
 وَيَغْدُو بِهِ الْعَاصُونَ فِي عِطْرِ مَنْشَمٍ
 تُعَدُّ بِقَاكُم دَائِمًا خَيْرَ مَعْنَمٍ
 وَوَدُّ سَرَى مِنْ قَبْلُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَمِ
 وَنَحْنُ عَلَى تِلْكَ الطَّرِيقَةِ نَرْتَمِي
 أَخِيفُ إِلَى دَاعِي الْهُدَى غَيْرَ مُرْغَمٍ
 لَأَلِ عَلِيٍّ لَا لَهْنَسِدٍ وَحَتَمٍ
 أَبَا الْفَضْلِ ذَا وَدِّ عَرِيقٍ مُسَلَّمٍ
 وَيُوسِعُكُمْ فِي الْغَيْبِ شُكْرَ مُتَمِّمٍ
 بِأَنْ لَكُمْ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
 فَإِنَّ لَّهُ فِيكُمْ وَلَاءً مُتَمِّمًا^[١]
 وَيَبِيضُ أَمَانٍ كَالطَّرَازِ الْمُسْتَهْمِ
 وَتَالِدِهِ مِنْ كُلِّ وَدِّ مَقْدَمٍ
 وَلَا جَالِيَا قَوْلَ الْكَذُوبِ الْمَذْمَمِ
 وَبِاللُّطْفِ وَالتَّأْيِيدِ وَالنَّصْرِ تَحْتَمِي
 وَأَهْلُ الْكِسَا وَالْأَلِ كُلِّ مَكْرَمٍ

[٢] فِي س، مَرْسَح.

[١] فِي ص، مَتَمَم.

قلت: وقد أثبتت هذه القصيدة كاملة، لما فيها من البيوت العامرة، والدلالة على مراد هذا الوفد الذي كان إيضاحه قريباً.

وبعد أيام رفع الشيخ صالح بن سعد إلى مقام مولانا الإمام أبياتاً رائعة، وقطعة من النظم فائقة، فاستحسنها مولانا الإمام، ولم أظفر بها حال التحرير، فكان الجواب عليها من الحضرة الشريفة، بما تراه، وهي من بحر الأصل ورويه [١]:

لا وَمَنْ إِنْ لَاحَ جَلًّا الْغَيْهَبَا	أَوْ رَاهُ كَامِلُ النُّسْكِ صَبَا
أَوْ تَبَدَّى بِاسْمًا عَنْ لَوْلُؤٍ	عَلَّمَ الْبَرْقَ اللَّمَّوعَ الْأَشْنَبَا
أَوْ تَرَامَى فَوْقَ أَقْدَامِ لَهُ	شَافَعُ مِنْ شَعْرِهِ قَدْ حُجِّبَا
وَإِذَا مَا سَلَّ مِنَ الْحَاظِلِ	سَيْفَهَا الْهِنْدِيَّ أَبْدَى عَجَبَا
أَوْ تَثْنَى بِقُـوَامِ غَنَجٍ	زَاقِصِ الْقَلْبِ مُحْدَاً وَسَبَّابَا
يَتَهَادَى فِي مُلَا بَهْجَتِهِ	فِيوَدُّ الْجَفْنَ لَوْ كَانَ رَبِّي
أَوْ تَجَلَّى مُسْفِراً عَنْ قَمَرٍ	لَاحَ مِنْ مَطْلَعِهِ أَوْجَ الْقَبَا
وَبَوَاوِ الصَّدْغِ أَوْ عَقْرِيهِ	وَبِخَالِ زَانَ خَدَاً مُذْهَبَا
وَبِخَمَرٍ مِنْ لَمَاهِ أَسْكَرَتْ	لَمْ تَجِدْ فِي الْكَرَمِ أُمًّا وَأَبَا
عُتِّقَتْ لَكِنَّهَا مَا عُتِّقَتْ	أَوْ أَتَتْ تَتَلَوْ عَلَيْنَا الْحِقْبَا
مَا سَمِعْنَا مِثْلَ نَظْمٍ رَاقٍ	رَوْنَقُ الْحُسْنِ إِلَيْهِ انْتَسَبَا
بَهَرَتْ أَيْبَاتُهُ مَذْ سَحَرَتْ	أَيُّ سَحَرٍ مِنْهُ ذُو السَّحَرِ اخْتَبَا
مَائِلَ الرُّوْضِ إِذَا الرُّوْضُ هَمَى	وَابِلُ السُّحْبِ بِهِ انْسَكَبَا
وَأَرَانَا نُزْهَةَ الطَّرْفِ كَمَا	شَاءَ الطَّرْفُ جَمَالاً مُعْجَبَا
وَانْتَبَرَتْ لِلسَّمْعِ مِنْهُ نَغْمَةٌ	مَا لَشَحْرُورِ الْحَمَى مِنْهَا نَبَا

١٨٣ /

[١] هذه القصيدة من بحر الرمل وقصيدة صالح بن سعد من البحر الطويل فيقتضى التنبيه لذلك.

إنه قول أمير ماجد
مثلت فطنته ذات الذكا
وأبانت صدق ما أخبره
وهو من أخلاقه زاهرة
وإلى آل عبادي يمت
فليقل ما شاء فيه ناطق
يا أمير النظم وافي نظمكم
هزمني عاملاً أعرفه
فتكلفت وعذري ظاهر
لا عداك الخير في الدهر ولا

صالح سعيد نبيه أنجبا
ذلك النور وقدت حجباً
ذو الهوى فيه وجلت سبياً
غضنه يحسدها زهر الربى
في شراها وترقت نسباً
إنه بالصمت أقوى مذهباً
ينشر الميت ويدعو للصبا
سابقاً والشيب لم يأت الحبا
إن أكن قابله محتسباً
زال عنك الرشد ما هبت صبا

ولما وصل إليه هذا الجواب، وهز منه أريحية الاعجاب، تحركت منه عوامل
الثناء والإطراب، وقد أخذت بمجامع قلبه مكارم أخلاق الإمام، وغرق من
لطفها في بحر المحبة والغرام، فرفع إلى مولانا الإمام - عليه السلام - جواباً
صاغه في هذا القالب النفيس وأودعه من المعاني ما هو/ جدير بالإثبات
والتكريس وهو^[١]:
[الرمل]

من تشني عطفها نشر الكبا
ذات حسن لم تفارق خدرها
يا لقومي من جمال باهر
ما دعاني الهوى إلا الهوى
غير أني كاتم من لوعتي
شرف الملوكة عقد باهر

وشميم المسك أو زهر الربى
أخجلت قلباً ترامى فصبا
ناضر أبصرته دون الحبا
فطرتي من وقت أيام الصبا
كلما حركت من دهري أبى
فارتقى بالنظم منه منصبا

[١] سقطت من س.

من أمير المؤمنين المتقّي
من حميد الدين مولانا الذي
جدّد الملك بجيد باهر
إن سمي للأمر فيه صالح
أو تجلّى للعدى في بأسه
أو تجلّى بالرضا عن عبده
كله خيرٌ وفضلٌ سلّ به
يأمن السالك في أقطاره
لا يخاف الحيف والجور ولا
حبذا المولى عيادا للورى
يا إمام الوقت والعصر الذي
رُبّ يوم في هواكم أبتغي
عشتمو في بهجة لا تنتهي

صفوة الأخيار من أهل العبا
حلّ من عليا المعالي المنكبا
وأعاد الدين نسجا أقشبا
قالت العليا أهلا مرحبا
سامهم خسفا بعسال الضبا
فاز بالعطف ونال المطلبا
فعله تسمعه عنه مغربا
من أقاصيها إلى أرض سبا
يدرك الخوف به قد طنبا
وإماما إن تجلّى أعتبا
منح الله به خير الجبا
أصعب الصعب لنفسي مركبا
وسعود مشرق لن يغربا

١٨٥ /

قلت: وقد كان من السيّد محمد بن [علوي] ^(١) السقّاف ^(٢) المكي مرافقةً
المذكورين في السفر من الحج إلى حضرة الإمام. والمذكور رسولٌ قادمٌ من
الشریف حسين بن علي بن محمد بن عون، ومندوبٌ من طرفه للمراجعة فيما
قدّم لأجله الشریف ناصر بن شكر في السنة السابقة، ووصل ومعه كتبٌ من
الشریف الحسين إلى حضرة الإمام، فلبثوا برهةً في الرّوضة حين كان الامام
مقيماً بها.

(١) محمد بن علوي السقّاف: أحد أعضاء مجلس الشيوخ الذي شكله الشریف الحسين
بن علي بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٣٣٤هـ / أكتوبر ١٩١٦م، انظر: أسرار الثورة العربية
الكبرى، ١٢٨، وورد اسمه في عمدة القاريء محمد بن أحمد السقّاف، والأول هو
الصحيح.

[١] بياض في النسختين والإضافة من أسرار الثورة العربية لأمين سعيد، ١٢٨.

ولما قَوَّضَ مولانا الإمامُ منها خيامَ الإقامة، ارتحل المذكورون جميعاً برحيل الإمام، وأقاموا في صنعاء، ودارت بينهم وبين الإمام مراجعاتٌ، ثم قفل السيد علوي ورفيقه راجعين إلى لحج، وقد حمدا زمنَ الإقامة، ورأيا بأعينهما وقلوبهما ضخامةَ الإمامة، وبقي السيد محمد السقاف ملحاً في إسعافِ مولاه الشريف إلى مأمولِهِ، وإسعادهِ إلى ما طلبَهُ من توثيق العُرى، والإقبالِ إلى مقبولِهِ، فترجَّحَ لَدُنْ مولانا الإمام - عليه السلام - انتدابُ السيد^[١] عزَّ الإسلامُ^١ محمد بن محمد زبارة وإرساله إلى مكة مرافقاً للسيد محمد السقاف للمراجعة فيما يرغب فيه الشريف الحسين، وأصبحه مولانا الإمام بما اقتضاه الحال من البيان، وما ينبغي التعويلُ عليه في هذا الشأن، فتوجَّه المومى إليهما إلى تلك البقاع، وكانت طريقتهما من لحج فعدن، ومن هنالك ركبا على الوابورِ إلى جَدَّةَ ومنها إلى مكة، فاستقبل مندوبُ مولانا الإمام عندَ وصولِهِ أجملَ استقبالٍ، وحلَّ ضيفاً لدن الشريف الحسين، وواجه هنالك رجالَ مكة وَمَنَ فيها من الرؤساء والعلماء . ولقد وَصَفَ من تعظيمِهِم للإمام - عليه السلام - ما يليقُ بمثلِهِم من جيرانِ حرم الله ولهجتُهُم متحدةً في الدعاء لمولانا الإمام، وبعد مكثِ المندوبِ هنالك برهةً واجتماعه مراتٍ متعددةً بالشريف، قفل راجعاً إلى اليمنِ من طريق عدن إلى أن وصلَ إلى حضرة الإمام، وأودَعَ ما حمَلَهُ من تلك الجهاتِ مِنَ الإفاداتِ، ورفعها إلى مسامعِ مُرسِلِهِ.

وقد كان مولانا الإمامُ أصبحَهُ عندَ عزمِهِ إلى تلك الأماكنِ المقدسةِ نصيحةً عامةً لإخوانِ الدين/ وهي مصدرةٌ بنثرٍ جاء نصُّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمدِ الله الذي أرسى قواعدَ الإسلام، وأمرَ أهله بالاجتماعِ،

[١ - ١] ورد في س، العلامة.

والتمسك بحبله والاعتصام به، وجعلهم شهداء على الكافة وأوطأهم من العز بحبوحته وأكنافه، وحثهم على معالي الأمور، وفتح بماضي عزمهم الأقطار والثغور، وملأهم بصدق النيات غلب الرقاب، وجعلهم الحكام بالسنة والكتاب، والصلاة والسلام على من أكمل الله به النعمة، وأرسله للعالمين رحمة، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، سيد العرب والعجم وعلى آله وأصحابه عصم الأمم منار الظلم، فهذه نصيحة جامعة قائمة بالحق إن شاء الله نافعة داعية لإخوان الدين إلى الاجتماع والعمل بالحق والاتباع، فقد وضح السبيل واستنار الدليل، وأكمل الله هذا الدين بما جاء في كتابه المبين، وعلى لسان رسوله الأمين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(١). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ما تركت شيئاً يقرّبكم إلى الجنة إلا وقد دلّلتكم عليه، ولا شيئاً يبعدكم عن النار إلا وقد حذرتكم منه». وإن في كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وآله وسلم، كفاية لمن وعى وكتاب الله ناطقٌ بوجوب الاجتماع وعدم الافتراق، وفي أفكار ذوي الاستبصار ما يوضح المسالك لكل ذي حمية على نصر الدين مُتهالك:

فما بالنا الأُمس أسدُ العربين وما بالنا اليوم شاء النَجَفُ
وفينات السيوفُ تسوقُ الحُتوفَ وثُقني الألوفَ وتنفي الصَّلَفُ
وفينا الرجالُ أسودُ النِّزالِ بِسُمرِ طوالٍ بها الدينُ دَفُ

جمع الله شمل المسلمين، وإخوان الدين، ووفقنا جميعاً السلوك نهج الحق المبين، وبصّرنا طرق النجاة، وأخذ بنواصينا إلى ما فيه رضا، اللهم آمين، [١٧ وصلى الله وسلّم على محمد وآله^[١] وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(١) المائة، آية، ٩٨ .

[١ - ١] سقطت من ص.

١٨٧ / مُغْلَغَلَةٌ مَنْشُورَةٌ فِي الْمَحَافِلِ
لِمَا حَالَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَعِزَّهُمْ
إِلَى بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ تَوَجَّهَتْ
إِلَى مَنْبَعِ الْإِسْلَامِ مَجْمَعِ أَهْلِهِ
بِأَمِّ الْقُرَى حَطَّتْ رِكَاباً وَأَنْقَذَتْ
بِإِخْوَانِ دِينِ اللَّهِ أَضْحَى هَتَافُهَا
تُحْصِنُ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ حَفِيَّةً
تَنَادِي بِأَسْمَاعِ الْحَجِيجِ بِجَمْعِهِمْ
وَفِي عُرْفَاتٍ مَوْقِفِ الْعُرْفِ أَضْرَمَتْ
وَعَجَّتْ وَشَقَّتْ جَيْبَ دَرَعٍ وَأَعْلَنْتْ
أَمَّا أَنْ يَا قَوْمُ التَّفَاتُ لَمَّا عَرَى
هَلَمُوا أَفِيقُوا أَخُوَةَ الدِّينِ وَاحْذَرُوا
وَحْدُ شِفَارٍ جَرَدَتْهَا يَدُ الْعُدَى
فَمَا لِي أَرَاكُمْ غَافِلِينَ وَأَنْتُمْ
أَلَا أَيْقِظُوا أَحْلَامَكُمْ وَتَنْبَهُوا
دِيَارَكُمْ لَا تُنْسِبَنَّ مَخَالِبَ الْـ
وَكُونُوا يَدَا عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَرْتَقُوا
أَمِيطُوا ثِيَابَ الْعَارِ وَالْخَسْفِ عَنْكُمْ
أَيَا قَوْمُ هُبُّوا شَمُّرُوا وَتَعَاضِدُوا
كَمَا فَعَلْتُ أَصْحَابُ طِهٍ وَمَنْ تَلَا

تَهِيمٌ وَتَذِيرُ الدَّمِ تَهِيَامٌ ثَاكِلٌ
وَبَيْنَ عُيُولِهِمْ مِنْ وَبَى التَّخَاذُلِ
إِلَى مَطْمَحِ الْأَمَالِ مَرْقَى الْوَسَائِلِ
مَلَاذِهِمْ عِنْدَ احْتِدَامِ النَّوَازِلِ
صَوَارِخُهَا تَغْشَى صُرُومَ الْقِبَائِلِ
بِيَذْوٍ وَخُضَّارٍ مُقِيمٍ وَرَاجِلِ
لِقَاصِ وَدَانٍ لَا تُصَيِّخُ لِعَاذِلِ
وَخِيفَ مَنَى عِنْدَ اَزْدِحَامِ الْمَحَامِلِ
بِنَارِ حِفَاظِ مَغْلِيَّاتِ الْمَرَاجِلِ
مَكْرَرَةً تَدْعُو بِصَوْتِ مُوَاصِلِ
وَإِجْمَاعِ آرَاءِ لِدَفْعِ غَوَائِلِ
دَوَاهِي دَبَّتْ بِالسَّمُومِ الْقَوَاتِلِ
لَفَرَى أَدِيمِ الدِّينِ تَجْرِيدَ خَائِلِ
أَوَّلُو الْحَزْمِ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ الْمَاحِلِ
لَمَّا مُدَّ فِي سَاحَاتِكُمْ مِنْ حِبَائِلِ
عِدَاةٍ بِهَا تَضَحُّوا فَرِيْسَةً آكِلِ
مِنَ الْعِزِّ أَعْلَى شَاخِحَاتِ الْمَعَاقِلِ
بِنَخْوَةِ آبَاءٍ عَنِ الضَّيْمِ نَاكِلِ
وَحُوطُوا ذِمَارُ الدِّينِ عَنْ كُلِّ مَائِلِ
هُمُ قَافِيَا آثَارِهِمْ مِنْ حَلَاكِلِ

همو فتحو أقصى البلاد وحصنوا
 همو كسروا كسرى الملوك وقصرت
 همو ربأوا الإسلام وانتصروا له
 وشادوا له قصرًا منيعاً وسوروا
 همو نشروا للدين أغلى مطارف
 همو غرسوا دوحاته اللات أثمرت
 همو سلف الخير الكرام وإنكم
 ولا تصبحوا فوضى ولا تتفرقوا
 أطيعوا أولي الأمر الذين أمرتوا
 تواصوا بصبر وابدلوا أنفساً زكت
 بهذا أمرتم أيها القوم فاعلموا
 وهذا كتاب الله فينا ونوره
 وسنة خير المرسلين وبحرها الـ
 تأسوا بطة أمة الرشد واعملوا
 نبي له أيدي العناية أليست
 به نسخ الأديان أظهر دينه
 وأمته قد أصبحت خير أمة
^١ فلا تهنوا ولا تحزنوا قوم ابشروا
 إليكم بني الإسلام منا ألوكه
 على أحمد والآل والصحب ختمها

ثغوراً تسامت عن يد المتطاول /
 يدي قيصر منهم جموع الجحافل
 بعزم وإقدام وشدة باسل
 جهاء بأسيف وسمر ذوابل
 همو نسجوا أصفى برود الغلائل
 بأحلى جنى للطاعم المتناول
 لهم خلف فابنوا فخار الأوائل
 وذبوا عن الأعراض ذب المصاول
 بطاعتهم في واضحات الدلائل
 لإحياء حق أو إماتة باطل
 ولا تغفلوا فالله ليس بغافل
 وبدر هداة طالع غير آفل
 عباب نيمر الورد عذب المناهل
 بقول وفعل واقتفاء شمائل
 من الله أعلى سابعات الفضائل
 وأيده بالمعجزات الفواصل
 بحكم إليه نافذ الحكم عادل
 بنصر وتأيد من الله عاجل
 شذا عرفها يزري بطيب المنادل
 أتم صلاة في الضحى والأصائل

تمت

[١ - ١] في البيت خلل عروضي ويستقيم إذا قرئ: فلا تهنوا يا قوم أو تحزنوا أبشروا.

/ ولما وَعَتَّ أَسْمَاعُ سَكَانِ بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ هَذِهِ الرِّسَالَةَ، وَقَامَتْ بِنَشْرِهَا جَرِيدَةُ الْقِبْلَةِ^(١) التي في مكة، كان لها في النفوس أعظم تأثير، وأجمل تعظيم وتوقير، وهي جديرةٌ بذلك، فقد أُودِعَتْ من النصائح والتذكير ما يلين منه صمُّ الجلاميد فضلاً عن القلوب، وأُبْرَزَتْ مِنْ أَسَالِيْبِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ أَبْدَعُ أَسْلُوبٍ، ولذلك انبرى الشيخُ فؤاد الخطيب^(٢)، وكيلٌ خارجيةِ حكومةِ الحجازِ للجوابِ عليها، والجوابُ المذكورُ بمكانٍ من الإبداع ودرجةٍ رفيعةٍ من حسن الأسماع وإهداءِ النافعِ إلى الأسماع، وهو ما تراه مرسوماً وبأنامل الرغبةِ مرقوماً:

(١) جريدة القبله: جريدة الثورة العربية الكبرى، صدرت سنة ١٥ شوال ١٣٣٤هـ، رئيس تحريرها فؤاد الخطيب.

(٢) هو فؤاد بن حسن بن يوسف الخطيب ت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م، ولد في دمشق في قرية شحيم قرب بيروت سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م، ودرس في الجامعة الأميركية ١٩٠٤، عمل مدرساً في المدرسة الأرثوذكسية في يافا، ثم كلية غوردن بالخرطوم، انضم للثورة العربية الكبرى ١٩١٦، وتولى تحرير جريدة القبله، وكان وكيل الخارجية للشيخ حسين بن علي، حضر مؤتمر فرساي مع الشريف فيصل وسمي أميناً للشؤون الخارجية في القصر الملكي بدمشق ١٩١٩م، واستدعي إلى مكة وكيلاً للخارجية، وبعد سنة ١٩٢٤، أصبح مستشاراً للملك عبدالله بلقب باشا حتى ١٩٣٩م ومن ثم التحق بالعاقل السعودى عبد العزيز بن عبد الرحمن، حيث عينه وزيراً مفوضاً في افغانستان من ١٩٤٧م، له العديد من المؤلفات والدواوين الشعرية انظر، مجلة المجمع العلمى العربى، ٣٢/ ٥٤٢-٥٤٤، ديوان الخطيب ١٩٥٩م، آداب العصر، ٢١١، الأعلام للزركلى، ١٦٠/٥.

[الطويل]

مُغْلَغَلَةً لَيْسَتْ تَصِيخُ لِعَاذِلٍ
مَحَبَّةً أَزْرَتْ بِوَشْيِ الْخَمَائِلِ
كَنْفَحَةِ إِسْرَافِيلَ مِثْتَ الْأَوَائِلِ
لِصَوْتِكَ أَجِيَالُ الْمَدَى الْمُتَطَاوِلِ
هَوَتْ فَسَمَتْ فَوْقَ الدُّرَى وَالْمَعَاوِلِ
بَأَبْيَضَ بَتَّارٍ وَأُسْمَرَ ذَابِلِ
مِنَ الْأَرْضِ فِي لَيْلٍ مِنَ الْغَيِّ لَائِلِ
وَفِي الْبَرِّ مِنْ أَبْطَالِهَا كُلِّ بَاسِلِ
وَلَسْتَ عَنِ الدَّاءِ الدِّفِينِ بِغَافِلِ
وَمِثْلُكَ مَنْ يَقْتَضُ مَنْ كُلِّ بَاطِلِ
لَأَعْرِقُ مَا فِي آلِهِ مِنْ شَمَائِلِ
عَلَى النَّسَبِ الْوَضَّاحِ غُرَّ الدَّلَائِلِ
وَمَا امْتَدَّ فِي أَرْجَائِهَا مِنْ حَبَائِلِ
وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ كَفَّةِ حَابِلِ
مُسَيْلِمَةٌ يُحِشُّهَا بِالتَّخَاذُلِ
فَمَا هُوَ إِلَّا فِي يَدِ الْمُتَنَاوِلِ
إِذَا انْطَوَتْ الْأَعْلَامُ غَلَّةً ثَاكِ
وَيَقْضُ عَلَيْنَا مُمَعِنًا فِي الْمَقَاتِلِ
إِذَا اتَّحَدَتْ وَاسْتَمْسَكَتْ بِالْوَسَائِلِ
إِذَا اجْتَمَعَتْ أَشْتَاتُ تِلْكَ الْقَبَائِلِ

دَعَوَتْ وَقَدْ أَسْمَعْتَ يَا خَيْرَ قَائِلِ
نَسَجَتْ لَهَا مِنْ وَشْيٍ صِنْعَاءَ بُرْدَةٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا صَرْفَةٌ مِنْكَ أُثْشِرَتْ
أَهْبَتْ بِهِمْ مِنْ سُذْفَةِ الْغَيْبِ فَاَنْطَوَتْ
فِيَا ابْنَ الَّذِي هَزَّ الْجَزِيرَةَ بَعْدَمَا
وَمَدَّتْ عَلَى كَسْرَى وَقِصَرَ ظِلُّهَا
وَكَانَتْ مَنَارَ الْعِلْمِ فِي كُلِّ بَقْعَةٍ
وَفِي الْبَحْرِ مِنْ أَسْطُورِهَا كُلِّ سَابِحِ
غَضِبْتَ لِدِينِ اللَّهِ غَضَبَةً صَادِقِ
وَمِثْلُكَ يَا فَرْعَ النَّبْوَةِ لِلْهُدَى
شَمَائِلُ كَانَتْ فِي أَبِيكَ وَإِنَّهَا
دَلَائِلُ تَغْزُوهُمْ إِلَيْهِ وَحُسْبُهُمْ
كَفَى حُزْنًا مَا بِالْجَزِيرَةِ مِنْ جَوَى
تَخَوُّمٍ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحْبَةً
أَيَنْجُمُ مِنْهَا يَوْمَ شَدِّ صَلَاتِهَا
لِئِنْ نَالَ مِنْهَا مَغْنَمًا كَانَ مَغْرَمًا
بَنِي عَمَّنَا هِيَهَاتَ تَبَرَّدُ عَبْرَةٌ
بَنِي عَمَّنَا مَنْ يَرْمِكُمْ يَرْمُنَا مَعًا
بَنِي عَمَّنَا مَا أَرْهَبَ الْعُرْبَ دَوْلَةٌ
بَنِي عَمَّنَا مَا أَيْسَرَ الْمَجْدَ مَطْلَبًا

١٩٠ /

بني عمنا لا بارك الله بالذي
فويح الذي يستنصر البغي مُسْرِفاً
حذارٍ فما لِلْعُودِ غيرُ لحائِهِ
وقفتُ بَجَرَعَاءِ الجزيرةِ مُطْرِقاً
طوائفُ في طولِ البلادِ وعَرْضِهَا
فقلتُ وللتاريخِ صيحةُ زاجرٍ
أكارثُهُ مَرَّتْ فَكَرَّتْ مُغِيرَةً
عفا الله عن ماضٍ من الخلفِ غابرٍ
تصافحَ فيه المخلصونَ وشَمَّرَتْ
^١كأنك بالجُردِ العتاقِ تلاحَقَتْ
وبالعلمِ فياضٍ وبالمُلْكِ باذخٌ
وبالعُربِ كالْبُنيانِ تَنَدُّقُ دونَهُمُ

يخونُ ويأبى غيرَ بثِّ الدّخائلِ
ولم يَصِلِ الأرحامَ أوَّلَ واصلِ
وليس بِوَأَقِ مستعارُ الغلائِلِ
أَكْفَكِفُ مِنْ غَرْبِ الدُّمُوعِ الهَوامِلِ
روازحُ تحتِ الضَّيْمِ نهبُ الغوائلِ
أأندلسُ أخرى وطعمةُ أكلِ
وكيف وفيهم كلُّ كافٍ وكافِلِ
وسُقيا ليومٍ بالبشائرِ حافِلِ
وفودٌ وقَرَّتْ أعينُ بالتكافِلِ
عوابسُ تحتِ النَّقْعِ قُبُ الأباطِلِ^١
وبالعلمِ المعقودِ فوقَ الجَحافِلِ
رقابُ عداهم من مُشيخٍ وخاتِلِ

انتهى ما سردهُ المجيبُ، وقد أجاد وأفاد، ودخل من بابِ الجزالةِ وحسنِ
الفخامةِ إلى غُرَفِ القولِ المُستَجادِ، وقد تركتُ من القصيدةِ أربعةَ أبياتٍ، لم
تكنْ على الشرطِ، فاهملتُها من الإثباتِ.

وفي هذا الجوابِ دلالةٌ على ما يسعى إليه الشريفُ حسين وأعوأه من
الاتِّحادِ بينَ طوائفِ العربِ، على أن يكونَ توحيدُ كلمَتِهِم في الأمورِ الخارجِيةِ،
وتبقى كلُّ طائفةٍ مستقلةً بأمورها الدَّاخِليةِ، ولكنَّهم بينما هم يَسْعَوْنَ نحوَ هذا
المقصدِ نجدُهُم / قد أهملوا الوسائطَ الموصلةَ إليه، فهم يمدُّون أيديهم إلى
مولانا الإمام، ويعرضون عَمَّنْ يجاورُهُم في الحجازِ، وكيف يقبلُ إلى ذلك مَنْ

عَرَفَ أَنَّ الْحِجَازَ لَمْ يَنْتَظَمْ أَمْرُهُ وَالتَّعَادِي بَيْنَ سَكَانِهِ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ، نَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ تَوْفِيقًا يُؤْصِلُهُمْ إِلَى التَّمَكُّنِ مِنْ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ صَوْلَةَ أَعْدَائِهِمْ وَهُمْ أَعْدَاءُ. ^١ وَقَدْ فَاتَ عَلَى جَامِعِ هَذِهِ السُّطُورِ أَنْ يَذْكَرَ مَا رُفِعَ إِلَى مَوْلَانَا الْإِمَامِ عِنْدَ وَصُولِ الْوَفْدِ وَمَنْدُوبِ الشَّرِيفِ إِلَى الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ، وَكَانَ الظَّنُّ حَالُ تَحْرِيرِ هَذَا بِقَصِيدَةٍ لِلْأَخِ الْأَدِيبِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ مَطْهَرٍ ^(١)، بَلِيغَةٍ فِي بَابِهَا، جَدِيدَةٍ بِدْخُولِ شَبَحِ الْإِثْبَاتِ إِلَى مُحَرَابِهَا، وَمُطْلَعُهَا:

نَادَتْ عَلَى خَوْفٍ مِنَ الرُّقَبَاءِ هَيْفَاءُ تَخْطُرُ فِي بُرُودِ حَيَاءِ

ومنها، بَعْدَ أَنْ سَرَدَ النَّازِمُ مِنَ النَّسِيبِ مَا يُبْهِرُ اللَّيْبَ، وَمِنَ الْمَدِيحِ مَا يَحِيرُ
الفَصِيحَ فِي صَدْدِ ذِكْرِ الْوَفْدِ:

[الكامل]

جاءوا إلى المولى الإمام عمادنا	حامي الأنام وملجأ الضعفاء
يبغون عَقْدَ تَسَالُمٍ بِلَطْفٍ	يتطلبون رِضَاءَهُ بِالسُّفَرَاءِ
لَا غَرَوْا إِنْ خَضَعَتْ كُلُّ الْوَرَى	حَتَّى عَلَا شَأْوًا عَلَى الْعَوَاءِ
فَلَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِنَّةٍ	لَمَّا حَمَاهُ بِعَزْمَةٍ وَمَضَاءِ
وَاللَّهُ لَوْلَا سَعْيُهُ وَجَهَادُهُ	لَمْ يَبْقَ لِلْإِسْلَامِ مِنْ نُصَرَاءِ
وَلَأَصْبَحَ الدِّينُ الْخَنِيفُ بِغُرْبَةٍ	وَلَقَامَ كُلُّ الْخُلْفِ فِي الرُّؤَسَاءِ
وَتَفَرَّقُوا فِرْقًا فِكْلُ قَبِيلَةٍ	مَعَ غَيْرِهَا فِي غَارَةٍ شَعْوَاءِ
فَبَفَضَلَ مَوْلَانَا الْإِمَامَ وَسَعْيِهِ	لَمْ يَبْقَ شَرِّ قَطُّ فِي الْأَنْحَاءِ
فَالْأَمْنُ فِينَا ضَارِبٌ أَطْنَابُهُ	وَالدِّينُ فِي شَرَفٍ مَعَ اسْتِعْلَاءِ
وَلَقَدْ أَعَادَ لَهُ قَدِيمَ فَخَارِهِ	وَأَقَامَ لِلْإِسْلَامِ خَيْرَ لَوَاءِ

(١) محمد بن أحمد بن عبد الله مطهر ترمضان ١٣٨٦ هـ، شقيق مؤرخنا، أديب شاعر، ناقد لاذع، كان يجيد العثمانية، عمل كاتباً في ديوان الإمام، وكان خفيف الروح، مليح النادرة، ولد بصنعاء ١٣٠٦ انظر، هجر العلم، ٤٤١ .

[١ - ١] من عبارة: «وقد فات على جامع هذه السطور حتى عبارة ومن باب الوفاة ولجوا» سقطت من س. ي في الصفحة التالية.

فاليومَ رايته على وجه البسيطة
ولقد غدا الإسلام في شرفٍ على
خابثٍ مساعي الكُفر لما شاهدوا
وتزعزعت أركان كل ضلالة
واختلت الأحوال فيهم بعدما
وقفوا إزاء فعاله في حيرة
إنَّ السعيد بعصرنا مَنْ كان في
أرض وقاها الله شرَّ عدايته
في حالٍ ضعف المسلمين بأرضهم
ولقد دها الإسلام من أعدائه
لولا أيادٍ للإمام تداركت
وتتابعت حيلهم بديارنا
فالحمدُ لله الذي قد حاطنا
والشكرُ حقٌّ للإمام على الورى
فالله أوجده لنصرة دينه
ولقد حوى كل البلاد وحاطها
حتى غدا عصرُ الفخار زمانه
يتلون أدعية بطول بقائه
والكل في نعم وسعد دائم
لا زال في نصرٍ وشأو سعادة

راية الإسلام والعلواء
رغم الكفور ومُدعي الشركاء
سعي الإمام علا على الحكماء
لهمو بسيف صادق الأئمة
كانوا زهاء الناس في الغبراء
يخشون بطشه يوم لقاء
ظل الإمام وأرضه العصاة
فتطهرت منهم بدون مراء
في الشام والأناضول والشهباء
خطب وراموا هدم كل بناء
أرضاً لنا كُنَّا بحال عناء
مثل الذي أجرؤه بالبقاء
وديَارنا بالذكر والقُرناء
إذ ذاد عنا ضرَّ كل بلاء
وحماية الآباء والأبناء
من شرِّ كل مثلث الإغواء
فالكل في أمنٍ وفضل رخاء
فبفضله آمنوا من الضراء
والقطر منه مُعطر الأرجاء
وسيادة وكرامة وهناء

ولَعَمْرِي، لقد أجادَ الناظمُ فيما قال، ومدَحَ مولانا الإمامَ مدحاً أفصحَ عن حقائقِ الأحوالِ، ولم يعرِّجْ على كُتبانِ تلك الجُمَلِ التي قد ملَّتْها الأسماعُ، وما هنالك من الأكامِ والتلالِ، بل أبانَ خبايا الحقيقة، على أجهلِ أسلوبٍ، وأحسنِ طريقة، ولقد صدَّقَ، فلولا منَّ الله على العبادِ بشوكةِ مولانا الإمامِ لتمنى الأحياءُ أنهم قد درجوا، وانقضتْ أيامُهم، ومن بابِ الوفاةِ ولجوا^[١].

/ وفيها تحرَّكَ بعضُ الأَجْعودِ المتَّصلينَ بَمِنْ ورائهم من البلادِ الخارجةِ عن ١٩٣ / الطاعةِ للخلافِ ومباينةِ طريقِ الحقِّ والإنصافِ، وأعانهم الشيخُ محمدُ بنُ صالحِ القطيبي وغيره شايِف بن نصر المخذول، وقد كانَ من مولانا الإمامِ متابعةً إرسالِ الجنودِ إلى الأميرِ سيدي^[١] يحيى بن محمد بن عباس قبلَ هذا الحادثِ من النظامِ وغيرهم، وإرسالهم من طَرَفِ الأميرِ إلى عاملِ الضالعِ مع غيرهم من خَوْلانَ وسواهم، وفيهم من أبطالِ الجهادِ جماعةً. كالنقيبِ قايد بن راجح الخولاني والشيخِ علي بن مصلح العبدِي وجماعتيهما، وتجمُّعِ المخالفون وغيرهم من البغاةِ إلى جبلِ ودنة^(١)، وهو حصنٌ منيعٌ وانتشروا في جهاته.

واستقرَّتْ محطةُ المجاهدين وأنصارِ الحقِّ في بلادِ البكري، ورتَّبوا تلك الأطرافَ مثلَ جبلِ الخضراءِ^(٢)، ولما تكاثفَ جُمعُ البغاةِ، قَصَدُوا جبلَ الخضراءِ، واغتيالَ من فيه من المجاهدين، وقتَ صلاةِ الجمعةِ، وكان فيه ثلثةٌ من النظامِ ومعهم أحدُ المدافعِ، فشعروا بالأعداءِ، وجرى بينهم وبين الأعداءِ حربٌ

(١) جبل ودنة: جبل في ردفان يسكنه من قبائل ردفان من السناني، أهل مثنى حسن وبيت مطهر حسين من العطافي وبيت حسين عبد القادر من الحافي انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ١٦١ .

(٢) جبل الخضراء: عُرْلة من حُبَيْش وأعمال إب يطل على السباني من الشرق، انظر، اليمن الكبرى، ٤٤، معالم الآثار، ٦٢، ٨٩، معجم المقحفي، ٢١٩ .

[١] في س، سيدي العماد.

شديداً، أسفرَ عن انهماك البُغاة ورجوعهم خائبين بعد أن أثخنَ فيهم المجاهدون، وقتلوا منهم جمعاً كثيراً، لأنهم غامروا بأنفسهم، وظنوا أنهم سيصيبون من المجاهدين غزوةً بقصدِهم في ذلك الوقت، ورمى المجاهدون بالمدفع إحدى نُوبِ جبلِ ودنه فهدموها، فكانت هذه الواقعةُ عليهم لاهم، ومكَّنَ اللهُ المجاهدين منهم، فعادوا بالصفقةِ الخاسرةِ والسلعةِ البائرة.

وبعدَ ستةِ أيامٍ من تاريخِ الواقعةِ الأولى أرادَ البُغاةُ قصدَ جبلِ الرديف^(١)، وهو متَّصلٌ بالمحطةِ، وكانَ مرتباً بعصابةٍ من خولان، فتقدَّموا إلى الجبلِ المذكورِ، وشرعوا في ارتقاؤه، فصدَّتْهم الرتبةُ عن الاستمرارِ في طلوعِ الجبلِ بحربٍ شديدٍ، وأمدَّهم مَنْ في المحطةِ ببلوكٍ من النظام، فحميَ وطيسُ الحربِ وتدانى الفريقان، واشتدَّ الطعانُ، فانهزمَ الأعداءُ راجعينَ على أعقابِهِم بعد سقوطِ كثيرٍ منهم قتلى وجرحى، واستشهدَ من النظامِ واحدٌ منهم، وذلك من عنايةِ اللهِ بالمجاهدين، ووقايتهِ لهم من صداماتِ المعاندين.

وبعدَ برهةٍ يسيرةٍ أمرَ المقدَّميُّ، وهو عاملُ الضالعِ، جنودَ الحقِّ بالتقدُّمِ على / جبلِ حقلة^(٢)، وفيه جمعٌ من أهلِ الخلافِ، فقصدَه المجاهدون من النظامِ وأصحابِ النقيبِ قايد بن راجحِ الخولاني ليلاً، وارتقوا إليه وعندَ اقترابِهِم من مراتبِ البُغاةِ، شعروا بِهِم وبأدروا إليهِم بالحربِ، فاستمرَّ العراكُ بينَ الفريقينِ إلى أنْ طلَعَ الفجرُ، والحربُ في اشتدادٍ، والمجاهدون مستمرُّون على الارتقاءِ كلِّها عنَّتْ لهم الفرصةُ، وبعدَ الفجرِ أجمعَ رأيُ عرفاءِ المجاهدين وضباطِ النظامِ على

(١) جبلِ الرديف: متصلٌ بجبلِ الخضراءِ، يسكنه أهلُ أحمدٍ سريعٍ من فروعِ الأصحفي من قبائلِ ردفان في الجنوب، انظر تاريخ القبائل اليمنية، ١٥٦.

(٢) جبلِ حقلة: المقصود حقل.

الهجوم، فأقدموا على البُغاة إقدام مَنْ لا يخاف الموت، ولا يُبالي بالفوت، وضايقوا مَنْ فيه، فاضطروا إلى الفرار، وولوا الأدبار، واستولى الأنصارُ على ذرورة الجبل ورتبوه ببلوك من النظام.

ولما تمَّ للمجاهدين المرامُ من المواقع الحائلة بينهم وبين الاستيلاء على جبل ودنه، وهو المقصودُ وعليه معوّل الباغين، أمرهم عامل الضالع بالاستعداد للاستيلاء عليه وأخذه، وقصدهم له من جميع جهاته. ووصل في تلك الحال إلى جميع مَنْ في المحطة من أمير ومأمورٍ خطابٍ من مولانا الإمام يحث الجميع على القدوم إلى ودنه، وأخذه عنوةً وشحذ الإمام عزائمهم على الإقدام بدون تريث وإحجام، وذكرهم بنصر الله الذي مكّن المجاهدين من الاستيلاء عنوةً على قلعة المقاطرة، وأن ودنة ليس بأمنع منها، ولا المجاهدون هنالك بأرغب منهم في ابتغاء ما أعدَّ الله للمجاهدين من الأجر والثواب، فكان هذا الخطاب فاتحة النصر للمجاهدين، فإنهم قوّوا عزائمهم على الاستيلاء والصعود إلى الجبل المذكور، وأجمع رأيهم على تعذر الارتقاء إليه نهاراً، وترجيح قصده ليلاً من ثلاث جهات، فمن الجهة الشرقية يكون النقيب قائد راجح وأصحابه، ومن جهة الجنوب الشيخ علي بن مصلح العبدى وأصحابه بنوعبد، وحاشد من جهة الشمال، والنظام فوق العبديين، وتقدّموا على الجبل المذكور في ليلة الجمعة، تاسع عشر شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وعون الله يرافقهم، ووقايئهم تسابقهم، واشتدَّت الحرب بينهم وبين الأعداء من ثلث الليل إلى الثلث الأخير، وأعان الله الأنصار على النهوض إلى أعلى الجبل والاستيلاء عليه وطرد المخالفين بعد مصادمة شديدة وجلادٍ عنيفٍ ومصاب الأعداء / ١٩٥
بكثير من القتلى والجرحى، وسلامة المجاهدين، إلا عدداً يسيراً منهم رزقهم

الشهادة، وأنالهم بذلك درجة السعادة.

وفي صباح ذلك اليوم وما بعده، انبثَّ المجاهدون فيما جاوزَ ذلك الجبل من المحلات، وقد فرَّ البغاة منها، وتركوها خالية خاوية، فاستولوا على غنائم كثيرة، وأحرقوا بعض البيوت، ورَّتب المجاهدون جبل ودنة، وقد فازوا بما راموه بحول الله ومَنِّه، ولما انتشع المخالفون من تلك الأطراف تجمَّعوا إلى جبل رَدْفَان، وتكاثرت هنالك جموعهم، ووصلت إليهم الامداد من النصارى، فأرادوا الانتقام من المجاهدين، وأجمعوا أمرهم على قصد جبل حقلة بعد أن فرقوا طوائف منهم على سائر مراتب المجاهدين وعلى المحطة ليصدُّوهم عن الغارة والأمداد لمن في جبل حقلة، وكانت عدة القاصدين لجبل حقلة نحواً من ثمان مئة مقاتل فقصدوه ليلاً، وارتقوه إلى أن قاربوا مراتب الحرس، وشعر بهم جند الإمام، فقابلوهم بالحرب وهم مستمرون على هجومهم، والمجاهدون يُدافعون عن أنفسهم مدافعة الأبطال، إلى أن اختلط الرجال بالرجال، واشتدَّ النزال، ولم يصل إليهم المدد، فاستشهد في تلك الليلة ثمانية من النظام، واستولى الأعداء على بعض المراتب، وانحاز الباقون إلى مكان قد أعدوه لهم، ومنعوا الأعداء من الوصول إليه فحاصروهم فيه.

ومع هذا، فقد كان القتل في الأعداء كثيراً في تلك الليلة، فإنه بلغ عدد قتلاهم إلى الأربعين، فيهم من رؤسائهم وأشرارهم جماعة، ومكث المجاهدون في الحصار إلى قريب نصف النهار من ذلك اليوم، فتمكَّن أميرُ المحطة من إرسال المدد إليهم ورمي الأعداء بالمدفع، وحين أحسَّ المحصورون بوصول المدد إليهم، خرجوا من أماكن حصارهم وهاجموا الباغيين، فوقَّعوا بين نارين، وانهزموا هزيمة فاضحة، تاركين لقتلاهم وجرحاهم وركنوا إلى الفرار، فكانت

هذه الواقعة مشتملة على نصر الله للمجاهدين، وتبديد المعاندين، وإدخال
اليأس في قلوبهم من زحزحة الجند الإمامي عند مواقعهم ومراتبهم، وقد فت
في أعضادهم كثرة قتلاهم وجرحاهم وتشتيت / شملهم، وتوالي الهزائم عليهم، / ١٩٦
ولكنهم عادوا إلى ردّ فأن واستمروا على العصيان وموالة الشيطان، وصادف في
ذلك الحين فرار بعض النظام مكلأ من طول الإقامة في المراتب، ووقف
الفريقان عن الحرب، ووالى أمير الجيش سيدي عماد الدين إرسال الأمداد إلى
المجاهدين بأهل الشعر وعمار إلى نحو ألف رام، ولم يتمكن الأنصار من
التقدم إلى جبل ردّ فأن ومناجزة من فيه من الأعداء اللئام، فرأى الأمير عماد
الدين أن الصواب وصوله بالذات وحضوره لإكمال الأعمال على ما يوافق مراد
باري البريات، فتوجّه إلى الضالّع. بجمع وفير من أبطال المجاهدين وأهل
الثبات، ومنه تقدّم بمجموعه إلى محطة المجاهدين، وانضمّ إلى من فيها بمن
معه من الرجال، ورّتب الأمور، وأزال موجبات التوقّف عند مناجزة ذوي
البغي والفجور، وراسل البغاة إعداراً وإنذاراً، وخوّفهم عاقبة ما استمروا عليه
عناداً وإصراراً واستناداً إلى مدد الكافرين واغتراراً، فلم يرجعوا عن غيهم،
وتنادوا على ضلالهم، وبغيهم، وعوّل على القدوم ومبادأتهم بالهجوم، فقسّم
المجاهدين إلى كتائب بحسب ما اقتضاه الحال، ونهض إلى جبل ردّ فأن،
مستمداً لإعانة ذي الجلال، فجرت بين الأنصار وبين الأعداء حروب
وخطوب، أسفرت عن إحراز أنصار الحقّ علام الغيوب. ومصاب الأعداء
بأمر الكروب، واستظهار المجاهدين عليهم واستيلائهم على جبل ردّ فأن وطرد
الأعداء منه، وانهمز امهم إلى ما وراءه من الخبوت والفيافي، وقد ضاق بهم الحال،
وعجزوا عن التلاقي وفرّ محمد صالح القطيبي فيمن فرّ، ولم يبق له مستقرّ،

واستولى المجاهدون على ما جمعوه، ونزل بهم من البلاء ما لم يعرفوه.

ولما علم الأمير بما صاروا إليه من الكروب وتجربوه من الخطوب، وأنهم قرعوا سنّ الندامة، وأصبحوا يتمنّون الولوج إلى باب السلامة، شرع الأمير في مراسلتهم وترغيب محمد صالح القطيبي، للدّخول في الطاعة، فوجدوا بذلك نسيم الفرج والخلاص مما ضاقوا به ذرعاً من الحرج، فأقبلوا إلى الطاعة مهرولين، وإلى أوطانهم مسرعين، وبذلوا ما طلب منهم من الرهائن ووثائق الطاعة، وانقادوا، فزالَتْ عنهم الأتراح، وأمنوا من نوائب الكفاح، ووصل الشيخ محمد صالح القطيبي، إلى مقام الأمير، وقوبل بالتكريم والاحترام، ورثب الأمير جبل رذقان وأصلح الأحوال، وقلع جذور الضلال، وعاد إلى الضالع محفوفاً بإسعاد الربّ الصانع، وقد هابهُ القريبُ والبعيدُ، واعتري سكان تلك الأطراف الخارجة عن الطاعة مزيدُ الخوفِ الشديد، وصارت غاية أمانهم الظفر بالسلامة من معرة الجنود الأمامية، والنجاة من أهوال الحروب ونوائب الخطوب، ولبو تقدّم المجاهدون على أئبن لأجأوا أهلها إلى الطاعة، ولكنهم توقفوا عن التوغّل لما وصل إليهم من الأوامر الإمامية الناهية عن التوغّل والقاضية بلزوم التوقّف لما يراه مولانا الإمام من المصلحة العامة، ودفع المفسد الجالية لكل طاقة، وانقضت هذه الحركات الجهادية في تلك الجهات، ومحيّا أصباحها مُسفرّ عن فنون الصّلاح، وإعزاز دين الله تعالى، وذلك بمنّ الواهب المنّاح.

وفي أوائل هذه السنة وإلى السيد الجليل عليّ بن محمد الشامي عامل ريمة، نيابة عن أبيه إلحاحه على مولانا الإمام بطلب الإذن له بالعود إلى وطنه، وللحوق بأبيه إلى مُستقرّ سكّنه، معتذراً بطول مدة الغيبة، وتكاثّر الأعمال

وفنونها الغربية من جهادٍ وجبايةٍ، ونظرٍ في أحوالِ الرعية بالرعاية، وتكاثرِ المحاطِ، فأسعدهُ الإمامُ إلى المرادِ، وأذنَّ له بالوصولِ واقتضى رأيُّ مولانا الإمامِ في هذه الأيامِ إناطةَ أعمالِ قضاءِ رِيْمَةِ جميعها إلى نظيرِ القاضي أحمدَ بنِ أحمدِ الجرافي مضافةً إلى ما بيدهُ من أعمالِ الجهةِ الأنسيةِ، وراعى مولانا الإمامُ في ذلكِ نقطةَ الإصلاحِ، لأنَّ أكثرَ المجاهدينِ في تلكِ الظروفِ الموجودينِ في جبلِ رِيْمَةِ من سكانِ الجهةِ الأنسيةِ، وهم يتعاقبونِ في القيامِ بالمرابطةِ والجهادِ فريقاً بعدَ فريقٍ على قاعدةٍ مُحْكَمَةٍ في التداوُلِ والمناوبةِ وحسنِ المعاقبةِ، وكثيراً ما جرى الاختلافُ في شأنِ الجوامِكِ^(١) المستحقَّةَ لهم بينَ العاملينِ.

ومع هذا فقد جُرِّبَتْ كفاءةُ القاضي الصفيِّ أحمدَ الجرافي في القيامِ بالأعمالِ،/ على أسلوبٍ من الورعِ مستحسنٍ، ونهجٍ من التحريِّ والإصلاحِ / ١٩٨ واضحِ السُّنَنِ، فأمره الإمامُ - عليه السلام - بالعزمِ إلى تلكِ الجهاتِ وإصلاحِ أحوالها، وتنظيمِ أمورِ جباياتها فتلكاً عن الإسعادِ معتذراً عن ذلكِ باشتغاله بأعمالِ الجهةِ الأنسيةِ وجسامتها، واحتياجِ قضاءِ رِيْمَةٍ إلى مَنْ يقومُ بأعمالِ الجهاديةِ وغيرها على جهةِ الانفرادِ، وطالتِ بَيْنُهُ وبينَ الإمامِ في ذلكِ المراجعةُ، ولمْ تنفعهُ الأعذارُ، ولا قوبلتْ بالقبولِ والالتفاتِ السَّارِ، ولمْ يجذُبْداً من الامتثالِ، فعرضَ على مولانا الإمامِ ما يحتاجُ إليه من الأعوانِ على ما كُلِّفَ به من الأمورِ، وما يراه مقدِّمةً لعزمِهِ إلى ذلكِ القضاءِ، وإصلاحِ ما به من الثُّغورِ، فأسعدهُ الإمامُ - عليه السلام - إلى ما أَرَادَ، وصَدَرَ الأمرُ الشَّريفُ بتوجيهِ عمالةِ ناحيةِ كُسمَةِ إلى السيدِ الوجيهِ عبدِ الكريمِ بنِ إسماعيلَ من بني^[١] شمس الدين، أهلِ كوكَبَانَ وشَبَّامَ، وتوجيهِ عمالةِ بلادِ الطَّعامِ إلى عهدةِ الشيخِ المقدمِ عليِّ بنِ عمرِ المقدادِ مع الرياسةِ على مَنْ في تلكِ الجهةِ من الأجنادِ، وإناطةِ

(١) الجوامِك: المخصصات أو المرتبات من الأموال.

[١] في س، آل.

تدبير أعمال الجهاد إليه. وكان الحرب بين جنود الإمام وأعدائهم الضالّ الإدريسي الموجودين في أطراف بُرع، وبلاد الطّعام مستمرة، والمناوشة بين المراتب مستطيلة على الدوام، وفي كلّ حين، وبين أجناد الحقّ وبين الطّعام وقعة والحرب سجّال، ولكنّ أكثر الوقائع فيها النصر لجند الإمام، فلذلك اقتضى الرأي الشريف أفراد تلك الجهة بعامل ليتمكّن من إصلاحها، وإزالة فسادها، وعيّن مولانا الإمام الشيخ علي عمر المذكور.

وتوجّه العامل المذكورون جميعاً إلى أعمالهم، ومعهم جند من الإمام زيادة على من هنالك، وبدلاً لمن قد طالت مدة إقامتهم في تلك الأصقاع. ولما وصل القاضي الصفيّ إلى جبل ريمّة، ارتفع السيّد جمال الإسلام على بن محمد الشامي من هنالك، وباشّر العامل الجديد الأعمال وتحزّى ما فيه مرضاة ذي الجلال، وثبتّ مراتب بلاد الطّعام، وقوى مركز العامل هنالك، وشرّع في استمالة من بقي على الخلاف، فأقبل بعضهم إلى الطاعة رغبة ورهبة، وقام عامل بلاد الطّعام بما عهد إليه، وجرت بينه وبين الأعداء حروب يطول تعدادها لاستمرارها بطول هذا العام، حتّى إنه لم ينقض هذا العام إلّا وقد حصل المراء من إثنان الأعداء في تلك الجهات، واستكمال بلاد الطّعام، وإدخال أهلها في سلك الطّاعة، والوقوف عليها^[١] على أحسن ثبات، وأصلح القاضي أحمد أيضاً أطراف ناحية الجعفرية واستمالهم وأعادهم إلى الانقياد، وظهر جهاتهم من أدران الفساد وكفّ أيدي المشايخ عن تسلّطهم عن الرعية، ومطالبتهم بما لا يستحقونه، فحمد الكلّ منابه، وشكر الناس سيرته وانتدابه.

وبعد لبثه أكثر أيام هذا العام هنالك، عاد إلى ضوران مركز عمله القديم،

[١] سقطت من س.

لتفقد أحوال آنس، واستناب بإذن الإمام على الأعمال في رِيْمَة عامل كُسمَة، واستقدّمه منها إلى الجبى، فأقام عامل كُسمَة في المركز، والمراجعة تدور بينه وبين القاضي أحمد الجرافي فيما لا بدّ منه من أمور القضاء المذكور.

وفيها وجّه مولانا الإمام حكومة قضاء المخا إلى عهدة القاضي محمود بن محمد الزبيري، وكان المذكور قد قدّم من حيس إلى حضرة الإمام للزيارة بعد مكثه في حكومة حيس منذ تعيينه فيها، وثبت حسن قيامه بأمور الحكومة في تلك الناحية، واستقامته ومباشرته لكثير من أعمال الإصلاح التي مناضها بالعمل. وبعد نقل عامل الناحية المذكورة إلى عمالة زبيد، ناب عن العامل في حيس،^[١] فحمد منابه^[٢]، فرأى مولانا الإمام توجيه حكومة المخا إلى عهده ليقوم بوظائف الحكومة في القضاء المذكور، ويجري ما يلزم من الإصلاح لأحوال قبائله العديدة، ويزيل ما كثر رفعه إلى مسامع الإمام من عدم توقف العامل على عثمان على ما هو مأمور به من مولانا الإمام، من نشر العدل وتحكيم شريعة الله سبحانه في الأمور والحادثات، فامتثل القاضي المذكور ما أمره الإمام به، وبأدرّ بالعزم إلى المخا واستقرّ فيها، وكان العامل الشيخ علي عثمان أكثر إقامته في موزع^[٣]، فرأى الحاكم المذكور أنّ العامل غير جارٍ على الشنن المرضي، ولم ينتصح حين كرّر الحاكم النصّح له بلزوم السير على النهج السوي، واستشعر من نزول الحاكم ووجوده في المخا ما ساقه إليه قبج الفعل من توهم أنّ المراد إيقاع النكاية به ووجه همتّه إلى إفساد جند الإمام، الذين في المخا وجهاته، واستمالتهم إليه واعراضهم عن امتثال أوامر الحاكم / المذكور / ٢٠٠ والاستهانة بأوامره^[٤]، وتزايدت النفرة منه عن الحاكم، وتفاقم الحال وظهر من

(١) موزع: مدينة بالجنوب الغربي من تعز بمسافة ٨٠٠ كم، انظر، صفة جزيرة العرب، ٩٥، معالم الآثار، ١١٥، قرّة العيون، ٣٤٧، الاكليل، ٩١ / ٢، طبق الحلوى، ١٥٦ .

[١ - ١] سقطت من س. [٢] في س، بأمره.

المذكور إرادة النكث والخروج عن الطاعة، فأرسل الأمير جمال الدين إلى العامل المذكور وأمره بالطلوع إليه إلى تعز، وطيب قلبه وأمنه، فوصل إليه. وقد كان أخوه الشيخ عبدالله عثمان عاملاً على ناحية مقبنة، وأعماله في تلك الناحية على نحو أعمال أخيه في المخا والشكوى منه متكاثرة من أهالي الناحية المذكورة^١ فطلبه الأمير أيضاً ومكثاً مدة، ثم استأذنا الأمير في وصولهما إلى دارهما في جبل صبر، فأذن لهما بذلك، وخرجا من لديه على أن يعودا إلى تعز، وقد أضمر الخلاف وركوب أعمال الاعتساف، ولكنهما لم يتمكنوا من البقاء في محل أعمالهما، لأن القاضي محمود قبل فرارهما قد تمكن من استجلاب مشايخ البلاد وأعيانها إليه، وأفهمهم بمقاصد الإمام وأمير الجيش وحسن نواياهما، وقبح أعمال المذكورين، وما يريدان من جلب البلى على تلك الجهة، فلم يبق لهما من النفوذ ما يتمكنان به من الامتناع، ففروا إلى عدن.

ولما رفع المولى أمير الجيش - حفظه الله - حقيقة الحال إلى مولانا الإمام - عليه السلام - أمر الأمير جمال الدين بالاحتياط على دار المذكورين بصبر والاهتمام بشأن فرارهما، خشية من وقوع ما لا تحمد عقباه من حوادث المكر والخداع، فأجرى الأمير أمر الإمام، ووجد معها من المؤنة شيئاً غير يسير، مما كتماه من ذخيرة الحكومة في دارهما وفي موزع وبطل سحرهما، فلم يتمكنوا إلا من الفرار، وحكما على أنفسهما بالاعتراب، واستبدال العز بالهوان، ودوام الاضطراب، وتجولا في عدن ثم في مصوع وغيرهما، وعادا إلى جيزان، ثم نزلا بالحديدة، وأواهما الضال، وشوقهما على استجلاب طائفة من أهل جبل صبر وشرارهم حالاً بهم في تهامة، وكانا من جملة أعوانه.

[١ - ١] في س، مقبنة.

وفيها وصل إلى مقام مولانا الإمام الشيخ علي بن يحيى الأصابع، أحد مشايخ ملحان، مراجعاً في بعض أمور الجبل المذكور، ومريداً لتخفيف المحطة التي هنالك، وكان مولانا - عليه السلام - بعد طول إقامة السيد الأجل فخر الدين عبد الله بن يحيى أبو منصر هنالك، وشكواه من ضياع الأعمال التي بنظره في ثلث بلادها، وأعمال السود وما إليه، لغيبته في جبل ملحان.

/ فأذن له بالعود، واستنابة ولده السيد الهمام محمد بن عبد الله أبو منصر / ٢٠١
مكانه، وأمر الإمام أيضاً النقيب أحمد بن يحيى حبيش بالعزم إلى ملحان، لما له من المعرفة السابقة بأحوال أهله، وهو ممن حضر في الفتح السابق، فمكث النقيب هنالك إلى أن ملّ الإقامة، وجرى في أثناء ذلك من بعض أهل الجبل ما يدل على الميل إلى أهل ثهامة، وبلغ إلى السيد محمد بن عبد الله أبو منصر أنها قد وصلت إليهم ذخيرة من عند أعوان الضال، فتبّت فيما بلغه إلى أن قويت قرائن الدلالة على ذلك، وبحث عن الأفراد المتماثلين، ووثب عليهم ووثب الأسد الخادر، وحال بينهم وبين ما يشتهون من العمل الخاسر، وساق منهم كثيراً إلى الحبوس، وقوى رهائن الطاعة من الجهة التي ظهر فيها التملؤ، وأصرّ الكثيرون منهم على أنه لم يكن هنالك ميل إلى الخلاف، ولكنهم يتضجرون من ثقل المحطة، لأنه لم ينقص عدد المجاهدين في الجبل منذ الفتح عن ألف، بل كانوا يزيدون على الألف بمئات، فدارت المراجعة في شأن تخفيف المحطة، وكانت قد حملت بيت المال عبئاً ثقيلاً مع قلة واجبات الجبل المذكور. ووصل الشيخ علي يحيى المذكور إلى حضرة الإمام من أجل هذا الأمر، مراجعاً في شأن تخفيف الرهائن، وشاكياً من السيد محمد بن عبد الله وقسوته، فأصغى الإمام إلى إفادته، ورأى أنه لا يتم البناء على أمر فيه الصلاح والفلاح إلا بوصول مشايخ

الجليل المذكور إلى الحضرة الشريفة.

فصدر الأمر الشريف بوصولهم، فوصلوا جميعاً، وأمر الإمام السيد الفخري عبد الله بن يحيى أبو منصر، وهو إذ ذاك مقيم بالحضرة الشريفة، بالخوض معهم فيما ينبغي اعتماؤه، وأفهمهم الإمام بأنه إذا حصل الوفاق على صون الجبل من الأعداء، والتزموا بذلك، أمكن إسناد العمالة إلى كبيرهم علي يحيى الأصابع، ويكون إبقاء رتبة صالحة في حصون الجبل المذكور مع أحد الأمراء، فكثرت المراجعة في هذا الشأن، وظهر من أحوال المشايخ أنهم لا يرضون بتصدر علي يحيى الأصابع.

وفي آخر الأمر، عاد المشايخ إلى ملحان، وتم الكلام على أن يكون نزول السيد الفخري عبد الله بن يحيى إلى هنالك، وقيامه بعمارة ما يحتاج إليه من الحصون، وتقرير الأحوال، وأخذ الضوابط من المشايخ والرفع إلى حضرة الإمام عن مقدر ما يحتاج إليه الجبل من الرتبة، ولم يتيسر للسيد عبد الله أبو منصر العزم في تلك الأيام، بل كان إرسال السيد يحيى بن علي / أبو منصر بدلاً / ٢٠٢ عن السيد محمد بن عبد الله أبو منصر، وتوجه مع علي يحيى الأصابع إلى ملحان، فلم يتم بينهما التوافق، ولم تثمر تلك المساعي، وظهر من النقيب الرغوب في البقاء بملحان.

وفي تلك الأثناء، كان تعيين السيد أحمد بن علي الحيفي مأموراً للمال في الجبل المذكور، والقاضي محمد بن علي الحلالي كاتباً للعامل، ويكون بقاؤه بمعية النقيب، فكانت حولة الجبل المذكور فوق ما يستحق، وبعد مدة، توجه السيد^[١] فخر الدين عبد الله بن يحيى أبو منصر إلى هنالك؛ للقيام بما أمر به من

[١] في س، سيدي.

عمارة الحصون اللازمة، وشرع في إجراء ما أمره به مولانا الإمام متناولاً ومباشراً
للأسباب التي يكون بها الوصول إلى مرغوب حضرة الإمام.

ومع هذا الحال، فلم تزل الحرب ثائرة في أطراف الجبل من جهة تُهامة،
والزيليقي باقي على الخلاف، والمغرب تارة بأيدي المجاهدين، وتارة بأيدي
المخالفين، وقد صار سكان تلك الجهة مشتبين في بلاد تُهامة، وهنالك في
المنواب وما فوقه إلى حد بلاد الطاعة جماعة من التهاميين وأشرار حاشد
المخدولين، وبينهم وبين المجاهدين في كل حين وقعات ومعارك وقتال مستمر
والنصر في جميع ذلك لجند الإمام وحزب الأنصار، ولم تخل هذه الحروب من
قتلى في كل معركة من البغاة كثير وشهداء من الأنصار وخرج هذا العام والحال
كذلك، ولكن جانب الحق في ظهور، والأعداء في خذلان وفطور.

وفي شهر شعبان من هذه السنة، وصل إلى حضرة مولانا الإمام -وهو
بمحروس بئر العزب- الفيلسوف الشهير أمين الريحاني^(١) اللبناني العيسوي،
ورفيقه الزعيم قسطنطين^(٢) يني البيروتي العيسوي وافدين، فأما الأول منهما،
فهو من المشهورين بالسعي في وحدة العرب، وبكثرة الجولان في بقاع الأرض
من أمريكا، وغيرها من بلدان أوروبا، ونصارى الشام كثير الإعجاب به، وبما

(١) أمين بن فارس بن انطون الريحاني ت ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م، كاتب، خطيب، مؤرخ،
لبناني الأصل، رحل إلى أميركا، اشتغل بالتجارة والتمثيل، طاف البلاد العربية حيث
زار نجداً والحجاز واليمن والعراق وفلسطين والعراق ومصر والمغرب والأندلس، كتب
الريحانيات، أربعة أجزاء وملوك العرب وتاريخ نجد الحديث وفيصل الأول وقلب
العراق وغيرها كثير، انظر الاعلام، ١٨/٢، المقتطف، ١٩٣/٤٠.

(٢) قسطندي يني: لبناني شاعر خدم عند الشريف الحسين بن علي، صديق لأمين
الريحاني، كان قسطندي يني مرافقاً لأمين الريحاني في رحلته في البلاد العربية التي
بدأها في ٨ رجب ١٣٤٠ هـ / ٢٥ فبراير ١٩٢٢، انظر ملوك العرب، ١/ ٢٥.

٢٠٣ / ينشره من المقالات الاجتماعية. ونصارى الشام في هذا العصر لكون لغتهم هي العربية يدعون أنهم من نصارى العرب، وقد أكثروا من التصاريح في اللغة العربية،^[١] وأتوا بعجائب تُستحسن عند النقاد لما تحويه من المواضيع الأدبية وغيرها^[٢]، مما لا علاقة له بالديانة، ونشروها على الملأ في كتب مطبوعة. وهذا منهم تقليد لطوائف الأفرنج في التشيع للجنسية والوطنية، وتقديمها على الرابطة الدينية^[٣].

وأما الثاني فهو كما ذكرنا بيروقي الدار، ومنذ كانت الحروب العمومية، وقيام الشريف حسين بن علي على الأتراك بالثورة كما أسلفنا، سكن جدّة وأفاد أنه مستخدم في شعبة الطيران باسم مدير، وأوضح أن مرامهما من الوصول السياحة وخدمة العرب، وحثهم على الاتفاق وجمع الكلمة والاتحاد، ولما وصلا أنزلهما مولانا الإمام في أحد البيوت بمحرويس بئر العزب، وأجرى عليهما الكفاية الفاضلة، وحين أذن مولانا الإمام لهما بالمشول في حضرته الشريفة، دخلا متأدبين، وقبل الإذن لهما بالجلوس، استأذن قسطنطين المذكور مولانا الإمام في الإنشاد لما قد نظمّه، فأذن له مولانا الإمام، وأملى قصيدته الآتي ذكرها قائماً ومطلعها:

اخفِض الطَّرْفَ رهبةً واحتراماً وتكلّم إذا ما استطعت الكلاماً
وتقدّم للعرش واجثّ لديه لتحّي عن الحجاز الإماماً

ثم سرد من هذا الكلام المملوء فخامةً وجزالةً مادحاً للإمام - عليه السلام - ووصفاً ما كانت عليه حالة العرب مع الأتراك من الاضطهاد، ومستطرداً لما كان فيه العرب في الأجيال الغابرة من علو الشأن والسيادة على

[٢ - ٢] في س، بين يديه

[١ - ١] سقطت من س.

الممالك والبلدان، وما نتج عن تفرُّق الكلمة من الانحطاط واستيلاء الأقوام الغربية، أهل أوروبا على معظم البلاد العربية إلى أن قال:

هذه حالة البلاد فخلَّصها من الجور وارحم الأقواما
يسألون الإمام عطفاً ويلقوا ن عليه تحيةً وسلاماً
إن أحلامهم معلقة فيك فحقّق بسعيك الأخلاما
وحّد العرب واجمع الشمل وانفض لتزيل النفور والانقسام
قد دنت ساعة الخلاص فهيا وانصر العرب تنصر الإسلام
دُمّت ملجأ الضعيف والنصر يمشي في لواء الإمام عاماً فعاماً

٢٠٤ /

قلت: ومكث المذكوران برهة في الحضرة الإمامية، وجرت بينهما وبين الإمام مراجعات فيما يسيان له، ثم قفلا راجعين من طريق الحديثة، ولقسطنطين المذكور أشعارٌ حسان^١ نظّمها في مواضيع شتى كمخاطبة لقصر غمدان، ونحو ذلك^٢.

وفيها أمر مولانا الإمام بالاحتفال بختم سيدي مطهر بن الإمام لقراءة القرآن الكريم، وأقام وليمة كبيرة، دعا إليها الأفاضل والأعيان والعلماء وطلبة العلم الشريف بجامع صنعاء، وعدداً كثيراً من الفقهاء، وتلقى مولانا الإمام في ذلك ألتهاني من الأدباء،^٣ وممن نظم في ذلك جامع هذه السطور والتاريخ لسيدي العلامة فخر الدين، عبد الله بن إبراهيم، وأوله:

.....

[١ - ١] سقطت من س.

[٢ - ٢] من عبارة «وممن نظم في ذلك جامع السطور حتى عبارة وبالختم يبدأ نيل العلى» سقطت

من س.

[المتقارب]

على جيد عصر إمام الملا
وطيب المنى وجمال السولا
شعاعاً أنار ونورا علا
بما شئت من نصرك المجتلى
وهد الكفور بنحس البلى
على كل جان أراد القلا
وأجرى حياه كسبل الفلا
تقلدها الخلق طوقاً حلا
أجاد روايتها من تلا
براح الفصيح وعذب الطلا
جبال تطول فلا تعتلى
رسول المليك بها يجتلى
نراه لنا حرمأ أفصلا
فيلقون غيث الندى مرسلا
زمان فيدرك ما أملا
هم الأنجم الزهر لن تأفلا
ولم يدركوا الحلم الأكملا
سروج الخيول وأوج العلا
صقورا نؤم لها أجودلا
تكاد من الفهم أن تشعلا
إذا أظلم الدهر مستقبلا

لك الحمد نظمت دُرّ الحلى
ويسرت فيه سناء الهناء
وأرسلت فيه لشمس السعود
ومكنت فيه إمام الهدى
فصان الثغور وأجرى الأمور
ومد الأمان بمد السنان
وفاضت يده بمغنى العفاه
وفي كل وقت له منة
وأي السعود وقرآنها
وماذا يقول مريد المديح
وقدامه البحر أمواجه
إمام الهدى أنت من تبعه
وأما مقامك فهو الذي
يطوف بكعبته الأملون
ويسعى إليه الفتى خائنه
ولله شأن بنيك الألى
عظام الحلوم كبار الفهوم
بدو مطالع إشراقها
إذا ركبوا خللتهم فوقها
وإن نطقوا أبرزوا فطنة
همو سنند الأمل المرتجى

/ ٢٠٥

وهم للورى سادة تارة
 وأكرم بمن كان من أجله
 بحسن الختام يروق الكلام
 ولم لا وفيه شعار الهدى
 فيا موكباً ما رأى الناظرون
 جلبت لنا كوكباً نيراً
 يسير عليه من أحداقنا
 بظل البُؤود ونور الشعود
 لعمري لقد كان هذا الختام
 إمام الهدى أنت غوث الورى
 وأيامك الغر بسامة
 وربك أولاك أفضاله
 ستنظر أنجالك الأكرمين
 سراً الرّشاد حماة العباد
 ملامح من ضئضىء المصطفى
 وكم نطق الفال في رمزه
 ألم تره قال أرّخ وطب

مصابيح تلقى بهم موثلاً
 إشادة ما قد حلا محفلاً
 ويبدو النظام به أمثلاً
 بأجل أوصافه حطبلاً
 أحسن منـه ولا أجلاً
 على سابح يسبق الشّملاً
 نطاق بتعويذنا مثلاً
 وصف الجنود وجمع الملا
 بديع النظام حلا منهللاً
 وحصر صفاتك لن يحصلاً
 ومفرقها بالسّنا كلاً
 فلا عجب من هنى أقبالاً
 وقد شيدوا مجدك الأطولاً
 سيوف الجهاد إذا أعضلاً
 إذا أدركت بينت مجمللاً
 ببشرى سرى طيها مندللاً
 وبالختم يبدأ نيل العلى

وفيها استمرّ الأمير الشريفُ عبدالله بن محمد الضمين في مَدَوّل، وتلك
 الجهات، ومعه من الجندِ النظام، عددٌ كافٍ لحماية تلك الأطراف، وما زال ساعياً
 في استمالة مَنْ بقي من أهل تلك البلادِ خارجاً عن الطاعةِ ومقرباً لهم إلى ما
 يكفيهم هولَ ما هم فيه من الأراعة إلى أن تمّ بحميد سعيه المراد. وعاد الشاردون

إلى مواطنهم وصلحت تلك الجهة، ولم يبقَ فيها للعدو مطمَعٌ اغتيالٍ ولا مطمَحٌ احتيال، وبارك الله لهم في الثمار، فعادوا إلى ما كانوا عليه من الرِّخاءِ وصِلاحِ الأحوال.

وفيها في شهر [....]^[١] توفي الشيخ نصير الدين، عليُّ بنُ المقداد راجعُ بداره في جبلِ الشرق، بعدَ أن عادَ من حوالي بُرع، والشيخُ المذكورُ أشهرُ من أن يُذكرَ فهو الذي انفردَ بالسبقِ إلى الجهادِ والمِوالاةِ ومنابدَةِ الاتراكِ في قلبِ البلادِ، وهي الجهةُ الآنسيةُ والقيامُ والإعانةُ لمولانا الإمامِ المنصورِ بالله، رضوانُ الله عليه، والاستمرارُ على ذلك إلى أن توفي الإمامُ المنصور، واستشهدَ من أهلِ بيتهِ واخوتهِ جماعةٌ في مواطنِ الجهادِ، وكذلك مع إمامِ زماننا -عليه السلام- جرتَ بينه وبينَ الأتراكِ حروبٌ وخطوبٌ، وقاسى من الشدائدِ ما لا يُوصفُ.

ثمَّ توفي على فراشه، رحمه الله، وكذلك في هذا العام توفي ابنُ أخيه الشيخُ محمدُ بنُ أحمدَ المقداد أو بعدَ رجوعه / من بُرع؛ لأنَّه كانَ لا يُفارِقُ الشيخَ نصيرَ الدين في سفره وإقامته، وما يتصدَّرُ له الشيخُ نصير الدين من الأعمال قامَ بها المذكورُ مُعيناً لعمِّه، فقاربتْ وفائهما وآجالهما، ولم يَخلفْ نصيرُ الدين من الذكورِ سوى ولده مجاهد بن علي، وهو الآن في سنِّ الشباب، وعليه أماراتُ الصِّلاحِ ظاهرةٌ بادية، وما زال مولانا الإمامُ يتعهَّده بالرِّعايةِ النامية.

وفيها وصلَ إلى الحضرةِ الشريفةِ مولانا سيفُ الإسلام، وثاني أنجالِ الإمامِ محمد بن أمير المؤمنين قادمًا من حَجَّةٍ لزيارة والده مولانا أمير المؤمنين، بعدَ غيَبته عن الحضرة الشريفة مدةً تناهزَ السَّنتين، فاستقرَّ في الحضرة مشغلاً بدراسةِ الفنونِ عاكفاً على تحصيلها،^[٢] وإكمالِ معارفه الغزيرة بجدٍّ ودأبٍ تقرُّبه العيونُ، ويُزغَمُ به المبعضون^[٣].

[١] يابض في كل النسخ، ولم يذكر الشهر في كتب التراجم المعاصرة.

[٢ - ٣] سقطت من س.

وفيهما كان توسيع دائرة التعليم للفنون العسكرية والمهارة فيها، بتشكيل مكتب لتعليم الرمي، وتعيين جماعة من ضباط الأتراك للقيام بتعليم أفراد النظام وتدريبهم على ذلك، ومن لوحظ فيه وجود الكفاءة والقابلية لأن يكون من الضباط أُدخل بعد اكمال تحصيله في المكتب المذكور، ونُقل إلى مكتب الضباط المسمى بالمكتب الحربي،^[١] وقد زيدت فيه مدة الطلب والتحصيل إلى سنوات^[٢]، وكذلك كان تكثر عدد الجيوش من النظام، حيث شوهد ما فيه من المنفعة العامة والمصالح الهامة، وقيام النظام بجلال الأعمال على غاية ما يُرام^[٣] مع توفر مزيد حسن الأمثال والتوقف والثبات^[٤].

وفيهما بلغ إلى مسامع مولانا الإمام أن أيدي أشرار الغواة من أعوان الضالّ الموجودين بباجل، قد امتدّت إلى قبائل الزرانيق^(١) الشامي^[٢] باستمالة عُقّالهم إلى الانضمام إلى الضالّ، وأنّ مقصدهم من ذلك إزالة الحواجز الحائلة بينهم وبين زبيد، وأنهم قد أخذوا كثيراً من الرهائن، فاهتم لذلك مولانا الإمام، ووالى إرسال الجنود إلى سيدي الأمير عبد الله بن أحمد الوزير لإرسالها إلى زبيد، وأمره بالعناية بمكاتبة من بقي من الزرانيق غير مائل إلى الأدرسي مثل الشيخ أحمد فتيني جنيد، وجميع قبائل الزرانيق اليماني^[٣] وتحذيرهم من مكر الضالين، وإمدادهم بما يحتاجون إليه من ذخيرة في دفع أعوان الضالّ عن بلادهم، فتيسّر بمنّ الله تعالى وعونه

(١) الزرانيق: من أشهر قبائل تُهامة ونسبهم في الأشاعرة، ومنهم قبائل المعازبة وفروعهم، بنو محمد وبنو مقبول وبنو مشهور وبنو الجنيد والهبالية والبهادرة وغيرهم والذين جنوب بيت الفقيه يسمون أهل الطرف اليماني ولبن في شمالها أهل الطرف الشامي والحسينية جنوبها، انظر، اليمن الكبرى، ١٣٤، معجم المحققي، ٢٩٠، معجم الحجري، ١/ ٣٩٤، ٢/ ٦٣٦.

[٢-٢] سقطت من س.

[٤] في س، اليمانيين.

[١-١] سقطت من س.

[٣] في س، الشامية.

إبطال حيلة الماكرين في استمالة الزرائق الباقين، وتراجع أكثر الأولين عن تمام الانقياد بعد هَرَجٍ ومَرَجٍ في قضاء بيت الفقيه، ولم يتمكن الخاسرون من الوصول إلى الزرائق فضلاً عن زبيد، وكفى الله المؤمنين القتال وهو الولي الحميد. / ٢٠٨

و^١ فيها في شهر [ذي القعدة]^[٢] توفي القاضي عبد الرحمن بن علي الحداد الأبى الشافعي، حاكم لواء تعز، ورئيس مجلس تدقيق الأحكام في مدينة تعز وهو كهل، والمذكور من علماء مدينة إب، وأبوه الفقيه علي بن ناجي الحداد مفتيها، اشتهر بالرسوخ في الفنون والتفوق على غيره من علماء تلك الجهة علماً وعملاً، واستمر في الفتوى إلى أن توفي، فخلّفه في منصبه ولده القاضي عبد الرحمن هذا، وخرج عن طريقة أبيه في الانقباض وعدم المداخلة في الأمور السلطانية، فباشر ما لا تعلق له بالفتوى، وزاحم أرباب المناصب، إلى أن صار الرجل المشار إليه في قضاء إب في الحل والعقد، وصار مأمور الحكومة في القضاء المذكور يعملون بإشارته، وله قبول عظيم لدى أمراء الأتراك ثم ارتقى به الحال إلى أن صارت الحكومة العثمانية تستعين به في معضلات أمور اللواء جميعه: كالإصلاح بين المشايخ، ودفع الفتن.

ولما وصل عزت باشا إلى صنعاء، كان المؤمى إليه أكبر رجال لواء تعز الذين وصلوا لزيارته، فاستحسن بإشارة الوالي محمود نديم بك اسناد منصب القضاء في لواء تعز إلى عهده، فتوجه إلى تعز ومكث فيها، وعند أن صار الحرب العام، وكان الأتراك من جملة الدول المحاربة للإنجليز، احتاجوا إلى استدعاء المتطوعين للجهاد من سكان اللواء عند قدومهم على الحج، ومحاربة

[١-١] وقع سقط في س يصل إلى عشر صفحات من عبارة «وفيها في شهر، إلى عبارة، ولما بلغ إلى الأمير جمال الدين، صفحة ٢١٨ من الأصل.

[٢] الإضافة من نزهة النظر، ٣٤٨.

سلاطينها، فكانَ المؤمى إليه فَمَنْ جَدَّ واجتهدَ في ذلك الحين، وأُطلقَ عليه لقبُ
رئيسِ رؤساءِ المجاهدين، ومنذَ تعيينِهِ للقضاءِ في لواءِ تعزٍ إلى أنِ انقضتِ أيامُ
الأتراكِ والمذكورُ في أغلبِ تلكِ المدَّةِ وكيلُ متصرِّفِ اللواءِ.

وقد سَرَدْنَا وصولَهُ إلى صنعاءَ عندَ تسليمِ الأتراكِ إلى الانجليزِ وما تمَّ بينَهُ وبينَ
الإمام -عليه السلام- ورفقائه من المراجعة. وكانَ المذكورُ منْ قبلِ ذلكِ موصوفاً
بالانحرافِ عن الإمام، وحُسْنُ ما رآه من مولانا الإمام من المقابلةِ الجميلةِ تبدَّلَ
لديه الحالُ، وصارَ من جملةِ أشياعِ الحقِّ المنابذين للضلالِ، وعيَّنهُ مولانا الإمامُ
قاضياً في تعزٍ كما كان، فحمدَ منابته، وكانَ منْ قبلُ ومنْ بعدُ موصوفاً بالعِفَّةِ وعدمِ
قبولِ الرشوة، وما زالَ قاضياً في تعزٍ إلى أنْ توفِّيَ في التاريخِ المذكورِ، ورثاه جماعةٌ من
الأعيانِ، ولم يحضُرْ لديَّ حالَ التحريرِ شيءٌ من ذلك، حتى يكونَ إثباتُهُ.

وقد كانَ المؤمى إليه في أثناءِ سنةٍ تسعٍ وثلاثينٍ وثلثمائةٍ نظمَ أرجوزةً فيما بلغَ إليه
من اختياراتِ مولانا الإمام التي / ألزَمَ حُكَّامَهُ أنْ يكونَ عملُهُم بها، فيما حَوَّتُهُ. / ٢٠٩

ثم شرحَ منظومَتَهُ المذكورةَ شرحاً لطيفاً، استظهرَ على تلكِ الاختياراتِ
بالأدلةِ الواضحةِ، ويَبَيِّنُ مع ذلكِ ما يقوِّي جانبَهَا من أقوالِ أهلِ المذاهبِ
الأربعةِ، وأرسلَ الشرحَ مع الأصلِ إلى مولانا الإمام، فانبرى الأفاضلُ إلى
تقريضِهِ، وأوَّلَ منظومةِ المذكورِ:

الحمدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللهُ	على رَسولِهِ ومُصْطَفاه
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّاه	وبعدَ قد اجبتَ نظماً معلماً
بما أَتانا عن إمامِ العصرِ	يحیی الذی أرْعَبَ أهلَ الکفرِ
من اختياراتِ لعمري إِذْ غَدَتْ	مسفرةً أنوارها قد أشرقت
لعلَّةٍ مع الدليلِ الشافي	لسالكِ محجَّةِ الإنصافِ

وقال في آخرها، وقد استوفى ما وَعَدَ به من النظم والبيان وإيضاح المراد لذوي العرفان:

ناظمٌ هذا طالبُ الغفران	هو المسمى عابدَ الرحمن
نجلٌ علي المشهورِ بالحداد	المرتجي من ربِّه الجواد
مغفرةٌ تُحيطُ بالذنوبِ	وتسترُ الجاني عن العيوبِ
بفضلِ طه سيِّدِ الأبرار	وآلهِ وصحبه الأخيارِ
صلى عليهم ربُّنا وسلِّمًا	ما دامت الأرضُ ودامت السما

والمسائل التي نظمها القاضي المذكورُ ثلاث عشرة، واختياراتُ مولانا الإمام أكثر من ذلك، ولكنه نظم ما بلغ إليه:

أولاهـا: لا هبة ولا وقفَ لبعضِ الورثة دونَ بعضِ الحديثِ النعمانِ بن بشير
ولقوله: «غيرُ مضارٍّ وصيةٌ من الله، فمن خافَ من موصٍ جَنَفًا أو إثماً الآية
ويستثنى من ذلك إذا كان الوارثُ ذا عاهةٍ تُعجزُه عن الكسبِ أو مِنَ الضعفاء
الذين لا يملكون حيلةً ولا يهتدون سبيلا.

الثانية: لا وصيةٌ لوارث.

الثالثة: الكفاءةُ غيرُ معتبرةٍ مع بلوغِ المرأةِ ورضاها.

الرابعة: لا تُقبلُ شهادةُ شهودِ المدَّعي بعدَ طلبه ليمينِ المدَّعي عليه،
وتحليفه، لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم:

/ شاهدك أو يمينه، ولأنَّ المرادَ باليمينِ كَفُّ الدعوى. / ٢١٠

الخامسة: لا تُشترطُ الألفاظُ في البيعِ والإجارة، إذ المناطُ هو التراضي،

فكلّمَا دَلَّ عليه نفذَ به البيعُ، إلا ما نُهي عنه كالملامسةِ والمنازعةِ.

السادسة: ما باعه الفضوليُّ عن الصغيرِ للحاجةِ الماسةِ في سني الشدةِ فهو نافذٌ من بابِ الصلاحيةِ لتضييقِ الحادثةِ، لكن مع عدمِ العُبنِ في الثمنِ زماناً ومكاناً، ومصيّرُ الثمنِ إلى الصغيرِ نفقةٌ ما على المحسنين من سبيلٍ وهو محسن.

السابعة: المرأةُ التي غابَ عنها زوجها، وليسَ له مالٌ تستنفقُ منه، وليسَ لها أيضاً مالٌ إذا جاوزتْ غيبةَ زوجها ثلاثَ سنين، وجُهلَ حاله أحيٌ هو أم ميتٌ، وأرادتِ الفسخَ، فلها ذلكَ لحديثِ أبي هريرة، وحديثِ امرأةِ ثابت بن قيس بن شماس له دخلٌ في هذا البابِ، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَصَارُوهِنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ، فابعثوا حكماً من أهلهِ وحكماً من أهلها﴾، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الرجل: لا يجدُ ما ينفقُ على امرأته يفرّقُ بينهما.

الثامنة: الهبةُ والنذرةُ ونحوهما الواقعةُ من البائعِ للمشتري لأجلِ الحيلةِ في إبطالِ الشُّفعةِ لا اعتبارَ لها، لأنَّ ذلكَ لا يكونُ إلا بعدَ التواطؤِ على ثمنِ الجميعِ ويكونُ التعبيرُ بلفظِ النذرِ ونحوه مجرداً عن إرادةِ المعنى الذي وُضِعَ له اللفظُ، ولو لم يتمَّ بينهما البيعُ لرجعَ الناذرُ عما نذرَ به على المشتري.

التاسعة: لا تأثيرُ للضرورةِ المجهولةِ التي تُضمُّ إلى الثمنِ لأجلِ إبطالِ الشُّفعةِ بجهالةِ الثمنِ، لأنَّها كالزيادةِ في الثمنِ، ولا تكونُ إلا بعدَ التواطؤِ بين المتبايعين على قدرِ الثمنِ، وإذا فرضَ كونُها من الثمنِ حقيقةً، فالجهالةُ في مثل ذلكِ يسيرةٌ، ويلزَمُ الشافعُ قيمتها؛ لأنَّ جهالتها دونَ جهالةِ ما شُفِعَ من مبيعٍ كثيرٍ ولا سببٌ للشافعِ إلا في بعضه.

العاشرة: شهادة المثل مقبولة ما لم يُؤثّر عن الشاهد الزور والدخول في الكبائر التي تصم وتعمي، وإذا قُبلت شهادة الكافر عند مظنة عدم وجود المسلم فبالأولى شهادة غير العدل عند مظنة عدمه.

الحادية عشرة: إجبار الزوجة على الرجوع إلى طاعة زوجها ولو بالحبس أو حبس وليها إذا لم يتحقق الضرر من الزوج، وهذا من مواضع النظر.

الثانية عشرة: ما بيع في سني المجاعة لا شفعة فيه لحاضر لم يطلب الشفعة أو غائب بطلب المعيشة أو صغير لا مصلحة له عند البيع.

الثالثة عشرة: الغالب أنه لا تحقق للأثمان في سني المجاعة لعدم استقرارها.

٢١١ / أقول: وقد حوت تقاريرُ الأعلام لمقطوعة القاضي المذكور قدراً صالحاً من مديح مولانا الإمام وبيان بعض ما من الله به على يديه من المنن الحسام، فاستحسنّت إيرادها لأنها لا تخلو عما يُستحسن من أقوال ذوي الفطن، وهاك ما قاله المولى، شيخ الإسلام القاضي العلامة علي بن علي اليماني: [رجز]

أعقدُ دُرٍّ أم نظامُ جوهر	أم درُّ الفاظِ الوجيه الأشهر
نجلُ عليّ العالمُ الأديبُ	الألمعيُّ المصقُّ الأريبُ
حوى من المسائل المختارة	ما شاع من أنظار قطب الدارة
أعني الإمام بن الإمام الأعظم	يحيي أمير المؤمنين الأفخم
كلاه ربنا من الغوائل	وكل سوء وقرين باطل
ونسأل الله بلوغ الأمل	والختم بالخير وحسن العمل
ونتبّع الصلاة بالسّلام	على النبي وآله الأعلام

وقال حاكمُ العدَّينِ الأجلُّ حمودُ بنُ محمد بن الإمام من السادةِ أهلِ ذَمَار:

الحمدُ لله مفيضُ العلمِ	وجاعلُ الفضلِ لأهلِ العلمِ
مُكرِّرُ الصلاةِ والسلامِ	على النبيِّ وآلِهِ الأعلامِ
حماةُ دينِ ربِّنا والحجَّةِ	والسالكينِ واضحِ المحجَّةِ
بأبيضِ السيفِ وماضيِ العزمِ	وتَيَّرُ القولِ سديدُ الفهمِ
مجدِّدي الدينِ لما منه بلا	وبهمَّةٍ تعلو على كلِّ علا
والعارفينِ صحةَ الأقوالِ	وحلَّ ما فيها من الإشكالِ
من جاء تطيهرهمو في الذكرِ	وهم ولايةُ نهينا والامرِ
وأوجب اللهُ به ودادهم	في محكمِ القرآنِ واعتمادهم
لأنهم سفينةُ النجاةِ	وقادة الانعامِ والهداةِ
منهم أميرُ المؤمنين يحيى	من جدِّ الدينِ لنا وأحيا
ومن أقالَ عشرةَ الشريعةِ	بمحو كلِّ بدعةٍ شنيعةِ
عوَّده اللهُ عزيزَ النصرِ	وفتحَ كلِّ بندرٍ وثغرِ
وبعدُ فالمسائلُ المنفَّذةِ	من الإمامِ عندنا معتمدةِ
لأنه يلزمنا اجتهادهِ	بأمرِهِ في الحكمِ واعتمادهِ
ولا تقولُ فيه ما دليُّه	ولا على كيفَ بنا تعلُّيه
فهو الخبيرُ بالذي رواه	كصاحبِ البيتِ بما حواه
وقبلَه أئمةٌ قد قرَّروا	مثلَ الذي قرَّره وحرَّروا
ومن يَكُنْ للاجتهادِ صالحاً	يعرفُ فيه الاجتهادَ واضحاً
وقد أجادَ نظمها الوجيه	القاضي العلامةُ النبيه
ميسراً للطالِبينِ ضبطها	فهي لآلِ والنظامُ سمطها

٢١٢ /

وحسَنُهَا تَمَّ مع الإفَادَةِ فذوقُهَا يَحُلُو لمن أعَادَهُ
وَقَقْنَا اللهَ لما يَرْضَاهُ ملاطِفاً لنا بما قَضَاهُ
ونرتجِي لذنبنا غفرَانَا يَا رَبَّنَا حَقَّقْ لنا رَجَانَا
وصلِّ يَا رَبِّ وسلِّم أبداً على النبي وآلِهِ أَصْلِ الهدى

وقال أحدُ تلامذةِ المولى العلامةِ إمامِ السَّنةِ النبويةِ، وخاتمةِ الحفاظِ للعلومِ
النَّقْلِيَّةِ والعَقْلِيَّةِ القاضي الحسينُ بنُ عليِ العمريِّ، على لسانِ المولى، شرفِ
الإسلامِ.

الحمْدُ للهِ إِلَهِ الخَلْقِ هادي العبادِ لاتباعِ الحقِّ
حمداً يَضُوغُ نَشْرُهُ المعطَّرِ ويملاً الكونَ ثناءه الأوفَرُ
وأشرفُ السَّلامِ والصَّلاةِ تستغرقُ الأحيانَ والسَّاعاتِ
على الرِّسولِ السَّيِّدِ العَظِيمِ وآلِهِ سُفُنُ النَّجاةِ القُرومِ
ورضِيَ اللهُ عن الصَّحابةِ أهلِ الرِّشادِ عُمَدِ الإِصَابَةِ
ما قامَ لِلَّهِ إمامٌ يدعو فمَدَّه من نصرِهِ بالمرجو
مثلُ إمامِ الحقِّ مولانا المُهابِ مؤيِّدُ الدينِ بلا لاءِ الصَّوابِ
يحيى أُميرُ المؤمنينِ القَائمِ ذخِرُ الوجودِ وَغِيَاثُ العالَمِ
من خَصَّه اللهُ يَمينَ النَّصْرِ وغرَّةٌ تحكي عمودَ الفجرِ
وَمِنْحَ الاَوْهَامِ لا تُحَصَّرُ وهي من الجِسمِ الكثيرِ أَكْثَرِ
تضييقِ عن تعدادِها الدفاترِ وتزدهي بذكرِها المنابرِ
وهي التي عادَ بها للدينِ شبابهُ الناضِرِ عن يقينِ
وأوضحَتْ منهاجَ الشريعةِ وشيَّدَتْ حصونَها المنيعِ
وأَصَفَتْ للحائرِ المَظلومِ من كلِّ خبٍّ معتدٍ أثيمِ

/ ٢١٣

وزادها بفضلِهِ تحسِينا
مسائلٌ دليلُها مثلُ القمرِ
وسهَّلْتُ رفعَ خصامِ الناسِ
وقد أجادَ نظمَها بياننا
قاضي تعزِ الأوحُدِ الأجلُ
لله نظمٌ جاننا بهيّا
وشرحَ النفسِ سنا التعليقِ
فازدادتِ البهجةُ والإيناسُ
لا زال متخوِّفاً من الخلاقِ
ولا عدى المولى الامامَ نصرا
ما غرَّدَ الحادي وغنى القمري

ما اختاره في هديهِ نبينا
جاءت بحسمِ الداءِ في كلِّ نظَرِ
وأذهبتُ ضرَّ هوى الألباسِ
وزادها برصْفِهِ تبياننا
لا زال بين الفاضلين يعلو
يحكي لنا روضَ الهنى النديا
بما يروم طالبُ التحقيقِ
وانتظمتُ وردتُسه والآسُ
بكلِّ خير هامرٍ دفاقِ
يكفلُ بالفتحِ ويُفنى الكنزا
ونسيجِ النسيمِ درغُ النهـرِ

٢١٤ /

وقد قرَّظَ محرَّزُ هذه السطورِ تلكَ المنظومةَ مقتدياً بالأعلام، فقال:

سبحانَ مَنْ تعنوا له الوجوهُ
أولى ووالى منهُ التوفيقُ
أحمدُهُ حمداً يطولُ مدا
ثم صلاةُ الله والسلامُ
وإليه الكواكبُ السيّارة
ما اطلعَ الانصافُ في أفقِ الفكرِ
مثلَ اختباراتِ إمامِ الأمة
يحیی أميرُ المؤمنين البدرُ
والرحمةُ العظمى لأهلِ الوقتِ

ولا إلهاً غيرهُ نرجو
وأسبغَ النعمةَ بالتحقيقِ
ويعجزُ الحاسبُ عنه عدا
على الذي لاحَ به الإسلامُ
وصحبهِ الصيدِ ليوثِ الغاره
شمسُ هدى أنوارها تجلو النظرِ
بحرِ العلومِ أوحِدِ الأئمة
خليفةُ الله إمامُ العصرِ
ركنُ الهداياتِ وسعدُ البختِ

أوجدَهُ باري العبادِ غوثًا
فسوّرَ الدينَ بسورِ النصرِ
وذَبَّ عنه بالجهادِ المرتضى
وشبَّ بينَ العالمينَ عدلُهُ
واختارَ مارجحَ من مسائل
حلَّتْ من الدينِ محلَّ البصرِ
وزيَّنتْ مفارقَ الشريعةِ
وهي التي قالَ بها الأجلَّةُ
وانتصرتْ بكلِّ نصٍّ محكمٍ
لذلكَ جاءَ الخيرُ منها يترى
وظهرتْ أحكامها المصونة
وهكذا الحقُّ له مزايا
وزادها مِنْ راغِبٍ تقريبا
يَهْرُ منه رونقٌ لطيفُ
وتزدهي بمثلِهِ الدفاترُ
أحسنُ ما شاءَ به وزادا
ذو الفطنةِ السريعةِ الوقادة
كمْ أظهرتْ أراؤه المصيبةَ
وكمْ غزا بفهمِهِ عَويصا
شنشنةٌ نعرفها من أخزمِ
أما تراه شرحَ الصُّدُورا
فجاءَ تعليقاً يحاكي الذُّرا

/ ٢١٥

وساقَهُ للمجدِ بينَ غيثا
وصانَهُ عن منكراتِ الكُفْرِ
وسلَّ سيفَ الاجتهادِ وانتصبا
فذاذَ عن جسمِ الأمانِ العلةُ
برهانُها من أوضحِ الدلائلِ
وطاردتْ كلَّ ضروبِ الضررِ
وأوضحتْ فروقها الرِّفِعةَ
وشيدوها بُعلا الأدلةِ
مصححَ مهذبٍ مقوِّمٍ
في حسمِ كلِّ العضلاتِ جهرا
بقطعِ أسبابِ العنا ضمنيةِ
يهمي بها النفعُ على البرايا
نظمٌ حوى من السَّنا عجيبا
وحُسْنُ رصيفِ سبْكِه ظريفُ
كما علَّتْ بنقْلِهِ المحابِرُ
قاضي تعزِ الأوحْدُ انتقادا
والفكرةِ الصالحةِ المنقادةِ
شكلَ السدادِ في الملا العجيبةِ
فجعلَ الحلَّ لَهُ قميصا
ومنحةٌ تعلو على التعلُّمِ
بشرِّحِهِ واستاقَهُ ظهيرا
قد زُيِّنَتْ به الحسانُ نحرا

حرسَهُ اللهُ عن الأَفولِ وجادَهُ بالعملِ المقبولِ
يا رَبِّ وانصُرْ كوكَبَ الإمامةِ أَفضَلَ مَنْ عَزَّتْ بِهِ الزَّعامَةُ
إِمامُنَا الأعْظَمُ رَبُّنا الزَّمنِ مؤيِّدُ الشرعِ ودَفَّاعُ الفتنِ
بحقِّ ما أنزَلْتَهُ في الذِّكْرِ مِنْ سُورٍ تُتلى بِطولِ الدهرِ

وأقول: إنَّ التقاريط التي من هذا الأسلوب كثيرة، وفيما أوردته دلالةً على الباقي منيرة، وإنَّما سردتُ هذا البعض، وإنَّ لم يكن من موضوع التاريخ لما سبق من اشتماله على مدح مولانا الإمام، وبيان مزايا أياديه الجسام على جميع الأنام، وتوحيه لما فيه مرضاة الربِّ العلام.

وفيها وجهُ الأميرِ جمالُ الدين عليُّ بنُ عبدِالله الوزير هَمَّتَه بموجبِ أمرٍ مولانا الإمام إلى إصلاحِ أحوالِ ناحيةِ القَبِيْطَةِ^(١) من أعمالِ الحُجْرِيَّةِ، بعدَ إكمالِ عملِ ناحيةِ المقاطرة، وكانت أطرافُ الناحيةِ المذكورةِ مهملةً عن الإصلاحِ عريَّةً عن الضبطِ التامِ الضامِنِ للفلاح، فوجَّه إليها الشيخُ محمد بنُ أحمد نعيان مع جنديٍّ وأصحبه أحد المدافع.

/ فنكَّلَ بأهلِ الخلافِ، وألزمهم الوقوفَ على رسمِ الطاعة، وما لها من / ٢١٦
الأوصافِ، وفر من عاند إلى الصَّيِّحَةِ^(٢)، وظنَّوا أنَّ ذلك منح لهم من هؤل كلِّ

(١) القَبِيْطَةُ: على بعد ٣٠ كم من التَّربة، من ناحيةِ الحَجْرِيَّةِ، ومركز ناحيةِ القبيطة حيفان ومن أسواقها المَفاليس على بعد ٢٠ كم جنوب حيفان، من توابعها، عَزْل، اليوسفيين، الأعبوس، الأعرووق، الأعابرة، الأشاور، الهجر هذلان، حياة الأمير، ٦٢ ر٧، اليمن الكبرى، ٣٠.

(٢) الصَّيِّحَةُ: من القبائل اليمانية في اليمن الأسفل، موطنها البقعة الممتدة على طول ساحل باب المندب حتى رأس عَمْران وفَقُم (بين باب المندب ونافع)، متعددة الأفخاذ والفروع والبطون، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٣٣، تاريخ اليمن الثقافي، ٨٧ / ١، الاكليل، ١٤٣ / ٢.

صبيحة، فكاتبهم الشيخ محمد بن أحمد نعيان، وناذى أولئك الفارين، ومن نزلوا لديهم إلى العافية ودعاهم إليها، فلم يقبلوها، وأصرروا على ما هم عليه من الضلال، ودوام الاحتلال، وجرّأهم على ذلك بعد العهد بالطاعة، وأنهم لا يعرفون لأحد ولاية مع ما هم عليه من البداوة، وشدة الجهل والعبادة. ومع ذلك فلم يقتصروا على الفرار بل شرعوا هم ومن نزلوا لديهم في الغزو على المجاهدين.

وقد كان الشيخ محمد ومن معه من الجند اتخذوا معادن^(١)، وهي أقصى حدّ الناحية محطة لهم، وأقاموا فيها، ورفع قائد المحطة الخبر إلى الأمير جمال الدين، وبين ما عليه أولئك من التعصّب للفساد والتحزب للعناد وأذيتهم للمجاهدين، وانضمّ إلى ذلك تعرّض أشرار من الصبيّحة إلى السبيل، وقتل بعض المسافرين ونهب أموالهم، وبلوغ الشكوى إلى الإمام، وصدور الأمر من حضرة الإمام بتأديب أولئك المعتدين، وقد كان الأمير كتب إلى سلطان كنج بضبط أولئك الأشرار فاعتذر بأنهم لا ينقادون إلى طاعة وليس في وسعه إلقاء القبض عليهم لتعصّب رؤسائهم لهم. فأمر الأمير قائد محطة معادن بتأديب أولئك العصاة والشروع في ضبط من قدر عليه منهم، فامتثل الأمر، وبادر إلى القدوم عليهم إلى بعض محالهم من بلاد الصبيّحة، ووالى عليهم غاراته، فتجمّعوا من أطراف بلادهم، ولم يتوقفوا عن دفع إغارة المجاهدين عليهم، بل شرعوا في العدوان واستعانوا بأهل القبيطة على إفساد بعض أطراف الناحية، وحين رأى قائد محطة معادن أنّ الشرّ منهم قد أحّدق به، رفع إلى الأمير

(١) معادن: واد فيه قرى تنساب فيه مياه الجبال، تكثر فيه الزراعة، واكثرية سكان من آل سفيان، أقصى حدّ من ناحية الحجرية، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٣٤، ٤١.

مستمداً إرسال الجنود إليه وتلافي الحال، فأسعده الأمير إلى ما أراد، وأرسل إليه الأجناد من كل جهة من أهل اللواء وغيرهم من حاشد وبكيل حتى ضاق الفضاء بهم، وبلغت عدة جنود الحق في ذلك الطرف إلى نحو خمسة آلاف مقاتل فيهم من المشاهير كالشيخ عبدالله بن يحيى عبد الجليل وابن أخيه الشيخ علي همام، وبعض أولاد علي بن عبدالله بن سعيد أهل العدن وحمود بن عبد الرب عامل العدن وغيرهم، وكان المجاهدون من حاشد وبكيل تحت قيادة السيد حسن بن قاسم عثمان الوزير، فتقدم المجاهدون بعد اجتماعهم إلى وادي طفيح^(١) من بلد الصبيحة، وأجلوا من هنالك بحرب شديد، ووقف المجاهدون في الوادي المذكور وانبثوا في جهاته، ووقف المقدمي في الزيلة من محلات الوادي المذكور، وطال البقاء منهم هنالك فعاتبهم الأمير جمال الدين، وحثهم على مناجزة الباقين من البغاة، ولأمهم على مرور الأيام بدون جدوى / ١٧ ولا طائل، وهو مع ذلك يرادف إرسال الأجناد إليهم، وما يحتاجون إليه من الذخيرة والزراد، فانتدب لهم الشيخ عبدالله بن يحيى عبد الجليل وكافة جنود الحق من أهل لواء تعز ورؤسائهم، ومعهم المدفع، وتوغلوا في خبوت الصبيحة وطرودا جموع الباغين وأذواقهم مر النكال وعظائم الأهوال، واستولوا على أكثر القرى، ومنها مدينة الفرشة^(٢)، وهي أكبر محلاتهم، ثم ساقوا جيوشهم ونازلوا قلعة المنصوري، وقد اجتمع إليها رؤساء الصبيحة ومقاتلتهم وصناديدهم. وقد كان أهل الصبيحة استمدوا من الإفرنج أسلحتهم ومؤنتها وأعطوهم من ذلك الكثير، وكاتبوا أهل الأطراف بإعانتهم كالحواشي وغيرهم، وأمدوهم فدارت

(١) وادي طفيح: من أرض الصبيحة يسكنه فخذ الجروي من قبيلة الديني أنظر تاريخ

القبائل اليمنية، ٣٨.

(٢) الفرشة: من بلاد الصبيحة.

رحى الحرب بين الفريقين في حرارة القيظ، وصبر الفريقان صبراً عظيماً، ووالى جند الحق الزحف على الأعداء، واستشهد من المجاهدين جماعة كالشيخ علي همام، وطال الأمر والنضال، ولم تسفر الحال عن المراد، وتراجع بعض المجاهدين إلى ورائهم، وأعاد الأعداء ما نصبوه من الكمين على المجاهدين، فإنه أضعف همم المجاهدين، فاضروا إلى الرجوع إلى الفرشة وباتوا بها، ورفع بالحقيقة رؤساء المجاهدين إلى الأمير وإلى السيد الأجل حسن بن قاسم عثمان، وكان باقياً هو ومن معه من الجند في وادي طفح، فبادر الأمير إلى حث الجند الإمامي باللاحاق إلى الفرشة وتدارك المجاهدين الذين هنالك، ومبادرة الجميع لمناجزة جموع الباغين، فبادر المقدمي المذكور، ووصل إلى الفرشة، فوجد المجاهدين قد أعادوا الكرة على الأعداء، وشرعوا في مناجزتهم وأصلوهم نادراً حامية وبدلوا سراهم بالضراء فحين وصل هذا المراد العظيم انقطعت آمال هذا العناد من القدرة على المقاومة ورد ذلك السيل الجسيم، ولكنهم لم يتركوا الحرب، فطال العراك وعظم الاشتباك، وحمي الوطيس وتيسر للمجاهدين بعد أهوال اقتحام القلعة، وقد فر من فيها، ومزقوا الأعداء شر ممزق، وتبدد جمعهم وتفرق، وكانت قتلهم كثيرة، ومن الجملة أكثر رؤسائهم، وصاحب القلعة المذكورة وانحل أمرهم وبلغ الفارون إلى عدن ولحج، وامتلات منهم الساحات، وعم الرعب والفرق كافة من في تلك الجهات، وغنم المجاهدون من القلعة المذكورة غنائم كثيرة، وبعد الاستيلاء عليها حط الجيش أثقاله في تلك النواحي، ومكث مرابطاً هنالك امتثالاً لما أمرهم به الأمير وقاس منه وخامة هواء تلك البلاد أنواعاً.

ولما بلغ إلى الأمير جمال الدين^(١) أنَّ جماعةً من أهل الحواشبِ أجابوا أهل الصَّبِيحَةِ وحضروا معهم في وقائعهم، وكانوا من أعظم الأسباب في صعوبة الاستيلاء على قلعة المنصوري، أمر الأمير الشيخ نور الدين بن حسان بالذهاب إلى ماوية في خمس مئة رام من أهل جبل حبشي، وقد كان لهم في وقائع المقاطرة أثرٌ حسنٌ وإقدامٌ مُتَقَنَّ، وأمر الأمير أيضاً طائفةً من الجند الإمامي باللحاق بهم، فذهب ذلك الجمعُ إلى ماوية، ومنه تقدَّم إلى الدُرَيْجَةِ^(٢)، وناوشوا الحواشبِ بالحرب، وانضمَّ إليهم عاملُ الإمام الشيخ قايد صالح، وداخل أهل الحواشبِ مِنَ الرَّعب والخوفِ ما تركوا به أوطانهم وهاموا على وجوههم، وبعضهم دخلوا إلى لحج وعدن، فغصَّت بهم وبأهل الصَّبِيحَةِ البقاعُ، واضطرب الحال في عدن وحواليه وتوالت الأفرارُ، وكثُرَ الإرجافُ بوصول الجند الإمامي، وتقدَّمه على تلك الأصقاع، وكان للإفرنج محطةٌ في دُكَيْم^(٣) بالقرب من لحج، فيها جمعٌ من جنود الإفرنج، وجملةٌ وافرةٌ من مدافعهم وآلاتهم، فترقَّب الإفرنجُ فرصةً غفلةً من في الدُرَيْجَةِ، وأمنهم من الخطر وأرسلوا طيارتين من طياراتهم الحاملة للمقذوفات الجهنمية، وكانوا من قبل لا يرمون من الطيارات إذا طافوا بها في تلك الأنحاء، فحلَّق الطيارون بطياراتهم فوق الدُرَيْجَةِ، وخرج المجاهدون للتفرُّج عليهما،^[١] لكن ما عدا^(٤) أهل جبل حبشي كانوا على احترازٍ من مكرِ الأعداء.

(١) الدُرَيْجَةِ: قرية ما بين ماوية ولحج في منطقة الصَّبِيحَةِ بجنوب اليمن، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٣٠، حياة الأمير، ٦١٩.

(٢) دُكَيْم: محطة للمسافرين إلى لحج، تقع على ميزاب تُبْن، سيل لحج، انظر، معجم المقحفى، ٢٣٨.

[١ - ١] في س، الا.

وأما أهل جبل حبشي فلم يحتزوا بل اجتمعوا فوق الأكام، وقعدوا يتفرجون على الطيارتين المحلقتين عليهما، وهم غافلون عن مكرهم، فاغتموا من أولئك الفرصة، وقذفوا عليهم من القلل التي تحملها الطيارات، ولما وصلت إليهم انفجرت بينهم، واستشهد من المجاهدين جماعة، وجرح جماعة، وبادر الباقون إلى الفرار إلى ماوية وتبعهم غيرهم من الجنود، ولم يبق أحد منهم في تلك الجهة، وتم للإفرنج ما أرادوه من الإرهاب وتقوية جانب أهل الحواشب وغيرهم، وذلك من نتائج إهمال/ الحزم والاحتياط من مكر العدو، واضطرب الحال هنالك، فلم يجد الأمير جمال الدين بداً من تلافي الأحوال، وتسكين ما طرى من الاختلال والاعتلال، وكان حينئذ مقيماً في تربة يفرس^(١) رداً لمحطات المجاهدين، فبادر إلى الانتقال منها قاصداً ماوية بجيوش سدّت الفضاء، وضاقّت بها الرّحاب.

ولما وصل إلى تلك الجهة أزال ما فيها من الاضطراب وأصلح ما فيها من الاعتلال، وأعاد المراتب إلى ما كانت عليه من المنعة، واقتضى الرأي الشريف الإمامي صدور الأمر الشريف لى الأمير جمال الدين بالتوقف عن التقدم لمصلحة رآها الإمام، فبقي الأمير في ماوية وأوامره نافذة إلى جميع الأطراف والأكناف.

وفي أثناء إقامته، وصل إليه جماعة من أمراء الحُج، وكانت بينهم وبينه المراجعة، ومكثوا لديه أياماً، ثم عادوا إلى الحُج، وظهر من مراجعتهم محاولة رفع الجيش من الصبيحة، وأنهم قد تابوا من العود إلى التعرّض على أبناء السبيل، وأنهم راضون بما يحكم عليهم في شأن ما مضى منهم من هذا الفعل الويل.

(١) يفرس: أحد فروع جبل حبشي، بها جامع أثري، على بعد ٣٠ كم في الجنوب الغربي من تعز، وفيها، قبر أحمد بن علوان. انظر، حياة الأمير، ٦٣٤.

وقد كان المجاهدون الذين في الصَّبِيحَةِ سئموا من طولِ الإقامة فيها، ولحقَّتْهم فيها الأمراضُ، فترجَّحَ لدن مولانا الإمامَ بعدَ الرِّفْعِ إليه بحقائقِ ما هنالك من المتاعِبِ الجسامِ، صدورُ الأمرِ الشريفِ بارتفاعِ المُحاطِ من بلادِ الصَّبِيحَةِ وبقاءِ الجندِ الكافي في معادن. ولم يرتفعِ الجندُ الإماميُّ من هنالك إلا بعدَ أنْ أُخْرِبَ قلعةُ المنصوريِّ إلى القرارِ، وذاقَ أهلُ الصَّبِيحَةِ من الأهوالِ ما لم يخطرَ لهم على بالٍ ولا دارَ بالأفكارِ. وبعدَ بُبْثِ الأميرِ جمالِ الدينِ شهوراً في ماوية، عادَ إلى تعزٍ، مخفوفاً بالنصرِ وهيبةِ العزِّ.

وفيها رجَّحَ رأيي مولانا الإمام -عليه السلام- إعادةَ السيدِ الأجلِّ علي بن محمد المطاعِ إلى رَدَاعٍ، وأمرَهُ بالتوجُّهِ إليها للقيامِ بأعمالِها، فتوجَّهَ إلى هنالك ومعه ثلَّةٌ من الأجنادِ، أهلُ الثباتِ زيادةً على من هنالك من العسكِ وبوصولِهِ إليها ارتفعَ السيّدُ العلامةُ يحيى بنُ علي الذاري، وعادَ إلى المقامِ الإمامي فباشَرَ الأعمالَ وضبطَ ما اختلَّ من الأحوالِ بالإصلاحِ النافي للاختلالِ والاعتلالِ.

وقد كانَ جرى في أواخرِ العامِ الماضي أنَّ العاملَ توجَّهَ إلى دَمَتْ^(١) مريداً فصلَ المادةِ التي طالَ النزاعُ فيها ما بين قِيَقَةَ والمتصدرِ عليهم / الشيخ محمد بن / ٢٢٠ / سعيد الذهب، وبين صَبَّاح^(٢) والمتصدرِ عليهم الشيخ يحيى علي علاو، وذلك

(١) دَمَتْ: ناحية من قضاء النَّادِرة، بالشرق الشمالي من إب على مسافة ١٣١ كم انظر، معالم الآثار، ٩٣، اليمن الكبرى، ١٤٤، المدارس الإسلامية، ١٦٢، معجم الحجري، ١ / ٣٦٥ (بها قلعة حصينة، وبالقرب منها حمام طبيعي يقصده الناس من جهات شتى للاستشفاء به من الأمراض، بجانب الحمام وادي ثُرَيْد).

(٢) صَبَّاح: من قرى ناحية ذي ناعم بالبيضاء من رَدَاعٍ، وصَبَّاح، قرية من ناحية الجَبِّي انظر، اليمن الكبرى، ٤٤، معجم المقحفي، ٣٧٣، معجم الحجري ٢٠ / ٣٦٠، الاكليل، ١٠ / ٢٥٢.

من أجل حصن قرن الملح^(١)، وهو بين حدود الطرفين، وكان بيد أصحاب الذهب، فغزا أهل قرية مشورة من صباح، وقُتِل من الفريقين عدة قتل، وذلك بزمين عمالة السيد علي بن محمد المطاع المرة الأولى، واستولى أهل صباح على الحصن المذكور، فصدر الأمر من مولانا الإمام بتأديب المعتدين، وساق عليهم العامل عصابة من الجند الإمامي في حينه، فأخرجوا أهل مشورة^(٢) ومن معهم من الحصن المذكور، وساقوا أعيان أهل مشورة في الأغلال، وضرب العامل عليهم بأمر الإمام أدباً لبيت المال على قدر جرمهم، وآل الأمر إلى وصول الشيخين المذكورين إلى حضرة الإمام والطرفان يدعيان تملك الحصن المذكور، فمكثا مدة مديدة في محاكمة، وصدر في نهايتها الحكم الذهب وأصحابه في الحصن المذكور دون أكثر الأموال المحيطة به، فهي لأهل^[١] صباح، ولم يقنع الغريبان، وتوفي في خلال ذلك محمد سعيد الذهب، وقام ولده الشيخ عبد الولي بن محمد مكانه، فأمر مولانا الإمام السيد العماد يحيى بن علي الذاري عند توجّهه، بأن يتولّى إكمال فصل النزاع، فوصل في أثناء إقامته هنالك إلى دمت، وحضر الشيخ علاو والشيخ عبد الولي الذهب إليه، فثارت بين يدي العامل الفتنة عند أن أمر بحبس عبد الوالي وقُتِل حينئذ اثنان من الحاضرين وجرح آخر، وكاد الشر أن يصل إلى العامل لولا تيسر إطفاء الفتنة، فكان ضبط علاو والذهب وبعض أصحابها وإرسالهم إلى حضرة الإمام، فأودعوا دار الاعتقال، وانضم إلى ذلك الشيخ علي بن أحمد جرعون، كان في المقام أيضاً، فاقضى

(١) قرن الملح: حصن في جبل الملح بتهامة جنوب اللحيّة، وملح، محلة في نهم، ودار ملح، من عزلة بلاد غيل وأعمال المحويت والملح، قرية في جبل باقم من قضاء جماعة وأعمال صعدة، والمقصود جبل تهامة، انظر، معجم المتحف، ٦٢٨.

(٢) مشورة: قرية في جبل المشورة الواقع في الجنوب من جبل حبيش، انظر، اليمن الكبرى،

الحال حبسه والجهمي كان محبوساً أيضاً من العام الماضي، فكان توجيه السيد علي بن محمد المطاع وأكثر مشايخ جهة ركّاع محبوسين في القصر السعيد، ولا يخفى ما عليه المشايخ من الأطماع وحيلولتهم محافظة على موارد أطمائهم بين الرعية ودوام السكون، فكان الحبس للمذكورين مما أعان العامل على القيام بأعماله على ما يرام.

ومن أول أعماله أن أنفذ ما أمره الإمام به من هدم حصن قرن الملح المذكور إلى القرار دفعاً للخصومة بين الفريقين؛ لأنّ تصلّبهما عليه لم يكن لأجل كونه بيتاً، بل لكونه دركاً يتمكن به ساكنه من أذية الآخر.

وفي خلال ذلك احتال الشيخ محمد بن علي الجهمي في فراره من الحبس، فاهتم مولانا الإمام -عليه السلام- بأمره، وكتب التلغرافات إلى سائر الجهات بإلقاء القبض عليه، وأمر عامل ركّاع بانفاذ/ عصابة من الجند إلى بيوت الشيخ / ٢٢١ المذكور، وهي حصون منيعة مرتفعة إذا وصل إليها الشيخ المذكور، وأراد التمتع وإيقاظ الفتنة، تيسّر له ذلك، فأرسل العصابة المذكورة، وقبضوا الحصون المذكورة، وأمرهم مولانا الإمام بهدم أهمّها مناعة فهدموه.

وبعد أيام، وقع الظفر بالشيخ محمد علي الجهمي في إحدى قرى مخلاف عنس^(١)، وسيق إلى دمار، ومن هنالك أرسل إلى حضرة الإمام وأعيد إلى محبسه، ولم يحصل على طائل من فراره، بل جلب على نفسه المحنة بخراب حصونه.

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

ثم استمدّ العامل المذكور من مولانا الإمام إرسال الجنود اللازمة للاستيلاء على ناحية السوادية، وكانت متروكة مهملة منذ عاد عنها سيف

(١) مخلاف عنس: ناحية واسعة غربي دمار بمسافة ٤١ كم، انظر، نيل الوطر، ٢/ ٣٤٠.

الإسلام المولى أحمد بن قاسم حميد الدين، وكان الشيخ أحمد بن قايد الجبري من مشايخها يتظاهرون بالميل إلى دولة الإمام، ويودّ الدخول في الطاعة، ولكنه يعتذر بامتناع من سواه من المشايخ بالناحية وقبائلها عن الطاعة، ويستمدّ إرسال الجيش الإمامي لإخضاع النافرين، ووعدّ بالمعاونة، وطلب من العامل أن يَصان جانبهُ، ويُراعى حقُّهُ، فوعدّه العامل بما أراد ومراجعة العامل للإمام بأن يكون نصّبه عاملاً على البلاد، وقد سبق ما هو قريب من هذا في العام الماضي، مع العامل السابق، ولما تمّ الوفاق على هذا، ورفع العامل حقيقة الحال، وإلى مولانا الإمام متابعة إرسال الأجناد إلى رَدّاع إلى أن كُمِّلَت العُدَّة المطلوبة، وأمر مولانا الإمام عامل رَدّاع بجمع جيش من بلاد رَدّاع وقبائلها، فجمع من أهل النجدة ثمان مئة رام وزيادة، وانضموا إلى الجنود التي أرسلها مولانا الإمام، فبلغت عُدَّة الجيش المعيّن للسودانية ألفاً وثمان مئة مقاتل غير الاتباع، فيهم من المشهورين بالرياسة جماعة كالنقيب محمد بن عبد الوهاب بن سنان الأرحبي وعلي غانم بن مهدي وغيرهم^[١] من رؤساء أرحب، ومن حَوْلان كثير من^[٢] عقّال بطونِها^[٣]، وكذلك من حاشد من بني صريم وخارف ولما أخذ الجيش أهبة للعزم، ومعه أحد المدافع، وصل الشيخ أحمد بن قايد الجبري وأخوه محمد بن قايد إلى رَدّاع وأوصلا أولادهما إلى رَدّاع على ما كان به الوفاق بينه وبين العامل، واعطاء العامل إلى الشيخ أحمد الرأي^[٤]، الشريف بالعمالة، وإلى أخيه أمر المشيخ وتوجّه الجيش من رَدّاع في سادس شهر ربيع الأول/ من السنة وقد عيّن مولانا الإمام قائداً للجنود الإمامي الشيخ صالح بن صالح الطيري^(١)، شيخ مشايخ مَخلاف العرش لمكان خبرته بالبلاد، فبات الجيش في ذلك اليوم

/ ٢٢٢

(١) صالح بن صالح الطيري: من مشاهير الرؤساء في اليمن، شيخ بلاد العرش، انظر، معجم الحنجري، ١/ ٣٦٣.

[١] في س، وغيرهما. [٢ - ٢] في س، عقّالها. [٣] في س، الأمر.

بأطراف البلاد الإمامية.

وفي اليوم الثاني، وصل إلى آل غنيم^(١) من السَّوَادِيَّة^(٢)، وهم المنتمون إلى أولاد قايده الجبري فتلقَّوْهُم بالترحيب، وأضافوا الجيش كلَّه، وحضَّر إلى قائدهم كبار آل غنيم^(٣) من آل السلال وآل بصير وآل سرحان وآل مَنْصُور ومن عَبَس^(٤) وشيخهم ضيفُ الله علوي ومن عَمِدٍ وشيخهم طالبُ بن أحمد بعد الأمان للشيخين المذكورين وجماعتهما، وواجه الجميع بالطاعة والإنقياد والدخول في سلك حزب الرِّشاد.

ثم انتقل الجيش من هنالك متوغلاً في بلاد السَّوَادِيَّة، وقد هرب أهلها، وكذلك أهل عَفَّار وذاهبة^(٥) والطَّفَّة^(٦)، فاستقرَّ في محلِّ الشيخ حسين حسن السَّوَادِي، ومحلات الشيخ محمد عبده حسين، وأرسل العامل بالامانات اللازمة

(١) آل غنيم: من آل ربيع من آل أحمد أصحاب الجَبَرِي، مساكنهم ما بين رداع والسَّوَادِيَّة، وشيخهم الجبري، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٦٢، ٢/ ٦٢٦.

(٢) السَّوَادِيَّة: ناحية من رداع العرش في الجنوب الشرقي من صنعاء شرقي ذمار بمسافة ١٥٠ كم، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٦٠، معجم المقحفي، ١/ ٣٣١، من توابعها، العُزَل التالية: بنو وهب، بنو منصور الملاقم، آل حسن، الطاهرية، الحراتيك، آل غشام الملاحم، رَدَّمان آل عوض، ذاهبية، حوران مشنير، حورات آل عامر، السادة، آل عامر، ذو القمر آل عوض، حربة آل عوض، فاقع آل عوض، انظر، معجم المقحفي، ٣٣١.

(٣) عَبَس: ناحية في ثُهامة، يقال لها عَبَس بن ثواب مركزها الرَنْف من أعمال مِيْدِي، لواء حَجَّة، انظر، معجم المقحفي، ٢/ ٥٧٤.

(٤) ذاهبة: من قبائل قَيْفَة غير القرشيين من رداع العرش، انظر معجم الحجري، ١/ ٣٦٤.

(٥) الطَّفَّة: قرية من بلاد البيضاء، وهي مركز ناحية، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٥٨٨، معجم المقحفي، ٤٠٣.

[١ - ١] سقطت من س.

إلى قائد الجيش والشيخ أحمد الجبري، فعاد بالأمان سكان وادي عمَد^(١)، وهي قرى متعددة، ثم أصحاب حسين حسن ودخلوا في الطاعة، وبعدهم طلب الأمان أهل الطاهرية^(٢) وهي من المحلات التي اتخذها الإمام المهدي^[١] أحمد^(٣) بن الحسن عند دخوله إلى المشرق محطة، وله فيها جامع باقٍ إلى الآن، فكان تأمينهم، ثم طلب الأمان أيضاً السلطان علي بن حسن الرصاص وجماعته فأمنوا، وكذلك أهل زهران وآل عواض طلبوا الأمان، ووصل كبارهم إلى المحطة ثم سلاطين أهل ذي خير^(٤) من آل بهجه، ووصل كبارهم إلى المحطة، ودخلوا في الطاعة رغبة ورهبة. وإرشاد عامل القضاء كان الرمي بالمدفع مرات فسمع أهل تلك الجهة ما لم يعهدوه وهابوا وارتاعوا، لأنهم لم يكونوا قد سمعوا أصوات المدافع، وكان السلطان صالح بن أحمد الرصاص قد أخرب بيتين له في الزهيرية وأبقى النوية، واستعد للقتال، ومعه أخوه السلطان حسين بن أحمد، وانضم إليه الشيخ سالم أبو بكر، والشيخ أحمد صلاح، وهما أهل حصون عفار، وكذلك كبار عفار والطفة جميعهم، وشايعهم الشيخ عبدالله الخضر من آل

(١) وادي عمَد: عَزَلَةٌ فيها ثمان قرى من قبائل قَيْفَةَ غير القرشيين، انظر، معجم الحجري، ٣٦٤/١.

(٢) الطاهرية: نسبة إلى آل طاهر، منهم السلاطين بنو طاهر بن معوضة بن تاج الدين ملوك اليمن بعد بني رسول، من قبائل قَيْفَةَ غير القرشيين، انظر معجم الحجري، ٣٦٤/١.

(٣) المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم ت بالمواهب سنة ١١٣٠ هـ، تولى الإمامة سنة ١٠٩٧ هـ في زمنه أخضعت يافع وجزيرة زيلع، واختط مدينة الخضراء على مسافة ميل من ركّاع انظر، البدر الطالع، ٩٧/٢، فرجة الهموم، ٢٢٢، نشر العرف، ٤٤٩/٢، تاريخ المخلاف السليمان، ٣٨٤.

(٤) ذي خير: المقصود اِمارة آل خيرات على المخلاف السليمان.

[١] في س، المهدي لدين الله، أحمد بن الحسن الإمام القاسم.

غَنِيْمٌ، فَإِنَّهُ فَرَّ مِنْ دَوْرِهِ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ عَفَّارٍ، فَكَانَ تَرْتِيبُ دَوْرِهِ بِالْمُجَاهِدِينَ، فَاجْتَمَعَ الْمَذْكُورُونَ وَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ، وَحَشَدَ السُّلْطَانُ صَالِحَ الْمَذْكُورِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمَلَاجِمِ وَذِي نَاعِمٍ، فَرَأَسَلَهُ عَامِلُ رَدَّاعٍ وَنَصَحَهُ فَاِنْقَادَ ظَاهِرًا، وَوَصَلَ إِلَى الْمَحْطَةِ بِالْأَمَانِ، وَأَرْسَلَ لَهُ الْعَامِلُ / بِالْكَسْوَةِ وَأَكْرَمَهُ غَايَةَ الْإِكْرَامِ، وَطَلَبَ مِنْهُ / ٢٢٣ الْوَصُولَ إِلَى رَدَّاعٍ، فَاعْتَذَرَ، وَطَلَبَ الْإِمَهَالَ ثُمَّ عَادَ إِلَى الزُّهَيْرِيَّةِ، وَتَمَسَّكَ بِالْعِنَادِ، وَاتَّفَقَ مَعَ الشَّيْخِ سَالِمِ أَبُو بَكْرٍ، وَأَهْلِي عَفَّارٍ عَلَى تَسْلِيمِ الْحَصُونِ إِلَيْهِ، وَظَنَّ أَنَّ مَنَاعَتَهَا سَتَحْمِيهِ مِنْ نِيرَانِ جَيْشِ الْإِمَامِ، وَغَرَّهُ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ قُوَّةِ الْبِنَاءِ وَإِحْكَامِهِ، فَقَدْ وُصِفَ مِنْ قُوَّةِ بِنَائِهَا أَنَّ عَرَضَ الْجِدَارِ مِنْ أُبْنِيَةِ الْحَصَنِ الْمَذْكُورِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَذْرَعٍ، وَالْحَجَرُ مِنْهُ فِي ذَلِكَ الْمَقْدَارِ نَافِذَةٌ مِنْ وَجْهِ الْبِنَاءِ إِلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنْهُ. وَلَمَّا تُنْفَعُهُ رِسَائِلُ النَّصِيحِ، أَمَرَ مَوْلَانَا الْإِمَامُ بِمَوَاقِعَتِهِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي تِلْكَ الْحَصُونِ، فَرتَّبَ قَائِدُ الْجَيْشِ جُنْدَ الْإِمَامِ، فَجَعَلَ أَرْحَبَ مَعَ الْمَدْفَعِ فِي جِهَةٍ، وَمَعَهُمُ الْمُقَدَّمِيُّ، وَأَهْلُ رَدَّاعٍ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى مُحَلَّاتِ الطَّفَّةِ مِنْ وَرَاءِ الْحَصُونِ؛ لِمَنْعِ مَدَدِ الْعَدُوِّ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ، وَخَوَلَانُ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى مُحَلَّاتٍ مَعِينَةٍ، بِقَصْدِ الْحَصَارِ لِمَنْ فِي الْحَصُونِ، فَتَقَدَّمَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ إِلَى الْمُحَلَّاتِ الَّتِي أَمَرَتْ بِهَا وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا، وَاقْتَصَرَ قَائِدُ الْجَيْشِ عَلَى رَمِيِ الْحَصُونِ بِالْمَدْفَعِ، وَتَمَكَّنَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَصَنِ الَّذِي فِيهِ السُّلْطَانُ صَالِحُ الرِّصَاصِ، فَأَمَرَ بِالرَّمَايَةِ عَلَيْهِ دُونَ سِوَاهُ، وَالتَّرَامِي بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مُسْتَمِرٌّ، فَتَيَسَّرَ بِرِصَاصِ الْمَدْفَعِ إِخْرَابُ جَانِبٍ مِنَ الْحَصَنِ الَّذِي فِيهِ السُّلْطَانُ الْمَذْكُورُ، وَأَيْسَرَ مَنْ فِي الْحَصُونِ مِنْ إِمْكَانِ وَصُولِ الْمَدَدِ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ، وَكَانَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ صِلَاحٌ قَدْ خَرَجَ مِنْ حَصْنِهِ الْمُنِيْعِ، وَأَبْقَى فِيهِ جَمَاعَهُ، وَتَخَيَّرَ مَكَانًا يَتِمَكَّنُ فِيهِ مِنَ الرَّمْيِ عَلَى مَنْ حَوْلَ الْمَدْفَعِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الْجُنْدُ الْإِمَامِيُّ وَلَا قَائِدُهُ مُتَوَقِّعِينَ حَصُولَ

ضرر من تلك الجهة، فلما تمكّن من ذلك المكان هو أصحابه، أطلقوا بنادقهم على أصحاب الإمام، فاستشهد النقيب عبد الوهاب بن حسين أبو حليقة، وأخذ الطبقجية، وآخر من ركّاع، رحمهم الله، ولما شعروا به وبمكانه، أقدم عليه المجاهدون كالأسود وهاجموه إلى مكانه، ففرّ هو ومن معه، فدام الحرب على من في الحصون ثمانية أيام، وفي آخرها ركنوا إلى الفرار، ودخل المجاهدون إلى الحصون، واستولوا عليها، وأمر الإمام بإخراص الحصون، فوضعوا فيها الباروت وأشعلوه، ولم يؤثّر فيها، ثم أُخربت بالأيدي، وبقي الجيش يعمل في هدمها أياماً، ثم عطف عامل ركّاع نظره إلى أخذ الرهائن من جميع قبائل السّودانية فانقادوا، ولم يبق منهم بطن بدون رهينة، وضبط الأمور، ورتبها أحسن ترتيب، واستأذن مولانا الإمام في عمارة حكومة في مركز السّودانية، فأذن له الإمام بذلك، وأمره باستمالة الرصاص، ولما بينه وبين الطيري من النفور، أمر قائد الجيش بالرجوع إلى ركّاع، ثم دارت المراسلة بواسطة الجبري بينه وبين الرصاص، وتم الأمر على أن يكون الرصاص عاملاً على البيضاء، بشرط رجوعها إلى قبضته لأنها بيد الحميقاني، فجرى الحرب بينهما، وفي أثناءها، وقع قتل صالح الرصاص على يد الحميقاني، وصلحت أحوال السّودانية جميعها، ورجع الجند من هنالك، وبقي فيها حاكمها وعاملها.

^١ وفيها توفي السيد الفاضل محمد بن يحيى شريف من علماء صعدة وأعيان ساداتها، وأدركته المنية وهو في سن الكهولة، وكان من العلم بمكان، وإليه يُشار بالبنان، ويُقصد لفصل الخصام وإصدار الأحكام، ولم يبلغ إلي من أحواله ما يكون كافلاً بالتعريف به وإيضاح ترجمته كما ينبغي حال التحرير، فلذلك

كَانَ مِنِّي الْاِقْتِصَارُ عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ^[١].

وفيهما أُنيطتُ أعمالُ الشَّرَفَيْنِ وحجورُ إلى المولى، سيفِ الإسلامِ أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين، وانقضى هذا العامُ وهو مقيمٌ بحجَّةَ، وقد أحكمَ جميعَ أمورِها وضَبَطَها الضبطَ التامَ، وقاسى في ذلك متاعبَ تجاوزَها إلى المرامِ بصراحةٍ واهتمامٍ؛ لأنَّ في تلكِ الأطرافِ كثيراً من النقايلِ من حاشدٍ وبكيلٍ، ولم يكونوا يخضعونَ لَمَنْ قبلَه في التحريِّ على واجباتِهِم وغيرِها، فألزمَهُم المولى سيفُ الإسلامِ بأنَّ يكونوا من جملةِ أهلِ البلادِ، وأمرَ الخارصينَ للواجباتِ أنْ يخرصوا أملاكَهُم مثلَ غيرِهِم، فكثُرَ منهم لأجلِ ذلكِ الاضطرابُ والاعتصابُ، ولم يبالِ بهم بل شَدَّدَ العزيمةَ في إمضاءِ ذلكِ، وتمَّ له ما أرادَ مِنَ الضبطِ المستجادِ.

وفي أواخرِ هذا العامِ، أمرَ مولانا الإمامُ جمالُ الإسلامِ عليَّ بنَ محمدِ الشامي بالعزمِ إلى رِيْمَةَ لاسلامِ زمامِ أعمالِها وجهادِها، كما كان من قبلُ للإلحاحِ القاضي أحمدَ بنِ أحمدِ الجرافي على مولانا الإمامِ في رفعِ التكليفِ بذلكِ عنه، متعذراً بعدمِ تَمَكُّنِهِ من القيامِ بأعمالِ الجهةِ الأنسيةِ ورِيْمَةِ معاً، فتوجهَ السيدُ جمالُ الإسلامِ إلى هنالكِ، واستلمَ زمامَ الأعمالِ وارتفعَ بوصولِهِ السيدُ عبدُ الكريمِ بنِ إسماعيلَ الكوكباني من هنالكِ، ووصلَ إلى حضرةِ مولانا الإمامِ.^[١] وههنا وقفَ جوادُ القلمِ في بيانِ ما حصلَ في هذهِ السَنَةِ من الحوادثِ في البلادِ الإماميةِ. ومما وقفتُ عليه من أشعارِ الفقيهِ أحمدَ بنِ صالحِ الجلال، التي رفعها إلى الحضرةِ الشريفةِ في أثناءِ هذا العامِ، قوله من قصيدةٍ مطلعها:

[١ - ١] من عبارة «وههنا وقف جواد القلم حتى عبارة ودرر نحو الكعاب»، سقطت من س.

[الخفيف]

حيّ من طال للأمور مراسا
الإمام الهمام من فاق فهما
دوّخ الأرض فهي تُجبي إليه
وأنته الوفود قوماً فقوماً
وتولى البلاد شرقاً وغرباً
كلّ من رام للخليفة حرباً
هو سرّ الوجود طاب جهالاً
هو بحر من العلوم عميق
التمس فضله الجزيل تجده
وارتقب بأسه الشديد لغابن
هو للمؤمنين قرة عين
هو للسائلين كعبة خير
وهي طويلة، والمختار منها هو ما نقلته، وله أيضاً من قصيدة أخرى في
مدح مولانا الإمام - عليه السلام - قوله بعد مطلع ونسب لم استحسن إثباته:

[الخفيف]

الإمام الهمام بدر الليالي
هو نور ورحمة وأمان
قام بالقسط في العباد وبالعد
رافق الرفق فهو خير رفيق
ولقد فاق من تقدّم سلطا
يا إمام الهدى أنرت الليالي
قمر الكون طيب الأغراس
وغيث ونعمة للناس
ل قياماً وزان بالقسطاس
ليس بالفظ والغليظ القاسي
نا وشاناً فما له من قياس
فتراءت في حلة الإناس

أَنْتَ مِنْ خَيْرِ مَعْشَرٍ وَكَرَامٍ
أَنْتَ مِنْ خَيْرِ مَنْ بِهِمْ عُرِفَ الْخَيْرُ
قَرَّ عَيْنًا فَأَنْتَ خَيْرُ إِمَامٍ
نَحْنُ فِي الْيَمَنِ مَا بَقِيَتْ أَخَا الْيَمَنِ

شَرَّفُوا فِي الْوَرَى وَخَيْرَ أَنْاسٍ / ٢٢٦
وَمَنْ طَهَّرُوا مِنَ الْأَذْنَانِ
صَحَبَ الدِّينَ صَحْبَةَ الْأَكْيَاسِ
فَلَكُنَّا نَخَافُ مِنْ إِبْلَاسٍ

وهي طويلة أيضاً، وله من أخرى في مدح مولانا - عليه السلام - : [الرملة]

سَيْدِي مَا زِلْتَ بِالْفَضْلِ جَدِيرًا
أُودِعَ اللَّهُ تَعَالَى سِرَّهُ
أَنْتَ سِرُّ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ وَمَا
أَنْتَ مَنْ أَصْبَحَ لِلدِّينِ يَدًا
أَنْتَ يَمَنُ ظَهَرَ الْحَقُّ بِهِ
يَا ابْنَ يَاسِينَ وَطَهُ خَيْرِ مَنْ
يَا ابْنَ سَادَاتٍ كَرَامٍ سَبَقُوا
يَا ابْنَ أَزْبَابِ الْمَعَالِي وَالْعُلَا
يَا ابْنَ قَوْمٍ لَمْ يَزَلْ قَائِمُهُمْ
سَادَةٌ سَادُوا فَجَادُوا وَغَدَوْا
هُمْ هِدَاةً يَهْتَدِي النَّاسُ بِهِمْ
حُجَّجُ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ إِذَا
كَمْ أَرَانِي اللَّهَ مِنْهُمْ سَيِّدًا
أَنْسُوا بِالْحَرْبِ لَا بِالْإِنْسِ وَاسْتَبَدَّلُوا
فَازَ مَنْ وَالَى بَنِي الزَّهْرَا وَإِنْ
يَا إِمَامًا أُمَّةَ الْخَيْرِ وَمَا

وَمِنْ الْجَوْرِ مَغِيثًا وَنَصِيرًا
فِيكَ حَتَّى صِرْتُ لِلْأُمَّةِ نَوْرًا
زَالَ سِرُّ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ كَبِيرًا
وَلِسَانًا وَسِنَانًا وَظَهِيرًا
وَتَجَلَّى فَحَكَى الشَّمْسِ ظَهْرًا
جَاءَ بِالْحَقِّ بِشِيرًا وَنَذِيرًا
مَا لَهُمْ وَاللَّهُ فِي الْكَوْنِ نَظِيرًا
وَذَوِي الْفَضْلِ قَدِيدًا وَأَخِيرًا
شَاهَرِ السَّيْفِ عَلَى الدِّينِ غَيُورًا
كَالْحَيَا وَمَا زَالَ رَبًّا طَهُورًا
وَلِذَا صَارُوا نُجُومًا وَبُدُورًا
مَا رَأَوْا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا
صَارَ فِي سَوْدَدِهِ الْكَوْنُ حَقِيرًا
بِالْمَنْزِلِ الْأَدْنَى خَطِيرًا
حُشِرَ الْقَالُونَ يَصْلَحُونَ سَعِيرًا
زَالَ لِلْمُؤْمِنِ نَوْرًا وَسُرُورًا

/ ٢٢٧

طَالَ مَا نِلْتُ مِنَ الْفَخْرِ وَمَا بَزَّ مَوْلَانَا عَلَى الْفَخْرِ فَخُورًا
زَيْنَ اللَّهِ بِكَ الدُّنْيَا وَاعِ طَاكَ مَوْلَاكَ غَدًا مُلْكًا كَبِيرًا

ولها بقية مفرغة في هذا القلب الحسن، والانجسام المستحسن. وممن نظم في مدح مولانا الإمام في هذا العام، الأخ الأديب القاضي محمد بن أحمد مطهر^(١)، فإنه رفع إلى الحضرة الشريفة قصيدة غديرية^(٢)، حوت لطيف الانجسام وحسن الإفادة عن المرام، وهي:

وَدَعَا ذَكَرَ زَيْنَبَ وَالسَّادِرِ	حَدَّثَانِي عَنْ عِيدِ يَوْمِ الْغَدِيرِ
وَجَمِيلٍ وَعِزَّةٍ وَلُبْنَى	وَأَحَادِيثَ عَزِيزَةٍ وَلُبْنَى
وَجَمَالٍ وَأَيْكَةِ وَسَرِيرِ	وَاتْرَكَا وَصَفَ حُسْنِ عِيدٍ وَمُرْدٍ
بِقَوْلٍ مِنَ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ	وَأَشْرَحَا لِي تِلْكَ الْوَلَايَةَ بِاللَّهِ
أَسْنَى وَلَايَةِ وَطْهِرِ	مُخْبِرًا فِيهِ مُبْلَغًا عَنْ إِلِهِ الْعَرْشِ
وَوَفُورٍ الْهِنَا بِشَرْحِ الصَّدُورِ	فِيهِ مُنْبِتَايَ غَايَةَ أَنْسَى
وَأَوْفَى ذَخِيرَةٍ لِلنَّشُورِ	وَهُوَ أَحْلَى عِنْدِي مِنَ الْمُنِّ وَالسَّلْوَى
مِنْ إِلِهِ الْوَرَى وَأَيُّ سَفُورِ	أَيُّ مَنْ بِهِ أَنَا لَعَلِّي
كُنْتُ مَوْلَاهُ مُعْلِنًا لِلْحُضُورِ	إِذْ عَلَا رِبُوعُهُ وَقَالَ أَلَا مَنْ
فَاسْتَقَامَتْ بِهَا قَنَاةُ الْأُمُورِ	مَنْحَةً خَصَّهَا إِلَهُ الْبَرَايَا
أَوْ بِهَالٍ وَمَعْقِلٍ وَقَصُورِ	ذَلِكَ الْفَخْرُ لَا الْفَخَارُ بِمَلِكٍ

/ ٢٢٨

(١) محمد بن أحمد بن عبد الله مظهر: ت بصنعاء ١٣٨٦ هـ، أديب شاعر، فقيه، ناقد، كان يجيد اللغة العثمانية وله معرفة بالفرنسية، من كتبه الإمام يحيى ولد بصنعاء ١٣٠٦، له نوادر وظرائف انظر، هجر العلم، ٤٤١.

(٢) غديرية: أي بمناسبة عيد الغدير الذي يصادف ١٨ ذي الحجة من كل عام عند الشيعة.

كُلُّ فَخْرٍ مِّنَ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ
وَتَجَلَّتْ بِكُلِّ وَصْفٍ مِّنِ
الدَّهْرِ لآلِ الرَّسُولِ بِالتَّأْمِيرِ
جاءَ علاهُم من المليك القدير
وَهُمُ لِلنَّجَاةِ سُفُنُ بَحُورِ
وَعُلَا مَجْدِهِم جَمَالُ الدَّهْوَرِ
مَنْ اللَّهُ فِي الْكَتَابِ الْمُنِيرِ
فَهِيَ حَقٌّ لَهُمْ بَغِيرِ نَكِيرِ
وَبَسْعَى خَلَا عَنْ التَّقْصِيرِ
تَدْفَعُ الْكَرْبَ وَاخْتِلَاجَ الضَّمِيرِ
قِ نَعَمَ الْمَفَازِ يَوْمَ النَّشُورِ
سَادَةُ أَهْلِ الْيَقِينِ وَالتَّقْوِيرِ
سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، فَخَرُّ الْعَصُورِ
سَنَدُ الْخَلْقِ مُحْكَمُ التَّدْبِيرِ
جَدُّ جَالِي الْكَرُوبِ خَيْرُ نَصِيرِ
هِيَ أَمْضَى مِنْ فَتْكِ لَيْثِ هُصُورِ
مُفْسِدِهِمْ إِلَى مَهَاوِي السَّعِيرِ
وَقَفَّتْ دُونَهَا عَلَومُ الصُّدُورِ
ضَلَّلَ الرَّايِ مِنْ دَعَاةِ الشُّرُورِ
فَعَدَوْا يَخْبِطُونَ فِي دَيْجُورِ
بِرَأْيِ حَمَى جَمِيعِ الثُّغُورِ

فَحَظُوظُ الدُّنَى تَزُولُ وَيَبْقَى
ذَلِكَ يَوْمٌ بِهِ الْعَنَايَةُ جَلَّتْ
سَحَبَتْ ذِيْلَهَا فَخَاراً لَدَى
وَكَفَاهُمْ مِنَ الْمُنَاقِبِ أَنْ
فَهَمُوا فِي الدُّنَى هِدَاةُ الْبَرَايَا
يَنْقُضِي سُودَدُ الْأَنَامِ وَيَمْضِي
وَلَهُمْ وَاجِبُ الْمَوَدَّةِ بِالنَّصِّ
وَرِثُوا تِلْكَمُ الْوِلَايَةَ حَقّاً
وَحَمُوا قَصْرَهَا بِجِدِّ الْمَوَاضِي
وَأَبَانُوا لَنَا مِنْهَا هَجَ حَقِّ
وَهَدُونَا إِلَى صِرَاطِ إِلَهِ الْخُلُقِ
فَهَمُّ السَّادَةِ الْمِيَامِينُ الْقُـ
سِيما فَخْرُهُمْ إِمَامُ الْبَرَايَا
دُرَّةُ التَّاجِ نَوْرُ عَيْنِ الْمُعَالِي
غَوْثُ كُلِّ الْعِبَادِ بِدَرْ سَمَاءِ الْمَدَى
مَنْ لَهُ فِي الْوَعْيِ عِزَائِمُ بَأْسِ
قَمَعَتْ صَوْلَةُ الْبُغَاةِ وَأَرْدَتْ
وَلَهُ فِي الْعُلُومِ رَتَبَةُ عِزِّ
وَإِنْتِقَادُ سَاسِ الْبَرَايَا بِرَأْيِ
حَارَ مِنْهُ الْمُلُوكُ شَرْقاً وَغَرْباً
لَمْ يَرَوْا ثَغْرَةً وَقَدْ مَدَّهُ اللَّهُ

خَابَ مَسْعَاهُمْو فَظَلُّوا حَيَارَى
يَا أَمَامَ الْوَرَى وَيَا خَيْرَ دَاعٍ
إِنَّمَا أَنْتَ رَحْمَةٌ مَنَحَ اللَّهُ
وَعَيَّاتٌ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ وَوَيْلٍ
لَمْ تَقَعْ فِي الدَّهْوَرِ عَيْنٌ عَلَى مَثَلٍ
شَدَّتْ لِلدِّينِ أَيُّ رَكْنٍ مَنِيْعٍ
فَهِيَ مِنْ حَزْمِكَ الْمُجَدِّدِ فِي عَدٍ
وَالرَّعَايَا فِي ظِلِّ أَمْنٍ وَخِصْبٍ
دُمْتَ لِلْعَالَمِينَ كَهْفًا مَنِيْعًا
وإِلَيْكُمْ مِنَ الْفَقِيرِ نَظَامٌ
يُغْلِنُ الْوُدَّ فِيكُمْ آلَ طَهٍ
وَصَلَاةٌ مَشْفُوعَةٌ بِسَلَامٍ
تَبْلُغُ الْمُصْطَفَى مَعَ الْإِلَاحِ طُرًّا
مَا شَدَا بُلْبُلُ الرِّيَاضِ وَغَنَى

يَنْظُرُونَ الْمَنَى بِطَرَقٍ حَسِيرٍ
قَامَ بِالْأَمْرِ مَالَهُ مِنْ نَظِيرٍ
بِهَا الْخَلْقَ فِي زَمَانِ الْفَتَوَرِ
وَمَلَاذُ وَالْكَهْفُ لِلْمُسْتَجِيرِ
لَكَ مِنْ أَيْنَ ذَا لِبَاعِ الدَّهْوَرِ
وَحَمِيَّتِ الْبِلَادَ عَنْ كُلِّ ضِيرٍ
نَزَّ وَسَعْدٌ وَبِهَجَةٍ وَحُبُّورٍ
وَسُرُورٍ وَنَعْمَةٍ وَسَفُورٍ
وَعِيَاثًا فِي مُدْلَهَمِ الْأُمُورِ
كَرِيَاضٍ تَضَاكَكَتْ بِالزَّهْوَرِ
فَهُوَ لِي عُدَّةٌ لِيَوْمِ عَسِيرٍ
عَنْبَرِيٍّ الشَّمِيمِ ذَاكِي الْعَبِيرِ
وَعُمَلَاكُمْ فِيهِمْ أَجَلٌ شَهِيرٍ
أَوْ هَمَّى وَابِلٌ بِقَطْرِ غَزِيرٍ

ولا يخفى على الفطن اللبيب ما في هذه القصيدة من الأبيات العامة
بالمحاسن، والينبوع المتدفق بماء الإجابة العذب لا الآسن، على أن مدح ذلك
الجناب يُعَلِّي قدرَ كلِّ خطابٍ ويُلَحِّقُه بالدراري، ودرر نحر الكعاب.

ومما جرى في هذا العام، أن الأمير حسن بن علي بن محمد بن عايض^(١)

(١) حسن بن محمد علي بن محمد بن عبد الرحمن عائض، آخر أمراء آل عايض في عسير،
تولى الإمارة بعد أبيه ١٣٣٠هـ - ١٣٤٢هـ، تعاون مع الإدريسي ومع الشريف الحسين
بن عون وحارب عبد العزيز بن مساعد بن جلوي قائد القوات النجدية فأسر ثم
أطلق وعاد مرة أخرى للمقاومة، فأخذ إلى الرياض، وبقي هناك حتى توفي، انظر
تاريخ عسير للنعمي، ٢٢٧، الإعلام، ١/ ٢٠٧.

صاحب عسير، ترَقَّبَ الفرصةَ لأعوانِ ابنِ سعود، صاحبِ نجد، وكانت بلادُ عسيرٍ في أيديهم منذُ استيلائهم عليها، كما بيَّناه فيما سلف، فثارَ في أثناءِ هذا العامِ بهم مع مَنْ انضمَّ إليه من أهلِ عسيرٍ وأذاقهم الأهوالَ وطَرَدَهُمْ منها، بعدَ أنِ اجتَحَفَ القتلُ غالبَهُمْ، وهَدَمَ جانبَهُمْ، واستقرَّ الأميرُ حسنٌ في أبها، مدينةَ عسيرٍ وعقيلةَ قراها، مستعداً لما يأتي من قِبَلِ صاحبِ نجدٍ من الغارةِ، ومستمدداً لِمَنْ حوَّلَهُ من أمراءِ الأطرافِ بأنجاده ودفعِ مهاجماتهم الضاربةِ، وسيأتي بيانُ ما آلتِ إليه أحوالُهُم في حوادثِ العامِ المُقبِلِ / إن شاء الله تعالى. / ٢٣٠

^{١٧} وفي فصلِ الربيعِ مِنْ هذهِ السنةِ، نهَضَ الأتراكُ بعزائمٍ صادقةٍ وصَوْلَةٍ خارقةٍ نحوَ أعدائهم اليونان، وأجنادِهِم المستوليةِ على الكثيرِ من بلادِ الأناضول، وقد ذكَّرنا في العامِ الماضي أن اليونانَ بعدَ انهزامِهِم، وقفوا في مدينةِ إسكي شهرٍ ومدينةِ أفيون قره حصارٍ، وبيدِهِم ما وراءَهما من البلدانِ، والحربُ لم يَزَلْ مستمراً بينَ الجيشينِ بدونِ تقدُّمٍ مِنْ أحدهما، ولم يَزَلِ الأتراكُ يُجمِعون قواهُم في خلالِ ذلكَ، إلى أنْ ساعدَهُم الزمانُ، وانقضى زمنُ الشتاءِ، فأقبلوا على أعدائِهِم إقبالَ السَّيلِ مِنْ كُلِّ جانبٍ، وأقدموا عليهم إقدامَ مَنْ يريدُ الوصولَ إلى أحدِ الأمرينِ: إما الظَّفَرُ أو الموتُ تحتَ أقدامِ عدوِّهِ. فلم يُطَقِ الجيشُ اليونانيُّ الوقوفَ أمامَ تلكِ الصدماتِ والحركاتِ على ما هو عليه من الكثرةِ، فقد قيلَ: إنَّ جيشَ اليونانِ كانَ ينوفُ على مئةٍ وخمسين ألفَ مقاتلٍ، فولَّتْ جموعُهُم مُدْبِرَةً، والأتراكُ يسوقونَهُم سوقَ الرِّعَاةِ للشاه، فأسروا منهم ما لا يُحصى، وَمِنْ الجُمْلَةِ قواذِهِم وأمرائِهِم، واستولوا على جميعِ ما أعدُّوه، وهو الشيءُ الجسيمُ الكثيرُ من المدافعِ والأسلحةِ والذخائرِ والدوابِ على اختلافِ أنواعِها، والسياراتِ البريةِ والسياراتِ المدرعةِ، وساقوا خلفَ مَنْ فرَّ منهم،

[١ - ١] من عبارة «وفي فصل الربيع حتى عبارة ذوي الاحداد، لا قوة إلا بالله وله الأمر وحده» سقطت

فاستولوا على جميع ما كان تحت أيديهم من بلاد الأناضول، وأخرجوهم من مدينها وأمصارها وسواحيلها إلى أن قذفوا بهم إلى البحر، وكان هذا عملاً غير مُنتظرٍ ونصراً لم يسبق له مثلاً ولا حُلِمَ به أحدٌ حتى الأتراك أنفسهم.

ولما وصلوا من بعض الجهات إلى قرب الأستانة، هددوا الأستانة بالهجوم عليها، وفيها جنود الحلفاء الانكليز والفرانسة والطيالان واليابان، فقامت قيامة رئيس وزراء الانجليز في ذلك التاريخ^(١)، ودعى قومه لمحاربة الأتراك، فعارضه في ذلك شيوخهم حتى أدّى الحال إلى اخراجه من الوزارة، وسقوط أصحابه من الوزراء المعيّنين على قواعدهم وتشكيل حكومتهم وتعيين سواهم، ثم كان بعد هذا عقد الهدنة بين اليونان والأتراك، وكان من جملة شروط الهدنة: أن يؤجّل خروج عساكر الحلفاء إلى أن يُعقّد الصلح إلا أنهم اشترطوا أن يخرج اليونان من تراقيا/ وهي ولاية أدرنه، ويكون من الأتراك استلامها، وتم الأمر على هذا، وكان المؤمل أنه قد صلح الحال ما بين حكومة أنقرة، التي قام جيشها بهذه الحروب العظيمة، وبين حكومة الأستانة التي على رأسها السلطان وحيد الدين^(٢) ابن عبد المجيد بن محمود العثماني، فأظهر هذا الظفر ما في نيات أهل أنقرة عليهم وعلى سلطانهم، فإنهم أرسلوا أحد قوادهم المسمّى رأفت باشا، فدخل إلى الأستانة، وجنود الحلفاء فيها، وقصده الوصول إلى أدرنه لاستلامها، فرأى من إقبال الناس هنالك ما قطع به: أن الكل في

/ ٢٣١

(١) رئيس الوزراء آنذاك ا. يونارلو وكان قبله دافد لويدي جورج وهو الذي سقط وتولى بعده يونارلو رئيساً للوزراء ثم ستانلي بلدون ١٩٢٣-١٩٢٤، انظر، تاريخ أوروبا في العصور الحديثة لفشر، ٧٤٠.

(٢) السلطان محمد وحيد الدين بن السلطان عبد المجيد (١٩١٨-١٩٢٢) هو السلطان السادس والثلاثون من سلاطين بني عثمان، تلقب بمحمد السادس، ولد سنة ١٨٦٠ م وتوفي في سنة ١٩٢٦ م.

قبضته، وأنه مهما شاء فعل، فأعمل التدبير في القبض على السلطان وحيد الدين، ولكن المذكور شعر بما يُراد به، فنجأ إلى بابور الإنجليز، ومعه بعض خواصه، تاركاً كل شيء في الأستانة، وقصورها، وهرب إلى بعض بلدان النصارى، ثم وصل إلى مكة، فلم يطب له المقام فيها، فعاد إلى إحدى مدين إيطاليا، فسكن بها، ونصب الأتراك السلطان عبد المجيد^(١) بن مراد بن عبد المجيد، ولكنهم أبانوا ما يُكنونه من الانخلاع عن تعاليم الدين الإسلامي، فشرطوا عليه ما كانوا يزعمونه في متأخري سلاطين العثمانيين، من أنهم خلفاء على نحو خلفاء العباسية، والفائدة من إيجاده ذكره في الخطبة ونحو هذا، وأعلنوا في مجلسهم بأنقرة بأنهم قد فصلوا الدين عن السياسة، يعنون بالسياسة أمور الملك، وهذا الذي فعلوه تقليد منهم لنصارى أوروبا، فإنهم ثاروا في وجوه أساقفتهم وبطارقتهم رؤساء الكنائس، وكان الحل والعقد بأيديهم في أمور الملك، حتى كانوا يُنصبون الملوك ويخلعونهم، فالملك لابد أن يكون خاضعاً لإرادة أهل الكنيسة ولا يعمل أمراً بدون استشارتهم، ففعلوا مثل ما فعل هؤلاء الأتراك، بأن منعوا رؤساء الديانة من الخوض في أمور الملك، ورتبوا لهم شرائع في تدبير الملك، وفصل الحقوق وإجراء العقوبات على ما يُوافق عقولهم، وهؤلاء الأتراك ظهروا أن فتنتهم هذه من أولئك الفريق، الذين هم من الملاحدة أقرب منهم إلى المسلمين، فأظهروا ما أرادوا حين خلاهم الجؤ، وصفي من المعارضين والمعارضة، وتم ذلك، ولم يتطخ فيها عنزان، وكان المسلمون في أقطار الأرض هلّلوا لنصرتهم وفرحوا بذلك، ولكنهم / لما عرفوا ما / ٢٣٢

(١) السلطان عبد المجيد بن مراد بن عبد المجيد (خليفة فقط، رئاسة دينية) أي فصل الدين عن الدولة (١٩٢٢-١٩٢٤) ثم إلغاء الخلافة وإعلان الجمهورية التركية في ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣، وأنها دولة علمانية.

يدور في أفكار أولئك من التخلي عن التعاليم الإسلامية والميل إلى تعاليم الكافرين، خاب فيهم الظن، وتحققوا أنهم فئة، إذا دام تمكُّنُها تحت الإسلام من قلوب الأتراك ووضعتهم في صفِّ ذوي الإلحاد^(١)، لا قوة إلا بالله، وله الأمر وحده^(٢).

ودخلت سنة إحدى وأربعين وثلثمائة بعد الألف:

ومولانا الإمام -عليه السلام- مقيم برؤضة حاتم لتقضية فصل الخريف هنالك، والأحوال كما وصفنا، والعمال في البلاد الإمامية هم المذكورون في العام الماضي، وناجم التهاشم مقيم في صبيّا وجيزان، وإليه من البلاد جميع التهاشم ما عدا قضاء بيت الفقيه ابن عجيل، وقضاء زبيد.

وقد كان منه عند هجوم النجديين على عسير مداراتهم، والتوقي منهم بترك ما كان تحت يده من بلاد عسير، وهو قضاء رجال ألمع^(٢)، وبعض قضاء محائل^(٣)،

(١) من الذين تغنوا بانتصارات مصطفى كمال أتاتورك، نذكر على سبيل المثال، عبد القادر حمزة، عباس محمود العقاد، صفية زغلول، عمر طوسون، عبد الحميد حمدي، أحمد شوقي، أمين محمد سعيد ثابت، وكريم خليل ثابت، وحول هذه الأحداث انظر، سيرة مصطفى كمال باشا وتاريخ الحركة التركية الوطنية في الأناضول، أمين محمد سعيد ثابت وكريم خليل ثابت، ط مجلة اللطائف المصورة، طبعة أولى سبتمبر ١٩٢٢ م.

(٢) قضاء رجال ألمع: من أقسام تهامة الرئيسية، ومن قبائلها، قيس وبنو ظالم وبنو زيد وبنو قطبة وآل صلب وبنو جونة وشحب والعوض والبنا والبرك وقنا البحر وميناء القحمة مرفأ لها، انظر أخبار عسير، ١٤.

(٣) محائل: في الجنوب الشرقي من القنفذة من عسير، من أقسام تهامة الرئيسية، من قبائلها بارق وآل موسى وآل مشور وآل دوريب وآل الريش والمنجحة وآل جبلي وآل موسى بن علي وربيعة الطحاحين وآل سباعي وحيضة وربيعة مقاطرة، انظر أخبار عسير، ١٣، جزيرة العرب، ٢١٤، في ربوع عسير، ١٠١.

وتسليمُ أتاوةٍ سنويةٍ إليهم فوق ذلك إليهم، اختلفت الأقوال المنقولة في مقدارها^[١] من النقود، ولكنه تحقق أنها مبلغٌ كثيرٌ من المال، لما حصل من المذكور من مصادرة التجار بأموال كثيرة مرةً بعد أخرى عندما يصل المعينون لاستلامها منه.

وفي أوائل هذه السنة، اهتم مولانا الإمام، بإصلاح مجاري غيل آل أبي طالب^(١)، الذي يُسقى به في الرّوضة، وكان قد انقطع، وقلّ ماؤه في منابعه عدة سنين.

وكذلك غيل المهدي^(٢) أحمد بن الحسن، وغيل مصطفى^(٣)، واستمرّ العمل في غيل مصطفى أكثر أيام هذا العام، فتمّ اصلاحها على غاية ما يُرام، وحصل

(٢) غيل آل أبي طالب: يسقى الرّوضة، مصادره من شرق شعوب تحت قرية الخيف، أجراه طغتكين بن أيوب، والإمام القاسم بن محمد سباه باسم ولده أبي طالب أحمد بن القاسم وجعله وفقاً لقاطني بدر السلاطين في الرّوضة، ولا زال جارياً حتى سنة ١٩٢٦م انظر، The Gyaals of Sana, p.30.

(٣) غيل المهدي أحمد بن الحسن: أنشأه المهدي (١٠٧٨-١٠٩٢هـ)، ١٦٧٦م-١٦٨١م يسقى الرّوضة، وقف استحقاق لأهالي الرّوضة، ينبع من منتصف شعوب، اصلحه الوالي التركي محمد عزت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤، واشتراه الشيخ علي البليلى منه وقام الإمام باصلاحه، انظر، نشر العرف، ٣٠٣/٢، رحلة أثرية، ٢٦٠.

(٤) غيل مصطفى: ينسب إلى علي مصطفى الدمشقي المكي ت ١١٩٦هـ / ١٧٨٢م، ينبع من مصادر أعلى من مصادر غيل المهدي والذي أجراه إلى الرّوضة، وقد قام أحمد فيضي الوالي العثماني سنة ١٦١٠هـ بترميمه واصلاحه بعدما اشتراه الشيخ محمد البليلى انظر،

Rgeant, R.B, Costa, Paolo, Lewcock, Ronald: The Ghayls of Sana, Sana, An Arabian Islamic City, pp. 30-31, . ٢٦٠، رحلة، نزيه العظم،

[١] في س، قدرها

الانتفاع بها في سقي الأعناب التي بقيت في الرّوضة، وجدّدت روح النشاط في غرس ما قد أُهمل منها.

وكانت قد وصلت مدينة الرّوضة إلى حالة تهول من الخراب والاضمحلال بعد حوادث الحروب التي وقعت فيها، وما تعقّب ذلك من قلة المياه وانقطاع الغيول.

وقد كان عن مولانا الإمام إصلاح الماء النابع في أكام النميصان بتوسيع المنابع، ثمّ أحداث سواق له، ليكون وصوله إلى الرّوضة، وبذل في ذلك مولانا الإمام مالاً كثيراً، ولكنه تبين بعد ذلك أنّ الماء المذكور يسير ولا يؤمّل فيه الازدياد، فترك من العمل، فعاد إلى ما كان عليه من انحصار النفع منه، على أهل المواشي بسقي مواشيه من، وانتفاع أهل الأموال المجاورة له على الاستقساء / والشرب منه، ولكن لم تخل تلك الأعمال من توسيعه وتزييد^[١] الانتفاع به لمن ذكرنا. / ٢٣٣

وفي أوائلها^[٢] أيضاً وصل إلى الحضرة الشريفة ثلاثة أشخاص من النصارى، اثنان منهم أمريكيان والآخر فرنساوي، وكان غرضهم العثور على المعادن،^[٣] وأفاد الأمريكيان أنهما من رجال شركة أمريكية راغبة في الوفاق مع مولانا الإمام على القيام بمثل هذه الأعمال^[٣]، فلبثوا أياماً في صنعاء، ثمّ أصبحهم الإمام ببعض الأعوان للمرور في بعض الجهات التي يؤمّل وجود المعادن فيها، وعادوا إلى عدن.

وفيها في شهر صفر ثار أهل خولان الأربعة من بلاد حجة للخلاف،

[١] في س، وزيادة. [٢] في س، وفي أوائل هذه السنة.

[٣ - ٣] سقطت من س.

وسلوك طريق الغواية والانحراف، وأعانتهم على ذلك بعض الأجلاف، وكاد الخلاف أن يتسع ويسري إلى غيرهم، فأرسل عليهم مولانا سيف الإسلام، أحمد بن أمير المؤمنين، الأجناد، فنازلتهم وانتصفت منهم، وتمسكوا بالفرار والانحدار إلى التهائم وتلك الأغوار، واستمدوا بمن جاورهم من أعوان الضال، ناجم تهامة، وغدروا ببعض أفراد من الجند الإمامي، وحين بلغ ذلك إلى مسامع حضرة الإمام، جهز نجله الكريم المولى، سيف الإسلام، محمد بن أمير المؤمنين في طابور من الجند النظامي، وعدد غير يسير من المجاهدين، وكان المولى سيف الإسلام مقيماً في حضرة الإمام عاكفاً على القراءة.

وقد اختار الإقامة في الروضة^[١] ليخلو له الجو من حيلولة الأشغال بينه وبين الذي أراد من الاقتصار على دراسة العلوم، والانقطاع إليها^[٢] فلم يجد بداً من الإمتثال لما أمر به الإمام، وسارع بالعزم بصحبة الجند المعين، فكانت طريقة من شبام كوكبان، ولم يتوجه إلى حجة، بل قصد بحيشه المخالفين وواقعهم، فكسر منهم شوكة طغيانهم، وزلزل أكنافهم، ونكل بهم وبمن أعانهم من ذوي الضلال وأجلى طغاتهم، ومن صمم وأصر على دوام العدوان. وأمن تائبهم وتائبهم، وأعادهم إلى أوطانهم وأصلح الأحوال ورتب الأطراف، ثم عاد إلى مقام شقيقه المولى، سيف الإسلام، أحمد بن الإمام بحجة، فاستقر بها، ولم يتيسر له العود إلى هذه الجهات.

وفيها تم رجوع بني سعد من حجور إلى طاعة الإمام، ودخولهم في زمرة المستظلين براية الحق والإسلام، وكان بنو سعد هؤلاء قد أغواهم الشيطان، / ٢٣٤ فتابعوا أهل الطغيان، ومالوا إلى ناجم تهامة، وشايعوا أهل الفساد والملازمة،

[١ - ١] سقطت من س.

ومكثوا على ذلك عدة سنين، وكلما نازلهم جيش الإمام فرّوا من أوطانهم واعتصموا بالضالين، فأمدّوهم بما يحتاجون إليه من الذخائر وغيرها حتى إن الضالّ سلّم إليهم أحد المدافع، وأبقاه لديهم.

ففي هذه السنة، تبين لهم الرشد من الغي، وأنهم لم يحصلوا على طائل من جنوحهم إلى البغي، فأظهروا الندم على ما كان منهم من زلة القدم، وأعلنوا التوبة والتخلي عن تلك الحوبة، وراجعوا عامل وشحة^(١) القاضي الفاضل محمد بن سعد الشريقي^(٢) وبيّنوا له مرغوبهم في الانقياد، والعود إلى ما كانوا عليه من الطاعة والرشاد، وسلّموا إليه المدفع الذي كان لديهم، وبذلوا الرهائن المختارة، وجرى قبضها منهم، فكمّلت طاعتهم وحسّنت توبتهم وأمنوا في أوطانهم، وكُتبت الأعداء بإذعانهم وانتمائهم.

وفيه كَمُلَ بناء الدار السعيدة^(٣) التي وقع الشروع فيها في التاريخ الذي سبق^(٤)، وأكْمَلَ أيضاً عمارة ملحقاتها من دائرة المقام الشريف ودائرة المحاسبة، ودائرة مأموري التلغراف ودياوين عكفة حضرة الإمام، فكانت أجمل بنيان، رأيته العيون، وأظرف مُشَيَّد سرَّ به المحبون، وغيظ به الكاشحون، وأُطلق عليها اسم دار العز، وانتقل إليها مولانا الإمام في أثناء شهر جمادي الآخرة من هذا العام، فاستقر بها ملتحقاً بعناية الله التي شملتة على الدوام، ونَقَلَ أيضاً إليها

(١) وشحة: بلدة في أعلى جبل من بلاد حجور، بها مركز ناحية، يتبعها عُزْل، الضاعن، وبني سعد وقارة وبني هني، انظر، معجم الحجري ٧٦٧/٢، معجم المقحفي، ٦٩٩.

(٢) محمد بن سعد بن محمد بن عبد الله بن قاسم الشريقي ت شوال ١٣٥٢ هـ، عالم محقق في الفقه، رحل مع والده من صنعاء سنة ١٣٠٨ هـ إلى القفلة إلى عند الإمام المنصور محمد بن يحيى، ولاه الإمام المنصور أعمال قضاء حَجُور الشام سنة ١٣١٩ هـ، وظل عاملاً بها حتى توفي، ولد في سناح سنة ١٢٨٢ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٣١، هجر العلم، ٢٢٢.

[١ - ١] سقطت من س.

الأعوان من المحاسبين، وأموري التلغراف وغيرهم، فقاموا بالأعمال في الأماكن والدوائر التي أُعِدَّتْ لهم، وكان محلُّها مع البستان الذي يُنسَبُ إليه من أملاك المولى الحسين بن الإمام القاسم بن محمد، عليهم السلام، جدُّ حضرة مولانا الإمام، فلما عمَّر فيه دورة المتوكل على الله، القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن^[١] عُرِفَ المكان المذكور ببستان المتوكل ثم كان من الأثر الكريمة عماره المستشفى العسكري فيها، فهدمه مولانا الإمام كما سبق البيان عنه، وعمَّر فيه / ٢٣٥ هذه الدار السعيدة وملحقاتها، وإدراكها من النوب الجسيمة والسور الباهر والمسجد الخاص، وتفصيل ما اشتملت عليه يطول تعداده،^[٢] ولا يظنُّ رائيها كاملة الإشادة إلا أنها مع ملحقاتها مما استغرقت عمارته الأعوام العديدة^[٣]، وقد أرخ مولانا الإمام إكمال عمارتها بما هو منقوش في أحد الأبواب، وهو:

أعيدُ بنائي من عدوِّ وحاسدٍ ومن ظالم بالله جلَّ جلاله
وأسأله عمرانَه بذوي التقى وبالعدل حتى لا يُشانَ جماله
وبشرني تاريخه أن مَنْ به يُختم في دار السلام ماله

سنة ١٣٤١

ولمولانا الإمام أيضاً تاريخ آخر، وهو منقوش على أحد الأبواب الخارجية بخط حسن، وطراز مستحسن وهو:

[مجزوء الرمل]

إنَّ قصرًا قد تسامى بالتقى دار الكرامة
نظَّم البناء فيه ما حوى كل الوسامة
أجزل الله نعيماً لذويه وفخامة
هاك بيتاً بعد هذا فيه أرخنا ختامه
ادخلوه بسلام فلکم فيه الكرامة

سنة ١٣٤١

[١] في س، المتوكل على الله، القاسم بن الحسين بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم.

[٢ - ٣] سقطت من س.

و^١قد كان مولانا الإمام -عليه السلام- قد أرخ عمارة هذا الدار في العام الماضي بقوله:

[الطويل]

بناءً له الرحمنُ حامٍ وحارسُ
تأسس بالتقوى، فقلتُ مؤرخاً
وعامرُهُ يرجو من الله غفرانا
يشيد بطول الله للشرع أركاناً

سنة ١٣٤١

وقال سيدي فخر الدين، عبد الله بن إبراهيم بن الإمام، مؤرخاً لها في العام الماضي قبل إكمالها:

[الطويل]

بناءً بحمد الله عزّ مثاله
ولم يرتفع للخفر أو لتكبر
يُشاد لنصر الدين فهو كماله
ولا جاوز القدر المراد حلاله
ولكنه بالعدل للعدل عامر
ومِن مَنْ ذِي الأفضال أضحى مؤرخاً
وفي بابه الإنصاف كل يناله
بتقويم شرع الله زين جماله

/ ٢٣٦

ولسيدي فخر الدين أيضاً تاريخ آخر، أوضح أنه تاريخ التأسيس النفس، وهو:

[الوافر]

بدار العز نصر للشرعة
فبشرى حارس الإسلام بشرى
وأركان مُشيدة منيعة
بنصر الله والمنين الوسيعة
وردّ عداك في الأقطار طراً
بغيط: خاسرين وبالوضيعة
أدام الله في عز بقاكُم
دوام الشمس سافرة مطيعة
وقوى ما تشيد فلا تُداني
مزاياء ورُتبتُهُ الرفيعة
وبورك من بناء للمعالي
به والحقُ مرآةً بديعة
وفي التأسيس أرخناه حالاً
بدار العز نصر للشرعة

سنة ١٣٤١

[١ - ١] من عبارة «وقد كان مولانا الإمام -عليه السلام- قد أرخ إلى عبارة ، فقد صدق القضاء، إن الحقيق به أقام زماننا، لا إمام زمانه، بارك الله في مدته وضاعف أعوام دولته»، ويلاحظ بأن هناك اضافة لعلها من الناسخ، أحمد زبارة وهي: فقلت مؤرخاً «يشيد بعون الله للشرع أركاناً».

والتواريخُ في هذا الشأنِ من الأدباءِ، وذوي البيانِ كثيرةٌ، وأعلاها ما قاله الإمامُ، فهو إمامُ الكلامِ، وقد هنا مولانا الإمامَ بإكمالِ عمارِهِ هذه الدارَ والانتقالِ إليها جماعةٌ من الأعلامِ بكثيرٍ من القصائدِ الطنَّانةِ، وأجملها قصيدةُ المولى بدرِ الآلِ الأكرمينِ، سيفِ الإسلامِ، محمدِ بنِ أميرِ المؤمنينِ، وهي قصيدةُ طنَّانةٍ بها أجيادُ الإِجادةِ مُزادنةٌ، وقد أثرتُ نقلُها بكمالِها فهي جديرةٌ بأن تتحلَّى هذه المجموعةُ بجمالِها وهي:

[الطويل]

تَلَاعَبَ في رَوْضِ المِسْرةِ غَزْلانُ
وعَطَّرَ أَرْجاءَ البَسيطةِ نَشْرُهُ
وَتَمَّ لأهْلِ الحَبِّ ما يَطْلُبُونَهُ
أَلَمْ تَنْظُرُوا شَمْسَ البِشائِرِ أَقْبَلَتْ
وَقَدْ صَبَعَتْ مِنْ حُنْدُسِ اللَّيْلِ حامِياً
وَسَلَّتْ عَلَيْنَا مَصْلَعاتَ جَفُونِها
وَكَمْ عَذَّبَ الصَّبَّ المولَعَ طَرْفُها
مَهْدَدَةً كَي لا يَرى في خَدورِها
وَمَنْ أَسودَ الأعيانِ خالٌ بِهِ خِلالُ
وَتَبَسُّمُ عَنِ بَنيانِ دُرٍّ وَأَرْضُهُ
وَفِي ذلِكَ البَنيانِ مِنْ سَلَسيلِها الـ
يُزاحُ بِهِ حُلُمُ المَشوقِ وتارَةً
نَعَمَ فَاعْجَبُوا في ثَغْرِ مُصْلِيةِ الورى
عَلَى جَيدِ مايسَ قَلَدَتْهُ جَواهِراً
إِذا رَدَّدَ الرائي إِلَيهِ لِحاظَهُ

وَمالتَ بِهِ بِالتَّيِّهِ لِلسَّعْدِ أَغْصانُ
وَضَمَّ بِهِ بِدَرِ السَّعادَةِ كِيانُ
فَما مِنْهُمُ إِلَّا طُروبٌ وَنَشوانُ
تَهادى وَبِالشَّهْبِ المَنيِرَةِ تَزْدانُ
يَزِيدُكَ حُسنًا وَهُوَ أَسودُ فَيَنانُ
زُلالاً فَكَمْ قَدَّتْ هَناكَ أَضْغانُ
وَأَسْهَرَهُ في ليلِهِ وَهُوَ وَسنانُ
مِنْ الشَّقَقِ القَاني المَضْجَجِ أَلوانُ
سَروُرٌ عَنِ المَضْنى فَها هُوَ نَدْمانُ
عَقيقُ وَياقوتُ وَتَبَرٌّ وَمَرْجانُ
— رَحيقُ حَياةٍ لِلَّذي هُوَ وَلَها
يُردُّ إِلَيهِ فَهُوَ رَوْحٌ وَرِيحانُ
جَحيمُ الهوى الفَرْدوسُ وَالطَرَفُ رِضوانُ
يَبِيْتُ لَها بِدَرُ الدُّجى وَهُوَ حَيَranُ
أَصابَتْهُ مِنْ نورِ المُقَلَّةِ نيرانُ

٢٣٧ /

وإن جالَ طرفاً حَوْلَهُ ضَلَّ عَقْلُهُ
يَجُولُ عَلَى بَيْضِ السَّوَالِفِ حِينَهَا
وَفِي صَدْرِهَا مَطَرٌ^[١] مِنَ السَّحَرِ صَدْرُهُ
لَأَهْلِ الْهَوَى فِي وَصْفِ ذَلِكَ مَذَاهِبٌ
هُوَ الْعَاجُ لَكِنْ فِيهِ لَيْمُونَتَانِ مِنْ
خَتَامُهَا مِنْ لَازِوَرْدٍ طَرَاذِهِ
وَكَمْ مَالٍ بِالْأَلْبَابِ إِنْ مَاسَ قَدُّهَا
إِذَا صَاحَ مِنْهُ حِينَ تَمْشِي بَرِيمَهَا الـ
وَأَنْسَاكَ إِسْحَقُ النَّدِيمِ وَمَعْبَدٌ
تَجَوُّزُ عَلَى الْعِشَّاقِ تَسْبِي عَقُولَهُمْ
فَجَازَاهُ مِنْهَا الرَّدْفُ بِالْجَوْرِ مِثْلَهَا
أَتَتْنَا وَحَيْثُ بِالسَّلَامِ فَعَادَ مِنْ
فَقَلْنَا لَهَا أَهلاً وَسَهلاً وَمَرْحَباً
قَفِي تَجْدِي يَا شَمْسُ مَا تَطْلُبِينَهُ
فَقَالَتْ: نَعَمْ لَوْلَا حَبِيبِي فَإِنِّي
فَقَلْنَا وَمَنْ هَذَا الْحَبِيبُ فَإِنَّهُ
فَقَالَتْ: هُوَ الدِّينُ الْحَنِيفُ فَإِنِّي
فَقَدْ عَادَ بَعْدَ السُّخْطِ فِي قَالِبِ الرِّضَا
وَقَدْ عَادَ فِي ثَوْبِ الرِّفَاهَةِ رَافِلاً
وَقَدْ عَادَ فِي عَيْشِ خَصِيبٍ وَرَاحَةٍ
وَقَدْ سَكَنَ الدَّارَ الَّتِي شَادَهَا لَهُ
إِمَامُ الْوَرَى الْمُحْيِي لَدَيْنِ مُحَمَّدٍ

/ ٢٣٨

لِطَلْسِمِ قَرِطٍ فِيهِ بِالسَّحَرِ إِعْلَانُ
يُلَاعِبُ فِيهَا عَقْرَبَ الصَّدْغِ ثُعْبَانُ
فَوَاكُهُ أَمَّا الْجَرْمُ مِنْهَا فَرُمَانُ
مَقَرَّةٌ إِيَّاكَ يَعْرُوكَ نَسِيَانُ
لُجَيْنٌ عَلَيْهِ فِي الصَّنَاعَةِ عَقِيَانُ
هَلُمُّوا فَإِنِّي لِلْمَحَاسَنِ بُسْتَانُ
عَلَى أَنَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ طَعْنَانُ
فَخِيمٌ صَاحَتْ فِي فَوَادِكِ أَشْجَانُ
وَعَنَى إِلَى مَا لِلْمَحَبِّينِ سِلْوَانُ
وَتَقْتُلُهُمْ مَا عِنْدَهَا ذَاكَ عُدْوَانُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ الرَّدْفَ بِالْعَدْلِ دَيَّانُ
هُوَ الْفَضْلُ فِينَا وَهُوَ بِالْحَبِّ ثَمْلَانُ
قَفِي! نَحْنُ خَدَامُ لَدَيْكَ وَغِلْمَانُ
وَإِنْ عَزَّ مَا فِينَا لَذَلِكَ تَعْبَانُ
سَأَهْدِي إِلَيْهِ حَيْثُ لِي وَلَهُ شَأْنُ
رَيْسُ عَلَى أَهْلِ الْغَرَامِ وَسَلْطَانُ
أَزْفُ إِلَيْهِ وَهُوَ نَشْوَانُ جَذْلَانُ
وَلَمْ يَبْقَ حَتَّى لَحْظَةٍ وَهُوَ غَضْبَانُ
وَقَدْ غَطَّرَتْ مِنْ ذَلِكَ الثَّوْبِ أُرْدَانُ
يَلُوحُ لَهُ مِنْ طَالِعِ السَّعْدِ سَعْدَانُ
إِمَامُ الْهُدَى مَنْ لَا يُسَاوِيهِ إِنْسَانُ
وَقَدْ نُسِجَتْ لِلدِّينِ مِنْ قَبْلِ أَكْفَانُ

[١] في الأصل: سطر .

إِمَامُ الْبِرَايَا مَنْ أَقَرَّ بِفَضْلِهِ الْأَ
 إِمَامُ ذَوِي التَّقْوَى وَنُورُ ظُلَامِهِمْ
 هُوَ الْبَحْرُ عَلِمًا بَلْ هُوَ الْبُرُّ رَأْفَةً
 هُوَ السَّيِّدُ الْهَادِي إِلَى دِينِ أَحْمَدٍ
 هُوَ الْغَوْثُ إِنْ قِيلَ الْمَكَارَةُ أَقْبَلْتُ
 هُوَ الْقَطْبُ لَوْلَاهُ رَحَى الدِّينِ لَمْ تَذُرْ
 هُوَ الْفَرْدُ فَضْلاً وَالْمُتَنَّى مَدَائِحاً
 مَلِكٌ تَرَى الْأَمْلاكَ مِنْ هَوْلٍ بِأَسِهِ
 بِهِ صَارَ هَذَا الْقَطْرُ فِي أَوْجِ رِفْعَةٍ
 بِهِمَّتِهِ قَامَ الْقَوِيمُ بِسَاقِهِ
 وَأَوْقَظَ أَهْلَ الدِّينِ مِنْ سُتَّةِ الْهَوَى
 وَعَدَّلَ بِالسَّيْفِ الصَّدُوقِ اعْوِجَاجَهُمْ
 وَكَمْ رَامَ بَاغٍ أَنْ يَنَاقِيَهُ عُلُوَّهُ
 وَلَا غُرُورَ مَنْ كَانَ الْإِلَهَ نَصِيرَهُ
 وَلَوْ رَامَ سَكَّانُ الدُّنَى وَصَفَ فَضْلِهِ
 فَكَمْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَامِلٌ
 بَنَى لِلْهُدَى وَالْمَجْدِ وَالْعِزِّ مَنْزِلاً
 وَشَادَ قُصُوراً لِلْمَفَاخِرِ وَالْعُلَى
 وَأَحْيَى رِيَاضاً بِالْمَحَامِدِ أَثْمَرَتْ
 وَوَرَدَ الْعُلَى فِي سَفْحِهَا فَاحٌ نُشْرُهُ
 وَتَمَلَّى أَحَادِيثَ الْغَدِيرِ وَإِنْ أَبِي

عَادِي وَهَلْ لِلنُّورِ فِي الشَّمْسِ كُفْرَانُ
 فَلَوْلَاهُ إِنْ الطَّالِبِي الْبِرِّ عَمِيَانُ
 هُوَ الْغَيْثُ جُوداً كَمْ بِكَفَيْهِ أَمْزَانُ
 بِهِ عَمَّ أَهْلُ الْأَرْضِ يَمْنٌ وَإِيْمَانُ
 هُوَ الْكَهْفُ إِنْ غَمَّ الْمُنِيْبِينَ أَحْزَانُ
 وَلَا جَادَ فِي الْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ هَتَّانُ
 قَصَارَاهُ مَعْرُوفٌ وَخَيْرٌ وَإِحْسَانُ
 مَرْوَعَةٌ إِنْ الْحَقِّ لَهُ شَانُ
 تَقَاصَّرَ عَنْهَا أَصْفَهَانُ وَجُرجَانُ
 وَقُدَّتْ لِأَرْبَابِ الضَّلَالَةِ سَيِّقَانُ
 وَطَرَفُ الْمَعَالِي وَالْمَكَارِمِ نَعْسَانُ
 فَلَمْ يَبْقَ فِي الْقُطْرِ الْيَمَانِيُّ فَتَّانُ
 فَعَادَ وَمِثْوَاهُ انْتِقَاصُ وَجِرْمَانُ
 نَصِيبُ أَعَادِيهِ خَسَارٌ وَخِذْلَانُ
 لِعَادِ الْمُجَلَّى وَهُوَ لِلْعَجَزِ خِجْلَانُ
 تَجَلَّى بِهَا فَوْقَ السَّمَائِينَ عِدْنَانُ
 وَلِلْفَضْلِ فِيهِ لِلْكَارِمِ أَفْنَانُ
 يُرَى بَعْدَهَا فِي قَصْرِ فَارَسٍ نَقْصَانُ
 وَلِلْمَجْدِ فِيهَا أَقْحَوَانُ وَسَوْسَانُ
 وَخَوُطُ التَّقَى فِيهَا رَطِيبٌ وَرِيَانُ
 عَلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ وَحَفْصٌ وَعِثْمَانُ

٢٣٩ /

وتشدو على أغصانها وُزُقْ مَدَحِهِ
وكم حار ذو العرفان في وصفِ حُسْنِهَا
بناها لإحياء الهدى ونشره
وشاد بها الشرع الشريف فقد غدا
فقل لذوي البغضا طين ذباهم
ومن رام خطأ من علاها وقدرها
إمام الهدى هُنيّت داراً ببيتها
وعُمّرت فيها لابساً ثوب عِزّة
وهاك نظاماً قلته عن مودّة
ولا خبرة بالشعر لكن تشوق
فإنك مختار الإله لدينه
لئن كنت أدعى بالفهامة باقلاً
وصلّى عليك الله بعد محمد
وسلم ما قطر السحاب همى وما

/ ٢٤٠

فكم أطربت منها المسامع الحان
فإن لها تدنو دمشق وبوان
إذا ما بُني للملك والفخر بُنيان
ومسكنه عرش وصرح وإيوان
سيسكنه من نظم ذي الحب طنان
فما للهدى في قلبه قط عمران
تُشيد بها للدين والمجد أركان
نصيراً وبشراً ما ترادف أزمان
ومالي في نظم الداراري عرفان
لمدحك ما همّي عروض وأوزان
وها أنا في قول القصائد حسان
فإني بمدحي للخليفة سحبان
وعترته ما جال في الحرب فرسان
تلاعب في روض المسرة غزلان

انتهت المنظومة الفريدة، والجُمَانَةُ النضيدة، وهي عالية القدر في باب
الإجادة والإحسان كعلو قدر ناظمها بين ذوي العرفان، تلاعب فيها بالمعاني
تلاعب مُلاعب الأُسْنَةِ، وأوردَ فيها من جيّد المنظوم ورحيقه المختوم ما تصبو
إليه الإنس والجنّة، وإنما اختار هذا البحر والروي والمشروع المروي ناسجاً على
منوال القاضي علي بن محمد العنسي^(١)، رحمه الله، فيما مدح به المتوكل على الله،

(١) علي بن محمد بن أحمد العنسي ت ١١٣٩ هـ، كان له علو في الشعر الحميني، له ديوان
مطبوع بعنوان وادي الدور، نسبة إلى وادي الدور الذي ينحدر إلى ثُمامة من الجبال
الغربية القريبة من قرية العُدين، انظر شعر الغناء الصنعاني، ٣٦٤، نشر العرف،
٧٢٩٠ / ٢، ط السلفية.

القاسم بن الحسين^(١) بعدَ عمارته لقصور هذا البستان^(٢)، وذلك في يوم الغدير
بالقصيدة النونية الشهيرة التي مطلعها:

[الطويل]

ثنا الملك عطفاً فهو نشوان جذلان	بأروع زان الملك منه سليمان
أجل إمام كلما ذكر اسمه	تتيه وتزهو مرهفات ومُزَّان
ملاحم جفر فيه حل رموزها	ملاحم حرب والأحاديث أشجان
أما قيل في البستان وهو بأهله	وبالملك سام لا يُدانيه غمدان
سيلبث حياً مقفراً عن منازل	بها نَعَمَت دهرراً أسود وغزلان
ويعمره من يعمر الدين عدله	ويحيى به حيُّ الفخار ويزدان
بذا أخبرونا وهو بالملك أهله	وقد شاده من لا يُوازيه إنسان
فإن كذب الأعدا فقد صدق القضا	وإن صمئوا فقد فاه برهان
على اليمن فانزل حيث شئت مُبَجَّلاً	ليجري بما تهوى السماك وكيوان / ٢٤١
فإن زرت قصر صاحبك هنا (الهنى)	وحياك في البستان رُوح وريحان
أعدت رواء الملك فيه لقدنرى	سناء وأنَّ النجم منه لغيران
وذكَّره عهد الحسينِ سليله	فلا زال فينا وهو في العمر لقمان

(١) القاسم بن حسين بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم، المتوكل ت رمضان ١١٣٩ هـ
بصنعاء، دعوته ١١٢٨ هـ، انظر، فرجة الهموم، ٥٧ .

(٢) بستان المتوكل انشأه الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم، تولى الإمامة بعد وفاة أخيه
محمد بن القاسم ١٠٥٤ هـ - ١٠٨٧ هـ، انظر، الاعلام، ١/ ٣٢٢ (بنى فيه الإمام المهدي
عباس قصرًا جميلاً، وبستان المتوكل محاط بسور ترابي يفصل طرفاه بسور المدينة وعليه
أبراج كثيرة، يبعد الواحد منها عن الآخر بمقدار ٥٠ متراً، انظر أيضاً، المادة التاريخية
في كتابات نيبور عن اليمن، ٢٣١ .

وهي طويلةٌ بليغةٌ، ونَفَسُ القاضي عليّ بن محمد العنسي ليسَ بالمجهول ولا المنسي، وما قاله في المتوكل وبستانه، فقد صدّق القضاء أنّ الحقيق به إمامُ زماننا لا إمامَ زمانه، بارك الله في مدّته وضاعف أعوام دولته.

وقد كان مولانا الإمام جَلَبَ لهذه الدارِ السعيدةِ ما كينة الاكثريق من جيبوتي مع أسلاكها وآلتها، وتولّى إحكامَ ترتيبها المهندس جورج المجري وأعوأنه، الذين قد تخرّجوا عليه من أبناء البلاد، ومُدّت أسلاكُ النورِ إلى كلّ مكانٍ من أماكن الدارِ السعيدة، ومجالس المقام، وسائر ملحقاتها، وكان إنارتها بذلك النورِ الآخذ بالأبصارِ المعيد لحكم النهار، فتزايدَ بذلك بهاء الدار، ولما كانَ مولانا الإمام - عليه السلام - تمرُّ عليه أكثرُ أوقاتِ الليل، وهو يقظان، عاكفٌ على إنجازِ أشغالِ العباد، والإجابة على ما يردُّ إليه من الأعمال والبلدان، فلا يدخلُ إلى دائرة المبيتِ إلّا بعد فراغه من الأشغال، والإحاطة بها. حلّت هذه الإنارة من الإعانة محلاً رفيعاً، وقوّت روحَ النشاطِ في أعوانِ مولانا الإمام، وانتظمت في سلكِ المصالح العامة والمنافع الهامة.

وفي أوائل هذه السنة، استقدّم مولانا الإمام إلى حضرته الشريفة سيدي قاسم الوجيه^(١)، وأسند إليه نظر أعمالِ الجهة الرّداعية، واجباتها وحكومتها، وضمّ إليه من الأعوان من يحتاجُ إليه، وكان ذلك بعد أن ألحّ السيدُ الهمام عليّ بنُ محمد المطاع على مولانا الإمام في الإذن له بالوصول إلى صنعاء وإعفاؤه من القيام بأعمالِ الجهة الرّداعية، معتلاً بانحراف المزاج، واضطراره إلى ترك

(١) قاسم الوجيه بن عبدالله بن عبدالرحمن المتوكل ت ١٣٨١ هـ، عالم محقق في الفقه والنحو والأصول والمعاني والبيان، درّس في شُهارة ثم تولى القضاء في النّادّة ثم عاملاً وحاكماً في رداع ثم تولى القضاء في صَعْدَة ونواحيها وصنعاء ثم صُوران، ولد في شُهارة في ذي الحجة ١٣٠٦، انظر، نزهة النظر، ٤٨٤، هجر العلم، ١١١٠.

الاشغال بالأعمال، وإسعافه، بما أراد، ووصوله إلى صنعاء مكلَّل الجبين، بما أدركه من النصر والظفر، وبلوغ الوطير السَّوَادِيَّة^(١) وجهاتها، ونيله سَعُودَ القَدَرِ/ فاستقرَّ في داره، وتوجَّهَ العَامِلُ الجَدِيدُ سَيِّدُ العَلَمِ قَاسِمُ بنِ الوَجِيه مَعَ / ٢٤٢ مَن تَعَيَّنَ مِنَ الأَعْوَانِ والأَجْنَادِ إلى رَدَاع، وبأشَر أعمال تلك الأَصْقَاعِ، فحَمِدَ منابُه وحسُن انتدابه.

وفيها شَبَّتْ نَارُ الفِتْنَةِ بَيْنَ أَهْلِ قُرُوي^(٢) وبين سَحَام^(٣) والسُّهْمَانِ^(٤)، وهي بطونٌ من خَوْلَانٍ، وكان ذلك بسببِ التنازعِ بينهم على المراعي والحدود. ووقع من الفريقين قتلى.

وصدَرَ الأمرُ الشريفُ إلى وكيلِ أميرِ الجيشِ سيَّدي عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ إِبْرَاهِيمَ بالتوجُّهِ إلى محلاتِ المذكورين مع طابورٍ من الجندِ النظامي بمدافعه، فتوجَّهَ يومئذٍ مَعَ الجندِ، ولم يَبْتَ إِلَّا في محلاتهم، وشرَعَ في ضبطِ العُقَالِ والمشايخ. وكان السيدُ مُحَمَّدُ بنُ عَلِي بنِ أَحْمَدَ الوَازِرِ يومئذٍ في جَبَلِ اللُّوزِ^(٥)، لأنَّ

(١) السَّوَادِيَّة: ناحية واسعة من بلاد البيضاء، شرقي دَمَار بمسافة ١٠ كم، انظر، معجم المقحفي، ٣٣١.

(٢) قُرُوي: عَزْلَةٌ ووَادٍ في خَوْلَانِ الطِيَالِ بالجنوب الشرقي من صنعاء، فيها سكن بني النويرة، انظر، معجم المقحفي، ٥١٣.

(٣) بنو سَحَام: عَزْلَةٌ ووَادٍ في خَوْلَانِ العالية متصلة بسنحان، بها جبل اللوز، انظر، معجم الحجري، ٤١٦/٢، معجم المقحفي، ٣٠٥.

(٤) السُّهْمَان: من قبائل خَوْلَانِ العالية ثم من بني سَحَام، انظر، معجم الحجري، ٤٣٧/٢، معجم المقحفي، ٣٣٠.

(٥) جبل اللوز: من جبال خَوْلَانِ الطِيَالِ من بني سَحَام، شرق جنوب صنعاء على بعد ٣٥ كم، وهو ثالث أعلى جبل في اليمن، وتعمه المياه الجوفية، انظر، حياة الأمير، ٦١٤، معجم المقحفي، ٥٧٢، حوليات الجرافي، ١٥١.

قُبْضَ واجباتِ الجبلِ كان بنظرِ أبيه، وهو ينوبُ عن أبيه، وقد اعترَّته لوثَّةٌ في ما ظهرَ من الأعمالِ من جهته، فشجَّعَ بعضُ عُقالِ جبلِ اللُّوزِ على الامتناعِ عن الإجابة، ووعدُّهم بالمدافةِ عنهم، إن تعرَّضَ عليهم الجندُ الاماميُّ، فأرسلَ وكيلُ الأميرِ على السيدِ المذكورِ، وعلى أولئك المتمنعين عشرةً من الخيالة، ومثلهم من مشاةِ النظام.

فلما عرفَ السيدُ محمدُ الجَدُّ أنكرَ ما أرادَ، وخلَّى ما بين العسكرِ وأولئك العُقَّالِ، فضبطوهم إلى محطةِ الجيشِ والسيدِ محمدِ عزمَ في وقته عائداً إلى السَّرِّ^(١)، ولما تمَّ لقائِدِ الجيشِ مرادَه من ضبطِ جميعِ المشايخِ والعُقَّالِ أودعَهُمُ الأغلالَ، وقد سكنتِ الفتنة، وارتفعَ معَ الجندِ عائداً إلى حضرةِ الإمام، ولما وصلَ بالعُقَّالِ والمشايخِ إلى حضرةِ الإمام أمره بإطلاقِهِم، ويكون بقاءَ الجميعِ في صنعاء، فأصلَحَ الإمامُ شأنَهُم وفكَّ نزاعَهُم.

وفيها فرَّ ثلاثة من النظامِ والتجأوا إلى بعضِ بطونِ أرْحَب، فكتبَ اليهم الإمامُ ناصحاً لهم من انتصابِهِم للجوارِ المذموم، وزاجراً لهم عن هذا العملِ المشؤومِ ومبيِّناً لهم ما فيه العواقبُ الوخيمة، فلم يَكُنْ منهم الإنصافُ.

وعلم مولانا الإمامُ أنه إذا وقعَ التسهيلُ في ذلك، فسُدَّ انضباطُ النظامِ، وتعرَّسَ تلافي الأمرِ، فأصدَرَ مولانا الإمامُ أمرَهُ الشريفَ على وكيلِ أميرِ الجيشِ بالعزمِ في عدةٍ من طوابيرِ النظامِ إلى أطرافِ حدودِ قبائلِ أرْحَبَ ومناجزِهِم بالحربِ، إن لم يحصلَ منهم الانقيادُ والإنصافُ، فتوجَّهَ الجندُ الإماميُّ معَ أميرِهِ

(١) السَّرِّ: وإدٍ مشهور بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٣ كم، وهو من ناحية حشيش، يطل عليه حصن ذي مرم، كان يُقال له سر ابن الروية نسبة إلى محمد بن أحمد الروية، انظر، صفة، ١٧٦، اليمن الكبرى، ٧١، معالم الآثار، ١١٣، نشر العرف، ٩٥ / ٢، تاريخ الواسعي، ٣٠، الاكليل، ١٠ / ١٨١، معجم المقفضي، ٣١٠.

إلى المحلات التي بين حدود بين الحارث وأزحَب، ولَمَّا عرفوا الجِدَّ من مولانا الإمام، بادروا إلى تسليم الفارين، وأذعنوا للأمر والتزموا بعدم قبول مَنْ فَرَّ من النظام، وحُسِمَتْ مادةُ تعليقِ الآمالِ / مِمَّنْ أغواه الشيطانُ على أنَّ الفرارَ إلى ٢٤٣ / أَرْحَبَ منجاةً له من الطلبِ، ومَيَّسَّرَ لرفعِ الخطابِ عنه، وعادَ الأميرُ مع الجندِ إلى حضرةِ الإمام - عليه السلام - .

وفيها انتقل السيد محمد بنُ علي الوزير من بيت أبيه في السرِّ إلى جبل اللوز عازماً على الخلاف، والسعي بالفساد، وركوبِ الاعتساف، وكانَ المذكورُ مِنْ قبل ذلك يحاولُ أن يكونَ مِنْ جملةِ عمالِ مولانا الإمام، ويُلجَّ في وصوله إلى تلك الأُمْنِيَّة، ويتوسَّلُ بكلِّ وسيلةٍ في الحصولِ عليها، ويُغريه على ذلك ما يرى عليه ابنُ عمِّه السيِّدُ الجليلُ فخرُالدين، عبدالله بن أحمد الوزير، من الرئاسة، وعلوُّ الكلمةِ والجاه، واتِّساعِ الأعمالِ التي بنظره، وكذلك قريبهُ السيِّدُ الأميرُ جمالُ الدين، عليُّ بنُ عبدالله الوزير، أميرُ لواءٍ تعز، وهو يحدثُ نفسه أنَّه قريبٌ منهما سنأُ ونسباً وكفاءةً فلا أقلَّ مِنْ أن يتقلَّدَ بعضَ الأعمالِ، ويزاحمَها في الرئاسة، وهي بعيدةُ المنالِ فلم تساعدهُ الأقدارُ على بلوغِ المرام، ولا ابتسمتْ له الأيامُ، وكانَ المذكورُ كلِّما عَرَضَ نفسه على مولانا الإمام أمره بلزومِ المدارس والعكوفِ على القراءةِ الميسرةِ للتصدُّرِ وبلوغِ مرامِ المنافسِ، فعكفَ زماناً على القراءةِ في الجامعِ الكبير، وتعلَّقَ نفسه بالإمارة، لم يَطُبَّ له البقاءُ على تلك الحالِ، فتوجَّه إلى السيِّدِ الأميرِ جمالِ الدين عليِّ بن عبدالله الوزير إلى تعز، واستعانَ به في بعضِ الأعمالِ، ولم يُحَمَّدْ منابُه، ومَلَّ الإقامةَ هنالك^[١]، فعادَ إلى السَّرِّ ثم، قصدَ الأميرَ فخرَ الدين، عبدالله بن أحمد الوزير، وعوَّلَ عليه في استنابتهِ في بعضِ الأعمالِ التي بنظره، واستأذَنَ الأميرُ فخرَ الدين، مولانا الإمام، من أجلِهِ فلمْ

[١] في س، تعز.

يأذن له، فبقي مدة هنالك، ثم عاد إلى السر، وقد أيس من الوصول إلى مطلوبه، وضائق الدنيا في عينه تحسراً على فوات مرغوبه، وعود الحظ به، عن مساواة قريبه فيما ناله، وحملة نفسه على تجشم العدوان والسعي فيما فيه حظ الشيطان وإغصاب الرحمن، فجمع حوله في جبل اللوز جماعة من سفهاء بني جبر^(١) وخولان وبني بهلول^(٢)، وشرع في بث رسائل سخيفة الموضوع والمعاني ركيكة المباني معترضاً بها على سيرة مولانا الإمام، وحنة الله في هذا العصر على بني الأيام، وهو مع ذلك يعرف من نفسه قصر الباع عن الدخول في ميادين هذا النضال، وأن ما حصّله لم يهدب نفسه ويؤهلها لتقليده/ بعض الأعمال، فضلاً عن طموحها إلى الاعتراض على من تقدّم على الجلة من أئمة الآل، ومنحه الله من الخصائص ما تفرّق في كثير من الجهابذة، ذوي الكمال، ورددت أحاديث فضله ألسنة جلائل الأعمال، فكان المجد في هذا القرن بلا نكير، والقائم بالحق، الحقيق بكلّ تعظيم وتوقير ما شئت من ينبوع معين، يتدفق بنمير التحقيق في العلوم العقلية والنقلية، ويقف عنده ذور التحقيق والتبحر مقرّين بالعجز عن إدراك مرتبته السنية، وأنهيّة ناطحت الكواكب علواً وإشراقاً، ومدّت باعها فجعلت لها من الثريا نطاقاً، وصرامة ذلّ لها الأسود، وبددت العادين، وما لهم من الجنود، وطوت ما لهم من الألوية والبنود، وأقامت قناة الشريعة وشيّدت حصونها المنيعة، وحلّق جيل على التواضع للضعيف والمسكين والانتصاف له ولو من نفسه كما هو شأن جدّه الصادق الأمين، وسيرة نصبت قسطاً^[١] العدل

(١) بنو جبر: من بطون خولان صنعاء، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ١/ ٥٥، اليمن الكبرى، ١٦٦، معجم المحققي، ٢٢٣.

(٢) بنو بهلول: من نواحي صنعاء في الشرق، على نصف مرحلة، يفصل بين صنعاء وبين ناحية سنحان، وفيها قرى كثيرة أشهرها غيمان من بلدان حمير، انظر، مذكرات المؤيد بالله محمد، ٥٠، معجم الحجري، ١/ ١٣١.

[١] في س، قسطاً من العدل.

بين العباد، وأمّنت الحاضر والباد، وأعادت زمان المرتضى، وأرّثنا ما سمعناه عن سيرة أعلم الأمة بالقضاء، ومحت رسوم الجور والإجحاف، ورفعت عن كاهل العباد، أثقال الاعتساف، وحفظت أموال الله عن أيدي العبث والإفساد، وصرفتْها حيث أمر ربُّ العباد، وحزمت حاط دين الله وبلادَه بسورٍ، وصانَ جميع الثغور وقمع الشرور، وأدخل على المؤمنين كل سرورٍ، ومنع الفتن ورفع المحن، وسدَّ أفواه بنادق الاعتداء، وأسكت لسان الخناجر والسيوف عن المناداة إلى الردى، ومنعها عن الولوغ في الدماء المحرّمة، والاندلاع على النفوس المسلمة، وإقدام أحبّ مساعي الكافرين، وقد أحاطوا بالقطر من جميع نواحيه، وألجمهم عن نيل مآربهم التي قد مدّوا إليها أعناق طمّعهم وعواديهِ. وزلزل البُغاة وما لهم من الأكناف، وأنزلهم إلى الدرك الأسفل من الأخواف، وبذل النفس والنفس في مرضاة الله تعالى وإقامة حدوده، وصيانة شرعه القويم وإعزازه بعد أن كان قد دُفِن في لحوده، وأهيل عليه تراب أخدوده، واهتمام بنشر العلوم يشفى الكلوم، ويزيل الغموم ويطرُد الهموم وينيل الطالب كل ما يروم إلى يمين نقيية، دفعت كل مصيبة.

/ وأبرزت إلى عالم الشهود، حقائق السّعود، والسعي المحمود المقرون / ٢٤٥
بالنجاح، وتيسير كل صلاح، ورفع قباب الفلاح، وعناية من الله تعالى جلّت مواهبها، وظهرت ظهور الشمس رغائبها، واعتصام بالله وبشريعته في كل الأمور، ولو تجشم المخوف^[١]، وتعاضم المحذور، فماذا عسى أن يقوله من يريد الاعتراض، ويرمي بنفسه إلى حضيض الأحاض، وحفرة الأسقام، والأمراض، ونفسه تكذّبه فيما يقول، وترميه بالجنون فضلاً عن الفضول، وتزجره عن ارتكاب ما لا يقبل من أعمال الذهول، ولو سرّدت ما من الله به على مولانا من

[١] في س، الخوف.

الخصائص لاستغرقت مجلداتٍ قبل الوصولِ إلى درجة التمام وحسن الختام، ولم يكن هذا من موضوع هذا المجموع، وإنما حداني إلى سرد هذه النبذة ما وصفتُ به تلك الرسائل السخيفة من اشتغالها على الاعتراض، ووسمها بأنها حوث ما يدل على الامتعاظ، فأزلت ما يسبق إلى الأوهام من إمكان اشتغالها على ما هو من صحيح الكلام، المعبر عن الواقع لذوي الأفهام.

ولما بثَّ السيد محمد بن علي^[١] رسائله ونشرها في كل جهة، وبلغ ذلك إلى مولانا الإمام بادر إلى نصحه بالإقلاع عن طرق الغواية، وإعلانه بوخامة خطئه التي من شأنها خرق حُرمة الرعاية، وكذلك نصحه كل عاقل، ولا سيما ذوى قرابته، عارفهم والجاهل، فأصرَّ على الاعتراض، ومتابعة هوى النفس، ومن الآثام الإصرار، وأعلن عن نفسه الاحتساب، ومدَّ يده إلى أموال الله التي بنظره، ونظر أبيه، يفرقها على مَنْ له من الأصحاب، وكاد يستفحل منه الشر، وقد حصل إليّ من إقلاعه عن أطماعه إلا إذا أُرْضِيَ بما يسدُّ نهمته من إسناد بعض الأعمال إليه، ومولانا الإمام لم يكن ممن ينزل على حكم الهوى، ولو دارت عليه الدوائر، ولا يساعد على ما لا يرى فيه المصلحة العامة، كيفما كانت عليه الأحوال من المظاهر، ولذلك صَدَرَ أمره^[٢] الشريف إلى وكيل أمير الجيش سيدي علي بن أحمد بن إبراهيم بعزمه مع جندي كثيف من طواير الجنود النظامية، ومنازلة السيد محمد بن علي المذكور في جبل اللوز محل إقامته والتكيل به، وبمن أجمع لديه من الشُفهاء الأشرار/ فامثل الأمير وبادر إلى إنفاذ ما أمر به، وأمر الإمام - عليه السلام - بأن ينضم إلى الجند النظامي قريب من عدتهم من المجاهدين، أهل الخدأ والأهنوم وغيرهم، ومعهم مدفعان، فتوجّه الجند المذكورون مع أميرهم قبيل المغرب من صنعاء، وأمرهم

/ ٢٤٦

[١] في س، محمد بن علي الوزير. [٢] في س، الأمر الشريف.

الإمام بأن لا يقفوا قبل الوصول إلى جبل اللّوز والإحاطة بالسيد محمد ومن معه.

وكانت تلك الليلة شديدة البرد والمسافة طويلة^[١]، فانقطع أكثر الجيش عن الوصول وألجأهم البرد إلى المبيت في بعض القرى، ووصل الأمير بمن رافقه إلى الجبل المذكور عقيب شروق الشمس من صباح تلك الليلة. فرتّب الأطراف ببعض العسكر ليكون منهم منع من يريد الفرار من المذكورين، وصعد إلى الجبل بمن بقي معه. ولما أحسّ السيد محمد ومن معه بوصول الجند الإمامي مع الأمير، داخلهم الفشل، واستولى عليهم الجزع، وخارت فركنوا إلى مبادرة الفرار قبل الإحاطة بهم، وأسرعوا في إغفالهم، وتولية الإدبار، ونزلوا من الجبل مهولين إلى بلادهم، وسلكوا الطريق الشرقية المائلة إلى جهة الجنوب، ولم يكن بها أحد من الجند الإمامي، لأنّ الأمير لم يضع فيها رتبة لانقطاع الجند عنه في الطريق، ووصله قبلهم ممثلاً لما أمره به مولانا الإمام من عدم الوقوف، إلّا في الجبل، وحين عاين الأمير ومن معه مزار السيد محمد ومن معه تبعوهم فلم يدركوهم، وكانت شدة البرد من موجبات عدم الإمعان في اتباع الفارين، وعاد الأمير ومن معه، وتلاحق به الجند الإمامي كله، فنزل في المحلات التي أقام بها السيد محمد وأصحابه، وقبض على من آواه من أهل جبل اللّوز، وأعيانهم وعقائهم، ورفع بالحقائق^[٢] إلى مولانا الإمام، فصدر الأمر من حضرة مولانا الإمام بإخراجه^[٣] البيوت التي نزل بها السيد محمد ومن معه، فهُدِمَتْ إلى القرار وكان في ذلك من التنكيل بمن آوى المذكور وأصحابه ما تمّ به الانزجار، وجلب مزيد الاعتبار، ثم أرسل بالذين قبض عليهم إلى حضرة الإمام. ولما وصلوا إليه عاتبهم ولامهم على ما كان منهم من الاتساع للمذكور، فاعتذروا

[٣] في س، بخراب.

[٢] في س، بالحقيقة.

[١] في س، بعيدة.

٢٤٧ / بأنهم لم يميلوا عن الطاعة ولا صدّقه فيما كان يُمليه عليهم من الرقاعة، وأنّه وصل إليهم على حسب العادة/ من نيابته عن أبيه في أعمال قبض الواجب من ذويه، ولم يتمكنوا بعد ذلك من دفعه ورفعّه، فعذرهم الإمام، وأمر قائد الجيش بالانتقال من جبل اللّوز إلى هجرة السرّ ومسكن السادة بني الوزير^(١) للإلزام أبيه بالوصول إلى الحضرة الشريفة هو وبعض أقاربه ومن يلزم من العقّال، فكان ذلك.

ولما وصل والدّه إلى الإمام عاتبه على ماجرى من ولده، فتنصّل وأظهر عدم الرضا بما كان من ابنه، وخاض مع آخرين في مراجعة مولانا الإمام من أجل إسناد بعض الأعمال إليه، وأنّه لا موجب لهذه الحركات والسكنات سوى تعذّر وصوله إلى نيل المرادات^[١]، فلم يقابلهم الإمام بالردّ الجالب للإياس والإبلايس، ولزوم السكوت، وجلب الإخرايس، بل ردّ عليهم الردّ الجميل وأنّ اللازم أولاً مثوله في المقام الجليل تائباً بما كان من التحرّك الويل.

ومنذ هروب السيّد محمد بمنّ معه من جبل اللّوز إلى بلاد نهم، مكثّ مختفياً ومحتجباً عن الظهور. ولما علّم بأنّ أباه وجماعة من أقاربه قد راجعوا مولانا الإمام من أجله عاد إلى الظهور بمنّ معه من السفهاء والخروج بالمرافع، فتركّ وشأنه، فتنقّل في بني جبر وبلاد نهم، واطمأنّ للوصول إلى بيت أبيه، واشتاق إلى زيارة أهله وذويه.

(١) هجرة آل الوزير: تقع في بني حشيش على بُعد ٣٠ كم من صنعاء شرقاً بشمال، وهي ثلاثة البلد والجديدة وبني جاسر، انظر، حياة الأمير، ٦٣٢، ولهم بيت السيّد، هجرة مهجرة تقع في ثمن الهجرة ما بين ثمن عيال مالك وثمن الانباء في وادي السرّ من ناحية بني حشيش تبعد عن صنعاء شمالاً بشرق بمسافة ٣٤ كم، وسميت بيت السيّد نسبة إلى السيد عثمان بن علي الوزير، انظر حول بيت السيّد، هجر العلم، ١٧٦ - ١٧٧.

[١] في س، المراد.

وقَدْ كَانَ الْأَمْرُ مِنْ مَوْلَانَا الْإِمَامِ، إِلَى وَكِيلِ أَمِيرِ الْجَيْشِ بِتَرْصُّدِهِ وَمِرَاقَبَةِ حَرَكَاتِهِ، وَإِمْكَانِ اقْتِنَاصِهِ وَتَصْيِيدِهِ، فَحِينَ عَلِمَ وَكِيلُ أَمِيرِ الْجَيْشِ بَوَصُولِهِ إِلَى بَيْتِهِ وَنَزْوَلِهِ وَمَبِيتِهِ بَادَرَ تَحْتَ أَسْتَارِ الظَّلَامِ بِإِرْسَالِ ثَلَاثَةِ مِنَ النِّظَامِ، وَأَمَرَهُمْ بِالْإِحَاطَةِ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي الْبُيُوتِ الَّتِي نَزَلُوا بِهَا، وَعَلَيْهِ فِي دَارِ أَبِيهِ^١ وَكُنَاسِهِ وَبَيْنَ أَنْاسِهِ^٢، فَبَادَرُوا إِلَى مَا أَمَرُوا بِهِ، وَقَامُوا أَتَمَّ قِيَامٍ بِمَطْلُوبِهِ، وَهُوَ بَادَرَ بَعْدَهُمْ بِعَصَابِيَةِ مِنَ الْجُنُودِ وَعَدِيدٍ غَيْرِ يَسِيرٍ مِنْ ذَوِي الْإِقْدَامِ مَعَ الْمُدَافِعِ، فَلَمْ تُشْرِقِ الشَّمْسُ عَلَيْهِمْ إِلَّا وَقَدْ أَحَاطُوا بِهِمْ إِحَاطَةً أَهَالَةً بِالْقَمَرِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفِرَارِ وَعَلِمُوا أَنَّهُ قَدْ تَعَدَّرَ، وَحَيْثُ نَآوَشَ جَمَاعَةُ الْمَذْكُورَ بِالْحَرْبِ، فَدَافَعُوا نَحْوَ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ، لَمْ يَسْلُ فِيهَا دَمٌ.

ثُمَّ أَدْعَنُوا لِلْاِسْتِسْلَامِ وَالْخُرُوجِ إِلَى أَيْدِي النِّظَامِ، وَتَمَّ الْإِقَاءُ الْقَبْضِ عَلَيْهِمْ مَعَ مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَسْلِحَةِ وَفَرَسِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ وَبَغْلَتِهِ وَأَدْوَاتِهِ حَتَّى أَوْرَاقِهِ وَأَدْوَاتِهِ، وَفِيهَا رِسَالٌ هُذْيَانِهِ وَمَكَاتِبَاتِهِ إِلَى جَمِيعِ أَخْدَانِهِ.

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَجَّهَ الْجُنْدُ عَلَى السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ إِلَى دَارِهِ، وَشَرَعَ الْمُدَافِعُ إِلَيْهِ وَهُوَ مَعْتَصِمٌ فِي الْبَيْتِ / يَحَاوُلُ الْاِمْتِنَاعَ وَعَدَمَ الْإِقْلَاعَ، وَيَأْبَى الْخُضُوعَ لِلْاِسْتِسْلَامِ / ٤٨
وَيَرْجِّحُ الدِّفَاعَ، وَقَائِدُ الْجَيْشِ يُوَجِّهُ إِلَيْهِ النَّصَائِحَ وَيُؤَالِي إِرْسَالِ أَقَارِبِهِ إِلَيْهِ لِعَذْلِهِ عَنْ مَا يَرُومُهُ مِنَ الْعُدُولِ إِلَى غَيْرِ رَاجِحٍ، وَاخْتِيَارِ إِنْزَالِ الْأَفْرَاعِ بِأَرْحَامِهِ وَإِسْمَاعِهِمْ أَصْوَاتِ الْمُدَافِعِ، فَفِي النِّهَايَةِ بَعْدَ الْاِمْتِنَاعِ لَأَنَّ مِنْهُ الْجَانِبَ، وَاسْتَسْلَمَ إِلَى يَدِ الْجَيْشِ الْمُطَالِبِ، وَارْتَفَعَ الْعَسْكَرُ مَعَ الْأَمِيرِ، وَمَنْ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمِيرِ الْأَسِيرِ. وَعَادُوا إِلَى حَضْرَةِ الْإِمَامِ، فَأَمَرَ مَوْلَانَا الْإِمَامُ بِإِيدَاعِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ دَارَ الْأَدَبِ، بِالْقَصْرِ السَّعِيدِ، وَانْقَضَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ بِسَلَامٍ. وَاضْمَحَلَّ مَا عُلِقَ بِالْأُذْهَانِ مِنْ بَعْدِ انْقِضَائِهَا وَجَعَلِهَا مِنْ حَوَادِثِ الْأَحْلَامِ.

[١ - ١] سقطت من س.

وكانَ هذا الواقعُ من أَلطافِ الله تعالى بالسيد محمد حيث تيسَّر قبضُه قبلَ أن يتلطَّخَ من حركاتِه بالدماءِ، وإثارةِ الدهماءِ، وإجراء ما يحجُب عنه بابُ الإنابة، ويحوِّلُ بينَه وبينَ العَوْدِ بالتوبةِ إلى صفِّ ذوي النجاةِ، وللهُ الحمدُ والمنَّةُ.

وفيها في أوائلِ شهورِها، اجتمعَ لدُنْ مولانا الإمامِ كثيرٌ من الأجنادِ قصدوا حضرتهُ الشريفةَ راجينَ إسعافَهُم بإرسالِهِم إلى محطاتِ الجهادِ. ومطارِحِ الجلالِ، وكانت المحطاتُ في أكثرِ الجهاتِ مملوءةً بالعساكرِ، فمكثوا حيناً ينتظرون صدورَ الأمرِ من مولانا الإمامِ بإعزامِهِم إلى حيث يريدُ من الأَصْصاقِ، وهم يزيدون بَمَنْ يصلُ بعدهم، وطالت مدةُ إقامتهم، وكانوا من قبائلِ شتى، وكثيرٌ منهم من حاشد وحوَّلان والحدأ وجبالِ عيالِ يزيد، فترجَّحَ لدُنْ مولانا الإمامِ أن يرمي بهم جبلُ بُرْج، وما بقي من أطرافِ بلادِ الطَّعامِ، ومن فيهما من البغاةِ الطَّعامِ.

وقد كان مولانا الإمامُ قبلَ هذا، وهو مقيمٌ بالرَّوَضَةِ، وصلَّ إليه جمعٌ كبيرٌ من رجالِ بني جَدَيْلة^(١) وبلادُهُم وخيمةُ الهواءِ، ممائلةُ هواءِ أطرافِ بُرْج وبلادِ الطَّعامِ، فاستصوبَ إرسالَهُم إلى عاملِ رَيْمَةِ علي أن يكونَ إرسالُهُم إلى عاملِ بلادِ الطَّعامِ، وإقامتهم في المحلاتِ التي طالما شكوا غيرُهُم من المجاهدين ضرَّ هوائِها، وعدمَ الطاقةِ على المقامِ بها، وكان ذلك من أكبرِ أَعذارِ ما تعاقبَ من فشلِ الجنْدِ الإمامي في تلكِ الأطرافِ، ويسَّرَ لأهلِ بُرْج السكونَ والأمنَ مما يُخافُ، فامتلَّ عاملُ الإمامِ برَيْمَةِ ما أمرُهُ به مولاهُ، وساقَهُم إلى بلادِ الطَّعامِ، وتقدَّمُوا في السهولِ التي بينَ بُرْج وبيتِ القابلي، ودفعوا/ عنها الأعداءَ، وتمكَّنوا / ٢٤٩

(١) بنو جَدَيْلة: قبيلة من بطون حاشد، مساكنهم شمال بلاد عَفار بمحافظة حَجَّة، انظر، طرفة الأصحاب، ٤٨، معجم المقحفي، ١١٤٤.

من الإقامة بها ظاهرين على العدو، ومقاومين له في الرواح والغدو، وإذا أسعفوا بالأمداد من جهة بيت القابلي أمكن لهم^[١] تطهير تلك البقاع من أدناس ذوي الضلال والأطماع، ولذلك ترجح لدن مولانا الإمام إرسال من اجتمع إليه من الأجناد من تلك الجهة، وانتخب لهم أميراً سيدي العماد يحيى بن علي الذاري، وعين معه من يحتاج إليه من الأعوان والوكلاء والكتّاب والمقادمة وعرائف الطوائف، وأمر - عليه السلام - بإعداد ما يلزم لهم من الذخائر الحربية والأقوات.

ولما تم^[٢] ذلك برز لهم أميرهم سيدي العماد من حضرة الإمام ناهضاً إلى حيث أمر، وقد بلغت عدة من معه من الأقوام زهاء ألفي مقاتل، وكانت طريقه من الحيمة الخارجية إلى بيت القابلي، وهناك وقف برهة حتى اجتمع إليه الجيش، وهناك رتب طوائفه وعبأهم تعبئة الحرب، وعين على كل فريق مقدّماً، وتقدّم بهم إلى القاع والخبث الموصل إلى بيت المنامة، والتقاهم هنالك جمع البغاة، فكانت الحرب بين الفريقين، وأسفرت عن انهزام الأعداء، وعدم اقتدارهم على الوقوف أمام الجيش القادم فضلاً عن تمكينهم من الوقوف بموقف المصادم، وما زال الجيش الإمامي سائراً في تلك الطريق مصوناً من حيل البغاة والتعويق في ظفر تام وإسعاد كافل بالمرام إلى أن وصل إلى حصن المنامة، فاستولى عليه وطرد من فيه، ومن في حواليه، فجعله الأمير سيدي العماد مركزاً لتلك المحاط، وفرّق الجيش في تلك الأطراف، وشرع في مراسلة من برع من البغاة واستمالتهم، ونصحهم بالعدول عن خطّتهم المعوجّة، وصيانة ديارهم من غرقها في كل وقت من جيوش الإمام في لجّة البوار وأيّ لجة،

[٢] في س، تم لهم.

[١] في س، أمكنهم.

فأجاب إليه أهل المقفع^(١)، وهم فريق من السادة بني الأهدل، ووصلوا إلى المحطة مظهرين للطاعة ورغوبهم في دفع الهول والأراعة، وبذلهم المجهود في استمالة من ورائهم من سكان بُرج، ووعده بوصول العقائر ممن أطاع، فلم تثمر تلك الأقاويل، ومرت الأيام بدون جدوى ولا طائل. وفشا في الجيش الإمامي الأمراض لوخامة تلك الجهة، وظهر منهم لذلك الفزع والفشل، فألزم الأمير عصابة من الجند بالتقدم إلى الشطبة وعطار^[١] والاستيلاء عليهما، فقاموا بما به أمروا توجهوا إليها فظفروا وتمكنوا من ترتيبهما ودفع الأعداء عنهما، ولكن أحوال الجيش قد صارت غير مرضية / لما لحقهم من الأمراض، وتسلك بعضهم للفرار مكللاً من الإقامة وطولها.

وفي خلال ذلك تكاثر وصول أعوان الضال إلى جبل بُرج من التهاميين وغيرهم، وغص بهم، فكانت تلك المخابرات والمراجعات بين الأمير ومن وصل إليه من أهل بُرج من نوع المخادعة، وترقب الفرصة وانتظار إمداد التهاميين، فأعمل الأمير رأيه في التدبير؛ وقد صار في حيرة مما ألم به من المضاعب والتعسير، فجس نبض الجيش بأن أمر طائفة منهم بالتقدم مدداً لمن في عطار والشطبة، وأن يكون من السابقين ومدد لهم النهوض إلى مغربة الخزاعي^(٢)، فتقدم أولئك وقد ضعفت منهم العزائم، ولما انهل عليهم مطر الرصاص من الأعداء رجعوا إلى الوراء، ولم يقفوا في الشطبة وعطار، فلم يشعر الأمير ومن معه إلا بعود بعضهم إليه، وحين رأى الأعداء منهم هذا الفشل

(١) المقفع: من قرى بلاد الطرّف، من ناحية بُرج من أعمال محافظة الحديدة، انظر، معجم المحققي، ٧٥، الاكليل، ٢ / ٣٨١، صفة جزيرة، ٢٠٥.

(٢) بنو الخزاعي: غزلة من ناحية بُرج وأعمال الحديدة، انظر، معجم المحققي، ٧٤، طرفه الأصحاب، ٤٦، الباب، ١ / ٤٣٩، معجم الحجري، ١ / ٣٠٧.

[١] هي عثارة وهو خطأ املائي.

داخلهم الطمع فيهم، فصالوا وجالوا وتبعوا المتقهقرين إلى ما حول حصن المنامة، فتفاقم الحال وتزايد الاضطراب وانضم إلى ذلك ما لم يكن داخلًا في الحساب من فرار الجماعة تلو الجماعة لا خوفًا من الأعداء، ولا اضطرابًا وفرارًا من وخز الأسنة والضبا ولا عن أعواز في الأقوات والذخيرة، بل تشوقًا إلى الأوطان، وتخوفًا من الأمراض فاضطرَّ الأمير إلى الانتقال من هنالك ليجمع من معه ويعاود الهجوم، وأمر بعض الجيش بالعود إلى بيت القابلي، وكان انتقال الأمير إلى أطراف ريمة، ثم لم يتيسر له بعد ذلك النهوض على العدو ولا للحقق بمن في بيت القابلي لتكليب الأعداء وانتشارهم في تلك الأنحاء، ومن توجه إلى بيت القابلي تعرض لهم الأعداء في القاع، وواقعهم فدفعوهم عن طريقهم مرات إلى أن وصلوا إلى بيت القابلي واستقروا هنالك، ووصل إليهم المدد من مولانا الإمام، وتلقوا من مولانا الإمام الأمر بالبقاء هنالك، فلبثوا أيامًا، ثم أمروا باللاحاق إلى ريمة بالأمير، فاقتحموا القاع وهزموا الأعداء، ولم يقدرُوا على منعهم ولا النيل منهم، وتم لهم اللحوق بالأمير، وقد حصل الإياس من إمكان إتمام العمل بمن بقي من الجند وهم يزيدون على الألف، فصوب الأمير الانتقال لعدم الجدوى من البقاء، وتوجه نحو ريمة إلى مركزها، ومكث هنالك أيامًا، ثم أمره مولانا الإمام بالعود إلى حضرته، وإبقاء الجند الذين كانوا معه في ريمة بنظر عاملها، وأمير جندها السيد الأجل، جمال الإسلام علي بن محمد الشامي، ولم يحصل المراء من حركة هذا العام على مثل / الذي جرى / ٢٥١ من الحركات السابقة التي شملت حوادث ما سلف من الأعوام، وأنفق فيها مولانا الإمام جزيل الأموال والنفقات الجسام.

وفيها وجه مولانا الإمام عمالة ناحية كُسمَة من أعمال ريمة إلى عهدة السيد

الأجلَّ عبد الله بن حسن الدَّيْلَمي، والمذكور من سادة بني الدَّيْلَمي القاطنين في ذمار، ونشأ على سميت من النجابة وعلوَّ الهمة، فتولَّى في أيام الأتراك أعمالاً لهم جليلاً كالقائم مقامية ونحوها، في عدة قضاوان. ثم مكث في وطنه إلى هذا التاريخ، فاستقدمه مولانا الإمام من ذمار وأسند إليه العمل المذكور، وأمره أيضاً أن يتولَّى عمل الكشف على أعمال المأمورين في المالية هنالك، وكان قد بلغ إلى مولانا الإمام، أنَّ في الأعمال المذكورة اختلافاً، فتوجَّه السيد المذكور إلى عمله، وقام به خير قيام، وبقي في مركز الجبى منظوراً بعين الخبرة وحسن الاطلاع معيناً للعامل في كثير من الأعمال التي يعمُّ بها الانتفاع.

وفيها كان تعيين القاضي محمد بن حسين العيزري من فقهاء ضوران حاكماً لناحية السلفيَّة من أعمال ريمَّة، خلفاً للسيد علي بن أحمد الحملي^(١)، وقد كان السيد علي المذكور لبث فيها مدة تقارب العام، ثم جرى بينه وبين العامل نزاع في بعض المسائل أفضى إلى صدور الأمر الشريف برفعه عن الحكومة المذكورة، وانتقاله إلى الجبى، واسناد حكومة بعض المخالفين من ناحية الجعفرية إليه عن أمر الإمام - عليه السلام -.

وفيها في شهر جمادى الآخرة تمالاً جماعة من مشاهير رجال اليمن الأسفل على الغدر بالأمر جمال الدين^(٢)، علي بن عبد الله الوزير، ولم يكن من المتمالين أحد إلا وهو ممن ينتمي إلى الإمام، ويتولَّى بعض الأعمال، وبلغ أنَّ الذين أجمعوا عليه فيما بينهم ورقموه في صحيفة لهم، أنَّ يكون الفتك بالأمر وقتله بعد صلاة

(١) علي بن أحمد الحملي ت ١٣٤٤ هـ، تولى عدة مناصب شرعية في الحيمة الخارجية والحملى نسبة إلى هجرة جبل الحمل الواقعة جنوب صنعاء، انظر، حياة الأمير، ٥٧١.

(٢) رواية المؤامرة وتفصيلاتها جاءت مختلفة في كتاب حياة الأمير، ١٧٦ - ١٩٠.

الجمعة، ثم يكون منهم الاستيلاء على الأعمال والخروج عن طاعة الإمام، والوقوف صفاً واحداً لمنع جند الإمام من النزول من سُمارة^(١)، ونُسب هذا التأليب أو التمالؤ إلى جماعة من مشاهيرهم: عامل العُدين الشيخ حمود عبد الرب، وعامل الحُجْرِيَّة الشيخ عبد الوهاب بن نعمان مقل، والشيخ أحمد بن حسن بن علي باشا والشيخ الجنيد بن عبد الله النور، عامل جبل راس، والشيخ عبد الله بن عبد الجليل وبعض إخوانه وأولاده وغير هؤلاء، وقد كانوا شرعوا في مخابرة بعض العرائف لإفسادهم فوصل بعضهم إلى الأمير وأخبره بما قد أجمعوا عليه ودعوه/ إليه، ثم تثبت الأمير مما نُقل إليه، فكثرت الناقلون حتى / ٢٥٢
إنه حضر إليه بعض ممن كان انتمى إليهم، فأخبره بالقصة، وأنه أشار بعضهم أن القتل لا يحسن وسيؤدي إلى سفك دماء كثيرة والعاقبة منه غير مأمونة، ولكنه يحسن قتل الأمير بالسُّم، ووافق على هذا الرأي أكثرهم، وقد قيل: إن الذي أشار بهذا الرأي هو الشيخ الجنيد بن عبد الله، وصادف في ذلك التاريخ اجتماع المذكورين بتعز عن طلب من الأمير لإجراء المحاسبة فيما تولوا قبضه من الواجبات، وقد طال مكثهم من أجل ذلك شهوراً بمدينة تعز والأمير مشدد في إكمال الحساب والوفاء منهم بما قبضوه، ولم يجدوا بداً من الامتثال. وقد كان من عامل العُدين قبل ظهور هذه المكيدة الإرسال لعصابة كبيرة من أهل العُدين، فوصلوا إلى تعز، ومن رآهم يظن أن الإرسال كان عن أمر الأمير لإرسالهم، إلى بعض الجهات حسب العادة.

وفي باطن الأمر المراد من وصولهم القيام بما دبروه من المكيدة. ومن استمالوه على ما قيل جماعة النظام من اليمن الأسفل، وكان الشيخ عبد الله

(١) المقصود جبل سُمارة، وهو جبل كبير يضم عدة مرتفعات، أول اليمن الأسفل وطرفه الشمالي بداية لليمن الأعلى، فيه رأس جبل صيد قلعة، إليها ينسب نقيط صيد، انظر معجم المقحفي، ٢٣، حياة الأمير، ٦١٥، ترجيح الأتيار، ٢٩٣.

عبدُ الجليل قد باشرَ عمارةَ بيتٍ مقابلَ لدارِ النصرِ التي بناها الأميرُ فوقَ مدينةٍ تعزٍ، فقيلَ: إنَّه لهذا المقصدِ، والحاصلُ أنَّه ثبتَ لِدُن الأميرِ جمالُ الدينِ إجماعُهم علي هذا الغدرِ والمكرِ، فأعملَ الخيانةَ في إلقاءِ القبضِ عليهم ودَبَّرَ ذلكَ، فزَجَّهم إلى السجِنِ، وفَتَّشَ ما في عِيابِهِمْ^(١) من الأوراقِ فعَثَرَ على الصَّحيفةِ التي أجمعوا عليها مع بعضهم، ووَجَدَ السِّمَّ مع أحدهم، ولم يبقَ شكٌّ في ذلكَ الإجماعِ، وأقرَّ بعضهم بذلكَ، وادَّعى أنَّه يقصُّدُ اختبارَ غيره، وما عندهم من النوايا، فكانَ مِنْ عنايةِ اللهِ وَالطَّافَةِ افتضاحُهم وبطلانُ سحرِ مكيدَتِهِمْ وغدرِهِمْ ومعاجلَتِهِمْ بالانتقامِ قَبْلَ أَنْ يُحْدِثُوا في جِسمِ الدينِ ما لا يُبْرِيءُ مِنَ الآلامِ والأسقامِ ويتمكَّنوا من هذه القضيةِ الشنعاءِ، والغدرِ الذي لو تَمَّ لكانَ به سيلُ الدماءِ، وفواتُ الآلافِ مِنَ النفوسِ المصونةِ، وإثارةُ الدهماءِ، وقلْبُ الأمورِ ظهراً على عِقَبِ، وإزالةُ ما فيه العبادُ مِنَ النعمةِ والأمانِ وإبدالُها بالخوفِ والخسرانِ، ومقاساةُ شدائدِ/ الهوانِ، ولذلكَ قابلَ الناسُ جميعاً ما كانوا قد أجمعوا عليه بالسخطِ والغضبِ والتبرُّءِ منهم، وَمِنْ أَعْمالِهِمْ، وتساوى في ذلكَ الأباغِدُ والأقاربُ، وحَسُنَ موقعُ ما نالوه مِنَ العقابِ والهوانِ لِدُن الجميعِ، وتَمَنَّوْا لَهُمْ كُلَّ هَوْلٍ مريعٍ، ولم يفضَحْ سرَّهُمْ سوى كُفْرانِ الإحسانِ، فإنَّهم كانوا أربابَ النُّهى والأمرِ المعدودينَ مِنْ خُلَصِ الأعوانِ.

٢٥٢ /

ولما رَفَعَ الأميرُ جمالُ الدينِ خبرَ هذه الحادثةِ إلى حضرةِ الإمامِ، صدرَ الأمرُ مِنَ الإمامِ باطلاعِ المذكورينَ إلى صَنْعَاءَ مع جماعةٍ مِنَ العسْكرِ، فسيقوا في الأغْلالِ مِنْ تعزٍ، ولما وصلوا إلى صَنْعَاءَ، صارَ يُداعِهم دارُ الأدبِ بالقصرِ السعيدِ، وقد لاقَوْا في طريقهم مِنْ شتمٍ كُلِّ مَنْ رآهم أَمْرَ الهوانِ والعذابِ

(١) عِيابِهِمْ: جمع عَيْبَةٍ وهي وعاء من أَدَمٍ يكون فيها المتاع والجمع عِيَابِ، انظر، لسان العرب - مادة عيب - .

الشديد، وأمر مولانا الإمام بقبض دورهم والاحتياط بها فيها، ليكونَ من ذلك تداركُ استلام ما في ذمهم من أموال الله. كانَ في النهاية انعكاسُ ما دبروه من اغتيال طائفة من المسلمين، فيهم من أفاضل السادة جماعة، إلى ما لا قوَّة من الوبال، وذاقوه من الأهوال وجروهم إلى نفوسهم من سلب النعمة ومعاناة ذل النعمة، وهذه عاقبة البغي، ونهاية عمل الغي.

ألم تر أن البغي يصرع أهله وأن على الباغي تدور الدوائر

وقد وصل إلى مقام الأمير جمال الدين كثير من أشعار ذوي الفطن، منادية باستنكار ما كان، ومهتة له بالنجاة من مكر من مال عن واضح السنن،^[١] ومن ذلك قصيدة بليغة جاء فيها من بديع النظام، وجزل الكلام، قوله مادحاً للأمير الجيش سيدي جمال الدين:

مَا زِلْتُ تَحْتَلِبُ الْقُلُوبَ بِفُطْنَةٍ وَدِرَايَةٍ تَدْعُ الضَّمَائِرَ فِي الْحُجَى عَمَّا نَوَاهُ الْخَارِجُونَ عَنِ الْهُدَى تَبَّأَ لِرَأْيِ الْمَارِقِينَ فَإِنَّهُ كَادَ الزَّمَانُ يُوَالِي الْحَدَثَانَ فِي وَيَجِدُّ الْخَوْفَ الْعَظِيمَ يَكْرَبُ بَلَا يَا لِلصَّحِيفَةِ إِنَّهُمْ رَسَمُوا بِهَا رِسْمًا بِهِ رَفُضَ الْكِتَابِ وَدِينُهُمْ أَهْوَنُ بِرَأْيِهِمُ الَّذِي كَسَبُوا بِهِ يَا عُصْبَةَ النَّارِ الَّذِينَ أَخَاهُمُ أَرَأَيْتُمُو بِالْحَدْسِ أَنَّ إِلَهُكُمْ	وَقَفَّتْ عَلَى سِرِّ الْغُيُوبِ الْمُبْهَمِ عَنْ حِيزِ الْكُتْمَانِ نَاطِقَةَ الْفَمِ مِنْ كُلِّ مَتَّسِمٍ بِزِيِّ الْمُسْلِمِ رَأَيْ ابْنِ مُلْجَمٍ فِي الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ لِلْسَّيِّئِ عَلَى السَّيِّئِ وَجَدَّأُ بِكُلِّ مُضَرَّجٍ وَمُسَمِّمِ مَا فِي الصَّحِيفَةِ يَوْمَ قَطَعَ الْأَرْحَمِ وَالشَّرْعِ رَفُضَ جَبَلَةَ بَنِ الْأَيْهِمِ خَزِيئًا لِكُلِّ مَفْلُكٍ وَمَنْجَمِ مِنْ نَسْلِ عَادٍ، أَوْ بَقِيَّةِ جُرْهُمِ يُحْلِي الزَّمَانَ لِدِينِهِ عَنْ قِيَمِ

٢٥٤ /

[١ - ١] سقطت من س.

وَجَحَّذْتُمْو حَقًّا لآلِ مُحَمَّدٍ
وَمِنَ الْحَدِيثِ بَأَنَّهُمْ سُفُنَ النِّجَا
أَجْهَلْتُمْو الرُّتَبَ الَّتِي رَفَعْتَكُمْو
إِنْ لَمْ تَكُونُوا أَهْلَهَا فَتَفَكَّرُوا
أَنْسَيْتُمْو الْحَرْبَ الَّتِي أَسْقَتْكُمْو
إِنَّ الَّذِينَ تَرْجُونَهُ مِنْ دُونِهِ
وَعَزِيمَةُ الْمَوْلَى الْإِمَامِ فَإِنَّهَا
بِالنَّقْضِ لِلنَّصْرِ الْجَلِيِّ الْمُحْكَمِ
نَصُّ الْبَخَارِيِّ فِي الصَّحِيحِ وَمُسْلِمٍ
بِالْقَدْرِ مُوجِبَةً لَشُكْرِ الْمُنْعَمِ
بِالرَّأْيِ أَصْلَكُمْو الَّذِي لَا يَنْتَمِي
حَدَّ الْمَشْطَبِ وَالْقَنَا الْمُتَحَطِّمِ
وَحُزُّ الْأَسِنَّةِ وَاجْتِنَابُ الْمُخْذَمِ
حِرْزُ الْعَنَايَةِ عُرْوَةُ الْمُسْتَعَصِمِ

ومن أبيات قصيدة أخرى في هذه الحادثة، وبينها وبين الأولى بونٌ في إجادة
البيان وحسن الإفصاح، والإتيان بما تميلُ إليه الأرواح: [الطويل]

كَذَا فَلْيَكُنْ أَسْرُ الْبُغَاةِ إِذَا سَعَتْ
يُرِيدُونَ غَدْرًا بِالْوَزِيرِ أَمِيرِنَا
أُمَيْرٌ يَلُودُ الْقَاصِدُونَ بَعْدَ لِه
وَشَتَّتْ شَمْلُ الْمُلْحِدِينَ وَرَدَّهُمْ
وَقَامَ بِحَقِّ اللَّهِ بِالسَّيْفِ فَاثْنَتْ
لَشَقَّ عَصَى الْإِسْلَامِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
شَرِيفِ الْمَسَاعِي نَافِذِ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
وَقَدْ سَدَّ ثَغْرًا لِلْأَنَامِ عَنِ الْكُفْرِ
مِثَالُ قُرُودٍ فِي الْجِبَالِ مِنَ الدُّعْرِ
بِهِ حَوْزَةُ الْإِسْلَامِ سَامِيَةُ الْقَدْرِ^١

/ وفيها اشتعلت نارُ الفتنة بين قبائل عيال سُرَّيْحٍ مِنْ بَكِيلٍ وَبَيْنَ قِبَائِلِ
حَاشِدٍ، وَأَصْلُهَا، فِيمَا بَيْنَ سَكَانِ الْحُدُودِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ دَعَا كُلُّ فَرِيقٍ سَائِرَ
الْبَطُونِ مِنَ الْقَبِيلَتَيْنِ، وَجَرَى بَيْنَهُمُ الْحَرْبُ، وَقُتِلَ مِنَ الطَّرْفَيْنِ جَمَاعَةٌ.

وَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ إِلَى مَوْلَانَا الْإِمَامِ وَإِلَى إِسْرَآلِ النَّصَائِحِ إِلَيْهِمْ، وَنَهَاہُمْ عَمَّا
يُرْتَبِكُونَهُ مِنَ الْقَبَائِحِ وَخَوَّفَهُمْ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِسُفْكِ الدَّمَاءِ، وَفَعَلَ مَا لَا
يَرْضَاهُ رَبُّ السَّمَاءِ، فَلَمْ يَنْتَهُوْا عَمَّا هُمُوا عَنْهُ، وَلَا انْزَجَرُوا وَتَمَادَوْا عَلَى التَّحْشُدِ

والإقبال إلى هذا المنكر برغبة وتعمد، وكلا الفريقين يعتقدان أن الآخر هو الباغي، فأعرض عنهم الأمام لما رآه من إذعانهم للشيطان، وإجابة داعي غوايته، فتزايدت الجموع من الفريقين، ولم يصل أحدُهما إلى مناه، فقام رؤساؤهم باستنجاد القبائل الآخره ليحضرُوا معهم في هذه المواقف، فحاشد دعوا قبائل همدان، وعيال سُريح دعوا قبائل بكيل، وكاد الشر أن يستفحل بينهم ولا سيما إذا تمَّ هذا التداعي من سائر القبائل، وكان مولانا الإمام - عليه السلام - قد ألمَّ به بعض الأسقام، فانحرفَ منه المزاج وهو يعانِيه بالتداوي، ولكنَّ رغبته الشديدة في إصلاح أحوال المسلمين، ودفع الشرور عنهم ووقايتهم لهم من الفتنة، حملت نفسهُ الكريمة على التوجُّه إلى ديارِ الفريقين لحسم هذا الداء، ومحو الاعتداء، فخرج مولانا الإمام من صنعاء في سابع شهر شعبان من هذه السنة، ومعه جماعة من الأعلام، كالمولي فخر الدين، عبدالله بن إبراهيم وسيدي العلم، قاسم بن حسين أبوطالب العزى، وسيدي محمد بن أحمد بن قاسم حميد الدين وسيدي يحيى بن محمد بن المتوكل والسيد أحمد بن يحيى الكبسي، وسيدي علي بن حسين الشامي، وسيدي محمد بن محمد بن يحيى زبارة والأخ القاضي حسين بن أحمد مطهر والقاضي أحمد بن محمد الأنسي، ومن النقباء والمشايخ جماعة، فبات في المعمر^(١) من قُرى همدان.

وفي اليوم الثاني بعمَّران، واليوم الثالث، في هجرة الصَّيْد^(٢) من قُرى خارف، ودعا رؤساء الفريقين إلى حضرته ونصحهم وحذرهم / ووبخهم على / ٢٥٦
تهاوُنهم بالنصائح وإقبالهم على ارتكاب القبائح، ولبتَ بينَ ظهريهم أياماً،

(١) المعمر: بلدة في الجنوب الغربي من صنعاء بمسافة ٢٣ كم، في الطريق إلى عمَّران،

والمعمر في اليمن كثير، انظر، معجم المقحفي، ٦١٢، معجم الحجري، ٢/ ٧١٤.

(٢) هجرة الصَّيْد: بلاد من حاشد من ريدة من خارف، انظر، اليمن الكبرى، ١٧٩، صفة

جزيرة، ١٢٣، معجم الحجري، ٢/ ٥٤٨.

وهم في غيَّهم يعمهون، ولكنَّهم قد سكنوا الحرب، إجلالاً له - عليه السلام - ثم انتقل إلى رَيْدَةَ^(١)، وهنالك شدَّد عليهم الصرامة، وأنذَرهم: إنَّ لم ينقادوا أن يدوس بلادهم بالأقوام، ويذيقهم كؤوس الإذلال والانتقام. وكان الإمام - عليه السلام - يراعي لهم حقَّ الإيواء والمناصرة في الزمن السابق، فهو يعاملهم باللين والرفق، فلما شاهدوا منه الشدَّة خضعوا لأوامره، وانقادوا لزواجره، وتمَّ على يده وبجهد سعيه عقد الصلح بين الطرفين، ورفع المطارح من الجهتين، وإسكات صوت الشرور، واشترط مولانا - عليه السلام - وصول من يلزم من الفريقين في أثناء مدة الصلح للخوض في حشم المادة التي سبَّبت فتح هذا الشر، وما ترتَّب عليها من القتل والنهب، وما عمَّ من الإدراك الضارة بالفريقين، وزال عمل الشيطان، وخاب سعيه، ثم عاد مولانا الإمام إلى عمران، ومنه إلى صنعاء مقرَّ حضرته الشريفة مقرّوناً باليمن والجلال والنجاح والإقبال، وقد منَّه الله المراد من الشفاء وزوال الداء بترياق العناية الإلهية، والوقاية الصمدانية، و^١ حيث كان الإمام الآلام بجسمه الشريف، ناشباً من كثرة مقاساة الأعمال، وتولَّيه لها بنفسه الشريفة، وإنهاك قواه في أصناف المصالح العامة والمباشرة لجليلها والحقيق، مع أنَّ الإبقاء على ذاته ربِّها وصلَّ حدَّ الوجوب. رأى القاضي الضياء لطف بن محمد الزبيري حاكم سنحان، وأحد حكام الاستئناف مناسبة مراجعة مولانا الإمام بشيء من المنظوم، يحثُّ حضرته الشريفة على اجتناب ما يورث الكلوم، وترجيح جانب الاستعانة بصالح الأعوان، والاستغناء بذلك عن معاناة ما يكون سبباً لوقوع عالم الإسلام في

(١) رَيْدَةَ: شمال غرب صنعاء بمسافة ٤٩ كم، انظر، الاكليل، ١/ ٢٧٠، اليمن الكبرى، ٨١، ١٧٠، صفحات مجهولة، ١٩٠، قرة العيون، ٢٢٢، معالم الآثار، ٦٤، معجم المحققين، ٢٨٠.

[١ - ١] من عبارة «وحيث كان الآلام حتى عبارة، وفي اوائل شعبان» سقطت من س.

مهاوي الأحزان، فنظم القاضي الضياء أوائل ما تراه من النظام، وأكملها جامع هذه السطور، وكان تقديمها إلى حضرته الشريفة عقيب عودته من حاشد، فحلّت من الإمام بمكان الاستحسان والقبول أحسن حلول، وهي:

[السريع]

إذا اشتكى المولى إمام الهدى	اشتكت الأرض وسكانها
لأنه قلب الزمان الذي	قامت به الذات وأركانها
وهل ترى الجسم صحيحاً إذا	شين بها القلب وبئسانها
فبرؤه برؤ لكل الورى	حقيقة يسطع برهانها
وحاجة الأمة فيما نرى	طول بقاءه فهو سلوانها
وهي منى العالم طراً فما	خلا عن الأذهان عرفانها
أذكر حتى الطفل مقدارها	فشأنه المعني به شأنها
طابت لها الريح وعامت بها	سفن البديهي وربانها
وهكذا الأفكار من شأنها	في مثله تنساق أوزانها
وكل من شاهد مولى الورى	شاهد حالاً قل صنوانها
متاعب يعجز عن حملها	من الجبال الشم ثلثانها
وهمة فوق نجوم السما	فات عن الإدراك ميزانها
لا يرهب الحادث إن كثرت	أنبأه أو هال غيلانها
أما تراها وجهت عزمها	فرافق الإسعاد أيمانها
لحسم داء الشر في حاشد	حيث أضل القوم شيطانها
وفي بكيل إذ تنادى بها	دعاه جهل طال إيدانها
فاستأصل الداء وعمت به	صنوف خير سال هنانها

شَبَّتْ بِهِ صَلَاحٌ وَمَاتَتْ بِهِ
وَعَادَ بِالْحَمْدِ يَزِفُّ السَّنَا
بِصَحْبِهِ الْيُمْنُ وَإِقْبَالُهُ
مَوْلَايَ أَنْتَ الْيَوْمَ رَوْحُ الْوَرَى
يَا سَيِّدِي رَفَقاً بِنَفْسٍ غَدَا
كَذَا طَرِيفٌ وَتَلِيدٌ وَسَا
رَفَقاً بِهَا مَوْلَايَ إِنَّ الدُّنَى
جُرْتُمْ عَلَيْهَا بَقَا عَذْلِكُمْ
حَرَمْتُمُوهَا وَهِيَ أَوْلَى بِهِ
وَمَا خَلَتْ أَفْعَالُكُمْ كُلُّهَا
إِلَّا الَّذِي عَزَّ عَلَى أَنْفُسٍ
فَخَفَّفُوا الْعِبَاءَ وَجُودُوا عَلَى
وَاتَّخَذُوا الْأَعْوَانَ مَنْ قَدْ صَفَتْ
فَفِي النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى أَسْوَةٌ
عَلَيْكَ صَلَّى اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ
تَعُمُّ كُلَّ آلٍ أَهْلِ التَّقَى
مَا أَضْحَكَ الزَّهْرُ بِكَاءِ الْحَيَاءِ

وفي أوائل شعبان من هذه السنة، مات ناجمُ تهامة السيد محمد بن علي بن
أحمد الإدريسي بصبيًا، ودُفِنَ بها، واتفقت كلمة أعوانه بعد اختلاف جرى
بينهم على نصب ابنه السيد علي بن محمد مكان أبيه، وكان سنُّ ابنه هذا لم
يتجاوز الخمس عشرة من الأعوام، ولم يتحلَّ بشيء من العرفان، ولكن أعوان
أبيه أرادوا حفظ مكانة سيّطرتهم وتحكمهم، وما لهم من المصالح والمطامع،

فأظهروا نصبَ هذا الولدِ ليكونَ آلةً بأيديهم، ونادوا بإمامتهِ عليهم، وخطبوا له على المنابر، واسكتوا كلَّ مكابرٍ.

[الوافر]

أمورٌ تُضحِكُ السفهاءَ منها وَيَيْكِي من عواقبِها الحليمُ

وكان ابتداءُ ظهورِ أبيه في أوائلِ سنةٍ سبعٍ وعشرينٍ وثلاثٍ مئةٍ، ومكثَ إلى هذا التاريخَ مَطْلَعاً للفتنةِ، وجالباً لكلِّ محنةٍ، وردءاً للكافرينَ وشجىً في حلقِ المؤمنينَ، كلِّما أوعزَ إليه النصارى بالقيام على أهلِ الإسلامِ، وأمدَّوه بالذخائرِ والأموالِ وأنواعِ الحُطامِ، بادرَ إلى الإجابةِ وإنفاذِ ما لهم من إرادةٍ غيرِ غلابةٍ، وأنزلَ بالمسلمينَ كلَّ ضَرَاءٍ، وأسألَ الدماءَ أنهرأ وأجرى، واشتملتِ أعوامُ فتنته على معاركٍ وخطوبٍ، ونوائبٍ مثلها لا تنوب، وحوادثٌ خرقت حُرمةَ الدينِ وأضحكت / ثغورَ الكافرينَ، وشفَّت فيهم الآلامَ، كما أحدثت في جسمِ الدينِ / ٢٥٩
الأسقامَ، ولم يراقبِ الله تعالى فيمن غرَّهُم من الجهَّالِ، وقادهم إلى الضَّلالِ واستهواهم بالأموالِ، وقادهم إلى حُفْرِ الوبالِ والذي وصلَ من آبائه إلى هذه الديارِ هو السيد أحمد الادريسي^(١)، انتقلَ من صعيدِ مصرَ إلى مكة المكرمة، ولبثَ فيها زماناً، ناشراً لألوية العلوم واشتهراً بالرسوخ،^(٢) والظنُّ أنَّ بعضَ علمائنا من معاصريه حينَ حجَّ استجازه فأجازه^(٣)، ثم انتقلَ من هنالك، وتردَّدَ في الأطرافِ إلى أن وصلَ إلى صَبِيَّا فاستطابها ووجدَ أهلها في غايةٍ من الجهلِ

(١) أحمد بن إدريس المغربي: الجد الأول للأسرة الإدريسية بثُمامة، ولد في بلدة العرائش من أعمال القيروان، درس على الشيخ عبد الوهاب التازي، وصل مكة سنة ١٢١٤ هـ وهناك اشتغل بالعبادة والتفسير والسنة النبوية وصل إلى بواحي ونواحي زبيد سنة ١٢٤٥ هـ ثم انتقل إلى صبييا واستقر فيها حتى توفي في رجب ١٢٥٣ هـ، وقد صنف حسن بن أحمد عاكش في سيرته الكتاب الموسوم بحدائق الزهر في ذكر أشياخ أعيان العصر، انظر، المخلاف السلياني، ٦٢٠.

[١ - ١] سقطت من س.

فراج حاله، وثبت قدمه بين ظهرانيهم، ورفعوه إلى درجة الولاية، فبقي هنالك إلى أن توفي ودُفِنَ بها، وأُقيم على تربته^[١] مشهدٌ، وخلفه في مكانه ولده السيد علي بن أحمد على طريقة أبيه في الاتسام بالصلاح، وعدم مخالطة الناس، إلى أن توفي ودُفِنَ قريباً من أبيه، ونشأ ولده هذا محمد بن علي، أسود اللون حالكة، عظيم البنية كأجسم ما يكون من الرجال طولاً وضخامة بنية، فذهب إلى مصر وصعيدها وزار هنالك قرابته، ومكث على ما قيل زماناً في الجامع الأزهر، حصّل فيه طرفاً من العلوم، وتهذّب تهذيباً مصرياً مشوباً بالشطارة، وحُسن الخبرة بأمور السياسة والمهارة في الخداع واجتذاب القلوب، وعاد من هنالك وقد علّق بفكرته إمكان الاستيلاء على صبيها وما حولها، وخامرته حُبُّ الإمارة، لأنّ الأتراك كانوا منذ أمدٍ بعيدٍ مقتصرين على ضبط جيزان فحسب، ولا يعرفون من حال صبيها وأبي عريش شيئاً، فشرع في جذب القلوب إليه، ووعظ الناس حتى تم له جمعُ الناس حوله في صبيها، واستمدّ من النصارى أموالاً صرفها في التأليف، ولم يدع أحداً إلى منابذة قوم أو مقاومة دولة، فبعّد صيته وانتشر الحديث عنه، وأعانته على ذلك ما مهّد له أبوه وجدّه من شهرتهما بالصلاح، فأقبلت قبائل تُهامة الشامية إليه أفواجا، ومما زاد في تمكّنه أنّ تُهامة الشام من أطراف اللُحَيّة إلى حدود عسير لإهمال الأتراك لها صارت فوضى، وعمّ التعادي بين سكّانها حتى أنها لا توجد قرية من قراها إلّا وهي مملوءة بالبغضاء فيما بين أهلها، وخُوف كل فريقٍ من الآخر، وكانوا قد ملّوا هذه الحال، وصاروا في حالة احتياجٍ شديدٍ إلى مَنْ يحسّم داء فوضاهم ويزيل بلواهم وضرّاهم.

فلما ظهر المذكور وجدوا ما يتمنّون من السكون من دون نظير إلى كون

[١] في س، قبره.

داعيتهم من أهل الصلاح، أو من ذوي المساعي القباح أو كونه يقودهم إلى النار أو دار القرار / فانتظم له حال قضاء صبيّا وأبي عريش وما بين أطراف / ٢٦٠ اللّحيّة وجازان، ودخلوا في طاعته، وأظهر المسالمة لمولانا الإمام، بل لم يقتصر على ذلك، فزاد إلى حالة تشبه الانتماء، ومدّ يده إلى أطراف عسير، فأدخل بعضهما في طاعته، ثم ضايق الأتراك في أبها مركز عسير، فانتبه الأتراك من غفلتهم ودفعوه عن بلاد عسير بحرايهم، ثم التفت إلى قضاء اللّحيّة، وأراد إدخاله تحت حوزته، فأرسل الأتراك عليه الجنود من كلّ جهة، فتيّسر له استماله قائد تلك الجنود المسمّى سعيد باشا وسحره - بأنّه لا يريد الخروج على حكومة الأتراك، وإنّما هو مصلح ولا يريد أمراً، فانطى عليه سحره، ورفع ذلك القائد إلى دولته بما اعتقده فيه وتصوره أمره، وتفرّقت تلك الجنود عنه، فعاد إلى طوره الأول.

وفي سنة ١٣٣٠ سوّكت له نفسه الاستيلاء على صعدة وبلادها، فأفسد جميع قبائل خولان بن عامر، ومكّنهم من سلاح الكفّار، فأعلنوا الخلاف على الإمام، ولم يبق بيد عمال الإمام غير الحصون، وجرى بسببه الحروب والخطوب ما يطول شرحه، ولم يتمكن الإمام من إخضاع قبائل الشام إلا بعد مصاعب ومتاعب، وحوادث هي من كبار النوائب، حين وقعت الحرب بين العثمانيين والطلّيان لاعتداء الطليان على طرابلس الغرب، أمده الطليان بالمدافع والسلاح والأموال، فنهض لمحاربة الأتراك في ثهامة، وذاقوا منه الأمرين، وكذلك كان حاله حينما وقعت الحرب العامّة، أمده الإنجليز مع حلفائه، بما لا يُحصّر من الإعانات المتنوّعة وحارب الأتراك، فكان للأتراك في أثناء تلك الحرب محطتان، إحداها، محطة لحج والآخرة في أطراف اللّحيّة في مقابلة الأديسي وأعوّنه.

وقد مرَّ بك ما كان منه من الحروب والخطوب في مِلْحَانٍ وَحَرَّازٍ وَبُرْعٍ وَرَيْمَةٍ، ولم يقتصرْ على التُّهَامِيينَ في الإِضْلالِ، بل مدَّ يَدَ شُرُورِهِ^[١] إلى قبائلِ حَاشِدٍ وبعضِ بَكِيلٍ، فَكَانَ يَسْتَمِيلُهُمْ بِأَمْوَالِ الْكُفَّارِ، وَيُعْطِي مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ الْعَطَاءَ الْجَمَّ عَلَى حِسَابِ النَّصَارَى.

وما زالَ على تلكِ الحالِ إلى أَنْ أدركتُهُ المنيَّةُ وفارقَ الحياةَ، وَقَدَّمَ ما قَدَّمَ غيرُ مُلَابِسٍ لتوبةٍ وَندَمٍ، وَغيرِ غَرِيبٍ ما كانَ منه، فما زالتِ الدنيا تتلَاعَبُ بِعَقُولِ أَهْلِهَا، وَتَوَرِّدُهُمُ الْأَطْمَاحُ فِيهَا حِيَاضَ النَّدَامَةِ، وَتَرْمِيهِمْ عَنْ كَاهِلِ السَّلَامَةِ إِلَّا مِنْ رَزَقَةِ اللَّهِ التَّوْفِيقَ وَاعْتَصَمَ بِهِ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ فِي مَزَالَتِ الزَّلَلِ وَالتَّعْوِيقِ، نَسَّالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ هَذَا الْفَرِيقِ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ، وَبِيَدِهِ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ، وَمِنْهُ نَسْتَمِدُّ الْعِصْمَةَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ تَبَعَةِ الْهَفْوَةِ وَذِلَّةِ الْكِبُورَةِ وَالنَّبُوءَةِ.

٢٦١ / وفيها كانتِ الحادثةُ بِمِلْحَانٍ، وَقَدْ سَبَقَ لَنَا بَيَانٌ بِمَجْمَلِ الْأَحْوَالِ هُنَاكَ، وَأَنَّ السَّيِّدَ فَخَرَ الدِّينِ، عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَحْيَى أَبُو مَنصَرٍ، تَوَجَّهَ إِلَى الْجَبَلِ الْمَذْكُورِ بِأَمْرِ الْإِمَامِ لِلْقِيَامِ بِعِمَارَةِ الْحَصُونِ اللَّازِمَةِ،^[٢] وَشُرُوعِهِ فِي إِنْفَازِ^[٣] مَا أَمَرَ بِهِ، وَإِلَيْهِ النَّظَرُ فِيمَا يَكُونُ بِهِ إِصْلَاحُ الْجَبَلِ، وَاسْتِمَالَةُ سَكَّانِ أَطْرَافِهِ الْبَاقِيْنَ عَلَى الْخِلَافِ، وَالنَّقِيبِ^[٤] وَمَنْ إِلَيْهِ مِنَ الْأَعْوَانِ بَاقُونَ أَيْضاً، وَجَبَايَةُ الْأَمْوَالِ بِنَظَرِهِ.

وظَهَرَ فِي أَوَائِلِ هَذَا الْعَامِ انْحِلَالُ أُمُورِ أَهْلِ تُهَامَةٍ، وَالتَّقْصِيرُ فِيمَا اعْتَادَتْهُ جَمَاعَاتُ مِنَ الْمَرْتَبِينَ مِنْ طَرَفِهِمْ حَوْلَ الْجَبَلِ، وَكَانُوا مُؤَلَّفِينَ مِنْ قِبَائِلِ شَتَّى، وَمِنْهُمْ مَنْ أَهْلُ الْجَبَالِ جَمَاعَةٌ، فَاضْطَرَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لِمَرَاجَعَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى أَبُو مَنصَرٍ، وَإِظْهَارِ^[٥] الرِّغْبِ فِي الْإِنْتِمَاءِ إِلَى حِزْبِ الْإِمَامِ، فَاسْتَأْذَنَ

[١] فِي س، الشَّرِيرَةِ. [٢ - ٣] فِي س، فِيمَا أَمَرَ بِهِ.

[٣] فِي س، وَالنَّقِيبُ أَحْمَدُ حَبِيشَ. [٤] فِي س، وَظُهُورَ.

أبومنصر مولانا الإمام في قبولهم، فأذن له بذلك، فوصلوا إليه، وجعلهم من جملة الأجناد الإمامية، وكذلك راجع إليه بعض العقّال من تهامة مظهرين الطاعة، فزاحمه النقيب أحمد بن يحيى حبّيش على مثل عمله، ورفع إلى مولانا الإمام بأنّ الزيلعي شيخ المعزبة يريد الدخول في الطاعة، وأنه قد كاتب إليه في هذا الشأن، ويريد النهوض من الجند الامامي، حتى يكون عذراً له في الالتجاء إلى الطاعة، ووسيلة لاستنقاذ أمواله من تهامة.

وكان مولانا الإمام يأمر النقيب بالاجتماع مع أبومنصر في محل واحد، وتدير العمل النافع بما يكون عليه اتفاق الرأي منهما، وعدم الانفراد من أحدهما بعمل، فقصر النقيب في امتثال ما أمر به مولانا الإمام، وظهر منه ما يشبه المنافسة لأبومنصر وحبّ الانفراد، ونهض إلى المعزبة^(١)، ومعه قريب من ثلثمائة من النظام واربعمائة من غيرهم، أكثرهم من حاشد، ولما وصل إلى المعزبة، باشر من فيها بالحرب، ورمى البغاة بالمدفع، ففروا من المعزبة، وطردوا الأعداء منها، ومعهم أهلها، فروا أيضاً معهم، وأقامت الجنود الإمامية مكانهم. ولما كان بين النقيب أبومنصر من المنافسة شغلاً بها عن الاطلاع على ما يدبر في الخفاء بين مشايخ ملحان قاطبة، وبين أعوان الضالّ ورئيسهم محمد طاهر الموجود في باجل، ولم يشعر النقيب بأنّ تشويقه على الانحدار من الجبل إلى أطراف تهامة إنما كان استدراجاً منهم وحيلة لإيقاعه في شبكة اصطيادهم مع من معه من جنود الإمام ولم ينتبه/ أبومنصر لما جرى، وهو بطل الحروب، / ٢٦٢

(١) بنو معزب: من قبائل بلاد يريم في عزلة بني سيف يسكنون قرية بيت معزب، وأخرى قرية من عزلة بني السياغ من ناحية الحيمة الداخلية، والمعزب، قرية في جبل خولان بن عامر من ناحية ساقين بصعدة، انظر معجم المقحفي، ٦١٠، معجم الحجري، ٧١٢/٢، والمعزبة يقصد بها المعازبة القبائل التي موطنها زيد.

وضيغهم الخطوب، لإعراضه عما يجري في الجبل من الأحوال لئلا يُعَدَّ ذلك منافسةً للنقيب فيما إليه من الأعمال، وقد كان مشايخ ملحان ومنهم علي يحيى الأصابع قد اتفقوا على الغدر بجنود الإمام وعماله، ونكث الإيمان والعهود والخروج عن الطاعة والجماعة، وتكاتبوا هم ومحمد طاهر رضوان في هذا الشأن ووعدهم بإرسال جنود إليهم، ومتى وصل الجنود إلى أطراف الجبل ثار سكان الجبل أيضاً معهم، واتفقوا على استدراج النقيب بتلك الحيلة، وإخراج الجنود الإمامي من المعاقل والمراتب إلى حيث لا يتمكن له الامتناع أو انتظار وصول المدد وإدراك الغارة، فلم يشعر النقيب ومن معه إلا وقد أتاها جمع الباغين من ثُمامة، وباشرهم بالحرب فدافعهم الجنود الإمامي أتم مدافعة، حتى كاد أن يستظهر عليهم ويهزمهم، وبينما هم على تلك الحال إذا هم بأهل جبل ملحان قد أعلنوا الفساد، وجاءوا إليهم من فوقهم، وقطعوا الطريق عليهم، ومنعوا وصول الأقوات والماء إليهم، فتراجعوا هم والنقيب إلى المحلات التي أمكن لهم الرجوع إليها في المغربة، وانتظم نطاق الحصار عليهم من فوقهم ومن تحتهم لا يجدون سبيلاً للصعود إلى أعالي الجبل، ولا للخروج من ذلك المضيق، فمكثوا ثلاثة أيام.

وفي خلالها وصل السيد عبده جيلان عابد من سادة الزيدية^(١) سفيراً بينهم وبين أهل الجبل والأعداء، وتم الأمر على خروج النقيب، ومن معه بسلاحهم على أن يكون وصولهم إلى باجل، ومن هنالك يذهبون حيث أرادوا، ومعهم المدفع الإمامي، فلما خرجوا على تلك الصفة، توجهوا نحو باجل ولم يف لهم

(١) الزيدية: مدينة مشهورة من مدن ثُمامة، على الطريق المتجه إلى حجة، يُطل عليها من الشرق جبل ملحان، شمال شرق الحديدة بمسافة ٦٢ كم، انظر، حياة الأمير، ٦٢١، اليمن الكبرى، ٩٦، اليمن الخضراء، ٩٠/١، معجم المقحفي، ٢٩٥.

الأعداء بما شرطوه لهم، فأخذوا المدفع، وأوقفوا النظام مدةً في باجل، ثم أخذوا سلاحهم ثم ساقوهم إلى الضحى^(١) من أعمال تُهامة، ومكثوا فيه برهةً، وأمروهم بالعزم إلى جيزان وفرّقوهم في تلك النواحي، وفرّ منهم جماعة بعد شهرٍ، وعادوا إلى أوطانهم.

وأما السيد عبد الله أبو منصر، فإنه داهمه الخطب، وهو في العبرات من الجبل المذكور، ورأى بينه وبين النجاة مسافةً طويلةً، فقوى عزمه على اقتحام / ٢٦٣ المصاعب والمكاره مفضلاً للشهادة على الاستسلام إلى الأعداء، فجذّ في سيره من الجبل، ولم يكن معه إلا عصاةٌ يسيرةٌ، لا يقوم بهم دفاعٌ، ولا يتسير بهم الامتناع، وكلّما مرّ على قريةٍ تلقاه أهلها بالحرب، ودفعهم عن طريقه، واستشهد بعض السادة من بيت أبو منصر وبعض أصحابه ولم يزل سائراً بين هذه الخطوب إلى أن تيسّرت له النجاة والخروج من جبل ملحان، وكان النقيب علي الغني، ومعه عصاةٌ من النظام في أطراف عُزل على يحيى الأصابع، ومعهم المذكور، فحين رأى النقيب إحداهما قد اقتحم على الشيخ علي يحيى واستصحبته معه، فكان كلّما همّوا بالنظام منعهم الشيخ المذكور خوفاً على نفسه من النظام، لأنهم قد أعلموه أنهم قاتلوه لا محالة، إن وصل إليهم شرٌّ من أصحابه، ثم ساروا به وهو في قبضتهم إلى أن قطعوا مسافة الخطر وأطلقوه، وقد كان الوفاق بينهم وبينه على ذلك، فنجّوا من شرّ أهل ملحان بما دبّروه من القبض على المذكور، ووصلوا إلى نخل أذرع^(٢) سالمين بأسلحتهم، وأطبق أهل

(١) الضحى: قرية في تُهامة بوادي سُردد، جنوبي الزيدية بمسافة ١٨ كم، انظر، طبقات الخواص، ١٢٤، العقود اللؤلؤية ١١ / ٣١١، معجم الحجري، ٥٥٢ / ٢، معجم المقحفي، ٣٩٥.

(٢) أذرع: أحد جبال ملحان بالمحويت، وهو خبت، انظر معجم الحجري، ٦٩١ / ٢، معجم المقحفي، ٢٣.

مَلْحَانَ عَلَى الْخِلَافِ، وَفَعَلُوا الْأَفَاعِيلَ بِمَنْ ظَفَرُوا بِهِ مِنَ الْمَجَاهِدِينَ، وَتَمَّ لَهُمْ مَا أَرَادُوهُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْغَدْرِ،^[١] وَتَوَجَّهُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بَاجِلٍ، وَكَانَ وَقُوعُ هَذَا الْحَادِثِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ هَذَا الْعَامِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ مِنْ أَفْعَالِ أَهْلِ هَذَا الْجَبَلِ، وَتَلَوْنِهِمْ مَا يُنْبِئُكَ عَمَّا جُبِلُوا عَلَيْهِ مِنَ الْخُدَيْعَةِ وَالْمَكْرِ^[١] وَخُبَّتِ الطَّبَاعُ وَالْبِدَارُ إِلَى فَعْلِ الْمُنْكَرِ بِغَايَةِ الْإِسْرَاعِ.

وَلَمَّا وَصَلَتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ إِلَى مَوْلَانَا الْإِمَامِ، بَادَرَ بِإِرْسَالِ الْجُنُودِ إِلَى السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُوْمَنْصَرٍ، وَأَمَرَهُ بِالْإِقَامَةِ مَكَانَهُ فِي أَطْرَافِ الْخَبْتِ، فَلَبِثَ هُنَاكَ، وَسَيَّأَتْ فِي حَوَادِثِ الْعَامِ الْآتِي مَا آلَتْ إِلَيْهِ حَالُ الْجَبَلِ الْمَذْكُورِ وَمَا جَوَّزُوا بِهِ عَلَى غَدْرِهِمْ وَمَكْرِهِمْ وَخُبَّتِ أَفْعَالُهُمْ وَاسْتِيْلَاءُ الْجُنُودِ الْإِمَامِيَّةِ عَلَى الْجَبَلِ الْمَذْكُورِ وَإِذَاقَتِهِمْ مَرَّ النِّكَالِ، وَعُودِ أَفْعَالِهِمْ عَلَيْهِمْ بِأَشَدِّ الرُّبَالِ، وَالْإِسْتِثْصَالِ.

وَفِيهَا فِي شَهْرِ شَعْبَانَ، وَصَلَ إِلَى الْخَضِرَةِ الشَّرِيفَةِ الْإِمَامِيَّةِ السُّلْطَانُ حُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الرِّصَاصِ، وَمَعَهُ عَامِلُ نَاحِيَةِ السُّوَادِيَّةِ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ قَايِدِ الْجَبْرِيِّ، وَمِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةٌ، وَكَانَ وَصُولُ السُّلْطَانِ / الْمَذْكُورِ إِلَى حَضْرَةِ الْإِمَامِ / ٢٦٤ / مُسْتَنْجِدًا بِهِ عَلَى آلِ حُمَيْقَانَ^(١) الَّذِينَ ضَايَقُوهُ، وَكَادُوا أَنْ يَمْنَعُوهُ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارِهِ، وَقَتَلُوا أَخَاهُ السُّلْطَانَ صَالِحَ بْنَ أَحْمَدَ الرِّصَاصِ فِي أَثْنَاءِ الْعَامِ الْمَاضِي، وَبَذَلَ مِنْ نَفْسِهِ الدَّخُولَ فِي الطَّاعَةِ، وَتَمَكَّنَ الْإِمَامُ مِنَ الْبَيْضَاءِ وَبِلَادِهَا مَتَى وَصَلَ الْجُنْدُ الْإِمَامِيُّ إِلَى تِلْكَ الْأَطْرَافِ، وَإِعَانَتُهُمْ عَلَى الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا بِمَا يَسْتَطِيعُهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمَالِ، فَأَكْرَمَهُ الْإِمَامُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَنَالَ صَنُوفَ الْبِرِّ وَالْإِنْعَامِ، وَتَمَّتْ الْمَرَاजِعَةُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِمَامِ عَلَى وَضْعِ وَلَدِهِ رَهِينَةً، وَإِرْسَالِهِ مَتَى عَادَ إِلَى رَدَّاعٍ، وَيَكُونُ مِنْ مَوْلَانَا الْإِمَامِ بَعْدَ ذَلِكَ إِرْسَالُ جُنُودِهِ إِلَى تِلْكَ الْجِهَاتِ، لِإِجْرَاءِ مَا كَانَ عَلَيْهِ التَّمَامُ، وَوَعْدُهُ الْأَمَامُ بِعِمَالَةِ بِلَادِهِ مَتَى تَمَّ

(١) آل حُمَيْقَانَ: مِنْ قِبَائِلِ الْبَيْضَاءِ، انْظُرْ، مَعْجَمُ الْمُتَحَفِّي، ١٩٥.

استفتاحها على مثل ما أسعف به الشيخ أحمد قايد الجبري، في ناحية السَّوَادِيَّة، وبعد التَّمام على ذلك، تحرَّرَ مِنَ الإمام - عليه السلام - بيده من الأوامر الشريفة ما دعت إليه الحال إلى عاملٍ رَدَّاعٍ إعلاماً بما كان الوفاق عليه، وأمر بقبض رهينة السلطان المذكور متى وصلت، وإجراء ما يلزم لها من الكفایات، وصنوف الرعايات، وعاد المذكور ومن معه إلى رَدَّاعٍ، ومنها إلى أوطانهم، وقد رأوا من إقبال الإمام عليهم ما جذب قلوبهم وأغرائهم بالوفاء، بما اشترطه عليه مولانا الإمام، وتحققوا أنهم سيُدرِّكون مطلوبهم.

قلت: وهؤلاء بنو الرصاص، بيت رئاسة قديمة، وقد جاء ذكرهم في سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسن، رضوان الله عليه، عند دخوله إلى حضر موت، وقيامه بفتح المشرق أيام سيادته في خلافة مولانا المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم - عليهما السلام - ثم في تلك الوقوعات التي استشهد فيها جماعة من آل الإمام - رحمهم الله تعالى - وكذلك في أيام المهدي محمد بن أحمد^(١) بن الحسن^(٢) ومصاهرتهم لهم تألفاً، وعلق بالخاطر حال التحرير أن الشاعر السَّمُحِيَّ^(٣)، من شعراء ذلك العصر قال مقطوعاً لطيفاً ذكر فيه بني الرصاص، والمهدي صاحب المواهب، وعدم الوفاء بينهم بما وعدوه به من المصاهرة.

وكان ذلك قبل أن يتم الأمر، لأن المصاهرة تمت واحتفل المهدي بالإعراس

(١) المهدي: محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم ت ١١٣٠ هـ، صاحب المواهب القرية التي أسسها والواقعة شرقي دمار.

(٢) سعيد بن صالح السَّمُحِي ت ١١٢٢ هـ، شاعر، ب فقيه لغوي، مدح الإمام أحمد بن الحسن بن القاسم المنصور ومدح الأمراء وغيرهم، انظر، نشر العرف، ٧٣٧/٢ - ٧٤٢.

[١] في س، أحمد بن الحسن والأصل، أحمد بن الحسين.

٢٦٥ / / الاحتفال العظيم، وزفت إليه ابنة الرصاص، وذكرها شعراء ذلك العصر كالزئمة وغيرهم في تهانيم للمهدي، ومقطوع السمحي هو قوله: [السيط]

لله در بني الرصاص إنهمو لأغبر الناس في بدو وفي حصر
منوا الإمام بأنثى من كواعبهم وأصدقوا وعده بالصارم الذكر

ومدح الزئمة^(١) المهدي في هذا الإعراس بقصيدته الفائية البليغة، وهي من أجود شعره، وكان زفاف ابنة الرصاص إليه وهو في مدينة الخصري، من أعمال مخلاف العرش، لذلك جاء في قصيدته المذكورة: [الطويل]

فها هي بلقيس وذا العرش عرشها وأنت سليمان الكريم الذي وقى

و^{١٦} لما وصل سيدي العماد يحيى بن علي الذاري إلى الحضرة الشريفة، وقد ذكرنا أن وصوله كان بأمر مولانا الإمام، وذلك قبيل شهر الصيام، رفع إلى مولانا الإمام قصيدة بليغة من نفسه اللطيف، ونظمه الظريف ومستهلها:

[الكامل]

بمطالع لجبينك البذري لأحت لنا من غيهب الشعر
وبورد خديك الندي وما في اللحظ من جور ومن سحر
وبشهدة أضحي ترددوها بين العقيق ولؤلؤ الثغر

(١) الزئمة: هو أحمد بن أحمد بن محمد الأنسي القهدة المعروف بالزئمة اليمني الشاعر المشهور بأيام الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله اسماعيل والمهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن ت ١١١٥ هـ منفياً في زيلع، وكان قد جمع ثروة طائلة، كان حاد الطبع، سريع الانحراف، انظر، طبق الحلوى، ٢٤٥، انظر، نشر العرف، ١/ ٧٤ - ٨١، البدر الطالع، ١/ ٣٦ وفيه توفي سنة ١١١٩.

[١ - ١] من عبارة «ولما وصل سيدي يحيى بن علي الذاري حتى عبارة، بعد النبي وآله الغر» سقطت من س.

وبدُمِيَّةِ الْجَيِّدِ الَّتِي غَنِيَتْ عَنْ عَقْدِ عَقِيَانٍ وَعَنْ دُرٍّ
وبِمَا أَجْتَنَّهُ الْغَلَائِلُ مِنْ لَيْمِ النَّهْودِ وَفَائِحِ الزَّهْرِ
بِرِشَاقَةِ الْقَدِّ الْمُهْفَهَفِ وَالرَّذْفِ لِثَقِيلِ وَدِقَّةِ الْخَصْرِ
وَبَطِيبِ دَبَا نَشْرِهِ عَبَقُ أَذْكَى مِنَ الشَّرِينِ وَالْعَطْرِ
قَسَمًا بِهَا قَسَمًا أَبْرُّ بِهِ مَا حَلْتُ عَنْ عَهْدِ الْهَوَى الْعُذْرِي
أَسْأَلُو هَوَاكَ وَوَقْفَةَ سَلَفَتْ بَيْنَ الْأَرَاكِ وَدَوْحَةِ السَّدْرِ
يَا خِلْسَةً سَمَحَ الزَّمَانُ بِهَا صَادَفْتُهَا مِنْ ظَبْيَةِ الْقَفْرِ
وَمُعَانَقِي سَيْفٍ يُدَافِعُنَا عَنْ ضِمَّةٍ تَشْفِي جَوَى الصَّدْرِ
وَالْقَلْبُ يَجْذِبُهُ وَيَحْفِزُهُ شُغْلُ يَقُودُ الْعَسْكَرَ الْمُجْرَ
عَنْ رَأْيٍ مَوْلَانَا الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَلِيفَةِ الْعَصْرِ
الذَّائِدِ الْحَامِي الذَّمَارَ وَمَنْ دَانَتْ لَهُ الْأَمْلاكُ بِالذُّعْرِ
السَّابِقِ السَّاقِي الْعُدَاةَ رَدَى بِصَوَارِمٍ وَعَوَامِلٍ سُورِ
وَجَحَافِلِ مَلَأَ الْفَضَاءَ بِهَا مَقْرُونَةً بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
أَحْيَى الْآلَهُ بِهِ الْهُدَى وَنَقَى عَنَّا وَيَلَّ غَوَائِلَ الْمَكْرِ
أَرَاؤُهُ كَسْهَامِهِ نَفَذَتْ عَزَمَاتُهَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
فَتَكَاتُهُ مَشْهُورَةٌ شَهِدَتْ أَنَّ الْعَدُوَّ لَهُ لَفِي خُسْرِ
دَفَاعُ مُعْضِلَةٍ إِذَا دَهَمَتْ فَتَّاحَ كُلِّ مُقَقِّلٍ وَغَرِ
طَوْدُ الْوَقَارِ فَلَا يُزَعِزُهُ عَصْفُ الْخُطُوبِ وَفَادُخُ الْأَمْرِ
حَمَّالُ أَعْبَادٍ لَهُ هِمَمٌ صَعَدَتْ وَفَاتَتْ مُرْتَقَى النَّسْرِ
لَشَتِيَتْ أَنْوَاعُ الْعُلُومِ حَوَى أَنْهَارُهَا مِنْ بَحْرِهِ تَجْرِي
أَخْلَاقُهُ كَالرَّوْضِ بَاكِرَةٌ مُزْنَ الْغَمَامِ وَوَكَفَ الْقَطْرِ
رَبُّ الْفَضَائِلِ وَالْفَوَاضِلِ وَالْمَجْدِ الْأَثِيلِ وَوَارِثُ الْفَخْرِ

٢٦٦ /

مَنْ رَامَ أَنْ تُحْصَى مَنَاقِبُهُ
يَا ابْنَ النَّبِيِّ وَنَجَلَ حَيْدَرَهُ
أَعْطَاكَ رَبُّكَ مِنْ مَوَاهِبِهِ
فَاشْكُرْ إِلَهَكَ ذَا الْجَلَالِ فَمَا
وَتَهَنَّ شَهْرًا قَادِمًا بِرَضَى
وَاسْلَمْ وَدُمَ مَا عَشْتَ مَرْتَدِيًا
وَالْيَكْهَ نُجْلَى عَرُوسِ خِبَا
عَرِيَّةً بَدَوِيَّةً كُفَيْتَ
وَعَلَيْكَ صَلَّى اللَّهُ خَالِقُنَا
رَامَ الْمُحَالَ وَجَاءَ بِالْأَمْرِ
سَيْفَ الْإِلَهِ وَقَاصِمَ الْكُفْرِ
وَحَبَاكَ بِالْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ
أُولَى الْإِلَهِ بِوَاجِبِ الشُّكْرِ
شَهْرَ الصَّيَامِ وَمَوْسِمِ الْأَجْرِ
ثَوْبَ الْعُلَى وَالْعِزِّ فِي الْعُمْرِ
نَسَجَتْ مَطَارِفَهَا يَدُ الْفِكْرِ
بَخْسَ الْحُطُوطِ وَجَفْوَةَ الدَّهْرِ
بَعْدَ النَّبِيِّ وَإِلَيْهِ الْغُرِّ

وفيهما وصل إلى مقام المولى، سيف الإسلام، وأكبر أنجال مولانا الإمام سيدي العماذ يحيى بن محمد بن الهادي^(١)، صاحب المداير، والمومى إليه من أعيان السادة القاسمين، وذوي الفطنة الوقادة، وكان حاكماً في جبل يزيد من طرف الإمام، وقد سبق له من المناصرة مواقف محمودة، إلى أن هُفَا بالتوجه إلى تُهامة، وقصد الأدرسي ومكث به هنالك برهة لم يُعثر عليه في أثنائها التلبس بأمرٍ يجلب الندم، ويوجب زلة القدم، ثم تاب إلى رشده، ورجع إليه من سداد مدده، فقصد مولانا سيف الإسلام، نادماً على ما كان، واستمد من سيف

(١) يحيى بن محمد بن يحيى الهادي: ولد سنة ١٣٠١ هـ، شاعراً بليغاً، خطيباً فصيحاً، تولى ١٣٧٢ هـ عالم في الفقه أحد قادة الامام يحيى الذين شاركوا في محاربة العثمانيين، تولى الخطابة بقلعة عذر ثم في السودة، وتولى القضاء في ناحية جبال عيال يزيد، فر سنة ١٣٣١ هـ، إلى سوح الادريسي حاكم عسير ثم عاد والتحق بأمر لواء تعز، علي بن عبدالله الوزير فعينه حاكماً شرعياً في ناحية جبل صبر، ثم تولى القضاء في العُدَيْن، انظر، نزهة النظر، ٦٤٤، هجر العلم، ١٩٩١.

الإسلام مراجعة حضرة الإمام في العفو عنه، وإعادته إلى ما كان عليه من العَدِّ في خُلص الأعوان، فمنَّ الإمام - عليه السلام - عليه بما أراد، وتوجَّه بالإسعادِ إلى نيلِ المرادِ وكانَ المؤمى إليه قد رفعَ إلى مقام الإمام قصيدةً بليغةً، يتصلُّ بها من تلك الهفوة،^١ وهي كما تراها في قالب الإجادة والأحسانِ مجلوةً، وعلى منابر البلاغة والفصاحة متلوةً، ومستهلها قوله:

[الكامل]

وعلى هوائٍ شهودٌ دَمَعِي تَنْطِقُ مِنِّي عَلَيْهِ أَدْلَى تَحَقَّقُ والمقلَّةُ العَبْرَى، وَقَلْبٌ يَخْفِقُ واليومَ صِرْتُ بِخَاتَمِي أَمْنَطُ ما هَبَّ صَاحِبُهَا وَلَا هُوَ بَارِقُ وبعينٍ مَنْ أَهْوَاهُ نَحْوِي يَرْمُقُ والبَحْرُ مِنْ عَيْنِي غَدَا يَتَدَفَّقُ إِنَّا لَقِينَا فِي الصَّبَابَةِ مَا لَقُوا قَلْبِي فَمَنْ لِي بِالْبَقِيَّةِ تَلْحَقُ / ٦٨ مَنِي عَلَيْهِ وَشَرَحَ حَالِي حَقَّقُوا لِلوَصْلِ وَالوَاشِي طَرِيدٌ مَخْنَقُ مَرَّتْ لَنَا أَنْوَارُهَا تَتَأَلَّقُ يَشْدُو وَسَاقُ النَّضَارِ مُقَرَّطُ مَيَّهَا صَرَفُ السُّلَافِ مُعَتَّقُ فِي وَجْهِهِ الْمَسْكُ مِنْهَا يَعْبُقُ مَوْنٌ قَدِيمًا وَالْجَدَاوِلُ تَصْفُقُ	بَرَحَ الْخَفَا قَلْبِي بِكُمْ مَتَلَّقُ قَدْ كُنْتُ أَكْثَمُ حُبِّكُمْ حَتَّى بَدَتْ فَذَبُولُ جِسْمٍ وَاصْفَرَّ ظَاهِرُ عَنْ خِنْصَرِي قَدْ كَانَ ضَاقَ خَوْيَمَتِي لَوْ زَجَّ بِي فِي مَقْلَةٍ وَسَنَانَةٍ وَالنَّزْجُسُ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ صُفْرَتِي وَالنَّجْمُ عَنْ قَلْبِي اسْتَعَارَ خُفُوقَهُ قُلْ لِلْمُحِبِّينَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا يَا أَيُّهَا الرِّكْبُ السَّارَةُ أَخَذْتُمُو بِاللَّهِ مُرُّوا بِالْحَبِيبِ وَسَلَّمُوا قُولُوا لَهُ بِاللَّهِ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ لِلَّهِ مِنْ غُرَرِ اللَّيَالِي لَيْلَةٌ فِي الرِّوْضَةِ الْغَنَاءِ فِيهَا سَاجِعُ فِي كَفِّهِ كَاسٌ يَدُورُ عَلَى النَّدَا فَفَعَالُهَا مِنْ مُقْلَتَيْهِ وَلَوْهَا مُتَطَارِحِينَ فَنُونَ لَهُوَ فَاتَتْ الْمَاءُ

[١ - ١] من عبارة «وهي كما تراها في قالب الإجادة والإحسان إلى عبارة والآل ما غيث همت أمزانه». سقطت من س، وهي تصل إلى ست صفحات.

والشادن الشادي يحق لصوته
ما نحن إلا ناظر شمساً على
يا حبذا من ليلة قصرت بنا
بمهنّ الصبح المنير كأنّهُ
يحیی الذي أحيا معالم ديننا
القائم المتوكل الملك الذي
سود الدفاتر أخبرت عن بيضه
من بين أغبر قسطل عالٍ على
نور براه الله جلّ جلاله
من دوحة مضرية قرشيّة
سرّ الخلافة والنبوّة كلّها
بلغت بنو الزهرا بها أمالها
وأعاد أيام النبوة ذاتها / ٢٦٩
تغنيه عن راياته أراؤه
بسكون رأي ثاقب رايائه
لو كنت كلّ السنأ وأناملاً
لعجزت عن إحصاء بعض خلاله
أنسيم، إن يمتت صنعاً زائراً
ما قصر غمدان وما إيوان ما
ف هناك مولانا ومالك أمرنا
أقرئه عنى ألف ألف تحية
لكن زمني من زمني صرفه

إسحق يسجد والهموم تفرق
غصن يمس به تضيء وتشرق
لما غدت أثوابها تتمزق
سيف الإمام إذا وعاه مفرق
وبذاك السنة المدافع تنطق
بقيامه قعد الملوك وأطرقوا
بالأحر القاني غدا يترق
جئت الأعادي قد أثار الفيلق
من نار موسى نوره متألّق
نبوية فرع عظيم مورق
فيه وفي هذا الفخار المطلق
وله تولى الشؤدد المتفرق
فكأتم المختار حيّ يرزق
ويطيعه غرب الدنيا والمشرق
في خافقي هاتي البسيطة تخفق
تبني النظام بمدحجه وتنمق
حسبي بأني عارف ومصدق
دار السعادة وهي قصر موق
قصر الخورنق بالنجوم مطوق
وعليه أنوار الإمامة تبرق
وأفذه أني بالولا متعلق
ففرزت والقلب المتيم محرق

وَطَفِقْتُ أُبْعَثُ مَنْ يُرْجَى نَفْعُهُ
مُتَعَمِّلًا مُتَنَقِّلًا مِنْ بَعْدِ ذَا
حَتَّى تَوَلَّاهَا الْإِمَامُ بِنَفْسِهِ
إِنَّا أَوْلُوا الْأَرْحَامَ حَقًّا بَعْضُنَا
وَالْعَفْوُ مِنْ شَيْمِ الْمُلُوكِ فَإِنَّهُمْ
مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي جِئْتُكُمْ
أَلْقَيْتُ أَعْبَاءَ الذُّنُوبِ بِبَابِكُمْ
وَكَاثِنِي بِجَمَاعَةِ الْوَاشِينَ قَدْ
سَعَيْتُ بِنَا أَفْهَمُ الْمَوْلَى كَمَا
قُلْنَا: نَعَمْ، غَيْرَ الْأُثْمَةِ رَبِّهَا
أَمَّا الْأُثْمَةُ - لَا جَبْتُمْ - إِنَّهُمْ
لَا تَطْمَعُوا أَنْ تَفْرِقُوا مَا بَيْنَنَا
يَا آلَ طَةَ فَاقْبَلُوا عُذْرِي وَمَنْ
أَرْحَامُنَا أَرْحَامَكُمْ وَنَفْسُنَا
وَبِمَا نَحْبُ مِنَ الْإِلَهِ فَجُدْنَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ

يَرْفُو الَّذِي كَانَ الْعِدَى قَدْ فَتَّقُوا
هَذَا وَمَا أُدْرِي رَفُّوا أَمْ مَزَقُوا
وَأَنَا إِلَيْنَا مِنْهُ عَفْوٌ مُطْلَقٌ
أَوَّلَى بِبَعْضٍ فِي الْكِتَابِ وَأَرْفَقُ
قَوْمٌ إِذَا مَلَكَوا الْبَرِيَّةَ أَعْتَقُوا
وَأَنَا بِكُلِّ السَّيِّئَاتِ مُطَوَّقٌ
وَرَجَوْتُ رِفْقًا مِنْكُمْ وَلِي فَارْفُقُوا
كُتِبُوا وَقَالُوا مَا يَسُوءُ وَنَمَقُوا
قَالُوا لَنَا بَطْشُ الْمُلُوكِ مُحَقَّقٌ
بَطْشُوا وَعَقُولُهُمْ يَقِينًا أَصْدَقُ
مِنْ غَيْرِ رَحْمَةِ رَبِّنَا لَنْ يُخْلَقُوا
لَنْ تَفْرُقُوا مَا بَيْنَنَا وَتُفَرِّقُوا
يَهْوَاهُ قَلْبِي مِنْهُ وَتَصَدَّقُوا
أَنْتُمْ بِكُمْ رَوْضُ الرَّحَامَةِ مُورِقُ
مَوْلَايَ وَاسْلَمَ مَا يَنْوَحُ مُطَوَّقُ
وَالصَّحْبُ مَا نَظَمِي بِمَدْحِكَ يُشْرِقُ

٢٧٠ /

وبعد، هذا وصل الى مقام مولانا الإمام - عليه السلام - وقابله أحسن
مقابلة واحترام، وسوَّغهُ مزيدَ الأنعام، وانتشى بلبُّلِ تغريده وغرَّد، وصاح طرباً
بمديح مولانا الإمام وتمجيدِه فجودَّ، وأجال جوادَ يراعِه في ميدانِ النظام فأبعدَ
في شَوَاطِئِهِ واقتنصَ اللَّطِيفَ مِنَ الانسجام، ورفعَ إلى مولانا قصيدته الآتية،
وهي في بابها غاية، ودرجتها في رُتَبِ الإِجَادَةِ عَالِيَةٍ، وقد أثبتُّها بكمالها دلالةً على
سَبْقِهِ ومهارتِه وحذِّقِهِ وهي:

مَا زَالَ قَلْبِي دَائِمًا خَفَقَاتُهُ
 لَمْ لَا وَقَدْ وَشَى السَّحَابُ طِرَازَهُ
 يَسْقِي اللّٰوَى وَالسَّاكِنِيهِ فِي الدُّجَى
 لَا غَرَوْا إِنْ رَحَلَ الْكَرَى عَنْ نَاطِرِي
 مِنْ بَعْدِ أَنْ رَحَلَ الْأَجَبَّةُ لَمْ يَزَلْ
 يَنْهَلُ مِنْهُ لَوْلَوْ رَطِبْتُ فَإِنْ
 يَا بَرْقُ لَحْ قَدْ زِدْتَنِي أَرْقًا عَلَى
 يَوْمِي إِلَيَّ الْبَرْقُ أَنْ أَحْبَبْتِي
 إِنَّ اللّٰوَى قَلْبِي بِهِ مُتَعَلِّقٌ
 أَهْوَى اللّٰوَى أَهْوَى بِمُنْعَرَجِ اللّٰوَى
 مَا إِنْ أَشْبَبَ بِاللّٰوَى مِنْ أَجْلِهِ
 غِزْلَانُ إِنْسٍ لَمْ يُصْصِدَنَّ وَإِنَّمَا
 غِزْلَانُ إِنْسٍ مِنْ سُلَالَةٍ يَعْرُبُ
 فَلَوْ أَنَّ كِسْرَى طَافَ بَيْنَ خِيَامِهَا
 أَوْ لَوُورَاهَنَ ابْنُ أَذْهَمَ لَا تَنْشَى
 أَوْ كَانَ مِنْهَا عِنْدَ آدَمَ غَادَةً
 بَرَحَ الْخَفَا أَمَّا نُوَارُ فَإِنَّهَا
 حَوْرَاءُ مِنْ رَوْضِ الْجِنَانِ تَعَجَّلْتُ
 يَا طَلْعَةَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ وَقَامَةَ الْـ
 عَوْدِي إِلَى نَهْجِ الْوَصَالِ كَمَا مَضَى
 كَمْ لَيْلَةٍ بَشَّابَهَا فِي غِبْطَةٍ

[الكامل]

مَذْ شِمْتُ بَرْقًا شَاقَنِي لَمَعَانُهُ
 تَهْمِي عَلَى سَفْحِ اللّٰوَى أَمْزَانُهُ
 غَيْثًا كَطَرْفِي قَدْ هَمَّتْ أَجْفَانُهُ
 وَطَمَى بِهِ مِنْ دَمْعِهِ طُوفَانُهُ
 فِي لُجَّةٍ مِنْ دَمْعِهِ إِنْسَانُهُ
 يَنْضِبُ تَوَالِي بَعْدَهُ مُرْجَانُهُ
 أَرْقُ فَإِنَّ الْحَبَّ هَذَا شَأْنُهُ
 سَكَّنُوا اللّٰوَى وَوَمِضُهُ بُرْهَانُهُ
 لَمَّا غَدَتْ فِي سَوْجِهِ أَخْدَانُهُ
 رَبْعًا تَمِيسُ بِجَانِبَيْهِ حِسَانُهُ
 لَكِنْ سَبْتَنِي بِالْهَوَى غِزْلَانُهُ
 كَمْ صِدَنَ مِنْ مَلِكٍ تَعَالَى شَأْنُهُ
 قَدْ فُقِنَ حُسْنًا رَاجِحًا مِيزَانُهُ
 وَخُدُورِهَا لَمْ يُؤْوِهِ إِيوَانُهُ
 عَنْهُمْ مُنْهَدِمًا بِهِ إِيْمَانُهُ
 عِنْدَ السُّجُودِ لَمَّا أَبَى شَيْطَانُهُ
 مَلِكُ الْمَلِاحِ وَكُلْهَنْ قِيَانُهُ
 وَأَضَاعَهَا فِيمَا أَرَى رِضْوَانُهُ
 غُضِنَ النَّصِيرِ الْوَصْلِ هَذَا أَنَّهُ
 فَالْتَّوَمُ مِنْ عَيْنِي خَلَّتْ أَوْطَانُهُ
 مُتَطَارِحِي لَهْوٍ عَلَتْ لِحَانُهُ

مَا نَالَهَا مَلِكٌ بِمُلْكٍ قَاهِرٍ
 فِي خَيْرِ رَوْضٍ فِيهِ زَهْرٌ بِاسْمٍ
 وَالْوُزُقُ تَخْطُبُ فِي مَنَابِرِ دَوْحِهِ
 رَوْضٌ كَأَنَّ اللَّهَ أَهْدَاهُ لَنَا
 وَالكَاسُ شَمْسٌ فِي يَدِ السَّاقِي بِهَا
 يَا حَبَّذَا مِنْ لَيْلَةٍ طَابَتْ لَنَا
 لَيْلٌ يَصُولُ عَلَى النَّهَارِ لِحَنِّيهِ
 لَمَّا بَدَا ضَوْؤُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ
 يَحْيِي الَّذِي جَلَّ عَلَى أَقْرَانِهِ
 مَلِكٌ بِهِ تَاهَتْ أَزَالُ عَلَى الدُّنَى
 وَمَهَابُ التَّنْزِيلِ وَدَّتْ أَنَّهُ
 طَوِيلُ أَزَالُ عَلَى الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى
 طَوِيلُ بَنُورِ اللَّهِ وَالْمُلُكِ الَّذِي
 إِنَّا الْيَمَانِيُونَ^[١] الْكَرَامِ لِمَعْشَرٍ
 إِذْ خَصَّنَا بِوَلَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ
 فِينَا الْهُدَايَةُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
 مَجْدٌ يَدُومُ وَإِنَّهُ فِي عَصْرِنَا
 بِإِمَامِنَا خَيْرُ الْوَرَى الْمَلِكِ الَّذِي
 وَبِهِ عَلَى الْمُلُكِ الْإِمَامَةُ قَدْ عَلَتْ
 مِلْكٌ هُوَ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ وَإِنَّهُ أَلِ
 فَالِدَّهْرُ وَدَّ بَأْتُهُ عَمْرٌ لَهُ
 مَلِكٌ بِهِ افْتَخَرْتُ قَرِيشُ أَنَّهُ

٢٧٢ / فِيهَا مَضَى وَلَوْ أَنَّ نِعْمَانُهُ
 وَالرَّوْضُ قَدْ مَاسَتْ بِهِ أَغْصَانُهُ
 وَالْمَاءُ قَدْ فَاضَتْ بِهِ غُدرانُهُ
 مِمَّا حَوَتْهُ لِلنَّعِيمِ جَنَانُهُ
 مَا دُونَهُ خَيْرٌ حَوَتْهُ دِنَانُهُ
 وَضَلَّاهُ زَهْيُ مَا شَابَهُ مَا شَانُهُ
 لَكِنْ تَلَاشَى وَاعْحَى سُلْطَانُهُ
 وَجْهَ الْإِمَامِ يَزِينُهُ عِرْفَانُهُ
 لَمَّا كَبَتْ فِي شَأْوِهَا أَقْرَانُهُ
 وَتَوَدَّ مَصْرُ أَتْمَا أَوْطَانُهُ
 فِيهَا يُنِيرُ بِسُوحِهَا دِيْوَانُهُ
 يَا بَى الْعُلَى الْمَلِكُ الرِّفِيعُ مَكَانُهُ
 يَجْوِي الْمَعَالِي سَيْفُهُ وَسِنَانُهُ
 فُزْنَا بِمَسْجِدٍ قَدْ عَلَا بِنْيَانُهُ
 وَبَنَصْرِهِمْ رَبُّ تَعَاظَمَ شَانُهُ
 شِيدَتْ وَعِلْمٌ وَاضِحٌ بُرْهَانُهُ
 قَدْ طَالَ حَتَّى لَا يُنَالُ عِنَانُهُ
 جَلًّا فَضَلَّتْ خَلْفَهُ أَقْرَانُهُ
 وَتَطَاطَأَتْ قَهْرًا لَهُ تِجَانُهُ
 عَذُلُ الَّذِي فِي كَفِّهِ مِيزَانُهُ
 وَالنَّاسُ طُرًّا أَنَّهُمْ أَغْوَانُهُ
 مِنْهَا وَتَاهَ عَلَى الزَّمَانِ زَمَانُهُ

[١] هنا خطأ، والصحيح: اليمانيين.

مَلِكٌ بِهِ افْتَخَرْتُ لَوْ يَبْلُ بِهِ افْتَدِ
نَسَبُ تَعَالَى فِي ذُؤَابِهِ هَاشِم
بِالمصطفى بِمَحَمَّدٍ خَيْرِ الْوَرَى
بِأَبِي الْبَتُولِ وَزَوْجِهَا وَابْنَيْهَا
نَسَبُ كَعْقَدِ الدُّرِّ فِي جِيدِ الْهَدَى
هَذَا هُوَ الْفَخْرُ الطَّوِيلُ وَغَايَةُ الْـ
خَضَعَتْ لَهُ كُلُّ الْعَشَائِرِ لَمْ تَزَلْ
مَلِكٌ لَهُ الْمُلْكُ اسْتَبَّ عَلَى بَنِي الْإِسـ
وَالْعُرْبُ عَادَتْ فِي قَدِيمِ حَيَاتِهَا / ٢٧٣
أَطْفَى الضَّلَالِ بِهَدْيِهِ وَعِلْمِهِ
يَا حَائِزَ الْمَجْدِ الْعَرِيضِ أَفْقِ لِمَا
مَدْحًا تَجُودُ بِهِ الْقَرِيحَةُ مِنْ أَخِي
أَرْجُو بِهَا حُسْنَ الْخِتَامِ وَمَحَوَّ مَا
إِنَّ الْإِمَامَ خَلِيفَةَ لِلْمُصْطَفَى
وَحَبِيبِهِ وَمُحِبُّهُ وَنَصِيرُهُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ بَعْدَ نَبِيِّهِ

خَرْتُ عَلَى كُلِّ الْوَرَى عَدْنَانُهُ
وَبِأَحْمَدٍ قَدْ شِيدَتْ أَرْكَانُهُ
مَنْ كَانَ نَوَّهَ بِاسْمِهِ قُرْآنُهُ
عَدَدُ تَوَلَّى مَدْحَهُ فُرْقَانُهُ
وَأَثَمَةُ الْآلِ الْكَرَامِ جُحَانُهُ
مَجْدُ الْأَثِيلِ فِي الْكِتَابِ بَيَانُهُ
تَمْشِي بِظِلِّ رُؤُوفِهِ قَحْطَانُهُ
سَلَامٌ لِمَا زَانَهُ إِحْسَانُهُ
بِقِيَامَةٍ وَتَفَرَّقَتْ إِخْوَانُهُ
مَنْ بَعْدَ مَا كَانَتْ غَلَتْ نِيرَانُهُ
يُومِي الْقَرِيضُ وَمَا أَفَادَ بَيَانُهُ
مَقَّةٌ خَدَاهُ لِنَظْمِهِ إِيْمَانُهُ
قَدَّمَ ثَمَّةً مِنْ رَبَّنَا سَبْحَانُهُ
يَهْدِي الْأَنَامَ وَإِنِّي حَسَّانُهُ
وَمُجِيبُهُ وَلِسَانُهُ وَسِنَانُهُ
وَالْآلِ مَا غَيْثٌ هَمَّتْ أُمْرَانُهُ^(١)

وفي غرة ذي القعدة الحرام من شهور هذا العام، جهَّز المولى سيف الإسلام
أحمد بن أمير المؤمنين أخاه المولى سيف الإسلام، محمد بن أمير المؤمنين من
حجة مع جنده كثيف إلى حصن كحلان الشرف وبلاد الجَمِيمَةِ^(١) وأطراف

(١) الجَمِيمَةُ: قرية في مَبَيْنِ حَجَّةٍ من عُزْلَةِ الظَّفِيرِ، والجَمِيمَةِ، اسم مشترك لعدد من
المواضع منها، قرية في سيران الشرقي من بلاد شُهَارَةِ، وقرية في عُثْمَةَ وناحية من
نواحي حَجَّةٍ، وجبل الجَمِيمَةِ في بني حِشْيِش، انظر، معالم الآثار، ٣٣، معجم
المقحف، ١٢٩.

حجور، وكانت أحوالها مضطربةً وأمورها غير مرتبة، وكثيرٌ من بدوها باقون على الخلاف، وموالاة الإدريسي، فتمَّ بحميدٍ سعي المولى بدر الدين إصلاح الأحوال، وإزالة الاختلال والاعتلال، واستمالة جميع رجال مسروح^(١) وأسلم^(٢) وعبس^(٣) وبني نوس^(٤) وغيرهم من بدو تلك الجهات، وإدخالهم إلى حظيرة الطاعة، وأرقاؤهم إلى عُرف الصلاح، ومتاجرهم بأربح بضاعة، واستولى سيف الإسلام، حفظه الله، على المدفع الكبير الذي كان لديهم من مدافع الإدريسي المسمى برق لاح، فنقله إلى مقر شقيقه المولى، سيف الإسلام بحجة، واستولى على غيره من المدافع، ونقلها أيضاً إلى حجة، وحصل المراد من إزالة الاضطراب، ومحو طريقته المعوجة، وأبدل أهل تلك الجهات مما كانوا عليه بسلوك واضح المحجة، وأقبل عليه الناس أفواجا لما جيل عليه من لين الخطاب وسهولة الجناب، وحسن التواضع، ومكارم الأخلاق العذاب، واستقر هنالك متنقلاً بين ظهرانهم للإرشاد، وتبّع ما به السداد، وقلع أصول الإفساد وقتل جرائيم العناد والاضطهاد/ على طريقة آبائه - عليهم السلام - وقد تلقى / ٢٧٤ سيف الإسلام التهاني على ما تم له من الظفر،^{١١} ومن هنا الأمير جمال الدين، علي بن عبد الله الوزير، فأرسل قصيدة بديعة مطلعها:

-
- (١) مسروح: من بلاد حجور في محافظة حجة، انظر، معجم الحجري، ٥٩١.
(٢) أسلم: ناحية من قضاء الشرفين بالشمال الشرقي من مدينة عبس بمسافة ٣٠ كم، انظر، معجم المقحفي، ٣٠.
(٣) عبس: مدينة بالشمال الغربي من حجة بمسافة ١١٣ كم، بها مركز ناحية عبس التابعة لمحافظة حجة، انظر، معجم المقحفي، ٤٢٥، الاكليل، ٢/ ٤٥٠، صفة الجزيرة، ١٣٥، ١٨٥.
(٤) بنو نوس: نوسان: غزلة من ناحية كحلان الشرف، بالشمال الشرقي من حجة بمسافة ٢٤ كم، انظر، معجم المقحفي، ٦٦٨.

[١ - ١] من عبارة «ومن هنا الأمير جمال الدين حتى عبارة، وبذرته الفكرة فزكى نباته». سقطت من س.

[الوافر]

أماناً فالغنيمة في السلامة
وفي تركي علامتها علامة
وكم ردت مواضعها غرامه
وأدركت في حشاشته صرامه

أقول أرى الهلال له قلامه
سوى نجل الخلافة والزعامه

وأجد من غدا للمجد هامه
وأصبح ذروة العليا مقامه
كما أروت بسالته حسامه
كما أبحا بهمتيه ظلامه

ودرة تاج من حمل الإمامه
وفلك النور من هول القيامة
فقد نال السلام مع السلامة
وأحب من تتوج بالزعامة

وهي طويلة نفيسة النفس كريمة الأصل ونجيبة المغرس، وقد أجاب
المولى سيف الإسلام على الأمير بقصيدة من حجر الإمامة والملكة خرجت،
فأبدعت ما شاءت وأبهجت وفي أولها إيماء وتوجيه / يُفطن له النبيه ومستهل / ٢٧٥

[الوافر]

أم البذر الذي نحى لثامه
رؤته الريح عن روض الخزامه

خذوا لي من لواحي ريم رame
فقد أعيت عجائبها عتولاً
فكم أزدت مصارعها هماماً
وكم ضربت بصارمها عميداً
ومنها في التخلص إلى المديح:

إذا ما قيل خلك مثل بذر
وليس لوصف غرتيه شبيه
ومنها:

وأخذ من غدا للمدح أهلاً
رقي في العلم شأواً لا يضاهي
فكم أورت فطائنه علوماً
وكم أجلي بصارمه ظلاماً
ومنها:

أليس أبوك كعبة كل فخر
وباب الله غاية كل قصد
وحبل من تمسكه بصدق
وإنك فلذة النجباء طراً

الجواب:

أبرز لآح من خلف الغمامه
أم العطر الذكي وروح مسك

أَمِ الطَّاوُوسُ مَدَّ لَهُ جَنَاحاً
أَمِ الدَّرُّ الثَّمِينُ بِجِيدِ ظَبِي
أَمِ النَّظْمُ البَـسِـدِيعُ وَأَيُّ نَظْمٍ
نَظْمٌ يَسْحَرُ الْأَبْـبَابَ لُطْفاً
هُوَ السَّحَرُ الْحَلَالُ يَشُوقُ مَعْنَى
ومنها في المديح:

أَمِيرُ الْجِيُوشِ مَنْ حَازَ الْمَعَالِي
وَمَنْ قَهَرَ الْعُدَاةَ بِكُلِّ صُنْعٍ
وَنَابَ عَنِ الْإِمَامِ مَنَابَ صِدْقٍ
وَقَابَلَ كُلَّ مُعْضِلَةٍ بَعْزِمٍ
ومقدمُ الجهادِ أخو الكرامة
فأفناهم وجرعهم حُسامه
وإخلاصٍ فقلَّده زعامه
ورأيٍ مجربٍ وشبا صرامه

ولها بقيةٌ يدلُّ عليها ما وقع إثباته، وبذرتُه الفكرةُ فزكى نباته^[١].

وفيها في شهرِ ذي القعدةِ المذكورِ، اشتعلَ بجيزانَ نحوُ ثمانينَ برميلاً من البارود الذي تركه الأدرسيُّ من بقيةِ ما كانَ النصاري يمدُّونه به لفعلِ العظماءِ بالمسلمين، وإثارةِ الفتنةِ بينَ الموحِّدين، وتلفَ باشتعالِه عددٌ من النفوسِ، وكان ذلك مُصاباً جسيماً عندَ أعوانِ الضالِّ محقِّ لهم كثيراً من الآمالِ والمآلِ.

^[١] وفيها كانَ توجيةُ إدارةِ الأموالِ في جهاتٍ رداً إلى عهدةِ الحاجِّ محمد بن لطف السرحي، فتوجَّه إلى محلِّ عمله، ومعه من رجَّحَ مولانا الإمامُ تعيينه مُعيناً له، فحُمدَ أثره، ودقَّ فيها نظره^[١].

وفيها توفي الشيخُ صالحُ بن صالح الطيري باشا بعدَ مرضٍ طال به منذُ عودِه / من السَّوَادِيَّةِ، وكانَ المذكورُ شهماً هُمَاماً، ونالَ في زمنِ الأتراكِ حُظُوَّةً / ٢٧٦

[١ - ١] سقطت من س.

سَمَتْ بِهِ إِلَى أَنْ لَقَّبُوهُ بِالْبَاشَا، وَهِيَ مِنَ الْأَلْقَابِ الْعَالِيَةِ لَدَيْهِمْ.

وَلَمَّا أَقْبَلَتْ دَوْلَةُ الْإِمَامِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَقْبَلَ عَلَى الطَّاعَةِ بِنُصْحٍ وَرَغْبَةٍ، وَتَمَّ عَلَى يَدِهِ فَتْحُ نَاحِيَةِ جُبَيْنَ^(١) وَنَاحِيَةِ السُّوَادِيَةِ الْمَذْكُورَةِ قَرِيباً، وَهِيَ آخَرُ أَعْمَالِهِ. وَأَوْصَى لِمَوْلَانَا الْإِمَامِ بِبَعْضِ خِيُولِهِ النَّجِيَّةِ، فَرَعَى مَوْلَانَا الْإِمَامُ لَدَوِيهِ حَقَّ نُصْحِهِ، وَأَبْقَى شَيْخَ مَخْلَافِ الْعَرْشِ^(٢) تَحْتَ نَظَرِهِمْ بَعْدَ تَحْقُقِ مِيلِ سَكَانِ الْمَخْلَافِ الْمَذْكُورِ إِلَى إِبْقَاءِ رِئَاسَتِهِمْ عَلَيْهِمْ.

وَفِيهَا فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ الْحَرَامِ، تَكَاثَرَ جَمْعُ أَهْلِ تَهَامَةٍ، فِي مِلْحَانَ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَبَلِ الْمَذْكُورِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَشْرَارِ أَهْلِ الْعِنَادِ، وَكَانَتْ مُحَاطَ الْأَجْنَادِ الْإِمَامِيَّةِ فِي الظَّاهِرِ مِنْ مَخْلَافِ الْخَبْتِ، وَفِي أَذْرَعٍ مِنَ الْمَخْلَافِ الْمَذْكُورِ، وَمَا زَالَ الْحَرْبُ مُسْتَمِرّاً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبُعَاةِ، وَلَكِنَّهُ مَقْصُودٌ عَلَى الْمُنَاقَشَةِ، وَكَثِيراً مَا حَاوَلَ مُشَايِخُ مِلْحَانَ اسْتِمَالَةَ أَهْلِ الْخَبْتِ^(٣) وَحُفَّاشَ إِلَى جَانِبِهِمْ لِيَتَمَّ لَهُمْ بِذَلِكَ جَعْلُ الْمَعَادِي فِي غَيْرِ بِلَادِهِمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ مَوْلَانَا الْإِمَامَ لَا يَتْرَكَ قِتَالَهُمْ وَإِخْضَاعَهُمْ، فَلَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُمْ مَا أَرَادُوهُ مِنَ الْخُدَيْعَةِ وَالْمَكْرِ بِمَنْ جَاوَرَهُمْ، فَأَلْحَوْا عَلَى أَهْلِ تَهَامَةٍ بِلُزُومِ الْاسْتِيْلَاءِ عَلَى الْخَبْتِ وَحُفَّاشِ عُنُودٍ، وَإِزَالَةِ مَنْ فِيهِ مِنْ جُنُودِ الْإِمَامِ تَوْصُلاً مِنْهُمْ لِتِلْكَ الْبُغْيَةِ. وَكَانَتْ جُنُودُ الْإِمَامِ فِي الظَّاهِرِ

(١) جُبَيْنَ: مَدِينَةٌ مِنْ قِضَاءِ رَدَاعٍ بِالْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا، انْظُرْ، صِفَةُ جَزِيرَةٍ، ٣١٥، مَعَالِمُ الْأَثَارِ، ٩٣.

(٢) مَخْلَافِ الْعَرْشِ: عُزْلَةٌ مِنْ نَاحِيَةِ رَدَاعٍ فِي الْجَنُوبِ مِنْهَا، انْظُرْ، الْيَمَنُ الْكُبْرَى، ١٨١، مَعَالِمُ الْأَثَارِ، ٥٩، مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ، ٤٣٨.

(٣) الْخَبْتِ: يَقَعُ فِي نَاحِيَةِ الْمُحَوِيَّتِ وَيَنْقَسِمُ إِلَى عِدَّةِ عُزَلٍ مِنْهَا، عُزْلَةُ بَنِي عِمَارَةَ وَجَبْعَ وَالظَّاهِرَ وَعَنْسَ وَنَمْرَةَ، وَيَحْدُهُ الْمُحَوِيَّتُ غَرْباً وَمِلْحَانَ جَنُوباً وَلَاعَةَ وَالطُّورَ شَمَالاً، انْظُرْ، حَيَاةُ الْأَمِيرِ، ٦١٨.

وأذرع وأطراف حُفَاش غيرَ يسيرةٍ، فتقدمتْ جموعُ الباغين عليهم من ملْحانٍ، وقصدوا مَنْ في الظاهرِ وفي أذرع وفي حُفَاش في يومٍ واحدٍ، واستمرَّ الحربُ أياماً بينَ الفريقين في تلك المحطات، ومنَّ اللهُ على المجاهدين بالنَّصرِ فهزموا الأعداءَ في جميع الجهاتِ إلى أنْ أرجعَهم، إلى ملْحانٍ، وقُتِلَ منهم عددٌ كثيرٌ، ولم يصلُّوا مما أجمعوا عليه إلى مرامٍ غيرَ تيقُّنهم بأنهم سينالون جزاءَ غدرهم ومكرهم ونكثهم للعهود وتجاسرهم على ما يُغضبُ الرَّبَّ المعبودَ، وأنهم لا يقدرُون على دفعِ الجنودِ الإماميةِ، إنْ داهمتهم، وصدَّهم عن الارتقاءِ إلى جبلهم المنيع، ولذلك وجَّهوا اهتمامهم إلى تحصين الطرق المُدخلةِ إلى الجبلِ، وعَمَّروا فيها المراتبَ القويَّةَ، والمحلات المستحكمةَ، وظنَّوا أنهم بذلك سينالون ما ابتغوه مِنْ/ الامتناعِ ومغالبةِ اللهِ تعالى ذي القدرة والإبداع.

٢٧٧ /

وفيها جرى بينَ سيدي العمادِ وبينَ أهلِ عزلةِ البُكْرة^(١) من خلافٍ عَمَّارٍ اختلافٌ من أجلِ الواجباتِ، وجبايتها، فأدَّى ذلك إلى امتناعِهم عن إجابةِ داعيه، وإرجاعِ مأموريهِ مِنْ لديهم، وإخراجه من محلاتهم، وترتيبها من طرفهم، فأرسلَ عليهم الأميرُ العمادُ سيدي يحيى بن محمد بن عباس جماعةً من المجاهدين فقابلوهم بالحربِ، ووقعَ في المجاهدين القتلُ منهم، وفرَّعَ الأميرُ حقيقةَ الحالِ، إلى مولانا الإمامِ، واستمدَّ الأمرَ بما يجريه في شأنهم، ولم ينحصرِ الخلافُ في عزلةِ البُكْرة، بل تعدَّى إلى غيره، وكادَ الشرُّ أنْ يستفحلَ، فأمرَ مولانا الإمامُ السَّيِّدَ الأميرَ عبدَ اللهِ بن أحمد الوزير بأنْ يُرسلَ جُنُداً مِمَّنْ لديه من الأنصارِ، وكذلك صدرَ الأمرُ إلى سيدي العمادِ، فأَتَتْهم الجنودُ من كلِّ جانبٍ،

(١) البُكْرة: عَزلة البُكْرة من ناحية الرَضْمة، شرق يريم بمسافة ٣٤ كم، انظر معجم المحققين، ٢٦٩، والبُكْرة أيضاً، قرية في خَوْلان الطيال من عَزلة بني شداد، انظر نفس المرجع السابق، ٨٣.

واستولى المجاهدون على المحلات التي رتبوها بعد مناوشة يسيرة، ولم يسع
أشرار أولئك غير الفرار، وكان مولانا الإمام قبل هذا قد وجه إليهم رسائله
الناصحة لهم، فأجابوا بأنهم باقون على الطاعة، وإنما هم يريدون منع سيدي
يحيى بن محمد بن عباس من المداخلة في أمور مخالفتهم، ولا يشكون منه سوى
ضيق الأخلاق، فلم ير إسعافهم إلى ما أرادوا، لما في ذلك من الإخلال
بالمصالح العامة، وجلب المفسد، على أن المباشرة بالحرب وقتل المجاهدين لا
يكون بمثلها طلب رفع العامل، فلذلك صاروا في حاجة إلى تقويم المعوج من
أخلاقهم وتأديبهم، وكان ما ذكرنا من إرسال الجنود عليهم وقبض أعيانهم
وأشرارهم، وانتهاك المحلات التي استولى عليها الأجناد غنوة وإلزامهم
بدييات من قتلوه من المجاهدين، وأرسلت منهم جماعة إلى حضرة الإمام،
فوبخهم وعاتبهم، وبين لهم قبح ما ارتكبوه، فاعترفوا بذنوبهم، وطلبوا العفو
من مولانا الإمام، فعفى عنهم وردهم إلى أوطانهم، وقد أعيد إلى مخالف عما رما
كان عليه من الصلاح والسكون الجالب للمبتغي من الفلاح.

وفي هذه السنة كان حادث معمل الباروت،^[١] وذلك أن مولانا الإمام -
أيده الله - ٢٧٨ / مما وجه إليه عنايته معمل الباروت وترقية صناعته ليتم بذلك /
الاستغناء عن الباروت الإفرنجي، لأن صناعة الباروت في اليمن لم تنزل على ما
كانت عليه في الأزمنة القديمة من الانحطاط، وما يستخرج بها من الباروت لا
يُجدي نفعاً في سوق رصاص البنادق وقلل المدافع العظيمة في أسرع وقت إلى
المسافات البعيدة، وكان إسعاد الإفرنج إلى تمكين التجار من جلبه من قبيل
المحال، حتى أنهم كانوا يبنون على انقطاع ذخائر الحرب لدن مولانا الإمام

[١ - ١] من عبارة «وذلك إن مولانا الإمام - أيده الله حتى عبارة فلم يبال بخطر قرب» سقطت
من س.

الآمال، وأنه إذا كَمُلَ ما في يدِ الإمام مما تركهُ الأتراك فيما يجري من الحروبِ اضطرَّ مولانا الإمامُ إلى مخابرتهم بطلبِ ذلك، وجاءَ أوانَ تحكمهم واضطرارَّ الإمام للنزول على إرادتهم، فكانت العناية التي بذلها الإمام في هذا السبيلِ واقيةً من الوقوع - والعياذُ بالله - في أزمة الاحتياج إلى ما في أيدي الإفرنج.

ولعلَّه قد سبقَ ذكرُ أن الذي قامَ بأمرِ صناعةِ الباروتِ رجلٌ من الأتراك اسمه شوكت بك، وكذلك الطبيبُ حسني بك، وكانَ لكلٍّ منهما محلٌّ مخصوصٌ وأعوانٌ من أهلِ البلادِ يقومون بما يرشدُهم إليه استأذهم. وفي النهاية انفرادَ بأعمالِ الباروتِ شوكت بك وأعوانه، وترقَّتْ صناعتُهُ إلى أن وصلَ إلى درجة الباروتِ الإفرنجيِّ وقوَّته، وتمَّ بذلك المرادُ بعونِ ربِّ العبادِ، واختيرَ محلاً لصناعتِهِ والقيامِ بأعمالِهِ طرفٌ من أبنيةِ المستشفى البلدي، وهو غيرُ المستشفى العسكري، بالقربِ من بستانِ دارِ مولانا الإمام، وجلبَ إليه مولانا الإمامُ مكابنُ تقومُ بدقِّ الباروتِ حالَ صناعتِهِ بمدقَّاتٍ عظيمةٍ لا يقدرُ على رفعِها والدقِّ بها الجماعةُ من الرجالِ، وإنما أمكنَ ذلكَ بواسطة الآلاتِ الهندسية التي تحرَّكها ماكينة النار، واستمرَّ العملُ بها إلى أن طلبَ الإذنَ شوكت بك المذكورُ بالعزمِ إلى بلاده، وكانَ به ضعفٌ ظاهرٌ من أثرِ إصابةِ رصاصةٍ وقعت فيه في بعض الحروبِ التي حضرها أيامَ الحكومةِ العثمانية، وكُمنَت في جَسَدِهِ، واعتذرَ بتزايدِ ضَعْفِهِ وألحَّ في ذلك، معَ أنَّه قد قامَ بتعليمِ أعوانِهِ إلى أن صاروا يقومون بأعمالِ المعملِ مِنْ دُونِ حضورِهِ، فأذنَ له مولانا الإمامُ بالرحيلِ إلى ديارِهِ.

وقامَ الرجالُ المستخدَمونَ بأعمالِ المعملِ المذكورِ، وقد كانَ عَظَمُ الانتفاعِ بِهِ إلى غايةٍ، فوقَ المؤمِّلِ، وكثُرَ قدرُ ما يُصنَعُ فيه من الباروتِ يومياً على صفَةِ

وكان مولانا الإمام عظيم التفويض لله عز وجل في جميع الأمور، فلم يبال بِخَطَرٍ^١ قُرْبِ ذلك المعمل من داره السعيدة^[١]، وقد مَنَّ الله سبحانه بوقاية خطر ما جرى في المعمل المذكور، فإنه في بعض أيام هذه السنة عقيب الظهر، ومولانا الإمام قد دخل إلى الدار لتناول طعام الغداء، فلم يشعر إلا بصوت قارح الباروت من المعمل المذكور، وقد هُدمَ بنيانُ المعمل المذكور، فأمر مولانا الإمام بالمبادرة إلى إنقاذ مَنْ فيه، فذهب لذلك جمعٌ كثيرٌ، فأنقذوا مَنْ بقي فيه رمق الحياة، واستخرجوا مَنْ كانَ تحت الهدم، وقد كانَ في ناحية من المعمل المذكور كمية كبيرة من الباروت تأخر نقلها إلى القصر السعيد، فلو اتَّصل الاشتعالُ بها لكانَ الخطبُ جسيماً، وربّما وصلَ إلى الدار السعيدة، وما بجواره من البيوت، ولكنَّ وقاية الله تعالى حَجَبَتْهُ عن الاشتعال، ولم يشتعلْ غيرُ ما كان من المدقات، ولم يتَّضح سببُ ذلك تمامَ الوضوح لوفاة المباشرين للعمل حال الاشتعال، وقد قيل: إنه لتقصيرٍ مَنْ يُراقبُ حالَ الباروت الذي في المدقات، فإنه يتعاهده حال الدقِّ بالتحريك والتندية، ولولا ذلك لتولدت النار بين آلة الدقِّ وقوابلها لِثَقُلِ الآلةِ وشِدَّةِ وقوعِها في قوابلها، فكأنَّه قصَّرَ المراقبُ في ذلك، فتولدت النار واشتعلَ الباروتُ الذي في المدقات، وكانَ ما ذُكِرَ، والذين تلفوا تحت الهدم وبالباروتِ أحدَ عشرَ شخصاً، ودُفِنوا في ذلك اليوم.

^٢ وَمِنْ أَلطافِ الله تعالى وسعادة مولانا الإمام أنَّ رئيسَ العملية وهو الذي عليه المدارُ سَلِمَ من الفوت، وأصيبَتْ إحدى رجليه إصابةً كان يُظنُّ منها حصولُ تلفٍ، فعولجَ وبرىء ممَّا أصابه^[٢]، وقد جدَّد مولانا الإمام بعدَ هذا الحادثِ بناءَ المعملِ المذكورِ في الصافية العدنية بجهة الجنوب من صنعاء،

[١] في س، والمجاور لجدار بستانها من جهة الغرب. [٢ - ٢] سقطت من س.

وبمحلّ نازح من العمران، وجعل فيه مكان السَّقوف صفائح من ظروف القاز المسمّى بالتَنك، لأنّه تبيّن أنّ أكثر الضرر كان من انهدام السَّقوف على من تحتها بترابها وأخشابها، وما عليها من الأحجار،^[١] وعاد المعملُ بهمة مولانا الأمام إلى ما كان عيه من القيام بأعماله، ورعى الإمام الأرحام الذين تلفوا تحت الهدم حقّ الخدمة، فلم يزل يصلّهم بالإحسان والتفقد الناشيء عن الشفقة ومحض الحنان، ومثل ما جرى كثير الوقوع في المحلات التي توجد فيها المعامل الكبيرة كبلدان الإفرنج، فقد بلغ إلينا/ أنّه وقع في معمل من المعامل المذكورة / ٢٨٠ اشتعال وانفجار تلفّ به آلاف من النفوس ومن المعلوم أنّ السبب الجزئيّ الحقيق في مثل هذا يتكوّن عنه الحادث الخطير، فاجتناب الحزم في مثله والاحتياط نوع من الزلل يوقع في الخطل، وما لا يقبل التلافي من الضرر والوجل^[٢].

وفيها كانت بين المجاهدين وأهل بُرع وأعوان الإدريسي حروبٌ متعدّدة حوالي بُرع وأطراف بلاد الطّعام من بعد ارتفاع الجيش الذي تحت قيادة سيدي يحيى بن علي الذاري عن تلك الأطراف، ولم يزل ناز الحرب مشتعلة بين الفريقين على الدوام، والنصر في جميعها لحزب الحقّ إلاّ أنّه لم يتيسّر من وراء ذلك الوصول إلى بُرع، بل اقتصر المستفاد من ذلك الجهاد على منع سريان الفتنة إلى بلاد الطاعة، وإصلاح بعض العزل التي كان أهلها مائلين إلى المخالفين، وعن الرشاد منحرفين حيث رأوا أنّ لا منجاة لهم في غير الانقياد ومجانبة أهل العناد والفساد.

وفي هذه السنة، في يوم السبت، السادس عشر، وقيل في يوم الأحد السابع

[١ - ١] من عبارة «وعاد المعمل بهمة مولانا الإمام حتى عبارة، التلافي من الضرر والوجل» سقطت

عشر من شهر ذي القعدة الحرام، كان الغدر بحجاج بيت الله الحرام من أهل اليمن الأعلى والأسفل من طرف جنود أمير بلاد اليمامة ونجد، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود في وادي تنومة^(١) وسدوان^(٢) الأعلى والأسفل من بلاد بني شهر وأعمال عسير على مسافة ستة عشر يوماً من مدينة صعدة.

وقد ذكرنا فيما سلف من حوادث آخر السنة الماضية أن الأمير حسن بن علي بن محمد بن عايض ثار بأصحاب ابن السعود في عسير وفكك بهم وطردهم عنها.

وفي أوائل هذه السنة وجه ابن سعود جماعة من أمرائه وأجناداً كثيفة إلى عسير لإخضاعها، والانتقام من الأمير حسن المذكور، فجرت بين الفريقين حروبٌ أسفرت عن هزيمة أهل عسير مع أمرائهم، واستيلاء جنود ابن سعود على عسير، وإخضاع أهلها لطاعته، وفرار الأمير حسن إلى خارجها، وتقدمت بعد ذلك جنود ابن سعود إلى بلاد بني شهر، وكانوا من قبل ذلك هم وما وراءهم بمعزل عن تسلط ابن سعود عليهم، ولهم انتماء إلى شريف مكة الحسين بن علي بن عون، قيل لصهارة بينه وبين بيت الرئاسة فيهم، فكانت بين جنود ابن سعود وبين أولئك حروبٌ، استولى فيها جند ابن سعود على بعضها وجيشه باقي على المراقبة بها.

ولما وصل أمير الحاج إلى أطراف البلاد الإمامية مع الحجاج، كتب إلى أمراء النجديين مستوضحاً عن حال طريق الحجاج، وإمكان الاجتياز منها بقصد التثبيت في الأمر

(١) وادي تنومة: في بلاد بني شهر، موطن غامد: في ثمامة (عسير)، على مسافة ٢٨٠ كم من صعدة تبعد عن أبها بمسافة ١٥٤ كم شمالاً، انظر، صفة جزيرة، ٢٦١، قلب جزيرة العرب، ١٨٧.

(٢) سدوان الأعلى والأسفل: وادي في بلاد بني شهر.

/ والدخول في تلك البلاد، وعلى بصيرةٍ ويقينٍ تامٍّ من تعدي أحدٍ عليهم، وإلا / ٢٨١
فالأحوال فيما بين الإمام - عليه السلام - وبين أمير نجدٍ لا يُشتمُّ منها رائحةُ
الإرادة لأيِّ عدوانٍ.

وقد وصلت من الأمير عبد العزيز بن إبراهيم^(١) قائد جيش النجديين إلى
حضرة الإمام، بعد استيلائه على عسير، كُتِبَ تفيده اهتمامهم بتأمين طريق
الحجاج وتيسير مرورهم، وتسهيل سفرهم، وأنهم لا خوف عليهم مما يجري في
أطراف عسير. وعلم أمير الحاج بذلك، وكثير من الحجاج، فعاد الجواب عليه
من المذكورين مؤكداً لما سبق من التأمين، وأن يكون سلوكهم في الطريق
المعتادة، فلا يُوجَد ما يمنع الحجاج من مرورهم منها، ويوجب تحوُّلهم إلى
غيرها. وأن أميرهم قد سبق منه البيان وهم واثقون باندفاع الأخطار عنهم في
سلوكهم تلك الجادة.

وحين وصلوا أطراف البلاد التي تحت حوزتهم، تلقَّاهم بعض أفراد
النجديين تلقى المسالمة، فزاد اطمئنانهم إلى أن توغَّلوا في بلاد عسير، وصاروا
على مقربة من اجتيازها، وقد بلغهم أن جيش النجديين أمامهم، فاختر
بعضهم العدول إلى الطريق التي من الساحل وانفردوا عن أصحابهم، ولم يكن
بالساحل أحد من النجديين فنجَّوا من الأخطار، ووصلوا إلى مكة.

وأما معظم الحجاج، وفيهم الأمير وغيره فسلخوا الطريق المعتادة، وحطَّت
القافلة الأولى منهم في وادي تنومة، والثانية والثالثة في سدوان، وبينما هم في

(١) عبد العزيز بن إبراهيم، تولى الإمارة على أبها بعد وفاة أميرها سعد بن عفيصان، وقد
وصف بحزمه الإداري، وقد عزله الملك عبدالعزيز اثر شكاية تقدم بها عبدالله بن
مفرح وعلي بن مشيبة اللذين رافقا بن عائض في عودته إلى الرياض سنة ١٣٤٢ هـ،
وفي عهده وقعت حادثة الحجاج اليمينيين في وادي تنومة، انظر، أخبار عسير، ١٨٤.

أشغالهم مستغرقون إذ وصل إليهم جماعة من النجديين يحثونهم على تعجيل شداد أثقالهم على دوابهم ليتقلوا.

وفي أثناء اشتغالهم بذلك، طلعت عليهم ألوف من جنود ابن سعود وأحذقوا بهم من أعلى الوادي وأسفله، ومن رؤس الجبال، ومنهم على خيولهم وإيلهم، ودنوا ممن بوادي تنومة، وتابعوا على من به الرمي بنادقهم من كل جهة، فاستشهد معظم من كان بهذا الوادي من الحجاج، وقُتلت أكثر دوابهم، وأخذت أموالهم، ولم يفر إلا اليسير منهم، وكان من بعضهم المدافعة عن أنفسهم، ولكن ذلك لم يُغن شيئاً، لأن أكثرهم عُزل من السلاح، ثم عطفوا على القافلتين / اللتين بسدوان، وفعلوا بها كما فعلوا في الأولى، إلا أن القتل في الأولى كان أكثر من الأخرتين، واستولى أولئك العادون على جميع ما كان في أيديهم وأثقالهم ودوابهم، ومن أدركوه من الحجاج قتلوه صبراً، ومن نجا منهم بعد هذه الأهوال، تلقاه أهل القرى القريبة من محل الواقعة وسلبوا ما عليهم من الثياب. وجرى على الحجاج ما لم يجز على الحجاج حين داهمهم أبوطاهر القرمطي^(١)، وفعل ما فعل، وكان في هؤلاء الحجاج جماعة من العلماء وفضلاء السادة وكثير من الضعفاء، رزقهم الله الشهادة، وزفهم إلى غرف السعادة، وقل أن تخلو قرية من قرى اليمن عن مصاب بعض أهلها بين هؤلاء الحجاج، ولم يتحقق قدر الشهداء حتى الآن. إلا أن المعلوم أن غالب أولئك الحجاج عمهم القتل.

(١) أبوطاهر القرمطي: سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي، أبوطاهر ت ٣٣١هـ، تسلم قيادة الحركة القرمطية سنة ٣١٠هـ في البحرين، كانت له معارك في البصرة والإحساء والحجاز، قتل الحجاج ونهب مكة والحجر الأسود سنة ٣١٧هـ، وارتكب خلالها فظائع ومجازر ضد الحجاج، انظر، القرامطة لعارف تامر، ١٤٢، الكامل، ٨/ ٥٦٢٧، ٦٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٢٥، فوات الوفيات: ١/ ١٧٥.

ولما وصلَ هذا الخبرُ إلى هذه الأقطارِ، قوبلَ بالغضبِ الشديدِ والحزنِ العامِ، واهتمَّ لها مولانا الإمامُ اهتماماً عظيماً، وأخذَ في تدبيرِ ما يكونُ بهِ الانتصافُ مع ملاحظةِ بُعدِ الشَّقةِ، وأنَّ الخصمَ من أقصى نجدٍ مجهولُ الصِّفةِ.

وفي أثناء ذلك وصلَ من أميرِ عسيرٍ ما أفادَ التبرُّو من ذلك العملِ القبيحِ، وأنَّ وقوعه كانَ بغيرِ اختيارٍ من أحدٍ من الأمراءِ.

ومثُلُ هذا وصلَ أيضاً من أميرِ نجدٍ ابنِ سعودٍ، وأفادَ أنَّه قد أمرَ بإرجاعِ ما أخذَ على الحجاجِ، وطلبَ من مولانا الإمامِ إرسالَ من يقبضُ ذلك، وكانَ هذا الإرسالُ في أوَّلِ العامِ الآتي. وقد وصلَ المرسلون من طَرَفِ مولانا الإمامِ ببعضِ المنهوباتِ من دوابٍّ ومنقولاتٍ، وبعضِ قيمِ السَّمَنِ، وما زالوا مُصرِّين على استنكارهم الواقعَ وتنصُّلهم من تبعه ما جرى، ونسبته إلى فريقٍ من بدو نجدٍ يُقالُ لهم آلِ العطعوطِ، وأنهم باذلون للإنصافِ، ومولانا الإمامُ رأى المصلحةَ في تحكيمِ ابنِ سعودٍ فيما جرى، ولعلَّه بمنَّ الله تعالى يتمُّ الانتصافُ مِنَّ فعلِ هذه الأفاعيلِ، وقد سبقَ / لنا ذكرُ بعضِ أحوالِ هؤلاءِ الطائفةِ وأفعالهم في ٢٨٣ / حروبيهم، وأنَّ أعظمَ ما يشنُّعُ عليهم من مذهبيهم تكفيرُ أهلِ القبلةِ منذُ قرونٍ عديدةٍ.

وقد كانتْ لهم في أوائلِ القرنِ الثاني عشرِ صولةٌ عظيمةٌ إلى أن أمرَ سلطانُ العثمانيين في ذلك التاريخ محمد علي باشا الأرناؤوطي^(١)، والي مصرَ، بالتجهيزِ

(١) محمد علي باشا بن إبراهيم آغا بن علي، المعروف بمحمد علي الكبير ت ١٢٦٥هـ، مؤسس آخر دولة ملكية في مصر، الباني الأصل، من قوله، احترِف تجارة الدخان فأثرى، صعد حتى أصبح والي مصر سنة ١٢٢هـ ثم انفرد بحكم مصر، انتدبته الدولة العثمانية لقتال حركة التوحيد الوهابية، في الجزيرة العربية، انظر سيرته لعدد من المؤلفين، تاريخ مصر السياسي لمحمد رفعت، ٧٤.

عليهم ومحاربتهم، فطردهم من الحجاز، وساق الجيوش عليهم إلى نجد، وحاصر ابن سعود جدّ هذا في الدّرعيّة^(١) وضايقه إلى أن خرج مستسلماً إلى أيدي جنوده، فأرسله إلى الأستانة وقُتِل هناك صبراً، وحدث جمرتهم.

وفي أوائل هذا القرن تحركوا للظهور عندما أحسوا بوهن الأتراك، ولكنهم لم يتحركوا من نجد، وانتموا إلى الانجليز ومصادقتهم، فلم يتعرض لهم الأتراك، إلا أنهم قوّوا جانب ابن الرشيد^(٢) في حائل^(٣)، وجعلوه كالضد للمذكور وجيله إلى أن طويّت سلطة الأتراك من العراق والحرمين، فمدّ يده إلى ابن الرشيد وبلاده، فطواه وأدخله في خبر كان.

ثم كانت بينه وبين الشريف^(٤) واقعة في تربة^(٥) من أطراف الحجاز، فأوقع بجند الشريف واستأصلهم قتلاً، ولم ينبج أمير جند الشريف، وهو ابنه الشريف عبد الله، إلا في نفر يسير، وقد قيل أن قتل هذه الواقعة زهاء أربعة آلاف قتيل، وبعدها كان ما ذكرناه من وقائع عسير ويام، وما وقع بالمحمل اليمني هذا العام.

-
- (١) الدّرعيّة: قرية من نجد، منها انطلقت حركة محمد بن عبد الوهاب، عاصمة الدولة السعودية الأولى، هدمت عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م اثر هجوم محمد علي باشا والي مصر عليها، أعيد بناؤها اليوم انظر، قلب جزيرة العرب، ١٥٤.
- (٢) ابن الرشيد: كان أمير آل رشيد، محمد بن طلال بن نايف بن طلال، وآخر من استسلم لقوات الملك عبدالعزيز، نقل إلى الرياض أسيراً، انظر، تاريخ نجد ومحلقاته، ٢٩٨.
- (٣) حائل: عاصمة آل رشيد آنذاك، في نجد.

(٤ - ٥) تربة: كانت وقعة تربة في شعبان ١٣٣٧هـ بين عرب نجد (الاحوان) وجيش الأمير عبد الله بن الحسين، هزم فيها الأمير، نجا وبضعة من رجاله، وتربة على مقربة من الطائف، مفتاح الطائف، انظر، ملوك العرب، ١ / ٥١، تاريخ نجد وملحقاته، ٦٩، ٢٤٤ - ٢٥٧، أسرار الثورة العربية الكبرى، ٣١١، ٣٢١ - ٣٢٣.

وبلغَ أنَّ الانجليزَ عقدوا بينَ هذا أميرِ نجدٍ، وبينَ ملكِ العراقِ الشريفِ فيصلَ معاهدةً من مقتضاها: [الإبقاء على كلِّ] ما تحتَ يده من البلادِ، وبتمامِ هذا وقَفَ جوادُ القلمِ مستريحاً من بيانِ حوادثِ هذه السنةِ والماضيةِ بمعظمِ ما حصلَ فيها من الوقائعِ والحروبِ.

و^[١]مما وقعتْ عليه من شعرِ الفقيهِ الأديبِ أحمدَ بنِ صالحِ الجلالِ في هذا العامِ مادحاً للإمامِ - عليه السلامُ - قوله من قصيدةٍ يشكو في أوائلِها ضائقتهُ واضطرارهُ إلى أنْ قال:

أُتْعَانِي الْخُطُوبَ وَاللَّهُ قَدْ مَنَّ ذِي الْمَقَامِ الرَّفِيعِ وَالْمَنْبَرِ الْعَا الْعِمَادِ الْمُرَادِ ذِي الشَّرَفِ الْأَعْـ خَيْرٌ مَنْ فِيهِهِ أَوْدَعَ اللَّهُ سِرّاً الإِمَامُ الْجَلِيلُ قَدْ رَأَى وَمَجْداً ومنها:	علينا بالأوحدِ المختارِ لي الشريفِ الشريفِ شمسِ النهارِ لا وذي المكرُماتِ والأنوارِ فهو في سرِّ مُودَعِ الأسرارِ / ٢٨٤ وسليلِ الأئمةِ الأطهارِ

حيٍّ يحيى ومَنْ بِهِ الْحَقُّ يَحْيَا أَنْتَ مَنْ جَاءَ بِالْعُجَابِ وَمَنْ تُوِّ طَابَ مِنْ طَيْبِكُمْ نَهَارِي وَلَيْلِي ووقوفي إذا وقفتُ على البا وإلى ذوي الجلالِ ثمَّ إليكمُ لم تزلوا الكرامَ سلماً وفي الهيجا وبكمُ تكشفتِ الكُروبُ وفيكمُ	فهو لِلْخَلْقِ كَالْحَيَا الْمِذْرَارِ جَ دُونَ الْأَنَامِ تَاجَ الْفَخَارِ وَبِكُمْ يَا ذَوِي الْفَخَارِ انتصاري بِ وَقُوفَ الْحَجِيجِ هَذَا اخْتِيارِي سادتي مِنْ حَرِيقِ نَارِي فِرَارِي إذا هاجتِ الْأَسْوَدُ الضُّوَارِي طَابَ لِلزَّائِرِينَ خَيْرُ مَزَارِ

[١] في س، الحسين بن علي بن عون.

[٢ - ٢] من عبارة «ومما وقعت عليه من شعر حتى عبارة ومن توفي شهيداً في هذا العام في واقعة تنومة وسدوان» سقطت من س.

وله من قصيدة أخرى مطلعها:

سلامٌ على المولى الإمامِ سفورٌ
سلامٌ على يحيى الذي بحيوتهِ
سلامٌ على ذي المكرماتِ وذِي النهى
أَقُمْتَ إِمَامَ الحَقِّ كُلِّ كَرِيمَةٍ
سَبَقْتَ إِلَى المَيْدَانِ سَبْقَ مُبَرِّزٍ
وزاحمتِ أَهْلَ السَّبْقِ فِي فَضْلِ سَبْقِهِمْ
ومنها: وهو حسنٌ:

أيا بدرٌ تَمَّ يصغرُ البدرُ عندهُ
لَكَ الشَّرْفُ الأعلى على كُلِّ فاضِلٍ
إليك انتهَى المعروفُ والجودُ والندى
ظفِرتِ بأنواعِ المكارمِ والعلَى
شعارُكَ تقوى اللّهِ جَلَّ جلالُهُ
وانتِ إِمَامُ المَتَّقِينَ وسيِّدُ المَحْقِقِينَ
عَلا بِكَ هَذَا الأَمْرُ رُكْنًا وإنَّه
أيا قمرَ الإسلامِ طُبَّتْ مُطالِعاً
حَمِيَّتِ حِمَى الإسلامِ بالمرَّتِ مرَّةً
ودَوَّخَتْهَا شاماً وشرقاً وعكسَ ذا
إذا حورِبَ الإسلامُ قُتِمَتْ بأمره
وانتِ لِدِينِ اللّهِ دِرْعٌ وَمَعْقِلٌ
وانتِ الذي تسعى السعادةُ نحوهُ

/ ٢٨٥

[الطويل]

وخيرٌ مَزُورٍ في الكِرامِ يَزُورُ
غدا الحَقُّ يَحْيَى والضَّلالُ يَبُورُ
وذِي الفضلِ وجهُ الفضلِ فيه منيرٌ
إذا عَمَّ أَرْبابُ الكَمالِ قُصُورُ
وانتِ بِسَبْقِ السَّابِقِينَ جَدِيدُ
فما ضَرَّ أَنَّ العَصَرَ مِنْكَ أخيرُ

وكلُّ عَظِيمٍ في سِوَاهُ حَقِيرُ
وكلُّ كَبِيرٍ في مِثْلِكَ صَغِيرُ
ومالِكَ في الأَقْطارِ قَطُّ نَظِيرُ
وانتِ بأنواعِ الأُمُورِ بَصِيرُ
ومالِكَ بالإِعْراضِ عنه شَعُورُ
المَحْقِقِينَ مَجْرَى العَدْلِ لستِ تَجُورُ
لَقَبْلَكَ في أَيدي الطَّغاةِ أُسِيرُ
وَمِنْ نَوْرِكَ الأَسْنَى تُنِيرُ بِدُورُ
وبالسيفِ أُخْرَى والكِبَارِ تَخُورُ
عَلَيْكَ مِنَ اللّهِ العَسِيرُ يَسِيرُ
تَدُورُ مَعَ الإسلامِ حَيْثُ يَدُورُ
حَصِينٌ وَسَيْفٌ لا يَكُلُّ وَسُورُ
وانتِ على الدِّينِ الحَنِيفِ عَيُورُ

لَقَدْ سُدَّتْ سَادَاتِ الْوَرَى وَمُلُوكُهَا
دَعَوَتْ إِلَى دَارِ النَّعِيمِ إِذَا دَعَى
وَأَنْتَ دَلِيلُ الْخَيْرِ إِنْ غَارَ مَاؤُهُ
لَقَدْ طُبَّتْ أَخْلَاقًا حَسَنًا جَمَاهُ
مَقَامُكَ مُحَمَّدٌ شَرِيفٌ مَقْدَسٌ
رَعَى اللَّهُ مَوْلَانَا وَمَالِكَ أَمْرِنَا
وَلَيْسَ بِمَحْتَاجٍ إِلَى عِلْمٍ غَيْرِهِ
لَقَدْ زَانَهُ حِلْمٌ وَعِلْمٌ أَمَا تَرَى
إِمَامَ الْهُدَى عُذْرًا فَإِنِّي مُقَصِّرٌ
حَمَاكَ إِلَهَ الْعَالَمِينَ كَمَا حَمَى

لَكَ الْفَخْرُ تَاجٌ وَالصَّلَاحُ وَزِيرُ
إِلَى النَّارِ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ كَفُورُ
وَمَا عِشْتَ فِينَا قَطُّ لَيْسَ يَغُورُ
إِلَى نَعْتِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ يُشِيرُ
وَعَرَضُكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ عَطِيرُ
لَدَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ الْغَزِيرِ نَمِيرُ
وَكُلُّهُ إِلَى عِلْمِ الْإِمَامِ فَقِيرُ
تَوَاضَعَهُ لِلْقَوْمِ وَهُوَ خَطِيرُ
وَإِنْ لَسَانِي عَنْ مَدَاكَ قَصِيرُ
بِكَ الدِّينَ فَهُوَ الْيَوْمَ مِنْكَ نَصِيرُ

٢٨٦ /

ولها بقية، وله من قصيدة أخرى في مديح مولانا الإمام - عليه السلام -
ومستهلها:

أَيُّهَا السَّادَاعِي إِلَى خَيْرِ سَبِيلٍ
يَا ابْنَ أَرْبَابِ الْمَعَالِي وَالتَّقَى
يَا إِمَامًا مِنْ إِمَامٍ فَاضِلٍ
طُبَّتْ فِيمَنْ طَابَ مِنْ أَبَائِكَ النَّجَبِ الْأَقْطَابِ أَعْلَامُ الْفَحْوَالِ
كُلُّكُمْ مَا بَيْنَ دَاعٍ مُرْشِدٍ
مِنْ إِمَامٍ ذِي قِيَامٍ وَمَقِيلٍ
ومنها:

أَنْتَ مَنْ فَاقَ وَمَنْ رَاقَ وَمَنْ
أَيُّهَا الْبَدْرُ الَّذِي جَلَّ الدُّجَى
إِنَّمَا أَنْتَ سَرَّاجٌ نِيرُ
بَلَّغَ الْغَايَةَ مِنْ كُلِّ جَمِيلٍ
لَسْتُ بَدْرًا ذَا طُلُوعٍ وَأَفْوَلٍ
صَادَعُ فِي كُلِّ صَبْحٍ وَأَصِيلٍ

أنت ذو رأيٍ سديدٍ صائب في ذهابٍ وإيابٍ وقفولٍ
 أنت خيرُ الناسِ طُوراً لم يَزَلْ منك وصفُ الخيرِ ذا شرحٍ طويلٍ
 لستَ في الإقدامِ والإحجامِ والـ عَقْدِ والحلِّ لعُمري بجهولٍ
 ومنها:

يا فريدَ العصرِ ما في عصرنا لك من شُبهِهِ ومِثْلٍ وعديلٍ
 يا حليفَ العلمِ والفِطنةِ يا خيرَ شيخٍ في فُروعٍ وأصولٍ
 يا إمامَ العصرِ يا ذا الفتحِ والنَّصرِ والتَّمكنِ يا طِبَّ العليلِ
 جاهِدَ الكُفَّارَ بالسَّيفِ وما أنتَ يا يحيى عليهم بـوكيلٍ
 أنتَ في نصرٍ من الله بـه غايَةُ الغنيَّةِ عن نصرٍ يكيل
 لم تَزَلْ في مَدَدٍ مِنْ عَدَدٍ ومِنَ العُدَّةِ في أمرٍ مَهُولٍ
 قد ملكتَ الشَّرْقَ والغربَ معاً مِنْ جبالٍ ونُجودٍ وشُهلٍ
 يا نزيلَ الفضلِ والخيراتِ في سَفْحِ صنعا طُبَّتْ يحيى من نَزِيلٍ
 أنتَ مَنْ عنها أزالَ البأسَ والـ بُوسَ والإلباسَ يا خيرَ مُزِيلٍ
 شَرُفَتْ صَنعاً بيحيى مثُلها شَرُفَتْ طيبةً بالهادي الجليلِ
 زادهُ الله ثباتاً مَعَهُ دَرَكَ الخيراتِ في ظلِّ ظليلٍ
 في مقامٍ بالمعالي قائمٌ ومَقِيلٍ حَسَنٍ خيرٍ مَقِيلٍ
 وصلاةُ الله تغشى المصطفى خيرةَ الخيرةِ مِنْ خيرٍ قَبِيلٍ
 وعلى الكَرارِ نفسُ المصطفى وأخيه المرتضى زَوْجُ البتولِ
 وعلى الآلِ مصاييحُ الدُّجى سادةِ الساداتِ أطوادِ الجميلِ

/ ٢٨٧

وَمِنْ مَدَحِ مولانا الإمام - عليه السلام - في أثناء هذا العام القاضي الأجل
 الهمام محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الله الإيراني، حاكم ناحية جُبِن، فإنه رَفَعَ

إلى الإمام ما تراه من النظام:

[الرمل]

كهرباً شوقي لنومي قد أطارا
إذ دعاني في الحمي داعي الهوى
فانشنى طرفي إليه ناظراً
فسقاني من معاني لفظه
وتجادبنا أحاديث الهوى
ونظمناها بسلك المدح في
الإمام المتقى من حيدر
ملك للملك أوري زنده
خائض الحرب التي نيرانها
علم أذكي مصايح الهدى
لوذعي حاز علماً وثقى
نشر العلم الذي كف البلى
أنقذ الله به الدين وقد
فنفى عنه غرايب الدجى
لو أعار البدر في نقصانه
لا يحل الجود إلا عنده
كلما أنقذ جيشاً للعدى
فترى أعداءه يوم الوغى
فهمو بين أسير موثق
وملوك الأرض لما عرفت

ورمى بين ضلوعي منه ناراً
وبطرفيه إلى نحوي أشاراً
وصبا قلبي فلباه جهاراً
بكؤوس الحب من فيه عقاراً
دُرّاً تفتض منهن العذارى
وصف مولانا الذي حاز الفخار
فالق الهام إذا ما النفع ثارا
وبنى للمجد فوق النجم داراً
تتلظى بطل يحمي الذماراً
بمواضي عزمه حتى استناراً
المعي جل قدراً واقتراراً
قد طوته وتسامى أن يجارى
طبّق الجهل على الدين الغباراً
بصباح الحق إذ عم انتشاراً
من سناه ما شكك البدر السرا
ويسير المجد إلا حيث سارا
شحد النصر من السيف القساراً
في ضلال لا يطيقون الفراراً
وقتيل في ثراها قد توارى
عجزها عن حربيه قامت بداراً

٢٨٨ /

نَحْوُهُ تَخِطُّبُ مِنْهُ وَدَّهْ
وَإِذَا رَامَ عِنَاداً خَصْمُهُ
وَلَقَدْ حَازَ الْعَالِي وَالْعُلَى
أَيُّهَا الْعَاذِلُ دَعْنِي أَجْتَنِي
يَجْلِبُ الْمَعْنَى لِفِكْرِي نَعْتُهُ
يَا إِمَامَ الْعَصْرِ يَا ذَا الْفَضْلِ يَا
لَيْسَ إِلَّا فِيكَ شِعْرِي قَدْ جَرَى
فَأَقْلَنْتَنِي سَيْدِي مِنْ عَثْرَتِي
هَاكُهَا عَقْدَ لَالٍ صُغْتُهُ
فَحَسِبْتُ الصَّبْحَ مِنْهَا طَالِعاً
فَاعْفُ عَمَّا قَصَّرْتُهُ فِكْرَتِي
وَبَقِيَتِ الدَّهْرَ غَوْثاً لِلْوَرَى
رَاقِياً أَعْلَى مَنَصَّاتِ الْوَرَى
وَبَعِينَ اللَّهِ مَحْرُوساً عَلَى

/ ٢٨٩

وَتُرَجِّي مِنْهُ قُرْباً وَجَوَاراً
جَالٌ فِي أَحْشَائِهِ السَّيْفُ وَغَاراً
فَعَدَا فَوْقَ السَّمَائِينَ مَنَاراً
مِنْ رِيَاضِ الْمَدَحِ لِلْمَوْلَى ثِمَاراً
فَأَرَى الْأَلْفَاطَ نَحْوِي تَتَبَارَى
مُفْنَعُ الْخَلْقِ إِذَا مَا الْخُطْبُ دَاراً
عَذْبُهُ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ قَطَاراً
وَتَدَارَكُنِي فَإِنَّ الدَّهْرَ جَاراً
وِظْلَامُ اللَّيْلِ يَزْدَادُ اعْتِكَاراً
بِضِيَا مَدْحِكَ إِذْ فِيهَا أَنَاراً
زَادَكَ الرَّحْمَنُ حِلْماً وَوَقَاراً
فِي الْمِلَمَاتِ وَكَهْفاً مُسْتَجَاراً
تَسْحَبُ الْمَطَرَفَ عِزّاً وَافْتِخَاراً
أَمَدِ الْأَيَّامِ لَيْلاً وَنَهَاراً

ومما وقعت عليه لمولانا إمام الزمان - أطال الله مدته، وحرس مهجته -
جواباً على تهنية، وصلت إليه من الأمير جمال الدين، سيدي علي بن عبد الله
الوزير، ولم أعثر عليها حال التحرير، والجواب المذكور هو ما تراه إماماً للكلام،
لأنه من كلام الإمام - عليه السلام: -
[البسيط]

لِلَّهِ مَا رَقَمْتَ يُمْنَاكَ مِنْ كَلِمٍ
بَعَثْتُ فِيهِ هِنَاءَ جَلٍّ مَوْقِعُهُ
وَفَاحَ مِنْهُ أَرِيحُ اللَّطْفِ وَابْتَسَمْتُ

فِيهَا تَلَالُاً دُرُّ الْقَوْلِ مُنْتَظِمًا
حُسْنًا وَطَابَ الَّذِي أَهْدَاهُ مُنْسَجِمًا
لَهُ ثَغُورُ الثَّنَا وَازْدَانِ مَا رَقَمًا

فَلْيَهْنِكِ الْعَيْدُ لَا زِلْتَ الْمَوْقِفَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلِلْإِقْبَالِ مُلْتَزِمًا
وَجَدَّ اللَّهُ أَعْيَادًا لَنَا وَلَكُمْ تَكُونُ لِلنَّصْرِ عَنَوَانًا وَمُخْتَمًا
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ كُلَّ آوْنَةٍ وَرَحْمَةُ اللَّهِ مَا أَنَهَلَ الْحَيَا وَهَمَى

وَمَنْ تُوْفِي شَهِيداً فِي هَذَا الْعَامِ فِي وَاقِعَةِ تَنْوِمَةِ وَسَدَوَانَ سَيِّدِي الْعِمَادُ يُحْيِي
بْنُ أَحْمَدَ بْنَ قَاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حَمِيدُ الدِّينِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى
طَلَبِ الْعِلْمِ، وَ^١ حَصَلَ عَلَى الْمَشَايخِ الْأَعْلَامِ - كَالْمَوْلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِهِ،
وَقَدْ كَانَ أَشْرَفَ عَلَى النَّبُوغِ، وَهُوَ فِي سَنِّ الشَّبَابِ، فَقَصَدَ الْحَجَّ فِي هَذَا الْعَامِ -
فَتُوْفِي شَهِيداً مَظْلُوماً عَلَى أَيْدِي أَوْلَئِكَ الْمُعْتَدِينَ^٢.

وَتُوْفِي أَيْضاً، الْفَقِيهُ الْفَاضِلُ الْوَرَعُ ذُو التَّقْوَى، وَالزَّهَادَةِ وَالْأَعْرَاضِ عَمَّا
سِوَى الْعِبَادَةِ، وَمِلَازِمَةِ التَّدْرِيسِ وَالْإِفَادَةِ الْأَخْ أَحْمَدُ^٣ بَنُ أَحْمَدِ السِّيَاغِي
الْحَيَمِي^(١)، شَهِيداً فِي الْوَقْعَةِ الْمَذْكُورَةِ، كَانَ الْمَذْكُورُ مُنْقَطِعاً إِلَى التَّدْرِيسِ
وَمُنْقَبِضاً عَنِ الْمَخَالِطَةِ، لَا يَهْمُهُ غَيْرُ عِلْمٍ يَمْلِيهِ أَوْ يَسْتَمْلِيهِ، وَعَكُوفاً عَلَى كِتَابِ
اللَّهِ وَتَرْدِيدِ مَثَانِيهِ، وَقَرَأَ عَلَى جَمِيعِ الْمَشَايخِ الْعِظَامِ، مِنْهُمْ: وَالِدُهُ / شَيْخُنَا الْفَقِيهُ / ٢٩٠
الْعَلَامَةُ الْمُجْتَهِدُ أَحْمَدُ السِّيَاغِي وَالْقَاضِي الْعَلَامَةُ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنِ الْمَغْرِبِيِّ، رَحِمَهُمَا
اللَّهُ تَعَالَى، وَالْمَوْلَى الْعَلَامَةُ قَاضِي الْقَضَاةِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَمْرِي، فَسَخَّ اللَّهُ
مَدَّتَهُ وَأَدَامَ بَرَكَتَهُ، وَالْمَوْلَى شَيْخُ الْإِسْلَامِ، الْقَاضِي الْعَلَامَةُ عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ الْيَمَانِي

(١) أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى السِّيَاغِي ت ٦ ذِي الْقَعْدَةِ ١٣٤١ فِي وَقْعَةِ تَنْوِمَةِ
وَسَدَوَانَ كَانَ غَايَةً فِي الزَّهْدِ وَالْوَرَعِ، فَقِيهاً، مُلَازِماً لِلدَّرْسِ وَالتَّدْرِيسِ، وَلَدَ سَنَةَ
١٣٠٣، نَزَهَةَ النَّظَرُ، ٥٠، تَحْفَةُ الْأَخْوَانِ، ٤٥، الْمُقْتَطَفُ مِنْ تَارِيخِ الْيَمَنِ، ٢٢٣، هَجَرَ
الْعِلْمَ، ١٥٣٠.

[١ - ١] سَقَطَتْ مِنْ س.

[٢] وَرَدَتْ أَخْبَارُهُ فِي س، فِي سَطَرٍ وَاحِدٍ. «كَانَ مُنْقَطِعاً لِلتَّدْرِيسِ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَكَافَةً
الشَّهَدَاءَ».

وبلغ شأواً رفيعاً من التحقيق، وانتفع به الكثير من الناس.

وفي هذه السنة عزم لإداء فريضة الحج وعدّله كثيراً من عارفيه عن العزم من طريق البرّ، وأرشدوه إلى سلوك طريق البحر، لأنها أقرب مؤنة وأقلّ كلفة ومشقة، فصمّم على القصد من طريق البرّ، وقوى منه الإرادة، فكتب الله الشهادة، وسنّه لم يصل إلى الأربعين من السنين، رحمه الله تعالى، وأكرم نزلّه وأهلك من اعتدى على مثله وأهله.

^١ ومما بلغ إلينا من حوادث الآفاق، ما كان في البلاد المصرية، فإنّ الانجليز من قبل نحو ثلاثين عاماً، لما وقعت فتنة عرابي باشا^(١) توسّلوا بإخمادها إلى وضع أيديهم على الأقطار المصرية، وأبقوا جيشاً سمّوه جيش الاحتلال في القاهرة، وصار الخديوي ووزرائه في حكم المحكوم عليهم، لا ينفذون إلّا ما طابَق هوى الانجليز، وأبقى اسم السيادة للدولة العثمانية، ولهم من حاصلها مبلغ تسلمه الحكومة المصرية إلى خزينة الدولة العثمانية في كل عام، ولدوام السكون في

(١) المقصود أحمد عرابي بن محمد عرابي بن محمد وافي بن محمد غنيم ت ١٣٢٩ هـ / ١٨٤١ م، زعيم مصري، كان له دور بارز في تاريخ مصر الحديث، بلغ رتبة أمير الآي في الجيش المصري سنة ١٢٧١ هـ، رفع مطالبه ونفر من الضباط ضد تسلط المماليك الجراكسة سنة ١٢٩٨ هـ، إلى رياض باشا رئيس النظار حوكم ورفيقه بسبب ذلك إلا أن رفاقه في الجيش حاصروا ديوان المحكمة وأخرجوهم، واثّر تواصل حركته الاصلاحية، احتل الانجليز مصر سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م بعد معركة التل الكبير، وألقي القبض على أحمد عرابي ونفي إلى سيلان حيث أمضى ١٩ عاماً، وعاد إلى مصر زمن الخديوي عباس سنة ١٣١٩ هـ ولد في قرية هرية رزنة من قرى الزقازيق انظر، الاعلام، ١/ ١٦٨، اعلام الجيش والبحرية، ١/ ١٢٨.

[١ - ١] من عبارة «ومما بلغ إلينا من حوادث الآفاق حتى عبارة ودخلت سنة ١٣٤٢» سقطت من س.

تلك الجهات، وخُصِبَ أراضيها تَمَكَّنَ المصريون من بلوغ ثروتهم العامة درجةً تُوازِنُ ثروةَ أغنى دولِ الإفرنج، وأكثرُوا مِنْ زِراعةِ الأقطانِ، حتى صارَ القطنُ المصريُّ يُحْمَلُ إلى العالمِ، وتزايدَ عددُ النفوسِ في ذلك القطرِ، فبعدَ أنْ كانَ عددُ نفوسِهِمْ في أولِ إحصاءٍ وَقَعَ في أيامِ الخديوي محمد علي باشا قَبْلَ نحوِ مئةِ عامٍ، مليونين وخمسة مئة ألفٍ، تزايدَ عددُ نفوسِهِمْ إلى أنْ بلغَ في هذا الزمانِ أربعةَ عشرَ مليوناً من النفوسِ، وهذا المقدارُ مبلغٌ عظيمٌ وإطرادُ الزيادةِ إلى هذا الحدِّ نادرٌ المِثَالِ.

ولمَّا وَقَعَتِ الحربُ العموميةُ، حَمَلَهُم الانجليزُ على إعلانِ قطعِ العلاقةِ مع الدولةِ العثمانيةِ، وإعلانِ الاستقلالِ، وخلعِ الخديوي عباس حلمي^(١) باشا بن محمد توفيق بن إسماعيل بن سعيد بن محمد علي، ونَصَّبَ الانجليزُ مكانَهُ عمَّهُ حسين كامل^(٢) بن إسماعيل، وأطلقوا عليه لقبَ السلطانِ والمَلِكِ.

(١) الخديوي عباس حلمي الثاني باشا بن محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي ت ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م تولى الخديوية بعد وفاة والده في ٨ يناير ١٨٩٢، حاول أن ينتهج سياسة إصلاحية بتقريبه إلى الحركة الوطنية ومقاومة الاحتلال الانجليزي، اثر نشوب الحركة الكونية الأولى وسفره إلى استانبول طلب الانجليز منه عدم العودة وفرضوا الحماية على مصر في ديسمبر ١٩١٤ م بعد عزل الخديوي في ١٩ سبتمبر ١٩١٤ م ولد سنة ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م، انظر موسوعة حكام مصر، ناصر الأنصاري، دار الشروق، مصر، ١٩٨٧، ١٢٤، مشاهير الشرق، ٥٢، صفوة العصر، ١ / ٧٠، الأعلام، ٢ / ٢٦٠.

(٢) السلطان حسين كامل بن إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي ت ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م، تولى السلطنة في ١٩ ديسمبر ١٩١٤ م واعترف به سلطاناً، قبلها تولى نظارة الأشغال العمومية ثم نظارة المالية فرياسة مجلس شورى القوانين، في عهده وقعت مصر تحت الحماية البريطانية، ولد سنة ١٨٥٣ م، ودرس في باريس، أول السلاطين بعد الخديوية، انظر، موسوعة حكام مصر، ١٢٤، الأعلام، ٢ / ٢٥٢.

واستعان الانجليز بالمصريين في أثناء الحرب حتى قيل إنه استعان منهم بما يزيد عن عشر مئة ألف من النفوس، وهو المليون ما بين محارب وعامل.

ولما انقضت الحرب، قرّر الانجليز في مجلس صلحهم مع الدول الأخرى / ٢٩١ إعلان الحماية على المملكة المصرية / ومعنى الحماية واضح في عرفهم، لأنه عبارة عن تشكيل حكومة في البلاد التي تُوضَع تحت الحماية، تكون تحت سيطرة الدولة الحامية، ويكون حق التمثيل والتكلم عنها مع سائر الدول، من حقوق الدولة الحامية، وكذلك الدفاع عنها، ويُسمون هذا الشكل من الحكومات بأنه عبارة عن استقلال داخلي، ومقابلته الاستقلال التام، وهو الاستقلال الداخلي والخارجي، وعدم الاستقلال رأساً، وهو وضع اليد على البلاد فعلاً، وصادف في ذلك الحين وقوع وفاة حسين كامل المذكور، فكان نصّب ابنه فؤاد الأول^(١) مكانه، وهب فريق من رجال مصر، على رأسهم سعد زغلول^(٢) باشا، للمطالبة

(١) فؤاد الأول: فؤاد الأول بن إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي ت ١٩٣٦م، سلطان مصر، ثم ملك مصر، تقلد الأمور في ٩ أكتوبر ١٩١٧، قامت في عهده ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول، حيث اضطر الانجليز لرفع الحماية بموجب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، في مارس ١٩٢٢م أعلن نفسه ملكاً وأصدر الدستور، تولى رئاسة الوزراء في عهده سعد زغلول، انظر، موسوعة حكام مصر، ١٢٥.

(٢) سعد إبراهيم زغلول ت ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م، زعيم نهضة مصر، وأكبر خطبائها في عهده، درس في الأزهر واتصل بجمال الدين الأفغاني، اشتغل بتحرير الوقائع المصرية، ثم معاون بنظارة الداخلية، وشارك في الثورة العرابية سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١ - ٨٢، حيث قبض عليه وسجن، عمل في المحاماة، تولى فيما بعد وزارة المعارف والحقانية، سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٩ انتخب رئيساً للوفد المصري للمطالبة بالاستقلال نفاه الانجليز إلى مالطة ثم إلى سيشل سنة ١٩٢٢، تولى رئاسة مجلس الوزراء سنة ١٩٢٤، ورئاسة مجلس النواب فيما بعد، ولد سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م. انظر، مرآة العصر، ٣ / ١٠٠، الأعلام الشرقية، ١ / ١٣٩، المجلد في التاريخ المصري، ٤٢١، الاعلام، ٣ / ٨٣.

بالاستقلال، وإظهار عدم الرضا بالحماية، وأنهم لا يعترفون بها، وشايَعَهُمْ في طلبِهِمْ هذا جميعُ أهل مصر من المسلمين والقبُط. وحصل اضطرابٌ عامٌ سكَّنه الإنجليزُ بحبس أولئك الفريق، ونفي بعضهم ثم أطلقوهم، وأذنوا لهم بما أرادوه من تشكيل وفدٍ منهم يطوفُ عواصم دول الإفرنج مطالباً بذلك على قواعِدِهِمْ، في استحقاقِ العنصر الذي قد بلغ أشدُّه من المدينة أن يحكم نفسه بنفسه، ومرادُهم من ذلك ضمُّ أصوات العالم إلى صوتِهِمْ في القول بأن قضيتَهُمْ عادلة. وما زالت آثارُ الاضطراب في المدن المصرية باقية.

وفي كلِّ وقتٍ وهم - أعني المصريين - يغتالون رجالاً من الانجليز ولا يقفون على مَنْ فعل ذلك، وتتابع سقوطُ الوزارات في حكومة مصر إلى أن فقدوا مَنْ يتصدَّر من المصريين لقبول رئاسة الوزارة، وحمل الحكومة على عاتقِهِ حتى تخابروا مع عبد الخالق ثروت^(١) باشا من المصريين، ووافقهم على قبول الوزارة بشرط إلغاء الحماية والاعتراف بأن حكومة مصر دولة مستقلة لها الحقُّ بتمثيل نفسها في الخارج، وتمسكوا بما سمَّوه تحفظات، وهو أن تبقى جنودُهم الموجودة في الديار المصرية، على ما كانت عليه، وأن يبقى الخليج الذي تمَّ به الانفصال بين البحر الرومي والبحر الأحمر تحت أيديهم، وكذلك الأراضي السودانية الواسعة إلى أن تصيرَ المفاوضة فيها إلى أجلٍ مسمى.

(١) عبد الخالق ثروت بن إسماعيل عبد الخالق ت ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م، من رجال السياسة بمصر، درس الحقوق، وتولى وزارة الحقانية ١٩١٤ - ١٩١٩ م ثم وزارة الداخلية، ١٩٢١ م ثم رئيساً للوزراء سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ م، في عهده صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، برفع الحماية عن مصر، حيث تحولت مصر من سلطنة إلى مملكة، أصيب بمرض السكر فاعتزل السياسة حتى توفي فجأة في باريس، ولد سنة ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م، انظر، الاعلام الشرقية، ١ / ٨٨، الاعلام، ٣ / ٢٩١، كتاب في أعقاب الثورة المصرية، ١ / ٦٣، ٧٠ و ٢٧٠.

وهذا في الحقيقة عينُ ما كانَ قبلاً، إلا أنهم اتحفوهم بأسماءٍ عاريةٍ عن معانيها، ولما تقلد الوزارة عبد الخالق المذكور اتخذوه آلةً لإنفاذ الصرامة في المصريين، فنقوا منهم جماعاتٍ إلى الهند وغيرها من البلاد التي تحت أيديهم، ومن الجملة سعد زغلول ورفاقه، بعلّة أن حركاتهم مخلة بالأمّن، فلم تبرد الثورة، وبقي الحال على ما كان عليه من الاضطراب.

٢٩٢ / وتكررت حوادث الاغتيال، وفي آخرها ترك عبد الخالق المذكور المنصب المذكور اضطراراً، ولم يجد الانجليز من يتصدّر لذلك من المصريين مسلميهم والمسيحيين منهم، فاضطروا إلى إعادة المنفيين إلى أوطانهم، وإطلاق سراحهم، وإعلان رفع الإدارة العرفيّة، وهذه الإدارة في عرفهم، يكون إعلانها في زمن الاضطراب، ويكون من مقتضاها إبطال القوانين، ورفع السلطة من أيدي رجال المحاكم وغيرهم، ووضع الإدارة في أيدي قواد الأجناد، يتشكّل منهم مجلس يكون إليه إنفاذ العقوبات المختلفة على ما يرى أهل المجلس المذكور، وأذنوا لهم بتشكيل مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وكل هذه الأساليب في الدولة، وكيفية الملك من أساليب الافرنج. وانتقلت عنهم إلى من جاورهم من الأمم.

وبهذه الحالة، تمكّن المصريون - نوعاً ما - من إدارة بلادهم، وتصدّر سعد زغلول لرئاسة الوزارة في الحكومة المصرية، وهم الآن يُعالجون كيفية رفع جيش الاحتلال الانجليزي من البلاد المصرية، واستخلاص الأراضي السودانية من أيديهم، والخليج الذي ذكرناه. ولم يكونوا قد ظفروا بما يدل على إمكان وقوع ذلك.

وإنما سردتُ هذا، ليعلم المتأمل حال الأقطار الإسلامية، وما آلت إليه من تلاعب أمم الإفرنج بها، فإنَّ الأقطار المسماة في عُرف المتأخرين ببلاد تركستان، تشتمل على سكانٍ من أمم متعدّدة، ومن جملتها بُخارى^(١)، وفيها حكوماتٌ إسلاميةٌ وكلُّها تحت تسلُّط أمم الروس الإباحيين، والهندُ وهو تحت تسلُّط الإنجليز، ويُقال إن مجموع مَنْ في أقطار الهند من المسلمين نحو سبعين مليوناً من النفوس، وفاس ومراكش وبلاد الجزائر ومنها تلمسان^(٢) وكذلك بلاد تونس التي توجد فيها خرابة مدينة القيروان^(٣) التي عمرها عقبة بن نافع الفهري، كل هذه تحت حماية الفرنسية، وطرابلس الغرب، وجبال بركة^٤ تحت يد الطليان، وحال العراق والشام، وما إليها قد عرّفته ممّا سلف، وكذا حال الأقطار المصرية، وهي حال الغربية التي أشارت إليها الأحاديث النبوية، قيّص الله للمسلمين فرجاً، مما دامهم من الأخطار في جميع الأقطار بحوله وطوله، إنه على كلّ شيء قدير وبالإجابة جدير^٥.

ودخلت سنة اثنتين وأربعين وثلثماية بعد الألف ومولانا الإمام - عليه السلام - مقيماً بداره السعيدة بمحروس الروضة لتمضية فصل الخريف، والعمال في الجهات المذكورون فيما مضى، وأحوال البلاد الإمامية في سكون تام

(١) بُخارى: أعظم مدن ما وراء نهر جيحون في أوزبكستان، يرتبط اسمها بالامام البخاري، ولذا يطلقون عليها اسم بُخارى الشريفة، منها تمر طرق الحرير، انظر، معجم البلدان، ١/ ٣٥٣، نزهة المشتاق، ٢١٣، صفحات من تاريخ الاسلام والمسلمين في بلاد السوفيت، طه الولي، ط بيروت، ٢٣٧.

(٢) تلمسان: مدينة جزائرية، في سفح جبل علي بعد ١٥٠ كم من وهران، جنوباً وغرباً، انظر، الاستبصار، ١٧٦، معجم ما استعجم، ٧٦، الروض المعطار، ١٣٥.

(٣) القيروان: مدينة في البلاد التونسية، أول من اختطها عقبة بن نافع الفهري، جنوب تونس، الروض المعطار، ٤٨٦، الاستبصار، ١١٣.

٢٩٣ / وأمانٍ ترادفت به النعم الجسام / وأحوالُ ثُمامة التي تحت يد الإدريسي وعُمّاله في اضطرابٍ ، والتعادي فيما بين أهلها قد عادَ إلى ما كان عليه فيما مضى من الأحقاب ، وعدنٌ تحت قبضة الإنجليز، والحكمُ في لحج وأبين ، وتوابعيهما والشحر والمكلا ومن فيها من السلاطين خاضعون لإرادتهم، ومندوبُ مولانا الإمام القاضي عبدالله بن أحمد العرشي باقٍ في عدن. ولم تزل المخابرة والمراجعة بينهم وبينه مستمرة في شأن الوصولِ إلى ما يكونُ عليه الوفاقُ بينهم وبين الإمام، ولم تصلِ المراجعةُ إلى درجة الختام والنهاية، لأنهم يريدون الوصولَ من مسعاهم إلى ما يُعَدُّ ظَفراً لهم، ومولانا الإمام - عليه السلام - لا يلدنُ لهم إلى شيءٍ يخالفُ مرادَ الله عز وجل، أو يكونُ به إعطاءُ الدنية، ولذلك لم تُسفر المراجعةُ عن نتيجة مُرضية، خلا أن مندوبَ مولانا الأمام كان عيناً للإمام هناك، يرفعُ مهمَّ الأخبار، فكان قعوده هنالك غيرَ خالٍ عن المصلحة العامة، والقيام برعايتها التامة.

وفي شهرٍ محرم الحرام من هذا العام، أمرَ مولانا الإمام أمير الجيش سيدي، جمال الدين علي بن عبدالله الوزير بتجهيز الأجناد إلى قضاء المخا وجمعها إلى هنالك، ونصح الشيخ ناصر العنبري، شيخ قرية الشيخ سعيد^(١) الواقعة بالقرب من باب المندب على الشاطئ بالدخول في الطاعة، وكان الشيخ المذكور قد كبر اسمه، وكثرت مدهائته للأتراك أيام حكمهم، وشاع عنه مداخلته للإفرنج، وميله إليهم. وبهذا السبب، وهو الاتصالُ بينه وبين الإفرنج لم يكن من عمال الأتراك تحريك ساكنة خوفاً من اتساع الخرق، وحصول ما لا يقدرّون على دفعه من تحكّم طوائف الإفرنج.

(١) الشيخ سعيد: على مضيق باب المندب، قرب عدن، موقع حصين يصل ارتفاعه إلى ٣٠٠٠ متر انظر، معجم المقحفي، ٣٧٠، حياة الأمير، ٦٢٣.

ولمَّا بقيَ القضاءُ المذكورُ تحتَ نظرِ الشيخِ علي عثمان، لم يتعرَّضَ للمذكورِ وبلده بشيءٍ، وكذلك ناحية دُباب^(١) المتصلةُ بها، فبقيَ على ما كانَ أيامَ الأتراكِ.

ورأى مولانا الإمامُ أنَّ إهمالَ أمرِ تلكِ الناحيةِ، وكذلك بابُ المندبِ محلٌّ بالمصلحة العامة، وليسَ من الحزمِ في شيءٍ، فلذلك صدرَ الأمرُ الشريفُ بما ذكرناه وكان من الأميرِ جمال الدين المُسارعةُ بتجهيزِ الأجنادِ، فاجتمع هنالك زهاءُ ألفي رامٍ من رجالِ / القتالِ وأبطالِ النزالِ، وجعلَ قيادَتَهُم إلى الأميرِ / ٢٩٤ الهُمام صَمُصامُ توفيق بن عبد الله مملوكِ مولانا الإمام، وعاملِه على قضاءِ المخا، وراسلَ العنبريَّ ونصحَه، فلم يقبلِ النَّصحَ والإرشادَ ولا مالَ إلى رشادٍ وسداد، بل سلكَ مسلكَه السابقَ من إدعاءِ الطاعةِ الاسميةِ، والانقيادِ الوهمي، معتذراً ببداوةِ أصحابِه، وأتم من صنفِ الخواتين^(٢)، ونحو هذا من الكلامِ الباطلِ والخذاعِ القاتلِ.

وكانَ المذكورُ وأصحابُه ومَن في دُبابٍ على غايةٍ من الجهالةِ وتضييعِ أمورِ الديانةِ، وواجباتِها وارتكابِ منتهايتها، ولم يبقَ لديهم من الإسلامِ إلا رسمُه الدارسُ، وطلُّه^[١] الذي عفا بما مرَّ عليه من الرِّوَامس، فلمَّا تبَيَّنَ إصرارُه على ما هو عليه من الغواية، ولم تنجحْ فيه وسائلُ الإرشادِ إلى الهداية، أمرَ الأميرُ جمال الدين الأميرَ صمصام بالتقدُّم مع مَن معه من الأجنادِ على تلكِ الناحيةِ، فانتشرَ الجيشُ في تلكِ الجهةِ، وهاجموا مَن فيها من أهلِ البغي والفسادِ وأربابِ

(١) دُباب: قرية على ساحل البحر الأحمر، قرب ميون (بريم) على بعد ٥٧ كم من المخا جنوباً، وعلى بعد ٣٦ كم من باب المندب، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٣٩، اليمن الكبرى، ٣٨، صفة جزيرة، ١٥٦، معجم المقحفي، ٢٤٨.

(٢) الخواتين ج، خاتون، لقب يطلق على النساء.

[١] في س، وطلاله.

العناد، وجرت بينهم حروبٌ وخطوبٌ أسفرت عن هزيمتهم، وركوبهم إلى الفرار، وهرب العنبري إلى جيبوتي، وركوبه البحر إلى هنالك، واستولى الجنّد الإمامي على ذُباب والشيخ سعيد وباب المندب، وعثروا على ثلاثة من المدافع الكبار التي محققها الطليان في خروجهم على باب المندب، وإخراهم لما كان فيه من القلاع، وكان محققهم للمدافع المذكورة بإدخال القل بها وسدّها بها، ثم نادى الأمير بالأمان لأهل تلك الناحية، فعادوا إلى أوطانهم، وصلحت أحوالهم إلا العنبري، فإنه استمرّ على فراره. وأمر مولانا الإمام بإصلاح القلاع التي في باب المندب وعمارتها، فأعيدت إلى ما كانت عليه من العمارة، وتم ضبط تلك الجهة وترتيبها على ما يرام، وأخذ الرهائن اللازمة، وقد صار نقل المدافع المذكورة وإصلاحها بهمة مولانا الإمام، والتمكّن من الانتفاع بها في مصالح الإسلام، وهي من المدافع النافعة التي ترمي إلى مسافة بعيدة، ولا يخفى على المتأمل / ما لبأب المندب من الأهمية والمكانة في نظر دول الإفرنج، فإن مضيقه مما كوّنته يد القدرة الإلهية، وتحكيمه من طرفيه المقابلين يمكن من الاقتدار على قطع الطريق على أمم الإفرنج فيما بينهم وبين ممالكهم الهندية والصينية والشرق الأقصى كجاوا وغيرها، وجزائر البحر المحيط التي منها مملكة أستراليا الانجليزية، وما من دولة من دول الإفرنج إلا ولها ممالك تحتاج في الوصول إليها أي المرور من هذا المضيق ببوابيرها التي تشقّ عُباب البحر، ولا يماثل هذا المضيق إلا مضيق بحر سبتة^(١) الكائن تحت جبل طارق من بلاد الأندلس، ولم يهّن على الانجليز بقاءه تحت يد دولة إسبانيا من دول الإفرنج، وهي التي استولت على بلاد الأندلس، بل أعمل الحيلة حتى تمكّن من

/ ٢٩٥

(١) سبتة: مدينة مغربية في مضيق جبل طارق في المتوسط، تقابل الجزيرة الخضراء، انظر، معجم ما استعجم، ١٠٢، الروض المعطار، ٣٠٣.

الاستيلاء عليه، وصارت تحت قبضته، وهذا المضيق - أعني مضيق سبتة - هو في طرف البحر المتوسط المسمى قديماً بالبحر الرومي، ومن ورائه البحر الكبير المسمى الآن بالبحر المحيط الأطلسي في عُرف الجغرافيين، ولعنایاتهم بالمضائق إلى هذه الدرجة، تعرف ما لهذا، وهو مضيق باب المندب، من الأهمية، ولم يجرسه من غدرهم إلا ما بينهم من التنافس عليه، وذلك من الطاف الله تعالى وتيسيره، فما جرى ضبطه وإصلاح قلاعہ يُعدُّ في نظر كل مفكر عاقل ناظر للعواقب فتحاً عظيماً، وأثراً صالحاً من مآثر مولانا الإمام، واهتمامه بما الناس غافلون عنه من تقوية شأن الإسلام، وإصلاح أحوال الأنام، ولو تم - والعياذ بالله - لإحدى الدول الإفريقية الاستيلاء على المضيق المذكور لعمروا فيه القلاع المحكَّمة^{١٦} التي لا تتأثر من رميها بمدافع البوابير الجسيمة، ووضعوا فيه من آلاتهم الجهنمية ما يتعدَّد معه الدنوُّ منه^{١٧}، وسرى من ذلك تطاول أيديهم، إلى المخا وجهاته كما فعلوا في عدن، فإنَّ الانجليز إنما احتلَّوه بعذر الاحتياج إلى جعله مخزناً للفحم الحجري الذي يُوقد به في البوابير، ومَرَّت عليهم السنوات والأعوام / وهم لا يفترون عن اصطیاد البلاد واستمالة رؤسائها، حتى صاروا / ٢٩٦ يدعون - في هذا الزمان - أنَّ لحج وبلادها أئین وبلادها وحضرموت بأجمعها مربوطة بهم. وقد كانوا من قبل دولة مولانا الإمام يدعون أيضاً النواحي التسع كالحواشب ويافع والضالع وأكثر بلاد المشرق، ويزعمون أنهم تحت حمايتهم، فانظر إلى مكرهم وشذته، وكيف يسرون في البلاد سريان النار في الهشيم، ويتذرعون بكل الوسائل للاصطياد وقهر العباد، فما بالك لو تمكَّنوا من مضيق باب المندب، وقد عمَّر الانجليز في الجزيرة القريبة منه المسماة بريم، مباني وشيئوها وأسكنوا فيها ثلثة من جنودهم وجماعة من أمرائهم، وكل ذلك اهتماماً

[١ - ١] سقطت من س.

منهم بالمضيق المذكور لا سوى، دفع الله عن المسلمين مكائدهم، وحجب عنا مصائدهم.

وفيها في المحرم أيضاً، تم بمساعي أهل ملحان استمالة فريق من مشايخ أهل خفاش إلى الخلاف معهم، والخروج عن الطاعة، وقد بينا فيما سبق، أنهم كانوا يجدون في استمالة من حولهم كأهل الخبت وخفاش وغيرهم، وأن مرامهم من ذلك صون بلادهم من معارك الحروب، ونقلها إلى بلاد غيرهم، فلم تتم لهم الحيلة إلا على هذا الفريق من الخفاشيين، كأهالي عزلة الشويع وقبيلة وما جاورها. فأعلن أولئك الخلاف، وثاروا بمن لديهم من المجاهدين. وسلكوا مسالك أهل الاعتساف، ودعوا إليهم بعض أهل ملحان، وجمعاً من ثهامة، وصالوا وجالوا في ميادين غيهم، وكانت بينهم وبين من هنالك من جند الإمام حروب، أسفرت عن منع الفتنة من السريان إلى غير أولئك المغرورين.

ولما بلغ ذلك إلى مولانا الإمام اهتم له ورأى من الحزم سرعة إرسال الإمداد إلى من بخفاش، فأمر مولانا الإمام، سيدي الجليل والصارم الصقيّل جمال الدين، علي بن حمود بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن الحسين^(١) بجمع المقاتلة من قضاء كوكبان والمبادرة بالتوجه إلى خفاش، فجمع نحو ألف وخميس مئة رام من سكان القضاء المذكور، وبادر بالتوجه إلى خفاش، والتقدم على المخالفين وجموع الباغين ومنازلتهم بصرامة وشدة وبأس وإقدام أورت جمع الأعداء أي إبلايس، فطار التهاميون والملحانيون وولوا سراعاً يؤمنون

(١) علي بن حمود بن محمد بن يحيى بن محمد شرف الدين ت شعبان ١٣٧٠ هـ، عالم محقق، في الفقه والأصوليين وعلوم العربية، تولى القضاء في الطويلة، ثم عاملاً على قضاء زبيد، ثم تصدر للتدريس في كوكبان والطويلة، ثم كاشفاً للأموال، ولد سنة ١٣١١، انظر، نزهة النظر، ٤٢٨، تحفة الاخوان، ٩٨، هجر العلم، ١٩١٢.

بلادهم لا يصدّقون بالنجاة/ وانهمزم معهم أهل حُفّاش واستولى الجندُ الإماميُّ / ٢٩٧
 على عزلةِ الشويع ومخلاف قَيْهَمَة وغيرها، وطهروها من أدناسِ البغاة ورفعوا
 عنها وُضَرَ العُواةِ، وأصابَ أهلَ حُفّاش من البلاء ما لم يُعرفوه، وجنّوا من ثمرِ
 البغي ما مرَّ وكانَ ذلك جزاءً وفاقاً لما افترقوه، فإنّهم انحدرُوا بأهلهم وأولادهم
 إلى طرفِ تُهامة، وتفرّقوا فيها، وأتاهم من أمرِ الله ما لم يُحسبوه، فكثرَت منهم
 الموتى، وفشت فيهم الأمراضُ، وعمَّهم الذهابُ حتى قِيلَ إنَّهم لم يرجعوا بعدَ
 الأمانِ إلّا وقد تَلَفَ منهم ما يزيدُ على الألفِ، وانتهبت أموالهم، وتناولت أيدي
 الاختطافِ ثمارهم، وكانت حينئذٍ دانيةُ الجناءِ، سهلةُ الاقتطافِ والاقتناء. وكثُرَ
 من الأعداءِ في هذا الحربِ عددُ القتلى على عكسِ ما كان عليه الحالُ لدن
 المجاهدين.

وبعدَ إحرازِ حزبِ الحقِّ لهذا النصرِ العظيم، ورفعِ خطبِ الخلافِ
 الجسيم، اقتضى رأيُ مولانا الإمامِ توجيهَ سيدي العلامة، سيفِ الإسلام، أحمدَ
 بنِ قاسمِ بنِ عبدِالله حميدَ الدين وإلزامه بالعزمِ إلى المحويّة لجمعِ شملِ
 المقادِمة الذين بحُفّاش والخبِيتِ وحوالي ملْحان، وتوحيدِ الرأي، وأناطِ مولانا
 الإمام به تدبيرَ تلكِ الجنودِ، فتوجّه إلى المحويّة، واستقرَّ بها وباشرَ الأعمالَ
 وأمَّنَ أهلَ حُفّاشِ الفارّين. فعادوا من تهامة، وقد ذاقوا من الأهوالِ ما عظمُ به
 عليهم الوبالُ والنكال.

وفي أواخرِ أيامِ العامِ المنصرمِ دارَتِ المراجعةُ بينَ المولى صفّي الدين، سيفِ
 الإسلام، أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين، وبينَ الشيخِ صالحِ مسعود، شيخِ أحدِ أرباعِ
 بني قَيْسٍ في دخوله تحتِ طاعةِ الإمام، وتمَّ ذلك بوصولِهِ إلى حضرةِ المولى
 سيفِ الإسلام، وقبضِ رهينةِ الطاعة، وعادَ إلى بلده مجللاً مكرماً قد كَبَتَ

حَسَادُهُ، وَنَالَ مِنَ الْإِكْرَامِ مَرَادَهُ، وَانْتَظَمَ فِي سَلَكِ طَاعَتِهِ أَصْحَابُهُ، وَسَرَّهُمْ ذَهَابُهُ وَإِيَابُهُ، فَتَأَلَّبَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْقَبِيلَةِ وَرُؤَسَاؤُهُمْ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَجْنَادِ الضَّلَالِ وَآخِرَابِ الضَّالِّ، وَبَاشَرُوهُمْ بِالْحَرْبِ، وَأَدَارُوا عَلَيْهِمْ كُؤُوسَ الْكَرْبِ، فَاسْتَمَدَّ الشَّيْخُ الْمَذْكُورُ الْإِعَانَةَ مِنَ الْمَوْلَى سَيْفِ الْإِسْلَامِ، أَحْمَدَ بْنِ الْإِمَامِ، وَالْمَوْلَى سَيْفُ الْإِسْلَامِ، رَفَعَ بِالْحَقِيقَةِ إِلَى مَوْلَانَا الْإِمَامِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَمَرَ مَوْلَانَا الْإِمَامُ السَّيِّدَ الْمَقْدَامَ وَأَسَدَ الصَّدَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى أَبُو مُنْصَرٍ، وَهُوَ حِينُئِذٍ مُقِيمٌ بِالظَّاهِرِ / مِنْ الْخَبْتِ، وَكَانَ مَوْلَانَا الْإِمَامُ قَدْ رَادَفَ إِرْسَالَ الْأَجْنَادِ إِلَيْهِ حَتَّى كَثُرَتْ عَدَّتُهُمْ تَأْهِبًا لِلْقُدُومِ عَلَى مَلْحَانٍ. وَمِنْ جَمَلَةِ الْأَجْنَادِ رَجَالُ الْحَدَا، فَإِنَّ مَوْلَانَا الْإِمَامَ أَمَرَ عَامِلَهُ عَلَى نَاحِيَةِ الْحَدَا بِجَمْعِ الرِّجَالِ مِنْ بَطُونِهَا، فَاسْرَعَ فِي التَّلْبِيَةِ، وَجَمَعَ الرِّجَالِ الْأَثْبَاتِ، وَأَصْحَبَهُمْ بِجَمَاعَةٍ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ كَالْقُوسِيِّ وَالبَخِيْتِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى حَضْرَةِ الْإِمَامِ، وَأَمَرَهُمُ الْإِمَامُ بِالْعِزْمِ إِلَى ظَاهِرِ الْخَبْتِ تَقْوِيَةً لِمَحْطَةِ الظَّاهِرِ، وَلِيَكُونُوا تَحْتَ قِيَادَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو مُنْصَرٍ، وَكَانَتْ عَدَّتُهُمْ تَنُوفُ عَلَى الْأَلْفِ.

فَلَمَّا وَصَلَ أَمَرَ الْإِمَامُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى الْأَمِيرِ الْمَذْكُورِ مُلْزِمًا لَهُ بِإِرْسَالِ الْأَجْنَادِ إِلَى بَنِي قَيْسٍ إِعَانَةً لِلشَّيْخِ صَالِحِ مَسْعُودٍ، انْتَدَبَ لِهَذَا الْمَرَامِ جَنْدَ الْحَدَا وَأَمَرَهُمُ بِالْإِنْحِدَارِ إِلَى بَنِي قَيْسٍ، وَكَذَلِكَ أَمَرَ الْإِمَامُ نَجْلَهُ الْمَوْلَى سَيْفَ الْإِسْلَامِ بِإِرْسَالِ جُنْدٍ مِمَّنْ فِي حَضْرَتِهِ، فَتَوَجَّهَتِ الْجُنُودُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى رَايَاتِهِمَا مِنَ الْجَهْتَيْنِ، تَقَدَّمُوا عَلَى جَمُوعِ بَنِي قَيْسٍ، وَمِمَّنْ لَدَيْهِمْ مِنَ الْبَاغِينَ، وَأَذَاقُوهُمْ مِنْ مَرَارَةِ الصَّدَامِ وَشِدَّةِ الْاِقْتِحَامِ مَا أَذْهَلَهُمْ، وَقَلَّ جَمْعُهُمْ وَكَسَرَ شُوكَتَهُمْ، وَهَدَّ قُوَّتَهُمْ وَزَلَزَهُمْ فَتَفَرَّقُوا وَانْهَزَمُوا، وَتَشَتَّتُوا فِي الْخُبُوتِ وَالرَّمَالِ، وَاسْتَوْلَى الْجُنْدُ الْإِمَامِيُّ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَحَلَّاتِهِمْ، وَانْتَهَبُوا مَا فِيهَا، وَغَنِمُوا مِنْهُمْ غَنَائِمَ عَظِيمَةً،

وأحرقوا كثيراً من محلاتهم، وأزالوا عن الشيخ صالح مسعود وأصحابه ما أهدق بهم من الأخطار، وما نواه بهم جمع الأشرار، ولم يتكّنوا من الوقوف في تلك الجهات لخلوها عن معدات الإقامة، فعادت قبائل الحدا إلى مخلاف الحبت عن أمر من الإمام - عليه السلام - .

ولما تكاملت وسائل الاستعداد للقدوم على ملحان، أمر مولانا الإمام المولى، سيف الإسلام، سيدي العلامة، أحمد بن قاسم حميد الدين بإجراء ذلك، والمبادرة بإذاعة الباغين سم المهالك، فألزم رؤساء الأجناد بالتأهب لذلك، وكانت محاط جنود الإمام في الظاهر وأذرع، من بلد الحبت، وفي أطراف حفاش. وبعد تمام المراجعة وإعمال التدبير في مهاجمة الباغين، فمل جمعهم الكثير، تقدّم الجند الإمامي من جهتين على جبل ملحان، / بصحبة النصر، / ٢٩٩ وتهب عليه ريح الظفر كالسيل الجرار المتدفق، فمر في السهول الموصلة إلى الجبل كالبرق المتألق، والتقى بجموع الباغين، فأعاد قوتهم أثراً بعد عين، ورماهم من بأسه بالحين، وأقدم عليهم إقدام الأسود الضواري، ووالى هجومه عليهم إلى مراتبهم ومحلات تحصينهم، وكانوا قد أحكموها، وظنوا أنها مانعهم من جنود الحق، ولم يتهيّب الجند الإمامي ما رآه أمانة من صعوبة الصعود إلى الجبل في مضيق تلك الطرقات، ولا خشي من نيران بنادقهم، وما كانوا يقذفونه من الأحجار والصخور، فزلزلهم بذلك الإقدام، وأخرجهم من مراتبهم ومعاقليهم قسراً وشردهم قتلاً وأسراً، ففروا لا يلوون على شيء، وتمكن بذلك جند الإمام من تسنم ذروات الجبل الشاخحة والاستيلاء على حصونه المنيع، والتوغل في المحلات واغتنام ما فيها من مصون الأموال. وكانت كثيرة جداً، لأن أهل الجبل الناكثين مراراً والمعادين للحق سراً وجهاراً، لم يستطيعوا تهريب أموالهم

وقراشهم، حيثُ أعجلهم المجاهدون وأبلوهم من الحرب، بما لا يظنون، ورأوا في أفواه بنادقهم وبريق سلاحهم، ريب المنون، وزادهم خبالاً ووجلاً معرفتهم بما كان من الغدر في العام الماضي. وما فعلوه من الأفاعيل الخبيثة، فأحبط الله أعمالهم وخذلهم، وانتقم منهم للمؤمنين، وحزب الحق المبين ومن على الجنود الإمامية بالنصر العظيم والفتح الجسيم، وقُتِلَ منهم جُمٌّ غفير، وفرَّ منهم من فرَّ إلى خبوت تُهامة ورمالها، فجرى عليهم من مهالك النفي والتغريب أشدَّ تعذيب، فكان ما نالوه من الهوانِ بعض ما استحقوه لجرائمهم على العصيان.

وكان هذا الفتح في سابع شهر صفر من هذه السنة، ووردت البشائر بذلك إلى مولانا الإمام، وهو مقيمٌ بمحروس الروضة، فعمَّ بهذا الفتح السرور، واندفعت عن الصدور حرارة الحنق التي أثارها ما فعله أولئك الطغاة من الشرور، وأمر مولانا الإمام مقادماً الجند بالأمان لمن أقبل على الطاعة، ومراسلة أهل الجبل بذلك، وإعلامهم بعفو الإمام عنهم/ على عادته - عليه السلام - / ٣٠٠ في حبِّ العفو وكراهة الانتقام.

ولما أعلن أمراء الإمام بالأمان، تراجع أهل الجبل إلى أوطانهم زمراً، وبقيت طوائف منهم في أطراف الجبل من جهة تُهامة على الخلاف، لتأخير الجنود الإمامية، عن الانحدار إليهم، وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان ما آلت إليه أحوالهم.

وفي هذا الشهر أيضاً، حصل بمنّ الله فكاًك النظام من الأسر، بعد أن مكثوا في أطراف تُهامة كجيزان وميدي وصبيا والليث^(١) من حين الغدر بهم في ملحان، في أثناء العام الماضي، ووصلوا إلى حضرة مولانا الإمام في اليوم التاسع

(١) الليث: على بعد ١١٢ كم من مكة، انظر جزيرة العرب في القرن العشرين، ٨٨.

والعشرين من شهر صفر المذكور، فكساهم مولانا الإمام، وصرف لهم ما كان لهم من المعاش، وأمرهم بالإقامة في العرضي السعيد من جملة الأجناد، وأجرى عليهم المعتاد من الكفايات، وأعاد تسليحهم، وأذن بالترخيص لهم لزيارة أهلهم.

وفيها وصل إلى حضرة مولانا الإمام الشيخ كامل القصاب^(١) من علماء دمشق الشام، ومعه رفيق له اسمه [حياتي]^[١] بك، كان من قواد الجنود العثمانية في رتبة أميرالاي، فأنزلها مولانا الإمام دار ضيافته، وبالع في إكرامهما وإيناسهما، وتبين أنهما من أعضاء الجمعية العربية الساعية في توحيد كلمة العرب، وأنهما موفدان من قبلها للسعي لدن الامام في هذا الشأن، وعرض ما عند الجامعة المذكورة من النظر في الوسائل الموصلة إلى ذلك، وظهر من حديثهما أنهم يرجحون طريقة الوفاق فيما بين الإمام وأمير نجد ابن سعود^[٢]، وأنها أقرب الطرائق الموصلة إلى ذلك المرام، فكان من جواب الإمام - عليه السلام - أن الوفاق مرغوب فيه ولا سيما السلامة من عدوان أمم الإفرنج متوقفة على ذلك، ولكن ما حصل من عدوان جنود أمير نجد على جماعة الحجاج يحول دون الشروع في التوصل إلى ذلك، والأمر المقدّم والركن الأهم تقديم الإنصاف الموعود به في شأن ذلك العدوان، ومتى تم ذلك، وزال من

(٢) محمد كامل القصاب: ١٢٩٠هـ - ١٣٧٣هـ (١٨٧٣م - ١٩٥٤م).

محمد كامل بن أحمد بن عبد القادر القصاب، من زعماء الحركة الاستقلالية، من أعضاء جمعية العربية الفتاة السرية، تنقل بين الشريف حسين والملك عبدالعزيز آل سعود حيث تولى إدارة المعارف واستقر بفلسطين، ألف بالاشتراك مع عز الدين القسام، النقد والبيان، في البدع المنهي عنها، انظر، ما رأيت وما سمعت، ١٤، منتخبات التواريخ لدمشق، ٩١٣، الاعلام، ١٣/٧.

[١] الإضافة من فرجة الموم، ٢٦٥ وهي بياض في النسختين.

[٢] في س، عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

النفوس ما بها من الغيظ بحصول الانصاف، أمكن الشروع، وتيسر الوصول
 إلى الوفاق على أساسين متينين من الاتحاد، ونبذ الشقاق بإزاء / أطماع طوائف
 الإفرنج، والسعي في إنقاذ ما وقع تحت مخالبهم من البلاد العربية، فرأيا جواب
 مولانا الإمام - عليه السلام - هو الصواب الذي عليه يُعول، واستمدا من
 مولانا الإمام كتباً إلى جميع شعوب الجمعية العربية، فحرر لهما مولانا الإمام ما
 أراد، ثم مكثاً برهة في الحضرة الشريفة، وعادا إلى ديارهما، ومن عزمهما المسير
 إلى الرياض^(١) مقر إمارة نجد، والسعي في هذا المرام،^(٢) والتوصل إلى تحقيق
 هذه الأحلام^(٣).

وفيهما وصل إلى حضرة الإمام أحد رجال الإنجليز المسمى جيكب^(٤)،
^(٥) وهو محرف لفظ يعقوب باللغة الإنجليزية، ومعه رجل آخر منهم ملاحه تدل
 على أنه من أمراء جنودهم^(٦). وجيكب هذا كان أراد الوصول إلى حضرة الإمام
 في أثناء سنة سبع وثلاثين، وخرج من الحديدة إلى باجل، فكان من بعض ذوي

(١) الرياض: من نجد، تقع على وادي حنيفة، على علو ٥٢٠ متراً عن سطح البحر،
 حاضرة المملكة العربية السعودية، أصبحت العاصمة بعد خراب الدرعية سنة
 ١٢٣٢ هـ / ١٨١٨ م، انظر: جزيرة العرب، ١ / ١٥٠.

(٢) جيكب: اللفتانت كولونيل هارولدف. جيكب. ك. س. آي. الضابط في الجيش
 البريطاني الحائز على وسام جوقة الشرف الفرنسي، مستشرق، عمل لأكثر من عشرين
 سنة في عدن والمحميات، وكان المساعد الأول للمندوب السامي البريطاني ثم كان
 المعتمد البريطاني في تلك المحميات خلال الحرب الكونية الأولى عمل بوظيفة المستشار
 الأول بمصر لكل من المندوبين الساميين ريجنالد ويجنت، وفسكونت اللنبي، نجح في
 جلب محمد بن علي الأدرسي لصف الحلفاء، حيث أبرم معه معاهدة، أعلن الأدرسي
 بموجبها الحرب على الدولة العثمانية، زار سورياً ولبنان متخفياً باسم مستعار. انظر كتابه
 ملوك شبه الجزيرة العربية، (المترجم)، ٩.

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س.

المآرب الایعازُ إلى قبائل القُحري بالقبض عليه، ومنعه عن الوصول إلى حضرة الإمام، ووافق ذلك مرامَ مولانا الإمام وحمد الله تعالى على حصول منعه، لأنَّ المذكورَ كان موصوفاً بالدهاءِ والمكرِ والخديعة، فكانت السلامةُ في حصولِ المانع من تمكُّنه من الوصول، ولبتَ في باجل برهةً، ثم عادَ إلى الحُدَيْدَة، ومنها إلى عَدَن، وكان حينئذٍ مستخدماً لَدن الانجليزِ باسمِ معاونٍ والي عدن، وقد لبثَ في هذه الوظيفةِ أعواماً كثيرة، واكتسبَ مزيدَ الخبرة، والاطلاعَ على أحوالِ الجزيرةِ العربية، وصار موصوفاً لَدن الانجليزِ بذلك، ولما عادَ إلى عدن، بلغَ درجةَ التخلي عن الوظيفة واستحقاقِ المعاشِ بدونِ عملٍ، فانفصلَ من وظيفةِ معاونٍ والي عدن، وتعدَّدَت منه الكتبُ إلى مولانا الإمام بطلبِ الإذن له بالوصولِ إلى الحضرةِ الشريفة، فأذنَ له مولانا الإمام بالوصول، وكان وصوله كما ذكرنا، وظهرَ من حديثه ومسعاؤه مع رفيقه المذكور، بأنه مُؤَفَّدٌ من شركةِ انجليزيةٍ تجارية قد سمَّتْ نفسها بالشركةِ الزَيْدِيَّةِ تقرُّباً بهذه التسمية للوصولِ إلى مآربها، وأنَّ مرامَ الشركةِ المذكورة التي أوفدتها القيامَ بأعمالِ التجارة في اليمن، كمدِّ السككِ الحديديةِ واستخراجِ المعادنِ ونحو ذلك، واستخدامِ أموالها في هذه الأغراضِ، وطلبَ الموافقةَ من مولانا الإمام على ذلك على شروطٍ معقولةٍ، فأفادهما مولانا الإمام، بأنَّ الخوضَ في هذا الأمرِ متوقَّفٌ على حصولِ المعاهدةِ بينَ دولةِ مولانا الإمام، وبينَ حكومةِ الانجليزِ، ولم يتمَّ ذلك، ومنَّ المعلوم أنَّ الدخولَ في هذه الأمورِ والنظرَ في المقبولِ منها والمرفوضِ يتوقَّفُ على إبرامِ المعاهدةِ / وإلاَّ كانَ ذلكَ داعياً للنزاع، والدخولُ فيما لا تُحمدُ عُقْباه، / ٣٠٢ الموقفِ،^١ فَعَادَا من حيثُ جاء، على أنَّهما، يسعيان لدى حكومتهما في إبرامِ

[١ - ١] من عبارة «فَعَادَا من حيثُ جاء إلى عبارة، ومضاعفة أعوامه» سقطت من س.

المعاهدة مع حضرة مولانا الإمام، ومّا أطلعنا حضرة مولانا الإمام عليه أثناء إقامتهما صورة مصغرة للمراكب البرية البخارية وسككها الحديدية، وكيفية مرور تلك البوابير على سككها فعلاً، وذلك بعد أن مكثنا نحو أربعة أيام يشتغلان فيها بمدّ وفرش قطع صغار من الحديد. ولما شوهدت صورة المراكب البرية وُجدت مكتوباً عليها اسم الشركة الزيدية، وذكرت بهذا ما حُكي عن الانجليز في ابتداء دخولهم إلى الإقليم الهندي، أنه كان في المبادي باسم التجارة وتأليف شركة سموها الشركة الهندية، وما زالت تتسّع أعمالها إلى أن استعان ملوك الهند بها في محاربة بعضهم على البعض الآخر، وكان منها تشكيل فرقة من الجند اسمتها الفرقة الجعفرية إرضاءً للشيعة، وأخرى سمّتها بالفرقة العمرية، إرضاءً للسنة، وفي النهاية تخلّت الشركة المذكورة عن أعمالها وسلّمتها إلى يد الحكومة الانجليزية حتى تمّ لها الاستيلاء على نحو نيّف وسبعين دولة في البلاد الهندية ما بين مسلمة ووثنية، صارت كلّها تحت حمايتها، وصار ملك الانجليز يلقّب بملك ملوك الهند، فانظر إلى ما لديهم من الأطماع، وما مَرِنوا عليه من المكر والخداع، وكيف يسترون ما همّ من المآرب تحت مظاهير المنافع التي لغيرهم والمطالب، والله الحمد والمنّة إذ كان حضرة مولانا الإمام ممن لا تنطلي عليه زخارف تمويهاهم، ولا يغرّر بمظاهير توشّلاتهم، وقد عَرَفَ ما هم عليه مجبولون، وأنهم القوم الماكرون، فلم تُرْجَ لديه لهم بضاعة، ولا نفذت لهم فكرة خداعة، بل كلّما ظنّوا الوصول إلى المآرب بإسلوب مخترع، قابلكهم بالإقناع معلّلاً ذلك بما يُعدّونه موجباً ومصححاً لأحقّية ذلك الامتناع، بارك الله للمسلمين في أعوامه ومضاعف أيامه^١.

وفيهما في شهر محرم الحرام، استقدم مولانا الإمام السيد الأمير فخر الدين، عبد الله بن أحمد الوزير إلى حضرته الشريفة من دمار، وكان الباعث على ذلك

الطلب، ما تكرر العرض من الشيخ أحمد قايد الجبري، عامل السوادية والسلطان حسين بن أحمد الرصاص بأنه قد أوصل السلطان المذكور الرهينة التي تمّ الوفاق عليها، وأنه يطلب إنفاذ الجيش لدفع أعدائه عنها، فوصل الأمير الفخري إلى حضرة الإمام^(١). [لتوليّه القيام بهذا الأمر، وإنفاذ ما كان الوعد به للسلطان حسين، وقد لبث الأمير المذكور مدة جري أثناءها إكمال المراجعات وأخذ الأهبة وتدير ما يحتاج إليه من الذخائر الحربية والمدافع، وجميع ما يلزم من الجنود النظام وغيرهم، وإرسال أكثرهم إلى ذمار إرسالاً، وعاد الأمير مع من بقي من الجند إلى ذمار. وودعه الإمام وزوده بالدعاء، ما ظهر أثر قبوله في نجاح الأعمال، وتذليل الصعب من الآمال، وتهوين الشاق من الأقوال، فبقي الأمير في ذمار، يتأهب للمسير ويستعد حتى وصل إليه من طلبه النقيب الماجد الهام المجاهد قايد بن راجح البعداني سكناً والخولاني أصلاً مع عصابة من خولان وأهل بحدان وغيرهم، وجمع من أهل حبيش، واستناب الأمير مكانه أخاه محمد بن أحمد الوزير، ثم توجه في جمع غفير وجند كثير وموكب شهير من ذمار في يوم الثاني عشر من صفر من هذه السنة قاصداً الجهة التي أمر بالتوجه إليها، فبات في الميفع من بلاد عنس، جوار مشهد الإمام الشهيد أبي الفتح الديلمي^(٢)، وفرق الجند في المحلات القريبة من الطريق ومنعهم عن أذية الرعية.

وفي اليوم الثاني نهض إلى ملح^(٣) من مخلاف العرش وبات فيه، ودخل في

(١) أبو الفتح بن ناصر بن الحسين بن محمد الديلمي، الإمام الناصر ت قتل سنة ٤٤٤ هـ، نشأ في بلاد الديلم من جيلان، دعا لنفسه بالامامة سنة ٤٣٠ هـ، ساح في الأرض ودخل مكة ومنها انتقل إلى صعدة، ثم سار إلى صنعاء واستولى عليها، جعل محل إقامته في ذيبين، حاربه علي بن محمد الصليحي فقتله، انظر، مصادر الفكر الإسلامي، ٥٣١، فرجة الموم، ١٣٤٦ (قبره بردفان).

(٢) ملح: ما ورد في معجم الحجري، ٣٦٣، قرية ملاح من قرى مخلاف العرش.

[١] إلى هنا وقفت المخطوطة الأصل والتي رمزنا لها بالحرف ص.

يوم الرابع عشر منه مدينة رَدَاع، فتلَقَّاه عامِلُها سيدي العلامةُ قاسمُ الوجيه، وأراه أهلَها وأعيانَ بلادِها، ولبثَ فيها معَ الجندِ إلى يومِ التاسعِ عشرِ منه مشغولاً بجلبِ ما تحتاجُ الجنودُ من الأقواتِ ومعداتِ السفرِ، ونهَضَ في اليومِ المذكورِ إلى السُّودانيةِ، واستصحبَ معه مدفعاً من المدافعِ الإماميةِ التي برَدَاع، وقد كانَ أخذَ مدفعاً من المدافعِ التي في دَمَارَ، فباتَ بالقاهرِ من السُّودانيةِ لدى عاملِها الشيخِ أحمدَ بنِ قايدِ الجبري، وكانَ يترَفَّقُ بالجندِ معَ المسرةِ وإنزالهم في الأماكنِ اللائقةِ، وأضافَ الجميعَ أحسنَ ضيافةٍ فأكرمهم غايةَ الإكرامِ، وأحسنَ صنيعه معَ المخدومِ والخادمِ بنفسِ طيبةٍ وسلامةٍ خاطر.

وفي يومِ العشرين من الشهرِ المذكورِ، رفعَ الأميرُ عبدُاللهُ الوزيرُ من قرى ناحيةِ السُّودانيةِ إلى المحطةِ حولَ حكومةِ الناحيةِ المذكورةِ، وبقيَ الأميرُ في دارِ الحكومةِ، وطلبَ آلَ منصور^[١] الملاجِمَ^(١) منه الأمانَ فراراً من الهوانِ، بعدَ ترغيبهم للطاعةِ بكتبٍ منه، فوصلوا إليه وركهنا وأطاعوا وتبعهم الشيخُ سالمُ أبوبكر^[٢].

انتهيت بحمدِ الله [من] زبرٍ ما وجدتُ من كتيبةِ الحكمةِ من سيرةِ إمامِ الأئمةِ، أميرِ المؤمنين، وسيدِ المسلمين، ودرّةِ تاجِ الأئمةِ الهادين مولانا الإمامِ المتوكلِ على الله المعينِ أبي أحمدَ يحيى بنِ الامامِ المنصورِ باللهِ ربِّ العالمين محمدِ بنِ يحيى حميدِ الدين، ضاعفَ اللهُ أيامه، وأدامَ سلطانه وسلامه جمعه الفقيرُ إلى عفوَ ربِّه وغفرانه القاضي عبدُالكريم بنُ أحمد بنِ عبدِالله مطهر، الكاتبُ الكبيرُ والشاعرُ الشهير، والحمدُ اللهُ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمدٍ وآلهِ الأكرمين، بركةً عامِ ١٣٦٣، كتبه المفتقرُ إلى عفوَ اللهِ ومغفرتهِ أحمدُ بنِ عليٍّ أحمدَ زيارة.

(١) الملاجِم: آل منصور من قبائل مراد، موطنهم في رَدَاع، انظر معجم المقحفي، ٣٦٤/١.

[٢] إلى هنا وقفت النسخة س أيضاً.

[١] الأصح، منصور والملاجِم.

ملحق الفهارس والوثائق والمصادر والمراجع

الوثائق والمصادر والمراجع

١- الوثائق غير المنشورة

الوثائق المحفوظة في دور الحفظ والمكتبات البريطانية والتي جاءت مصورة في

مجلدات والتي نسقها كل من Records of Yemen, Editors, Doreen Ingrams, من

وهي Vol. 6: From Vol. 5-6 (1900-1914), (1914-1923).

6.07. Relations between the British and the Imam, 1917-1918

- PRO FO371/ 3045
- IOR L/ P & S /10/683, 11/135
- PRO FO 371/3408

6.09 Turkish evacuation 1918 -1920

- IOR R/20/A/ 1432
- PRO FO406/42
- PRO FO 371/4171, 4162
- IOR R/20/A/ 1534
- PRO FO 40b/42
- PRO FO 371/4212
- IOR P/10793

6.10 Imam Yahya attempts to reunite the Yemen.

- PRO FO 406/42
- IOR L/P&S/10/790
- PRO FO406/42-3
- PRO FO371/5145-7
- IOR P/10794
- IOR L/P&S/11/174
- PRO FO371/5287, 5148-9
- IOR L/P&S/10/963
- PRO CO 725/1

6.12 Anglo - Yemeni negotiations for a treaty

- PRO CO 725/1,4, CO537/661

- PRO FO406/52

Vol. 5

5. 06 The accession of Imam al-Mutawakkil yahya b. al-Mansur Hamid al -
Din 1905

PRO FO 406/20

- ٢- الوثائق الخاصة، غير المنشورة، مقتنيات أسرية (خاصة).
- رسالة من الإمام يحيى بن محمد حميد الدين إلى محمد بن منصور المؤيدي .
- رسالة ثانية بتاريخ رمضان ١٣٢٥هـ .
- رسالة ثالثة إلى عز الدين مُحمَّد بن المنصور المؤيدي .
- رسالة رابعة بتاريخ ١١ محرم ١٣٢٤هـ .
- رسالة خامسة بتاريخ شهر ذي الحجة ١٣٢١هـ .
- ٣- وثائق يمنية مصورة في منشورات يمنية دون قراءة أو دراسة .
- رسالة الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين إلى سعد بن محمد الشرقي .
- منشور البلاغ الذي أصدره مُحمَّد بن علي الوزير ضد سيرة الإمام يحيى ابن محمد حميد الدين .
- رسالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين إلى ولده سيف الإسلام الحسين ابن يحيى بن محمد حميد الدين متبرعاً بمبلغ ١٣٠٠ جنيه لصالح جمعية إعانة منكوبي فلسطين ومبلغ ٢٥٠ جنيهها لجمعية إعانة منكوبي الفيضان حوالي دمشق .
- رسالة ترقية النقيب عزيز بن يحيى إلى رتبة ملازم ثان .
- ٤- وثائق يمنية منشورة مدروسة
- رسالة من الإمام يحيى بن محمد حميد الدين إلى الأخ العلامة قاسم بن حسين أبو طالب بشأن العلامة أحمد بن عبدالله الكبسي .

٥- المخطوطات

- الجنداري، أحمد بن عبد الله ،
الجامع الوجيز بوفيات الأعلام ذوي التبريز، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء
الكبير رقم ٣٧ تاريخ .
- الدرة المنتقاة من سيرة الإمام المتوكل على الله وخصاله المرتضاة، المكتبة
الغربية، بجامع صنعاء الكبير رقم ٢٥٢١ تاريخ .
- الحجري، علي بن أحمد،
العقد الثمين في شمائل أمير المؤمنين يحيى بن محمد حميد الدين،
المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم ٢٣٩٥ تاريخ
- الحداد، يحيى بن علي بن ناجي،
عمدة القارئ في سيرة إمام زماننا، المتوكل على الله يحيى بن محمد
حميد الدين، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم ٢٥٩٤ تاريخ
- الحضراوي، أحمد بن محمد،
الجواهر المعدة في تاريخ جُدة، مكتبة جستریتی، دبلن، رقم ٣٧٢٢
- الشرقي، سعد بن محمد،
تقييد حوادث انشاء الجهاد الثاني، المكتبة المصادرة بمدينة تعز، رقم ٣٣
(مصورة بالميكروفيلم لدى الباحث) .
- قاطن، أحمد بن محمد،
تحفة الإخوان بسند ولد عدنان، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير،
رقم ١٩ مصطلح حديث .
- مجهول،
من ذكر المصيبة العظمى التي حدثت لأهل اليمن في الحج، عام ١٣٤١ هـ المكتبة
الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم مجموع ٤٨ جديد .
- المطيب الحنفي، محمد بن يحيى،
بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام، المكتبة الأهلية بباريس، رقم ١٦٥١
عربي .

– يحيى بن محمد حميد الدين، الإمام المتوكل،
إجازة من الإمام يحيى للشيخ عبد المعطي السقا، أحد علماء الأزهر
الشريف، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم مجموع ٤٨ جديد.

٦- المصادر

- الآنسي، عبدالرحمن بن يحيى،
ترجيح الأطيوار بمرقص الأشعار، ط صنعاء، ١٩٨٥ م
– ابن الأثير، علي بن محمد،
اللباب في تهذيب الأنساب، ط مصر، ١٣٥٦ هـ – ١٣٦٩ هـ، ٣ مجلدات
– الإرياني، علي بن عبدالله،
سيرة الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، الدر المنثور، ط
عمان، ١٩٩٦، مجلدان
– الإرياني، يحيى بن محمد،
هداية المستبصرين بشرح عدة الحصن الحصين، ط دمشق، ١٩٧٧ م
– أمين محمد سعيد،
أسرار الثورة العربية الكبرى، ط بيروت . د. ت
ملوك المسلمين المعاصرون، ط مصر، ١٩٣٣ م
– أمين محمد سعيد وثابت كمال،
مصطفى كمال باشا وتاريخ الحركة الوطنية في الأناضول، ط مصر،
١٩٢٢ م
– البغدادى، عبد المؤمن بن عبد الحق،
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط مصر، ١٩٥٤، مجلدان
– البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن،
طبقات صلحاء اليمن، ط بيروت، ١٩٨٣ م
– البيهقي، أحمد بن الحسين، أبو بكر،
مناقب الشافعي، ط القاهرة، ١٩٧١ م، جزءان
– الترمذي، محمد بن علي، الحكيم،

- الأمثال من الكتاب والسنة، ط القاهرة، ١٩٧٥م
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة،
الجامع الصحيح، سنن الترمذي، ط القاهرة، ١٩٢٧، ٦ أجزاء.
- الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم،
المقتطف من تاريخ اليمن، ط القاهرة، ١٩٥١م
- الجعدي، عمر بن علي، ابن سمرة،
طبقات فقهاء اليمن، ط القاهرة، ١٩٥٧م
- الجندي، محمد بن يوسف، بهاء الدين،
السلوك في طبقات العلماء والملوك، ط صنعاء، ١٩٨٣م
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، أبو الفرج،
تاريخ عمر بن الخطاب، ط بيروت، ١٩٨٢م
- الجهنياري، محمد بن عبدوس،
الوزراء والكتاب، ط مصر، ١٩٣٨م
- الحجري، محمد أحمد،
مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ط صنعاء، ١٩٨٤ مجلدان في ٤ ج.
- الحرازي، محسن بن أحمد،
رياض الرياحين، ط دمشق وصنعاء، ١٩٨٦م
- ابن حزم الأندلسي، علي بن محمد،
المحلى بالآثار في شرح المحلى بالاختصار، ط القاهرة، ١٩٧٢، ١١ مجلداً
- حمود بن محمد الدولة،
زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء، منشورات العصر
الحديث، ١٩٨٨م
- الحموي، ياقوت بن عبدالله،
معجم البلدان، ط بيروت، ١٩٧٧، ٥ مجلدات
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل، الإمام
المسند، ط القاهرة، ١٩٤٨، ٢٢ مجلداً

- الخزرجي، علي بن الحسن،
العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط صنعاء، ١٩٨٣، جزءان
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، أبو بكر،
تاريخ بغداد، أو (مدينة السلام)، ط القاهرة، ١٩٣١م، ١٤ مجلدًا
- الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد،
مغني المحتاج إلى شرح المنهاج، ط القاهرة، ١٩٢٣م، مجلدان
- ابن خلكان، أحمد بن محمد، شمس الدين،
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط بيروت، ١٩٧٢، ٩ مجلدات
- دعثم، أبو فراس،
السيرة المنصورية (سيرة الإمام، عبدالله بن حمزة)، ط بيروت، ١٩٩٣م،
مجلدان
- ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي،
الفضل المزيّد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، ط الكويت،
١٩٨٤م
- قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ط بيروت، ١٩٨٨م، مجلدان
- الرازي، أحمد بن عبدالله،
تاريخ مدينة صنعاء، ط دمشق، ١٩٧٤م
- الرافي، عبدالرحمن،
في أعقاب الثورة المصرية، ط مصر، ١٩٤٧م
- ابن رسول، عمر بن يوسف، الملك الأشرف،
طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، ط دمشق، ١٩٤٩
- الريحاني، أمين،
ملوك العرب، ط بيروت، ١٩٦٢م، جزءان
- نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز آل سعود، ط الرياض، ١٩٨١م
- زبارة، محمد بن محمد،
أئمة اليمن في القرن الرابع عشر، القاهرة، ١٣٧٦هـ-١٣٧٩هـ، ٣ أجزاء

- (الإمام الهادي شرف الدين)
- (الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين)
- (الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين)
- شرح ذيل أجود المسلسلات، ط صنعاء، ١٣٦٣هـ.
- لامية نبلاء اليمن الذين ماتوا بالقرن الرابع عشر، ط القاهرة، د. ت.
- نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ط صنعاء، د. ت.
- نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ط القاهرة، ١٣٧٧هـ، جزءان
- نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، ط القاهرة، ١٣٤٨هـ، جزءان
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني،
- تاج العروس من جواهر القاموس، ط مصر، ١٣٠٦هـ-١٣٠٧هـ، ١٠ مجلدات
- زخورا، الياس،
- كتاب مرآة العصر، ط مصر، ١٩١٦م
- الزركلي، خير الدين،
- الأعلام، قاموس وتراجم، ط بيروت، ١٩٧٩، ٨ مجلدات
- ما رأيت وما سمعت، ط مصر، ١٣٤٢هـ.
- زكي، عبد الرحمن،
- أعلام الجيش والبحرية في مصر، ط مصر، ١٣٦٦هـ.
- زكي فهمي،
- صفوة العصر في تاريخ ورسوم ومشاهير رجال العصر، ط مصر، ١٩٢٦م
- زكي محمد مجاهد،
- الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشر الهجرية، ط مصر، ١٣٦٨هـ-١٣٧٤هـ، ٣ أجزاء
- زيدان، جرجي،
- تراجم مشاهير الشرق، ط بيروت، د. ت، مجلدان

- السخاوي، محمد بن عبدالرحمن،
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط القاهرة، ١٩٥٥م، ١٢ جزءاً
- الشرجي الزبيدي، أحمد بن أحمد،
طبقات الخواص، أهل الصدق والإخلاص، ط القاهرة، ١٣٢١هـ
- الشهيد العاملي محمد بن مكّي،
اللمعة الدمشقية، ط النجف، ١٩٦٦م، ٩ مجلدات
- الشوكاني، محمد بن علي،
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط القاهرة، ١٣٤٨هـ،
مجلدان .
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ط القاهرة، ١٩٧٠م
نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، ط مصر، ١٩٣٨، ٨ مجلدات
- الصفدي، خليل بن أيبك، صلاح الدين
الوافي بالوفيات، ط بيروت، ١٩٦٢م – ١٩٩٣م، ٢٢ مجلداً
- ابن عاصم الغرناطي
كتاب البهجة لأبي الحسن التسولي (شرح تحفة الحكام)، ط بيروت،
د. ت
- العباسي العلوي، علي بن محمد،
سيرة الهادي إلى الحق، ط دمشق، ١٩٧٢م
- العبدلي، أحمد فضل بن علي محسن،
هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ط بيروت، ١٩٨٠م
- العظيم، نزيه مؤيد،
رحلة في العربية السعيدة، ط بيروت، ١٩٨٦م
- ابن فرج، عبدالقادر بن أحمد،
السلح والعدة في تاريخ بندر جدّة، ط بيروت، ١٩٨٣م
- ابن فرحون، إبراهيم بن علي،
تبصرة الحكام في أصول الأقضية، ط القاهرة. د. ت

- ابن قدامة، عبدالله بن محمد، موفق الدين،
المغني في شرح مختصر الخرقي، ط القاهرة، ١٩٧٠، ١٠ أجزاء.
- القرطبي، محمد بن أحمد،
الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط القاهرة، ١٩٦٧، ٢٠ جزءاً.
- القلقشندي، أحمد بن علي،
صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ط القاهرة، ١٩٦٣م، ١٣ جزءاً
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر،
أعلام الموقعين عن رب العالمين، ط القاهرة، ١٩٧٦م، ٤ أجزاء
- الطرق الحكومية في السياسة الشرعية، ط القاهرة، ١٩٦١م
- الكاساني، أبو بكر بن مسعود،
بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط بيروت، ١٩٧٤م، ٧ أجزاء
- ابن الكتبي، محمد بن شاكر،
فوات الوفيات، ط بيروت، ١٩٧٣م، ٥ مجلدات
- كحالة، عمر رضا،
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط بيروت، ١٩٧٨م، ٥ مجلدات
- مالك بن أنس،
المدونة الكبرى، ط القاهرة، ١٩٢٦، ٤ أجزاء
- ابن المجاور، يوسف بن يعقوب،
صفة بلاد اليمن (تاريخ المستبصر)، ط لندن، ١٩٥١. جزءان.
- المقحفي، إبراهيم أحمد،
معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط صنعاء، ١٩٨٨م
- مسلم بن الحجاج القشيري،
صحيح مسلم، ط الاستانة، ١٩١١م، ٨ مجلدات
- المؤيد بالله، محمد بن إسماعيل،
مذكرات، ط بيروت، ١٩٩١م

- ابن منظور، محمد بن المكرم، أبو الفضل،
لسان العرب، ط بيروت، ١٩٥٥م، ١٥ مجلداً
- النُّعْمِي، أحمد بن أحمد،
حوليات النُّعْمِي التهامية، ط دمشق، ١٩٨٧م
- أبو نُعَيْم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله،
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط القاهرة، ١٩٦٧م، ١٠ مجلدات
- الهمداني، الحسن بن أحمد،
الأول : الإكليل، ط القاهرة، ١٩٦٣
- الثاني : ط بغداد، ١٩٧٧م
- الثامن: تحقيق نبيه أمين فارس، ط لندن، ١٩٤٠م
- صفة جزيرة العرب، ط الرياض، ١٩٧٤م
- الهمداني، محمد بن أبي عثمان،
عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، ط القاهرة، ١٩٧٣م
- الواسعي، عبد الواسع بن يحيى،
تاريخ اليمن، فرجة الهموم والحزن، ط القاهرة، ١٣٤٦هـ
- الوزير، علي بن عبدالله،
طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى، ط صنعاء، ١٩٨٥
- الوشلي، إسماعيل،
نشر الثناء الحسن، ط صنعاء، ١٩٨٢م
- وهبة ، حافظ،
جزيرة العرب في القرن العشرين، ط القاهرة، ١٩٧٠م
- يحيى بن الحسين بن القاسم،
غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني، ط القاهرة، ١٩٦٧، جزءان.
- اليعقوبي، أحمد بن واضح،
البلدان، ط ليدن، ١٨٩١م

- اليمني، عمارة بن علي،
المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ط القاهرة، ١٩٧٦م
- ٧- المراجع والدراسات
- الأصبحي، أحمد بن محمد،
إطلالة على البحر الأحمر والنزاع اليمني – الإريتري، ط بيروت، ١٩٩٦م
- الأكوع، إسماعيل بن علي،
البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، ط الكويت، ١٩٨٦م.
- جامع صنعاء، مقالة ضمن كتاب مصاحف صنعاء، ط الكويت، دار الآثار
الإسلامية، د. ت.
- حياة عالم وأمير، ط صنعاء، ١٩٨٧م
- المدارس الإسلامية في اليمن، ط صنعاء، ١٩٨٠م
- هجر العلم ومعاقله، ط دمشق، ١٩٩٥-١٩٩٦م، ٥ مجلدات
- اليمن الخضراء، ط القاهرة، ١٩٧١م
- الأنصاري، ناصر،
موسوعة حكام مصر، ط القاهرة، ١٩٨٧م
- البردوني، عبدالله،
رحلة في الشعر اليمني، ط بيروت، ١٩٨٧م
- الثور، عبدالله أحمد،
هذه هي اليمن، ط القاهرة، ١٩٦٩م
- الجاسر، حمد،
معجم البلدان السعودية، الرياض.
- الحبشي، عبدالله،
مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ط صنعاء، ١٩٨١م
- الخترش، فتوح،
تاريخ العلاقات السعودية – اليمنية، ط الكويت، ١٩٨٣م
- دلال، محمد راغب،

- مطالعات في المؤلفات التاريخية اليمنية، ط القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- سالم، سيد مصطفى،
تكوين اليمن الحديث، ط القاهرة، ١٩٨٤م
وثائق يمنية، ط القاهرة، ١٩٨٢م
— السبحاني، جعفر،
بحوث في الملل والنحل، ط بيروت، ١٩٩٤م
— سيد، أيمن فؤاد،
مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ط القاهرة، ١٩٧٤م
— السياغي، حسين،
صفحات مجهولة من تاريخ اليمن، ط صنعاء، ١٩٧٨م
معالم الآثار اليمنية، ط صنعاء، ١٩٨٠م
— الشامي، أحمد بن محمد،
رياح التغيير في اليمن، ط ١٩٨٤م
— شرف الدين، أحمد بن حسين.
تاريخ اليمن الثقافي، ط القاهرة، ١٩٦٧م
اليمن عبر التاريخ، ط القاهرة، ١٩٦٣م
— الشماحي، عبدالله عبد الوهاب
اليمن، الإنسان والحضارة، ط القاهرة، ١٩٧٢م
— الصائدي، أحمد قايد،
المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ط بيروت، ١٩٩٠م
— العرشي، حسين بن أحمد،
بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ط بيروت، ١٩٠٠م
— العقيلي، محمد بن أحمد،
تاريخ الخلف السليماني، ط الرياض، ١٩٨٢م، مجلدان
— العمري، حسين عبدالله،
مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، ط دمشق، ١٩٧٨م

- غانم محمد عبده،
- شعر الغناء الصنعاني، ط بيروت، ١٩٨٠م
- الكتاني، عبدالحفي بن عبدالكبير،
- فهرس الفهارس والأثبات، ط بيروت، ١٩٨٢، ٣ أجزاء
- لقمان، حمزة بن علي،
- تاريخ القبائل اليمنية، ط صنعاء، ١٩٨٥م
- المحضار، حامد بن أبي بكر،
- ترجمة حسين بن حامد المحضار، ط جدة، ١٩٨٣م
- المروني، محمد بن عبدالمملك،
- الثناء الحسن على أهل اليمن، ط بيروت، ١٩٩٠م
- المسعودي، عبدالعزيز بن قايد
- معالم تاريخ اليمن المعاصر، ط صنعاء، ١٩٩٢م
- مسفر، عبدالله بن علي،
- أخبار عسير، ط دمشق، ١٩٧٨م
- السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ط بيروت، ١٩٧٨م
- المليح، محمد سعيد وأحمد محمد عيسوي،
- فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، ط الاسكندرية،
- ١٩٧٨م
- ناجي سلطان،
- التاريخ العسكري لليمن، ١٨٣٩-١٩٦٧م، ط عدن، ١٩٧٦م
- الهاجري، يوسف،
- السعودية تبتلع اليمن، ط لندن ١٩٨٨م
- الوزير، أحمد بن محمد بن عبدالله،
- حياة الأمير علي بن عبدالله الوزير، منشورات العصر الحديث، ١٩٨٧م
- الويسي، حسين،

- اليمن الكبرى، ط القاهرة، ١٩٦٢م
 - اليافعي، صلاح البكري،
 تاريخ حضرموت السياسي، ط القاهرة، ١٣٧٤هـ
 ٨- المراجع الأجنبية المعربة
 - انكارين، ج،
 مذكرات دبلوماسي في اليمن، ترجمة قائد طربوش ومحمد إسماعيل
 سليمان، ط، القاهرة، ١٩٩٣م
 - بولدري، جون،
 العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن، ترجمة سيد سالم، ط القاهرة،
 ١٩٨١م
 - أبو نثي، سلفادور،
 مملكة الإمام يحيى في بلاد العربية السعيدة، ترجمة طه فوزي، ط
 القاهرة، ١٩٤٧م
 - هارولد . ف، يعقوب،
 ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد المضواحي، ط بيروت، ١٩٨٨م
 ٩- مراجع بالعثمانية والتركية
 - حجاز تيمور يولي،
 منشورات حجاز تيمور يولنك ١٣٢٧هـ، ط دار السعادة (استانبول)،
 ١٣٢٨هـ
 Red house, Yeni- - Turkce - Ingilizca. Sozluk, Istanbul, 1981
 ١٠- مراجع باللغات الأوروبية
 - Brice, william,
 An Historical ATLAS of Islam, Leiden, 1981
 - Helevy, Joseph,

- Travels in Yemen, Jerusalem, 1941
- Neibuhr. Mg
Travels through Arabia, London, 1792. z. Vol.
- Regeant, R.B. Costa,
The Gyals of Sana, (SANA, Arabiam city)
- Tritton, A.S,
The Rise of the Imamms of Sana, oxford, 1925

١١ - دوريات

— صحيفة الحضارة،

العدد ٩، ١٩ شوال ١٣٢٩هـ، ١٢ تشرين الأول، ١٩١١م

— مجلة المقتطف المصرية، العدد الأربعون.

الفهارس

- الآيات القرآنية
- الأحاديث النبوية الشريفة
- الأقوال المأثورة
- الظواهر الفلكية
- الأعلام
- القبائل والأمم والشعوب والبطون وغيرها
- الأعلام الجغرافية
- فهرس الشعر
- مصطلحات حضارية وألفاظ
- الآلات والأدوات
- الوظائف والمناصب
- الحيوان
- النبات ومشتقات الحيوان والنبات

فهرس الآيات

١- فهرس الآيات

- سورة البقرة، وكم من فئة قليلة، ٢٤٩
سورة المائدة، اليوم أكملت لكم دينكم: ٢٩٧
سورة الشعراء، فأخرجناهم من جنات : ٥٧ .
سورة القصص، وما كان ربك مهلك : ١٧٨

٢- الأحاديث النبوية

- إن الله يبعث لهذه الأمة : ٧
ما تركت شيئاً يقربكم : ٢٩٧

٣- الأقوال المأثورة

- تفرقوا أيدي سبا : ٩٩
تفرقوا شذر مذر، ١٥٨
عقر الصلاح كما عقر الناقة
أشقى ثمود: ٢٠٣
قبل أن يتسع الخرق على الراقع : ١٥٤
لم ينتطح في ذلك عنزان : ٩٦
ما لداء أُلجِعُ من دواء السيف : ٢٠٥
مكره أخاك لا بطل : ٨
مناطحة النجوم بالمنكب : ١٣

٤- ظواهر فلكية

- خرَّ نجم من السماء : ١٧٥
رمي الشُّهب في السماء : ١٧٥

فهرس الأعلام

- إبراهيم بن أحمد : ١٧٢
أحمد بن أحمد الجرافي : ٤٩ ، ٣١١ ، ٣٤٧ ، ٣١٣
أحمد بن علي الحيفي : ٣١٦
أحمد بن علي السياغي : ١٠٩ ، ٢٤٤
أحمد بن علي الصّعدى : ١٣٢ ، ١٣٩ ، ٢٠٦
أحمد بن أحمد السياغي الحيمي : ٤٢٩
أحمد بن أحمد محمد (الزنمة) : ٤٠٠
أحمد بن علي عاطف : ٤١
أحمد بن علي عبد الجبار باشا : ٣٨ ، ١٩٧
أحمد توفيق باشا : ١٩ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤١ ، ١٦٦
أحمد بن علي المنصور : ١٩٨
أحمد فتيني جنيد : ٣٢٣
أحمد بن قايد الجبري : ٣٤٢ ، ٣٤٤
أحمد بن قاسم بن الحسين : ٤٢ ، ٤٤٩ ، ٣٩٩ ، ٤٥٠ ، ٣٩٨
أحمد بن حسن بن علي باشا : ٣٨٣
أحمد بن حسين السلامي : ١٧٥ ، ٢٠٨
أحمد بن درّاج القسطلبي : ١٠٦
أحمد بن زيد بن علي الديلمي : ٧١
أحمد بن صالح الجلال : ١٨١ ، ١٨٤
أحمد بن صلاح : ٣٤٤ ، ٣٤٥
أحمد بن عبد الرحمن الأنباري : ٧٦
أحمد بن عبدالعزيز المجاهد : ٢٥٦
أحمد بن عبد الكريم حجر : ٢٤٤
أحمد عبده الحسني : ٢٠١
أحمد عرابي باشا : ٤٣٠
أحمد عزت باشا : ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٢٤
أحمد بن علي الحيفي : ٣١٦
أحمد بن علي السياغي : ١٠٩ ، ٢٤٤
أحمد بن علي الصّعدى : ١٣٢ ، ١٣٩ ، ٢٠٦
أحمد بن أحمد السياغي الحيمي : ٤٢٩
أحمد بن أحمد محمد (الزنمة) : ٤٠٠
أحمد بن علي عاطف : ٤١
أحمد بن علي عبد الجبار باشا : ٣٨ ، ١٩٧
أحمد توفيق باشا : ١٩ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤١ ، ١٦٦
أحمد بن علي المنصور : ١٩٨
أحمد فتيني جنيد : ٣٢٣
أحمد بن قايد الجبري : ٣٤٢ ، ٣٤٤
أحمد بن قاسم بن الحسين : ٤٢ ، ٤٤٩ ، ٣٩٩ ، ٤٥٠ ، ٣٩٨
أحمد بن حسن بن علي باشا : ٣٨٣
أحمد بن حسين السلامي : ١٧٥ ، ٢٠٨
أحمد بن درّاج القسطلبي : ١٠٦
أحمد بن زيد بن علي الديلمي : ٧١
أحمد بن صالح الجلال : ١٨١ ، ١٨٤
أحمد بن صلاح : ٣٤٤ ، ٣٤٥
أحمد بن عبد الرحمن الأنباري : ٧٦
أحمد بن عبدالعزيز المجاهد : ٢٥٦
أحمد بن عبد الكريم حجر : ٢٤٤
أحمد عبده الحسني : ٢٠١
أحمد عرابي باشا : ٤٣٠
أحمد عزت باشا : ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٢٤
أحمد بن علي الحيفي : ٣١٦
أحمد بن علي السياغي : ١٠٩ ، ٢٤٤
أحمد بن علي الصّعدى : ١٣٢ ، ١٣٩ ، ٢٠٦
أحمد بن أحمد السياغي الحيمي : ٤٢٩
أحمد بن أحمد محمد (الزنمة) : ٤٠٠
أحمد بن علي عاطف : ٤١
أحمد بن علي عبد الجبار باشا : ٣٨ ، ١٩٧
أحمد توفيق باشا : ١٩ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤١ ، ١٦٦
أحمد بن علي المنصور : ١٩٨
أحمد فتيني جنيد : ٣٢٣
أحمد بن قايد الجبري : ٣٤٢ ، ٣٤٤
أحمد بن قاسم بن الحسين : ٤٢ ، ٤٤٩ ، ٣٩٩ ، ٤٥٠ ، ٣٩٨
أحمد بن حسن بن علي باشا : ٣٨٣
أحمد بن حسين السلامي : ١٧٥ ، ٢٠٨
أحمد بن درّاج القسطلبي : ١٠٦
أحمد بن زيد بن علي الديلمي : ٧١
أحمد بن صالح الجلال : ١٨١ ، ١٨٤
أحمد بن صلاح : ٣٤٤ ، ٣٤٥
أحمد بن عبد الرحمن الأنباري : ٧٦
أحمد بن عبدالعزيز المجاهد : ٢٥٦
أحمد بن عبد الكريم حجر : ٢٤٤
أحمد عبده الحسني : ٢٠١
أحمد عرابي باشا : ٤٣٠
أحمد عزت باشا : ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٢٤

- أحمد بن يحيى حبش: ٣١٥، ١٦٤، ٣٨٣
 ٣٩٥، ٣٩٤
- أحمد بن يحيى الكبسي: ٣٨٧، ١٢٨، ٤٤٦
 جوري (المهندس) ٣٦٨، ٥٦، ٥٥
- أحمد بن يحيى بن محمد حميد الدين
 (الإمام): ٣٥، ٦٨، ١٦١، ١٦٢، ٤٤٧، ٤٤٢، ٤٤١، ٤٠٨، ٣٥٩
- إسحاق بن عبدالله المجاهد: ٢٤٤
 إسماعيل بن إسماعيل ناصر الدين
 المروني: ١٧٥، ١١٦
- إسماعيل الأسود: ٦٦
 إسماعيل بن حسن الوادعي: ٩٨
- إسماعيل بن عبد الرحمن الديريني: ١٦٦
 إسماعيل بن القاسم: ٣٩٩
- إسماعيل بن محمد باسلامة: ٤٢، ٣٨، ٨٣
 إلياس بك الجركسي: ٨٧
- أبو الفتح بن ناصر الديلمي: ٤٤٩
 أبو بكر بن علي الحداد: ١٦٧، ١٦٦
- أبو بكر بن علي النقيب: ٢٢٧، ٢٢٥
 أمين الريحاني: ٣١٧
- البغوي: ١٧٢
 البوني: ٢١٢
- الجنيد بن عبدالله النور: ١٥٥، ٧٧، ٤٤٩، ٣٩٨
- حسن بن علي بن محمد بن عايض: ١٦٥
 حسن بن علي المغربي: ١٦٧
- حسن بن قاسم أبو راس: ١٨٠
 حسن بن قاسم بن عبدالله الوزير: ٢٥٣، ٣٨٠، ٣٣٦، ٣٣٥
- حسن مصادم: ١٧٢
 الحسن بن هاني: ١٠٦
- حسن بن يحيى القاسمي الضحاني: ٢٣٠
 حسني بك: ٤١٥، ٥٩
- حسين بن أحمد بن إبراهيم: ١٢٥
 حسين بن أحمد حنش: ٣٤٤، ١٠٧
- حسين بن أحمد الرصاص: ٤٤٩، ٣٩٨

حميد بن علي باشا: ١٥٤	حسين بن أحمد مطهر: ٣٨٧
الحميقاني: ٣٤٦	حسين جبالة: ١٥٦، ١٥٧، ١٨١
حياتي بك: ٤٤٥	حسين حسن السَّوادي: ٣٤٣، ٣٤٤
الخصيب بن عبد الحميد: ١٠٦	حسين بن عبد الله الصعر: ١٧١
راجح بن راجح بن سعد: ٢٤٠	حسين بن علي الحيفي: ٢٣٨، ٢٤٠
راجح بن سعد، ظهير الدين: ١٢، ٤٢٠	حسين بن علي عبد القادر: ١٧، ١٩
ابنة الرصاص: ٤٠٠	٧٠، ٥١.
رأفت باشا: ٣٥٤	الحسين بن علي العمري: ١٨، ٣٧
ابن زُكا: ١٧٧	٤٢٩، ٣٣٠
زيد بن علي بن الإمام: ١٥٥	الحسين بن علي بن عون: ٢٨، ٢٩، ٣٢
سالم أبو بكر: ٣٤٤، ٣٤٥، ٤٥٠	١٥٣، ٢٤٢، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٢
سعد زغلول: ٤٣٢، ٤٣٤	٣١٨، ٤١٨، ٤٢٢
سعيد بن أبي بكر معوضة: ١٥٥	الحسين بن القاسم بن محمد: ١٣٩
سعيد باشا: ٢٤، ٣٥، ٤٢، ٤٤، ٤٥	٣٦١
٣٩٣، ٦٥، ٤٦	حسين كامل بن إسماعيل: ٤٣١، ٤٣٢
سعيد بك (قومندان): ٢٢٠	حسين بن محمد حبيش: ٢٠٨
سعيد بن صالح السمحي: ٣٩٩	حسين بن ناصر الغزي، ١٧١، ١٧٧
سعيد المرقب: ٢٢١	حسين النزيلي: ١٣١
سليمان بك: ٥٩	حمود الدايلي: ١٣٠
سليم بن با يزيد: ٢٨	حمود بن عبد الرب بن قايد بن سنان:
شاهر بن قايد: ٢٥٠	٨١، ٩٢، ١٢٣، ١٥٤، ٣٣٥، ٣٨٣
شايف بن نصر: ٣٠٥	حمود بن غالب بن الإمام: ١١٣
شَمَّسان عبد الله: ٢٧٩، ٢٨٥	حمود بن محمد بن أحمد الدولة:
شوكت بك: ٤١٥	٢٥٦، ٢٨٢

عبد الدائم السادة: ١٦٦	صالح بن أحمد ردّمان : ١٣٤
عبد جيلان عابد : ٣٩٦	صالح بن أحمد الرصاص : ٣٩٨ ، ٣٤٤
عبد حسن قاسم : ١٧٨	٣٤٥ ، ٣٤٦
عبد الرحمن (الشيخ) : ٧٦ ، ٩٩	صالح بن سعد العبادي : ٢٩٠ ، ٢٩٣
عبد الرحمن بن أحمد العلمي : ١٦٥	صالح بن صالح الطيري : ٣١١ ، ٣٤٢
عبد الرحمن بن حسين الحبشي : ١٧	٣٤٦
عبد الرحمن بن عبد الله المزجاجي (أبو الخير) : ١٦١	صالح مسعود : ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣
عبد الرحمن بن علي الحداد : ٣٨ ، ٤٢	صالح بن علي الوصابي : ١٧٢
١٦٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥	صالح بن عمر البكري : ٢٢٥
عبد الرحمن بن علي عبد القادر : ١٩	ابن الصباح : ٢٩
٧٠	صمصام توفيق : ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٤٣٧
عبد الرحيم البرعي : ١١٤	ضيف الله علوي : ٣٤٣
عبد العزيز بن إبراهيم : ٤١٩	طالب بن أحمد : ٣٤٣
عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود :	عباس حلمي (الخديوي) : ٤٣١
١٨٩ ، ٢٢٩ ، ٢٦٩ ، ٣٥٣ ، ٤١٨	عباس بن عبد الله المؤيد : ١١
٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٤٥	عباس بن علي بن أحمد : ١١ ، ١٣٣
عبد العزيز بن عبد الواسع نعمان : ٢٥١	١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ .
عبد العزيز بن يحيى المجاهد : ١٦٦	عباس بن محمد بن المنصور : ١٥٤
١٦٧	عبد الجليل بن أحمد بن علي عبد الجبار :
عبد القادر بن أحمد الأهدل : ٢٣٣	٢٨٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٦
عبد الكريم بن إسماعيل الكوكباني :	عبد الحميد بن عبد المجيد : ٣٠
٣١١ ، ٣٤٧	عبد الخالق ثروت : ٤٣٣ ، ٤٣٤
عبد الكريم فضل العبدلي : ٢٩٠	عبد الخالق بن غالب بن علي القائنص :
	١٧٥

عبدالله بن إبراهيم بن أحمد : ٣١٩ ،	عبدالله بن قاسم بن الإمام : ٧٢ ، ١٢٥
٣٨٧ ، ٣٦٢	عبدالله مبارك : ٧٦
عبدالله بن أحمد العرشي : ١٢٨ ، ٢٥٩ ،	عبدالله بن محمد الضمين : ٥٢ ، ١١٧ ،
٤٣٦	١٣٤ ، ١٧٣ ، ٢٣٥ ، ٣٢١
عبدالله بن أحمد ناصر الرماح : ٢٩٠	عبدالله بن محمد يونس : ٧٢ ، ١٦٥
عبدالله بن أحمد الوزير : ٣٦ ، ٤٧ ،	عبدالله بن يحيى بن عبد الجليل : ٢٥٦ ،
٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٤ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،	٢٥٨ ، ٣٣٥ ، ٣٨٣
١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٢٣ ،	عبدالله بن يحيى أبو منصر : ٩ ، ١٧ ،
٢٢٤ ، ٣٢٣ ، ٣٧١ ، ٤١٣ ، ٤٤٨ ،	١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ٣١٥ ،
٤٥٠	٣١٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ،
عبدالله بشر : ١١٥ ، ١١٦ ، ١٦٣ ،	٤٤٢ .
١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،	عبد المجيد بن مراد بن عبد المجيد : ٣٥٥
١٨٠ ، ٢٣٥	عبد الواسع بن نعمان مقبل : ٣٩ ، ٤٨ ،
عبدالله باشا الجركسي : ٦١	٢٤٩ ، ٢٥٠
عبدالله بن حسن الديلمي : ٣٨٢	عبد الولي بن محمد بن سعيد الذهب :
عبدالله بن الحسين بن علي : ١٩٤ ، ٤٢٢	٣٤٠
عبدالله بن الحسين العمري : ١٨	عبد الوهاب بن حسين أبو حليقة : ٣٤٦
عبدالله بن حمود : ١٩٩	عبد الوهاب بن نعمان مقبل : ٤٨ ، ٩٦ ،
عبدالله الخضر : ٣٤٤	٢٤٩ ، ٣٨٣
عبدالله بن سعيد الجبري : ٢٥٣	عزيز بك : ٥٩
عبدالله الصائغ : ١٢٥	عزي بن عطاء الله : ٦٩ ، ١٢٤ ، ١٧٢
عبدالله عثمان : ٩٤ ، ١٦٧ ، ٢٥٦ ،	عُقاب : ١٥٧
٣١٤	عُقبه بن نافع الفهري : ٤٣٥
عبدالله بن علي عبد القادر : ١٩	عقيل الزيلعي : ١١٧ ، ٣١٧ ، ٣٩٥

- علوي بن حسن الجفري: ٢٩٠، ٢٩٦
علي بن أحمد بن إبراهيم: ٦٩، ٨٠، ١٢٤، ١٢٦، ٣٦٩، ٣٧٤
علي بن أحمد الإدريسي: ٣٩٢
علي بن أحمد جرعون: ٢٢١، ٣٤٠
علي بن أحمد الحملي: ٦٥، ٣٨٢
علي بن أحمد الحمري: ٢٣٣
علي بن أحمد صلاح الدين: ٢٧، ١٦٤
علي بن أحمد قطيع: ٢٠٦، ٢٢٠
علي بن إسماعيل: ١٦٧
علي بن حسن الرصاص: ٣٤٤
علي بن حسين الشامي: ١٦٣، ١٦٨، ٢٢١، ٣٨٧
علي بن حسين المغربي: ١٠٧، ٤٢٩
علي بن حمود بن غالب: ١٩٩
علي بن حمود بن محمد بن يحيى: ٤٤٠
علي بن دحان الأحمر: ١٣١، ١٣٩
علي طه: ١٤٥
علي طاهر: ٩٩، ١٠٠
علي بن عبدالله الأكوخ: ٤٣، ٢٠٦
علي بن عبدالله جباح: ١٢٣، ١٢٤
علي بن عبدالله بن سعيد: ٣٩، ٢٥٦، ٣٣٥
علي بن عبدالله الشهاري: ٢٥٣
علي بن عبدالله الوزير: ٣٥، ٤٢، ٨٠، ٨٥، ٩١، ٩٥، ١٢٣، ١٥٤، ١٨٠
١٨١، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٧٩، ٢٨٦
٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨
٣٧١، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٩
٤٢٨، ٤٣٦، ٤٣٧
علي عثمان: ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩٤، ٩٥
٣١٣، ٤٣٧
علي بن علي السراجي: ١٩٥، ٢٩٨
علي بن علي الشرفي: ١١٣
علي بن علي اليماني: ١٨، ٢٣١، ٤٢٩
علي عمر المقداد: ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠
٢٠١، ٣١١، ٣١٢
علي غانم بن مهدي: ٣٤٢
علي الغني: ٣٩٧
علي فقيه السنفي: ١٧٢، ١٧٣
علي بن محسن شام: ١٩٠
علي بن محمد بن أحمد: ٢٨١
علي بن محمد الأنسي: ٢٤٢
علي بن محمد الإدريسي: ٣٩٠، ٤٠٩
٤١١، ٤١٧، ٤٣٦
علي بن محمد الشامي: ١١٢، ٢١٥
٣١٠، ٣١٢، ٣٤٧، ٣٨١

علي بن محمد العنسي: ٢٦٨	قاسم بن حسين أبو طالب: ٣٨٧، ٢٣٢
علي بن محمد المطاع: ٣٣٩، ٩٧، ٤٧	القاسم بن الحسين المهدي: ٣٦١
٣٦٨، ٣٤١، ٣٤٠	قاسم الوجيه بن عبدالله بن عبدالرحمن
علي بن مصلح العبدي: ٣٠٧، ٣٠٥	المتوكل: ٣٦٨، ٣٦٩، ٤٥٠
علي بن المقداد راجح، نصير الدين: ٦٧	ابنة القاوي: ١٠٦، ١٠٧
١١٣، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٣٢٢	قايد الجبري: ٣٤٣
علي بن المنتصر: ١١٣	قايد بن راجح الخولاني: ٢٢٦، ٣٠٦
علي بن ناجي الحداد: ٣٢٤	٣٠٧، ٤٤٩
علي بن ناصر الكمراني: ٣٩	قايد صالح مقبل: ١٦٥، ٢٤٢، ٢٥٧
علي همام: ٣٣٦، ٣٣٥	٣٣٧
علي يحيى الأصابع: ١٩٥، ١٩٦	قسطنطين يني: ٣١٧، ٣١٩
٢٠٤، ٣١٥، ٣٩٦، ٣٩٧	كامل القصّاب: ٤٤٥
علي بن يحيى النعمي: ٢٤٣، ٢٤٤	لطف بن محمد الحيمي: ١٦٤
عوض علي زريه: ١٥٣، ١٥٥	لطف بن محمد الزبيري: ١٧، ٥١
عون الدين أحمد مساعد: ١٣٩، ١٧١	٣٨٨
غالب بن عمر القعيطي: ٢٩، ٢٢٥	مبارك بن حسين السلامي: ١٧٩
فتح الله بن عبدالوهاب الحبشي: ١٥٥	مجاهد بن علي: ٣٢٢
فضل محمد: ٢٢٥، ٢٢٧	محسن بن حسين العوامي: ١١٠
الفضل بن يحيى: ٢٢٣	محسن بن ناصر شيبان: ١٦٠، ١٦٢
فؤاد الأول: ٤٣٢	محسن بن يحيى الجبري: ٧١
فؤاد الخطيب: ٣٠٠	محمد بن إبراهيم بن الإمام: ٤٨
فيصل بن الحسين: ٣٠، ٣١، ١٩٠	محمد بن أحمد بن الحسن: ٣٩٩
١٩١، ٢٦٩، ٢٧٠، ٤٢٣	محمد بن أحمد بن علي عبد الجبار:
قاسم بن حسن الوادعي: ٢٠٩، ٢١٠	٢٥٥

محمد بن أحمد بن قاسم حميد الدين :	محمد بن طلال بن نايف (ابن الرشيد) :
٣٨٧	٤٢٢
محمد بن أحمد المقداد : ٣٢٢	محمد عايش العقاب : ٣٩ ، ٧١ ، ٨١ ،
محمد بن أحمد نعمان : ٢٤٩ ، ٣٣٣ ،	٨٢
٣٣٤	محمد عبده حسين : ٣٤٣
محمد بن أحمد الوزير : ٤٨ ، ٧٣ ، ٤٤٩	محمد عبد السلام ٢٥٧
محمد البليلى : ١٣	محمد بن عبدالله بن الإمام : ١٦٧
محمد بن حسان : ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٦٧	محمد بن عبدالله جحاف : ١١٢
محمد بن حسن البروي : ١٧٦	محمد بن عبدالله السريحي : ١٧٤
محمد بن حسن الرماح : ١٤٠ ، ١٤١	محمد بن عبدالله الشامي : ١٦٤ ، ٢٢٤
محمد بن حسن القاسمي : ١٣٦ ،	محمد بن عبدالله أبو منصر : ٣١٥
٢٠٨ ، ٢٠٩	محمد وحيد الدين بن عبد المجيد : ٣٤٥ ،
محمد بن حسن الوادعي : ١٠٩	٣٥٥
محمد بن حسين العيزري : ٣٨٢	محمد عبد الواحد بن محمد بن قاسم :
محمد بن حسين الكبسي : ١١٣	٣٩
محمد بن دليم أبو لعثة : ١٩٠	محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن
محمد بن زيد الحريبي : ١٤١ ، ٢٢٧	قاسم : ٣٩ ، ٨١ ، ٩٢ ، ٣٤٢
محمد بن سعد الشرقي : ١١١ ، ٣٦٠	محمد عصيدة : ١٠٦ ، ١٠٧
محمد بن سعيد الذهب : ٣٣٩ ، ٣٤٠	محمد بن علوي السقاف : ٢٩٥ ، ٢٩٦
محمد بن صالح القطيبي : ١٥١ ، ٢٢٩ ،	محمد بن علي بن أحمد الوزير : ٣٦٩ ،
٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٠	٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨
محمد طاهر رضوان : ١٦٩ ، ١٧٠ ،	محمد بن علي الإدريسي : ٢٥ ، ٥٤٠ ،
١٩٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٣ ،	٥٧ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
٢٣٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦	١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،

محمد بن غالب خليل: ١٧١	١٣١، ١٣٢، ١٣٧، ١٣٧، ١٣٩
محمد بن غالب القديمي: ١٦٠، ١٦٢	١٤٠، ١٤١، ١٦٠، ١٦١، ١٦٩
ابنة محمد بن قاسم الظفري: ٢٠	١٧٢، ١٧٤، ١٧٩، ١٩٩، ٢٠١
محمد بن قاسم الظفري: ٧١، ١١٥	٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٨، ٢٢٠
٢٣٨، ١٦٣	٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٧٣، ٣١٢
محمد بن قايد الجبري: ٣٤٢	٣١٥، ٣٢٣، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٨٠
محمد بن قروش: ١٢٠	٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٥
محمد بن لطف السرحي: ٤١١	محمد علي باشا: ٤٢١، ٤٣١
محمد أمين بن محمد أحمد: ١٩٥	محمد بن علي بن إسحاق: ١٥٠، ٢٢٥
٢٠٤، ١٩٦	محمد بن علي الجهمي: ٢٢١، ٣٤١
محمد بن محمد بن أحمد الشامي:	محمد بن علي الحلالي: ٣١٦
١٤٥	محمد بن علي الذاري: ٧٣، ٧٤، ٧٥
محمد بن محمد بن أحمد غمضان	٢٢٣
الكبسي: ٢٢٣	محمد بن علي ردمان: ٢٤٠، ٢٤١
محمد بن محمد جحّاف: ٢٤٣	محمد بن علي الرماح: ١٧١، ١٧٦
محمد بن محمد زبارة: ١٦١، ٢٩٦	محمد بن علي الشامي: ٤٠، ١١٢
٣٨٧	١٦٨
محمد بن محمد الكبسي: ١١٠، ١٦٢	محمد بن علي الصديق: ١٦٩
محمد بن مساوي الأهدل: ١١٦، ١١٧	محمد بن علي بن عبد الكريم المجاهد:
محمد بن مفضل الوزير: ١٥٤	١٦٦
محمد ناصر البخيتي: ٢٠٢	محمد بن علي مكرم: ٢١١
محمد ناصر مقبل: ٣٩، ٦٥، ٨٩، ٩٠	محمد الكبير بن علي النهاري: ١١٤
٢٥٧، ٢٤٢، ١٨٠، ١٦٥، ٩٦	١٩٩
محمد بن الإمام الهادي شرف الدين:	محمد عمر: ١٧٢

المنصور بن أبي عامر (الحاجب): ١٠٦	٢٣٢، ٢٣٠، ١١٠
ناجي بن صالح القوسي: ٢٠٢	محمد بن هاشم المذحجي: ٢٥٠
ناجي بن ناصر العسل: ١٩٧	محمد بن يحيى بن محمد حميد
ناصر بن حسين الأحلسي: ١٣٦، ١٧١	الدين: ٦٩، ٢٧٣، ٣٢٢، ٣٥٩
ناصر الدرة: ١٦٧	٤٠٩، ٤٠٨
ناصر بن شكر: ١٥٣، ٢٤٢، ٢٩٥	محمد بن يحيى شريف: ٣٤٦
ناصر العسل الأرحبي المراهبي: ١٩٧	محمد بن يحيى العزي: ١١٠
ناصر العنبري: ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨	محمد بن يحيى مداعس: ٢٢٤
ناظم بك: ٥٥، ٥٦	محمد بن يوسف الكبسي: ٦٧، ١١٣
نصر بن شايف: ١٤٤، ١٤٩، ١٥١	محمود بك: ١٩
١٥٢، ٢٢٥، ٢٢٦	محمود بن محمد الزبيري: ١٦٤
النعمان بن بشير: ٣٢٦	٣١٤، ٣١٣
نعمان مقبل: ٣٢٦	محمود نديم: ٢٤، ٣٣، ٤٤، ٤٧، ٧٦
نعمان مقبل: ٩٠	٢٠٥، ٢٠٦، ٣٢٤
نور الدين بن حسن: ٩٠، ٣٣٧	محمود النهاري: ١١٣، ١١٤، ١٩٩
أبو الهادي: ٢٠١	محيى الدين باشا: ١٨٩
هادي صلاح مريط: ١٧٥	مساوي بن عبد الرب: ١٦٩، ٢٣٣
هادي بن يحيى الكحلاني: ٢٠٨	مصطفى عاصم: ٢٤٧
٢٠٩، ٢١١	مصطفى بن علي الإدريسي: ١١٨
هارون الرشيد: ٢٢٣	مصطفى كمال باشا: ١٩٣
هاشم بن يحيى المرتضى: ٧٣، ١٥٤	مطهر بن يحيى بن محمد حميد الدين:
يحيى بن أحمد الكبسي: ١٢٦	٣١٩
يحيى بن أحمد بن قاسم حميد الدين:	مقبل عبد العليم: ١٥٥، ١٥٦
٤٢٩	مقبل بن حسين هراش: ٢١٩

يحيى بن حسن الوريث: ١٦٥

يحيى بن خالد بن برمك: ٢٢٣

يحيى الضلعي: ٢٠١

يحيى بن علي الإرياني: ٧١

يحيى بن علي الذاري: ٧٣، ٢٢٠،

٢٢٢، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٧٩، ٤٠٠،

٤١٧

يحيى علي علاو: ٣٣٩، ٣٤٠

يحيى بن ناصر شيبان: ١٥٩، ١٦٢

يحيى بن محمد بن عباس: ٤٢، ٧٩،

٨٤، ١٢٢، ١٤٣، ٢٢٦، ٣٠٥،

٤١٣، ٤١٤

يحيى بن محمد بن الهادي: ٣٨٧،

٤٠٢

يحيى بن محمد الوادعي: ٢٨٠

يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين

(المتوكل على الله، الإمام): مواضع

كثيرة

القبائل والأمم والشعوب والبطون

الأربعوس: ٢٢٦	٣٢٢
الأجعود: ١٤٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨،	بنو الأهدل: ٢٠٥، ٣٨٠
٣٠٥	الباطنية: ٣٦
بنو أحمد: ١٥٢	بنو بُحَيْت: ٤٠، ٤١
الإخوان: ٢٣٢	بشر: ٢٠٨
أرحب: ٣٧، ٦٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢٤١،	آل بصير: ٣٤٣
٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٣٤٢، ٣٤٥،	البكري: ٣٠٥
٣٧٠، ٣٧١.	بكيل: ١٠، ١٢٢، ١٣١، ١٣٤، ١٣٦،
الأزارق: ١٥٢، ١٨٠	٢٠٥، ٢٠٦، ٢٤١، ٣٣٥، ٣٤٧،
بنو إسحاق: ١١٧، ١٧٠، ٢٠٦	٣٩٤
بنو إسماعيل: ١٣١، ٢٠٦	بنو بهلول: ١٢٨، ٣٧٢، ٣٨٦، ٣٨٧
أشراف الجوف الحمزات: ٥٢	البلغار: ٢٥
ألمان: ٣١، ٣٤، ٢٧٠	آل بهجة: ٣٤٤
أمريكي: ٣٥٨	الترك: ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤،
الانجليز: ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢،	٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨،
٣٣، ٣٤، ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥،	٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٦٦، ٩٦، ٩٩،
٤٦، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٦٤، ٧٨، ٩٤،	١٠٨، ١١٥، ١٤٤، ١٥٨، ١٨٨،
١١٢، ١١٨، ١٤٤، ١٩٠، ١٩٢،	١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٦، ٢٣٠،
١٩٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٩، ٢٧٠،	٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨،
٢٧١، ٢٧٢، ٢٩١، ٣٢٤، ٣٢٥،	٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٣١٨، ٣٢٤،
٣٥٤، ٣٥٥، ٣٩٣، ٤٢٣، ٤٣٠،	٣٢٥، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦،
٤٣١، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٤٧.	٣٦١، ٣٨٢، ٣٩٣، ٤١١، ٤١٥،
أنسس: ٢٤، ٤٨، ٤٩، ٣١١، ٣١٣،	٤٢٢، ٤٣٦

بنو جبر: ٢٥٣، ٣٧٢، ٣٧٦	خارف: ٣٤٢، ٣٨٧
الجرايح: ١٣٧	الخوارج: ٢٩
بنو جرين: ١٣١، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١	خولان: ٣٧، ٤٨، ٧١، ٨٠، ١١٧،
١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٩	١٤٢، ١٤٩، ١٧١، ٢٠٣، ٢٢٩،
٢٠٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٣	٢٣١، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٤٢، ٣٥٨،
بنو جشم: ٢٣٩	٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٩٣،
بنو جماعة: ٢٢	٤٤٩
الجيارى: ١٧٣	بنو الخياط: ١٣٦، ١٣٩
بنو الحارث: ٥٠، ١٩٩، ٢٤٥	آل خير: ٣٤٤
حاشد: ٩، ١٠، ٣٧، ٤٢، ١١٩	الدأودي: ٢٢٥
١٢٢، ١٢٨، ١٣١، ١٣٤، ١٣٦	الدواسر: ١٩٠
١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٦٠، ١٦١	بنو الديلمي: ٣٨٢
١٧٠، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨	أهل الذمة: ١٣
٢١٠، ٢١٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٣٠٧	آل أبي راس: ١٨٠، ١٨١
٣١٧، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٧٨	بنو الرصاص: ٣٩٩
٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٤، ٣٩٥	الروس: ١٢٨، ٤٣٥
بنو حسن: ٢١٦	رُفيدة: ١٨٩
حراز: ١٣٩	الزرائق: ٦٨، ٣٢٤
حشيش: ٥٠	الزرائق الشامي: ٣٢٣
بنو الحمادي: ١٢٠، ١٣٠، ١٣٦	الزرائق اليماني: ٣٢٣
حميقان: ٣٩٨	زهران: ٣٤٤
الحواشب: ١٥٢، ٢٥٨، ٣٣٦، ٣٣٧	السادة: ١٢، ١٣، ٢١، ٥٤، ٦٤، ٦٥،
٤٣٩، ٣٣٩	٩٢، ٩٤، ٩٥، ١٤٠، ٢٠٥، ٢٣٠،
بنو الحوت: ٢١٦	٢٣٤

السادة القاسميون : ٨٩	بنو أبي الضيف : ٢٠٢
سحام : ٣٦٩	الطاهرية : ٣٤٤
آل سرحان : ٣٤٣	الطليان : ٢٥ ، ٢٧١ ، ٣٥٤ ، ٣٩٣ ،
بنو سعد : ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٠ ،	٤٣٨ ، ٤٣٥
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٧٢ ،	بنو عبد : ١٤٩ ، ٣٠٧
٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،	أهل عبد الله : ٢٢٩
٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٣٥٩	بنو العبدلي : ٢٦ ، ٤٤
بنو سعود : ٢٩ ، ٢٠٨	عَبَس : ٣٤٣ ، ٤٠٩
آل السلاسل : ٣٤٣	بنو عثمان (العثمانيون) : ٢٨ ، ٢٩ ،
سنحان : ٥٠ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ٢٤٥ ، ٣٨٨ ،	٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٤ ،
السنة : ٤٤٨	٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٦ ،
الشاذلية : ٩١	٨٧ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٨٠ ،
الشاعري : ١٤٣	١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢٤٥ ، ٢٧٠ ، ٣٥٥ ،
الشافعية : ٩١	٣٩٣ ، ٤١٥ ، ٤٣٠ ، ٤٣١
بنو شرعب : ١٢٦ ، ٢١٦	أشراف أبي عريش : ١١٩
أهل الشطارة : ٩٨	آل العطعوط : ٤٢١
بنو الشويشي : ١٢٠	بنو العقاب : ٨٢
الشيعة : ٤٤٨	العلوي : ١٤٩
بنو صُريم : ٣٤٢	بنو علي : ١١٩ ، ٢٤٧
بنو الضبيبي : ٢٠٢	العناق : ٢٢٦
الضالع : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،	عَنَّس : ١٥٤ ، ٤٤٩
١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٨ ، ١٩٧ ، ٢٢٦ ،	بنو عمر : ٢٢١
٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ،	عمد : ٣٤٣
٤٣٩	عواض : ٣٤٤

بنو عيسى: ٤١	الكُرد: ١٣٦
آل غنيم: ٣٤٣، ٣٤٥	مجري: ٥٥
الغورية: ٢٨	آل محسن يزيد: ٢٢٠
ذو غيلان: ٢١١، ٢١٧	بنو مروان: ٢٥
الفرقة الجعفرية: ٤٤٨	المسارحة: ١٧٠، ١٧٩
الفرقة العمرية: ٤٤٨	المعاصلة: ٧٦، ٩٩، ١٧٢
الفرج: ٢٥، ٢٨، ٣١، ٥٠	المفالحة: ٢٢٥
٥٤، ٥٧، ٦١، ٩٤، ١١٨، ١٥١	المكارمة: ١٧٥
١٩٠، ١٩٢، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧٠	الملاجم: ٣٤٥، ٤٥٠
٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٣٦، ٣٣٧	آل منصور: ٣٤٥، ٤٥٠
٣٣٨، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٧، ٤٣١	أهل الموسطرة: ٢٢٥
٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٨	بنو ميمون: ١٢
٤٣٩، ٤٤٥، ٤٤٦	بنو ناحت: ٢٠٣
بنو القانص: ١٧٨	ذو ناعم: ٣٤٥
القُحري: ١١٨، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠	النصارى: ٢٥، ٣٢، ٥٨، ١٢٩، ٢٢٤
١٣٦، ١٣٧، ١٤١، ١٧٠، ١٧١	٢٢٦، ٢٤٨، ٣٠٨، ٣١٧، ٣١٨
١٧٢، ٢١٨، ٤٤٧	٣٥٥، ٣٥٨، ٣٧٥، ٣٩١، ٣٩٢
قحطان: ١١٨، ١٩٠	٣٩٤، ٤١١
القرادع (القرداع): ١٣٠، ٢٠٩، ٢١٠	آل النعمي: ٢٤٢، ٢٤٣
قروي: ٣٦٩	بنو النور: ٧٧
القبط: ٤٣٣	بنو النويرة: ٢٤١
بنو قُطيب: ١٥١	بيت النهاري: ١١٤
القوازعة: ١٢٠، ١٣٠، ١٤٨، ١٥٠	نهم: ٣٧، ٨٠، ١٢٢، ١٤٩٠
بنو قُيس: ٤٤١	هَمْدَان: ٢١٢، ٢٣٨، ٢٤٠، ٣٨٧

هندي: ٢٩١

الهدوية: ٢٣٨

بنو الوزير: ٣٧٦

يام: ١٩٠، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٦٩، ٤٢٢

يافع: ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ٢٢٤

٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٤٣٩

يهود: ١٩٤

الأعلام الجغرافية

(المدن، البلدان، الأمصار، الجبال، الأنهار	أضنة: ١٩٣، ٢٧٢
وغيرها)	أفيون قره حصار: ٢٧١، ٣٥٣
آيدين: ٢٧٠	الأكاحلة: ٢٤٩، ٣٣٨
إب: ٣٣، ٣٨، ٤٢، ٦١، ٦٥، ٧١،	أكمة: ٣٣٨
٧٣، ٧٥، ٨٢، ٨٣، ٨٨، ١٥٧،	أكمة خليفة: ١٧١، ١٧٩، ٢١٩
١٦٧، ٢٢٣، ٢٢٤، ٣٢٤	أكمة شيبان: ١٧٢، ١٧٣
أبها: ١٨٩، ٣٥٣	أكمة عاصم: ١٧٣
أبين: ٣١٠، ٤٣٠، ٤٣٩	أكمة النميصان: ٣٥٨
الأحكوم: ٢٤١	ألمانيا: ٢٥
أدرنة: ١٩٣، ٢٧٠، ٣٥٤	الليث: ٤٤٤
أذرع: ٣٩٧، ٤١٢، ٤١٣، ٤٤٣	أمريكا: ٢٥، ٣١٧
أردن: ١٩٤	أندلس: ١٠٦، ٤٣٨
أرضة: ٢٢٨	أناضول: ١٩٢، ١٩٣، ٢٧٠، ٢٧٢،
أريحا: ٣١	٣٥٣، ٣٥٤
إزمير: ١٩٣، ٢٧٠	أنطاكية: ٢٧٢
أسبانيا: ٤٣٨	أنقرة: ١٩٣، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣٥٤، ٣٥٥
استانبول (الاستانة)، القسطنطينية:	الأهنوم: ٢٢، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩،
٢٦، ٤٥، ٥٤، ٥٥، ٦١، ٦٣،	٢٣٠، ٢٣٢، ٣٧٤
١٩٣، ١٩٤، ٢٧٠، ٣٥٤، ٤٢٢	أوروبا: ٣١٧، ٣١٩، ٣٥٥
أسكدار: ٦٣	أستراليا: ٤٣٨
إسكى شهر: ٢٧١، ٣٥٣	إيطاليا: ٣٥٥
أسلم: ٤٠٩	باب الثلوث: ٢٠٠
الأشبوط: ٢٥١، ٢٥٢	باب العين: ١٣٤، ١٣٥

باب القارة: ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧	٣٨٠، ٣٩٤، ٤١٧
باب القاع: ١٢٦	برقة: ٤٣٥
باب المحيام: ١٢٦	بروسة: ٢٧٠
باب المندب: ٩٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨	بريم: ٩٤، ٤٣٩
٤٣٩	بر اليمن: ٦٣
باجل: ١١٨، ١١٩، ١٢٤، ١٧٠	البُستان: ٥٠، ٨٠، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢
١٧٢، ١٨٠، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١٤	١٧٦، ١٩٥، ٢٩٠، ٣٦١
٢٣٣، ٢٣٤، ٣٢٣، ٣٩٦، ٣٩٧	بستان المتوكل: ٢٣٢، ٣٦١
٣٩٨، ٤٤٦، ٤٤٧	البصرة: ١٩٢
بادية الشام: ١٩٤	بعدان: ٤٢، ٦٦، ٧٩، ١٩٢، ٢٢٦
باقم: ١٠٩	٤٤٩، ٢٦٩
البحر الأبيض المتوسط: ٢٩	البكرة: ٤١٣
البحر الأحمر: ٢٩، ٣٠، ٥٥، ٧٨	بيت إبراهيم أحمد: ٢١٢، ٢١٣
البحر الرومي: ٢٩، ٦٣، ٤٣٩	٢١٨، ٢١٩، ٢٣٣
بحر القُلُزم: ٢٩	بيت أحمد: ٢١٤
بحر مرمرة: ٢٦	بيت أنعم: ٢٣٩
البحرين: ٢٩	بيت الحداد: ١٤٢
البحيح: ١٣٤، ١٣٥	بيت الذيب: ٢٤٥
بحيرة طبرية: ٣١	بيت شمران: ١٧٢
بخارى: ٤٣٥	بيت الفقيه ابن عجيل: ٣٢٤، ١١٤
بدر: ١٩٠، ٢٣١	٣٥٦
بُرع: ١٢٤، ١٢٦، ١٢٨، ١٤٠، ١٤١	بيت القابلي: ١٢٥، ١٤٢، ١٤٣
١٦٨، ١٧٠، ١٩٥، ٢٠٩، ٢١٠	٢١٥، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١
٢١٥، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٧٨، ٣٧٩	بيت الله الحرام: ٢٨

بيت المزة: ٢١٣	٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٢٠،
بيت المشرقى: ١٣٣، ١٣٩، ٢٠٨،	٢٣٤، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٨٥، ٣١٤،
٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٩،	٣١٥، ٣١٧، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٨٠،
بيت المقدس: ٣١، ١٩٤،	٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٧،
بيت المنامة: ١٤١، ١٤٢، ٣٧٩،	٤٠٢، ٤١٢، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣،
بئر الجامع الكبير: ٢٣٥،	تُهامة الشام: ١٢٩، ١٣٧، ٣٩٢،
بئر العَرب: ٣٧، ٦٤، ٦٩، ١٦٣،	تُهامة اليمن: ١٢٩،
٣١٨، ٣١٧،	تونس: ٤٣٥،
البيضاء: ٢٠١، ٣٤٦، ٣٩٨،	ثُلا: ٣١٥،
بيروت: ٦٣، ٣٢،	الجابون: ٢٥،
تراقيا: ٣٥٤،	الجامع الأزهر: ٣٩٢،
تربة: ٤٢٢،	جامع الروضة: ٢١،
تركستان: ٤٣٥،	الجامع الكبير صنعاء: ٣٧، ٦٣، ٢٣٥،
تعز: ١٩، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٦٠، ٦١،	٣٧١، ٣١٩،
٦٢، ٦٥، ٦٦، ٨٣، ٨٥، ٨٨،	جامع كُحلان: ٢٤٥،
٩٢، ٩٥، ١٢٣، ١٥٤، ١٥٦،	جاوا: ٤٣٨،
١٥٨، ١٦٦، ١٦٧، ٢٤٢، ٢٤٨،	الجاهلي: ٢٨٢،
٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٨، ٣١٤، ٣٢٤،	الجبى: ٦٨، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠،
٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٧١،	٢٠١، ٢٠٢، ٣١٣، ٣٨٢،
٣٨٣، ٣٨٤، ٤٣٥، ٤٢٩،	جبل بُرع: ٦٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩،
تُهامة: ٤٥، ٤٦، ٥٤، ٦٨، ٨٢، ١٠٠،	٣٧٨، ٢١٨،
١١٩، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧،	جبل جُحاف: ١٤٥،
١٢٨، ١٣١، ١٣٥، ١٣٧، ١٦٠،	جبل جِراش: ١٤١، ١٤٢،
١٦٢، ١٦٨، ١٧٧، ١٧٩، ١٩٩،	جبل حبشي: ٨٧، ٩٠، ٢٥٣، ٣٣٧،

جبل بني غراف: ١٧٨	٣٣٨
جبل العقاب: ٨٢	جبل حبش: ١٤٥
جبل عيال يزيد: ١٠، ١٤، ١٤٢،	جبل حرير: ١٤٥، ١٤٦، ١٥١، ٢٢٦
١٤٩، ٢٠٦، ٣٧٨، ٤٠٢	جبل الحشا: ١٦٥
جبل اللوز: ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢،	جبل حقلة: ٣٠٦، ٣٠٨
٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦	جبل الخضراء: ٣٠٥
جبل مدّول: ١١٥، ١١٧، ١١٩، ٢٠٨،	جبل دُبّاس: ٧٧
جبل المقاطرة: ٢٤٨	جبل راس: ٧٧، ٩٣، ١٥٥، ١٦٧،
جبل ملّحان: ١١٩، ١٢٩	٣٨٣
جل منيف: ٢٥٤	جبل ردّفان: ١٤٩، ٣٠٨، ٣١٠
جبل ودنة: ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨،	جبل الرديف: ٣٠٦
جبل يابس: ١٣٤	جبل ريمة: ١١٣، ١٦٧، ١٩٥، ٣٠٢
جبلة: ١٦٧، ١٦٨، ٢٢٣	جبل الرّعلا: ٢١٦
الجبيلين: ٩١، ٩٢	جبل سُوَيْد: ١٣٤
جُبْن: ٤٧، ٢٢٦، ٢٢٨، ٤٢٦	جبل الشرق: ٣٢٢
جُبَيْن: ٤١٢	جبل الشّرقي: ١٣٦
جحاف: ١٥٢	جبل شَمْسَان: ٢٨٢
جُدّة: ٣٠، ٢٩٦، ٣١٨	جبل صَبْر: ٨٧، ٩٥، ٩٦، ١٥٦،
جديلة: ٣٧٨	١٥٩، ١٦٧، ٢٨١، ٣١٤
الجرن: ١٤٢	جبل صَعْفَان: ٤٣
الجرواح: ١٧٢، ١٧٥	جبل طارق: ٤٣٨
الجزائر: ٤٣٥	جبل الطرف: ١٣٣، ١٣٩
جزيرة العرب: ٢٨، ٥٠	جبل الطرواح: ١٣٠، ١٣٦
الجعفرية: ٦٨، ١١٣، ١١٤، ٣١٢،	جبل بني عبد الرحمن: ١١٧

الجليلة: ١٥٢، ١٥١، ١٤٣	٢٨٤، ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٥٦، ٢٥٣
الجُمَام: ٢١٦، ١٩٦	٣٨٣، ٣٣٣، ٢٨٥
الجمجمة: ١٣٦، ١٣٠، ١٢٠	حجور: ٤٠٩، ٣٥٩، ١١٢
جمعة المسخن: ٢١٦، ٢١٥	حجور الشام: ١١١، ٢٣
جناق قلعة: ٢٦	حجور اليمن: ١١٢
الجميمة: ٤٠٨	الحَجَّيْلَة: ٤٣، ١٤١، ١٧٦، ٢٠٦
الجند: ٩٤	٢١٩، ٢١٠
جبيوتي: ٤٣٨، ٣٦٨، ٩٤، ٧٨	الحُدَّأ: ٤٠، ٤١، ٧٢، ١١٢، ١١٧
جيزان: ٣١٤، ٢٠٤، ١٧٢، ١٣١	٢٠٠، ٢٠١، ٣٧٤، ٣٧٨، ٤٤٢
٤٤٤، ٤١٩، ٣٩٧، ٣٩٣، ٣٥٦	٤٤٣
جهران: ٧٠	الحُدَيْدَة: ٤٦، ٥٠، ٦١، ٦٣، ٧٨
حارة الأبهر: ٢٣٦	٩٩، ١١٢، ١١٨، ١٢٤، ٣١٤
حارة الجامع: ٧٦	٤٤٧، ٤٤٦، ٣١٩
حائل: ٤٢٢	حَرَّاز: ٢٤، ٣٥، ٣٦، ٤٣، ٦٠، ٧١
حبس شُهارة: ١١	١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٩
حُبَيْش: ٣٩، ٧١، ٧٢، ٧٩، ٨٠، ٨١	١٦٩، ١٧١، ١٧٣، ١٧٧، ٢٠٥
٤٤٩، ٢٢٤، ٩١، ٨٨، ٨٣، ٨٢	٢٠٦، ٢١٠، ٣٩٤
الحجاز: ٣٠٢، ٣٠٠، ١٥٣، ٢٨	الحُشا: ٨٩
٤٢٢، ٤٢١، ٣٠٣	حصن أعتام: ١٧١
حَجَّة: ٢٠، ٢٤، ١٠٩، ١٦٠، ١٦١	حصن أعقاد: ١٧٣
٣٢٢، ٣٤٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٤٠٨	حصن التميدني: ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤
٤٠٩	حصن حالمين: ١٥٠
الحُجْرِيَّة: ٣٩، ٤٨، ٨٩، ٩٠، ٩٦	حصن حب: ٤٢
١٥٩، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١	حصن حماطه: ١٣٦، ١٣٥

حصن عقّار: ٣٤٤	حصن بني الخُزاعي: ١٤١
حصن اللّيم: ٢٨٣، ٢٨٢	حصن الرُّكْب: ١٥٥
حصن عيال إبراهيم: ٨٢	حصن الزعلا: ٢١٠
حضر موت: ٣٩٩، ٤٣٩، ٢٩	حصن السنارة: ٢٤٤
الحَصْن: ٢١٦، ٢١٥	حصن شبام: ٤٣ .
حُفّاش: ١١٤، ١١٩، ١٢٠، ١٢١،	حصن شُكع: ١٤٧ .
١٦٤، ٤١٣، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣	حصن شلول: ١٣٩
حلب: ٣٢، ٢٧٢	حصن غراس: ١٧٠، ٢٠٦
حماطة: ٢٣٣	حصن القاهرة: ١٧١، ١٧٢، ١٧٥،
حُمَر: ٢٥٧	١٧٦، ٤٥٠
الحُمرة: ١١٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٩	حصن قرن الملح: ٣٤١
حمص: ٣٢	حصن كُحلان تاج الدين: ٢٤٤
الحَنَكَة: ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٩	حصن كحلان الشرف: ٢٤٣
الحوري: ١٨١	حصن متوَح: ١٧١
حَيَس: ٧٧، ٧٨، ٩٣، ١٦٤، ٢٢٤،	حصن مَدَوَل: ٢٠٨
٣١٣	حصن مسار: ١٧٢
الحَيْمَة: ١٠٩، ١١٦، ١١٧، ١٢٦،	حصن مسعود: ٢٠٢
١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨،	حصن مشحم: ٢٠٢
١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٧٣،	حصن المعفاري: ١٥٢
١٧٤، ١٧٩، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩،	حصن المقفل: ١٣١، ١٣٢، ١٣٩
٢١٠، ٢١٣، ٢١٩، ٢٣٥، ٣٧٩	حصن النامة: ٢١٥، ٢١٧، ٣٧٩، ٣٨١
الخَبْت: ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٥،	حصن نعمان: ١٦١
٢١٤، ٢٤٠، ٣٠٩، ٣٧٩، ٣٩٨،	حصن الهادي: ١٣٩، ١٤٠، ٢٠٩
٤٤٠، ٤٤٢	حصن شاهر: ٢٥٠

دمشق: ٣٠، ٣١، ٣٢، ١٩٠، ٤٤٥	خداد دوندكار: ٢٧٠
الدهمشة: ٢٥٢	خدير: ٢٥٣
دهو الدار: ٢٣٣	خراسان: ٢٢٣
ذاهبة: ٣٤٣	الخزفار: ٣٨٣
ذباب: ٤٣٧، ٤٣٨	الخضري: ٤٠٠
الذباح: ١٧٩	خليج السويس: ٢٩، ٤٣٣
ذرحان: ٢١٦	خليج القسطنطينية: ١٩٣
ذَمَار: ٢٠، ٢٤، ٣٣، ٣٦، ٤٨، ٦١،	خَمِر: ٨، ٩، ١٠
٨٩، ٩٠، ٩٥، ١٠٨، ١٦٥، ٢٢٤،	خميس المخروط: ١١٩، ١٢٠
٣٢٩، ٣٤١، ٣٨٢، ٤٤٨، ٤٤٩	خُمَيس مذيور: ٦٠
ذي جيلة: ٦٦	خوخة: ٧٨
ذي سفال: ٩٤، ١٨٠، ١٨١	دار الأدب: ١٦٠، ١٦١، ٢٢١، ٣٧٧،
ذي شراق: ١٨٠	٣٨٤
رازح: ٢٢، ١٠٩	دار الاعتقال: ٢٢١، ٢٤٠، ٣٤٠
الرايس: ٢٠٨	دار الصنائع: ٦٤
رايم: ٢٠٨، ٢١٢	دار العز: ٣٦٠
رجال المع: ٣٥٦	دار الفتوح: ١٦٣
الرحبة: ١١٥	دار النصر: ٣٨٤
رداع: ٧١، ٩٧، ٢٢٠، ٣٣٩، ٣٤١،	الدَنّ: ٧٥
٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٦٨، ٣٩٨،	الدَّرعية: ٤٢٢
٣٩٩، ٤١١، ٤٥٠	الدَّرِيجة: ٣٣٧
ردفان: ٢٢٩، ٣٠٩	دَعَّان: ١٠، ١١
رقاب: ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩،	دعوة: ٢٠٧
١٤٠، ١٤٢	دَمَت: ٣٣٩، ٣٤٠

الرُّكْب: ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥	الزَّهْرِيَّة: ٣٤٤، ٣٤٥
الرُّوْضَة: ١١، ١٣، ١٩، ٢١، ٢٢، ٣٥	الزَّيْدِيَّة: ١١٢، ٣٩٦
١٨٤، ١٩٥، ٢٤٥، ٢٧٣، ٢٨٥	الزَّيْلَة: ٣٣٥
٣٥٦، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٧٨، ٤٣٥	سَاقِيْن: ١١٠
٤٤٤	سَبْتَة: ٤٣٨، ٤٣٩
الريَّاض: ١٨٩، ٤٤٦	سَبْرَة: ١٦٥
رَيَّانَه: ٧٧	سدوان: ٤٢٩
رَيْدَة: ٣٨٨	سدوان الأسفل: ٤١٨
رَيْمَة: ٦٦، ٦٧، ٦٨، ١٦٨، ١٩٨	سدوان الأعلى: ٤١٨
١٩٩، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٥، ٢١٦	السَّرَّ: ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٦
٢١٧، ٢١٨، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣	السَّلْفِيَّة: ١١٣، ١٩٨، ٣٨٢
٣٤٧، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٩٤	سُمَارَة: ٣٨٣
الزَّاهِر: ٢١١	سَمَهَر: ١٣١، ١٣٦، ١٣٨، ٢١٢
زَبِيد: ١٩، ٣٣، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٧	٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٣
٧٩، ٩٤، ٩٩، ١٠٠، ١٥٣، ١٥٤	السَّنارَة: ٢٤٤
١٥٥، ١٥٦، ١٥٦، ١٦٧، ٢٢٣	سَهَام: ١٣٨
٢٢٤، ٣١٣، ٣٢٣، ٣٥٦	السُّهْمَان: ٣٦٩
زَرَّاجَة: ١١٢	السُّوَادِيَّة: ٢٢٠، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٦
الزَّرِّيْقَة: ٢٥١، ٢٢، ٢٨٥	٣٦٩، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤١١، ٤١٢
الزَّعازِع: ٢٥١، ٢٥٢، ٢٨٥	٤٤٩، ٤٥٠
الزَّعْلَا: ١٣٦، ١٧٥، ٢٠٨، ٢١٢	السُّودَان: ٤٣٣، ٤٣٤
٢١٣، ٢١٥، ٢١٩	السُّوْدَة: ٨، ٩، ١٠، ٢٣، ٦٩، ١٤٤
الزَّعِيْمَة: ٢٥١، ٢٥٢	سور صنعاء: ٥١
الزَّهْرَة: ٤٥	سوق وادي حار: ١١٥

٤٤١، ٤٤٠	سيفر: ١٩٢
الصفافية: ٢٠٦	الشامة: ١٩٦
صبر: ٢٥٨، ٨٦	الشام: ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٢٦٩
صباح: ٣٣٩، ٣٤٠	٢٧٣، ٢٦٩، ١٩١، ٣٤
صَبَا: ٣٩١، ٣٩٠، ٣٥٦، ١١٢، ٢٤	٤٣٥، ٣١٨، ٣١٧
٤٤٤، ٣٩٣	شباب: ٣٥٩، ٣١١
الصَّبِيحَة: ٣٣٧، ٣٣٦، ٣٣٥، ٣٣٣	الشحر: ٢٩
٣٣٩	الشيخ سعيد: ٤٣٨، ٤٣٦
صَعْدَة: ٢٣٢، ٢٢٩، ١٠٩، ٢٢	شرف الجاهلي: ٢٥٢
٤١٨، ٣٩٣، ٣٤٦، ٢٧٣	شَرْجَب: ٢٥٢
صَعْفَان: ١١٧، ١١٦، ١١٥، ٧١	شرع: ٨٦، ٩٤، ٩٦، ١٦٥، ١٦٧
١٦٤، ١٦٣، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩	الشرف: ١٣١، ١٣٦، ٢٤٢
١٧٦، ١٧٥، ١٧٢، ١٧٠، ١٦٩	الشرف الأعلى: ١٧٣، ١٧٢
٢٠٦، ١٩٥، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٧	الشرفين: ٢٣، ١١٢، ٢٤٣، ٣٤٧
٢٣٣، ٢١٨، ٢١٠، ٢٠٩	الشرق الأقصى: ٤٣٨، ٩٤، ٢٥
صعيد: ٣٩٢، ٣٩١	الشطبة: ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ٢٠٩
صُهَبَان: ٨٩	٣٨٠، ٢١٧
صنعاء: ٢٤، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٨، ١٣	الشعر: ٢٢٦، ٣٠٩
٤٤، ٤٠، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٤، ٣٣	الشُعَيْب: ١٥٠، ١٤٨، ١٤٦، ١٢٢
٦١، ٦٠، ٥٦، ٥٥، ٥٠، ٤٦، ٤٥	١٧٢، ١٧٥، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧
١٠٦، ٨٠، ٧٠، ٦٧، ٦٣، ٦٢	٢٢٨
١٦٥، ١٥٩، ١٢٦، ١٢٥، ١٠٨	شهارة: ٦٩، ١١٠، ١٦١، ١٦٢
٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٥، ٢٠٥، ١٧٦	بني شهر: ٤١٨
٣٥٨، ٣٢٥، ٣٢٤، ٢٩٦، ٢٤٥	شويح: ١١٦، ١٣٨، ١٦٩، ٢٠٩

٢٠٩، ٢٠٨	٣٨٤، ٣٧٤، ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٨
العاقبة: ١٢٣، ١٢٢	٤١٦، ٣٨٧
عُبال: ١٣٤، ١٣١، ١٢٩، ١٢٧	صنمات: ١٥٦
١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦، ١٣٥	الصوالحة: ٢٥٥، ٢٥٤
٢١٧، ٢١٢، ٢٠٩، ١٩٦، ١٤٠	صور: ٣٢
٢٢٠، ٢١٨	صيدا: ٣٢
العَبْسِيَّة: ١٢٧	الصين: ٩٤، ٤٣٨
عُتْمَة: ١٩٨، ١٥٤، ٧٤، ٤٨	الضامر: ٢١٠، ٢٠٦
عَدَن: ٥٠، ٤٦، ٤٤، ٣٣، ٢٩، ٢٧	الضحى: ٣٩٧
١١٢، ٩٤، ٨٢، ٦٦، ٦٥، ٦٤	ضُلاع: ٢٣٩
٢٥٩، ٢٥٨، ٢٢٤، ١٥١، ١٤٤	ضوران: ٣٨٢، ٣١٢
٣١٤، ٢٩٦، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٤	طرابس: ٣٢
٣٥٨، ٤٤٧، ٣٣٧، ٣٣٦	طرابلس الغرب: ٤٣٥، ٣٩٣
العُدَيْن: ٩٢، ٩١، ٨٦، ٨١، ٤٢، ٣٩	الطَّرَف: ١١٩، ١١٨، ١١٧، ١١٥
١٥٩، ١٥٤، ١٢٣، ١١٢، ٩٣	٢١٨، ٢٠٩، ١٨٠، ١٧٠، ١٣١
٣٢٩، ٢٨٢، ٢٥٥، ٢٥٣، ٢٢٤	الطَّعَام: ٢١٥، ١٩٦، ١٩٥، ١٦٧
٤٣٩، ٤٣٦، ٣٨٣، ٣٣٥	٣١٢، ٣١١، ٢٧٣، ٢١٨، ٢١٦
العَرَّ: ١٣٧، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١١٦	٣٧٨
١٧٤، ١٧٣، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩	الطفَّة: ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣
٢١٠، ٢٠٨، ٢٠٦، ٢٠٥، ١٧٥	بنو الطَّلِيلِي: ٢٤١، ٢٤٠، ٢٠٣
٢٣٥، ٢٢٠، ٢١٤، ٢١٣	الظاهر: ٤٤٣، ٤٤٢، ٤١٣، ٤١٢
العراق: ٤٢٢، ٢٦٩، ١٩٢، ٣٤، ٢٨	ظلمة: ٨٢، ٨١، ٧٣
٤٣٥، ٤٢٣	ظُلَيْمَة: ٢٠٩، ٢٠٦، ١١٠
العَرش: ٤٤٩	العارضة: ٢٠٧، ١٧٢، ١٧٠، ١٣١

العريش: ٣١	الغولة: ٢٤٥
أبو عريش: ٢٤، ١١٢، ٣٩٢، ٣٩٣	غيل آل أبي طالب: ٣٥٧
العُرضي: ٥١، ٦٦، ٤٤٥	غيل مصطفى: ٣٥٧
عُزلة همدان: ٩٨	غيل المهدي، أحمد بن الحسن: ٣٥٧
عسير: ٣٤، ١٨٩، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٩٢	فاس: ٤٣٥
٣٩٣، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢	فرانسا: ٢٥، ٣١، ٣٤، ٩٤، ١٩٠،
عصب: ٧٨، ٩٤	١٩١، ١٩٣، ٢٧٢، ٣٥٤، ٣٥٨،
عطار: ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٤٢	٤٣٥
٢٠٩، ٢١٧، ٣٨٠	الفرشة: ٣٣٥، ٣٣٦
عَفَّار: ٢٣، ٣٤٣، ٣٤٥	فلسطين: ٣١، ١٩٤
العقبة: ٣٠	الفيوش: ١٧٧
عكا: ٣٠	القاع: ٣٧٩، ٣٨١
عَمَّار: ٨٤، ٢٢٦، ٣٠٩	القاعدة: ٦٥، ٨٨، ٢٨٣
عُمَان: ٢٩	القارة: ١٣٥
عَمْران: ١٢، ٢٤، ٤٨، ٣٨٧، ٣٨٨	القاهرة: ٤٣٠
عينتاب: ٢٧٢	قالي قلا: ١٩٣
العُود: ٢٢٥	القَبِيْطَة: ٢٥٣، ٣٣٣، ٣٣٥
عيال إبراهيم: ٨٢	قرن الملح: ٣٤٠
عيال سُريح: ١٢، ٣٨٦، ٣٨٧	القرون: ١١٧، ١٧٠
العيَّان: ١٧٦	القصبه: ٢٠٧
العين: ١٣٤	قَعْطِيَة: ٨٤، ٨٥، ٨٩، ١٢٢، ١٤٣،
غدير: ١٨٤	٢٤٢، ٢٢٦
غزة: ٣١	قلعة المقاطرة: ٢٥١، ٣٠٧
غمدان: ٣٥، ٣٦، ٣١٩	قلعة المنصوري: ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩

القماصرة: ٣٩، ٦٥، ٨٩، ٩٦، ١٦٥،	مُبِين: ١٦٢
٢٥٧، ٢٤٢، ١٨٠	مَتْنَة: ٦٠
قنال السويس: ٣١	مَتَّوَح: ١١٥، ١٦٣، ١٧١، ١٧٢،
القيروان: ٢٢١، ٤٣٥	١٧٨، ١٧٣
قَيْفَة: ٣٣٩	المجر: ٥٥
قَيْهَمَة: ١١٩، ١٣٢، ٤٤٠	محائل: ٣٥٦
كُحلان تاج الدين: ٢٣، ١٦٠	الحويت: ٩٨، ١١٤، ١٦٤، ٤٤١
كُحلان الشرف: ٤٠٨	الحيط الأطلسي: ٤٣٩
كُسْمَة: ٦٨، ١١٣، ١٩٩، ٢٠٤،	الخلا: ٢٤، ٨٦، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ٣١٣،
٣٨١، ٣١٣، ٣١١	٤٣٩، ٤٣٧، ٤٣٦، ٣١٤
كومان المحرق: ٧٢	المخادر: ٨٠، ١٦٩، ٢٢٤
كُوكَبان: ٢٠، ٢٤، ١٠٨، ١٦٠،	مخلاف البعّاد: ٩٣
٤٤٠، ٣١١	مخلاف بَعْدان: ٢٢٤
الكويت: ٢٩	مخلاف الجند: ٦٥، ٦٦
الحج: ٢٦، ٢٧، ٣٣، ٣٥، ٣٩، ٤٠،	مخلاف الخبت: ٤١٢، ٤٤٣
٤٢، ٤٤، ٥٤، ٥٥، ٦٦، ١٤٤،	مخلاف المزاحن: ٩٣
٢٩٠، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٢٤، ٣٣٤،	مخلاف الشعر: ٨٤
٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٩٣، ٤٣٦،	مخلاف الشوافي: ٢٢٣
٤٣٩	مخلاف العريش: ٣٤٢، ٤١٢
اللُحْيَة: ٢٤، ٤٥، ٥٧، ٧٨، ١١٢	مخلاف عَمَّار: ٤١٣، ٤١٤
اللبخة: ٢٠٨، ٣٩٢، ٣٩٣	مخلاف عنس: ٣٤١
لندن: ٢٦٩	مخلاف العَوْد: ٢٣، ٨٤
لؤلؤة: ٢٣٩	مخلاف قَيْهَمَة: ٤٤١
ماوية: ٦٦، ٢٥٧، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩	المَدَّان: ٢٣٠

المدجرة: ٢٥١	المُشَيَّرِق: ٨١
مَدَوَّل: ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٣١، مصر: ٢٨، ٢٩، ١٠٦، ٣٩٢، ٤٢١،	١٣٦، ١٧٠، ١٧٦، ٢٠٦، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤،
٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، مصوع: ٢٠٤، ٣١٤،	٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٥، المعاجلة: ١٧٣،
٣٢١ معادن: ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٩،	معان: ٣٠، ٣١،
المدينة المنورة: ٣٠، ٣١، مَدَيَّهَن: ١١٧، ١٢٠، ١٣٩، ٢٠٨،	مَعْبَر: ٦١،
٢٠٩، ٢١٩، مغزبة: ٣٩٥، ٣٩٦،	المَعْمَر: ١٢، ٣٨٧،
مراكش: ٤٣٥، المراوعة: ٢٣٣،	مغرب: ١٧٥، ١٧٩،
المربا: ١٧٣، ١٧٤،	مغربة الخزاعي: ٣٨٠،
المرزومة: ١٧٥، ١٧٦،	المفاليس: ٢٥٣،
مَرْعَش: ٢٧٢،	مَفْحَق: ١٢٦،
المرقوع: ١٢٠، ١٣١، ١٣٤، ١٣٥،	المفلحي: ١٤٦،
مُرَيْس: ٨٥، ١٢٢،	المقاطرة: ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٧٩،
مَسَار: ١٧٢، ١٧٣، ١٩٥،	٢٨٩، ٣٣٣، ٣٣٧،
المستشفى البلدي: ٥٩، ٤١٥،	مَقْبَنَة: ٨٦، ٨٧، ٩٦، ١٦٧، ٣١٤،
المستشفى العسكري: ٥٩، ٣٦١، ٤١٥،	المقربة: ٢١٩،
مسروح: ٤٠٩،	المقفع: ٣٨٠،
المُسيجد: ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣،	المقفل: ١٣٩،
المشنة: ٢١٩،	مقوارة عَجَب: ٢٠٨،
المشهد: ٢٢،	المكابرة: ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٧٩،
مَشَوْرَة: ٣٤٠،	مكة: ٣٠، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٥٥، ٣٩١،

نعامة: ١٤٥	٤١٩، ٤١٨
النمسا: ٥٥، ٢٥	المكلا: ٢٩
نهر صقاريا: ٢٧١	ملح: ٤٤٩
بنو نوس: ٤٠٩	ملحان: ٩٨، ١١٤، ١٢١، ٣١٥
هجب: ١٤٢	٣١٦، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨
هجرة الصيّد: ٣٨٧	٤١٢، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٣
الهند: ٩٤، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٤٨	مناخّة: ١٣٣، ١٧١، ١٧٧، ٢٠٥
هوزان: ١٧٥	٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠
الهريشة: ٢٥٢	النواب: ٣١٧
وادي تنومة: ٤١٨	موزع: ٣١٣، ٣١٤
وادي حار: ١١٧، ١٤٠، ١٧٦، ٢٠٦	الموصل: ١٩٢
٢١٩، ٢٠٩	ميدى: ٢٤٢، ٤٤٤
وادي الحارث: ١٣٤	الميراب: ٨٧
وادي المرقوع: ١٣٠	الميفع: ٤٤٩
وادي سُردد: ١٣٢	نابلس: ٣٢
وادي طفيح: ٣٣٥، ٣٣٦	النبادرة: ٢٤، ٤٢، ٩، ٨٤، ١٢٢
وادي عمد: ٣٤٤	١٤٣، ١٥١
وادي عرافة: ٢١٢	نجد: ٢٩، ١٨٩، ١٩٠، ٢٢٩، ٢٣٠
وادي القصبة: ١٣٠	٢٣١، ٢٣٢، ٣٥٢، ٣٥٦، ٤١٨
وادي المكابرة: ٢٥٤	٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٥، ٤٤٦
وشحة: ٣٦٠	نجران: ٤٣١
وصاب: ٧٤، ٨٢، ٩٣، ١٩٨	النجيشة: ٢٥٤، ٢٥٥
وصاب السافل: ٧٣، ١٥٣، ١٥٤	النشة: ١٤٨
١٦٧، ١٥٥	النظير: ١٠٩

وصاب العالي: ٧٣، ١٥٤

وصابين: ٧٣

وقيد: ٢١٦

اليابان: ٣٥٤

يـريم: ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٣٣، ٦١، ٤٨،

١٠٨

يزيد الظاهر: ٩

يفرس: ٢٤٩، ٣٣٨

اليمامة: ٤١٨

اليمن: ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣٣، ٣٤، ٤٥،

٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٩،

٦١، ٧٨، ٨٨، ١٠٩، ٢٧٣، ٢٩٦،

٤١٤، ٤٤٧

اليمن الأسفل: ٣٣، ٦٤، ٧٢، ٨٠،

٨٢، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٦، ١١٢،

٢٥٧، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤١٨

اليمن الأعلى: ١١٢، ٤١٨

اليونان: ١٩٣، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢،

٣٥٣، ٣٥٤

فهرس الشعر

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية	
٣٠٣	محمد بن أحمد مطهر	الكامل	حياءُ	نادت على
٢٦١	أحمد بن صالح الجلال	مجزوء الرمل	الأطايبُ	أيها البدرُ
١٨٣	أحمد بن صالح الجلال	الكامل	ولبابُ	الناس قشر
١٨١	أحمد بن صالح الجلال	الكامل	الرتب	عذبت ذوقاً
٢٢٢	يحيى بن علي الذاري	السريع	غريب	عمري لقد
	المتوكل على الله، يحيى بن محمد			لا ومن
٢٩٣	حميد الدين	الرمل	صبا	
٢٩٤	صالح بن سعد العبادي	الرمل	الزى	من تشنى
١٨٣	أحمد بن صالح الجلال	الكامل	جوابي	مالي وقفت
١٨١	أحمد بن صالح الجلال	الرمل	ذهب	الجين خالص
٢٧	علي بن أحمد صلاح الدين	الكامل	المهج	بشرى بإقبال
٣٣١	عبد الكريم بن أحمد مطهر	الطويل	نرجو	سبحان من
٢٣٧	محمد بن عبد الرحمن شرف الدين	المتقارب	الرشاد	إمام الأنام
٢٤٦	محمد بن عبد الرحمن شرف الدين	الطويل	عسجدا	هلال الشهر
٢٨١	علي بن محمد بن أحمد	الطويل	صاغره	تقدم فقد
٣٨٦	مجهول	الطويل	والحبرُ	كذا فليكن
٤٢٤	أحمد بن صالح الجلال	الطويل	يزورُ	سلامٌ على
١٠١	عبد الكريم بن أحمد مطهر	الطويل	وأدورُ	سريت وبي
١٦٣	علي بن حسين الشامي	الخفيف	الشورورُ	نعمت الدار
٤٢٦	محمد بن يحيى بن محمد الأرياني	الرمل	ناراً	كهربا شوقي
٣٤٩	أحمد بن صالح الجلال	الرمل	ونصيرا	سيدي ما
٣٢٨	علي بن علي اليماني	الرجز	الأشهر	أعقدُ در
٤٠٠	الزُّنمة	البسيط	حضر	لله درّ

٣٥٠	محمد بن أحمد مطهر	الخفيف	السدير	حد ثاني عن
٤٠٠	يحيى بن علي الذاري	الكامل	الشعر	بمطالع
٢٨٦	عبد الوهاب أحمد بن علي	الطويل	الشكر	نهني جمال
٤٢٣	أحمد بن صالح الجلال	الخفيف	الختار	أتعاني
٣٤٨	أحمد بن صالح الجلال	الخفيف	الأعراس	الإمام الهمام
٣٤٧	أحمد بن صالح الجلال	الخفيف	اقتباسا	حي من
٦	٦		يتضوع	أعد ذكر
٢٧٧	المتوكل على الله يحيى بن محمد	الطويل		أماناً فمن
	حميد الدين		شرعا	
٢٧٧	سيف الإسلام، محمد بن يحيى	الطويل		همام إذا
	بن محمد حميد الدين	الطويل	لما	
٢٧٤	محمد بن يحيى حميد الدين	الطويل	يرعى	نسيم الصبا
١٨٢	أحمد بن صالح الجلال		وأعيا	يا نبي المصطفى
٢٩٦	مجزوء الخفيف المتوكل على الله، يحيى بن محمد			فما بالنا
	حميد الدين	المتقارب	النجف	
٤٠٠	الرثمة	الطويل	الذي وفي	فهاهي بلقيس
٣٢٥	مجهول	جز	ومصطفاه	الحمد لله وصل
٤٠٢	يحيى بن محمد بن يحيى الهادي	الكامل	تنطق	برح الخفاء
٢٦٤	عبد الكريم بن أحمد مطهر	الطويل	التقل	حديث الهوى
٤٢٥	أحمد بن صالح الجلال	الرمل	الطويل	أيها الداعي
١٨٤	عبد الكريم بن أحمد مطهر	الرمل	سلا	قسماً والحب
٢٨٦	إسماعيل بن عبد الرحمن الأكوع	الطويل	بافضال	إلهي لك الحمد
٢٩٨	الإمام يحيى	الطويل	ثاكل	مغلغلة منشورة
٣٠١	فؤاد الخطيب	الطويل	لعاذل	دعوت وقد
٣٦١	الإمام يحيى	الطويل	جلاله	اعيد بنائي

٣٦٢	عبدالله بن إبراهيم بن الإمام	الطويل	كمال	بناءً بـحمد
٢٩١	صالح بن سعد العبادي	الطويل	ومحرم	إلى الركن
٣١٩	عبد الكريم بن أحمد المطهر	المتقارب	الملا	لك الحمد
٤٢٨	الإمام يحيى	البسيط	منتظما	لله ما
٣١٩	قسطنطين يني	الخفيف	الأقواما	هذه حال
٣١٨	قسطنطين يني	الخفيف	الكلاما	اخفض الطرف
٣٢٩	حمود بن محمد	الرجز	العلم	الحمد لله
٣٨٥	أحد ذوي الفطن	الكامل	المبهم	ما زلت تختلب
٣٦١	الإمام يحيى	مجزوء الرمل	الكرامة	إن قصراً
٤١٠	الإمام أحمد بن يحيى	الوافر	لثامه	ابرق لاح
٤٠٩	علي بن عبدالله الوزير	الوافر	السلامة	خذوا لي
٣٦٢	عبدالله بن إبراهيم بن الإمام	الوافر	منبعة	دار العز
٢٧٧	عبدالله بن إبراهيم بن الإمام	المتقارب	المنز	تفرّد بالفخر
١٤	عبد الكريم بن أحمد مطهر	الطويل	وعنوان	مواهب حسن
٣٦٣	سيف الإسلام محمد بن يحيى	الطويل	أغصان	تلاعب في روض
٣٦٦	علي بن محمد العنسي	الطويل	سليمان	ثناء الملك
١٨٢	أحمد بن صالح الجلال	مجزوء الخفيف	دانيا	يا كريماً بفضله
٢٨٨	علي بن عبدالله الشامي	البسيط	وألوانا	يا منزل
٢٨٨	علي بن عبدالله الشامي	البسيط	عصيانا	ما للمقاطرة
٢٨٨	إسماعيل بن أحمد الجماعي	البسيط	انسانا	لله در أمير
٣٨٩	لطف بن محمد الزبيري	السريع	وسكانها	إذا اشتكى
٢٦٠	محمد بن عبدالرحمن شرف الدين	الطويل	أشجاني	رويداً بقلب
٢٦٢	أحمد بن صالح الجلال	مجزوء الكامل	الأغاني	أضربت عن

مصطلحات حضارية وألفاظ

إجازة: ٥٤	الراتب الشاذلي: ٩١
احتساب: ٣٧٤	ريال: ١٧٧
استقلال: ١٩١، ١٩٢، ٢٦٩، ٤٣١،	الزكاة الباطنة: ٢٢٣
٤٣٣	ساعة فلكية: ٨١
استقلال تام: ٤٣٢	الشركة الزيدية: ٤٤٧
استقلال داخلي: ٤٣٢	الشركة الهندية: ٤٤٨
إدارة عرفية: ٤٣٤	شعبة الطيران: ٣١٨
افتاء: ١٠٨	الشيفرة: ٣٣، ٣٤
بيت المال: ١٠، ٧٩، ١٧٨، ١٧٩،	الصاع: ١٠٧
٣٤٠، ٣١٥، ٢٣٢، ٢٢١	طاغوت: ٤١، ٢٤١
جامكية: ٣١١	الطب: ٥٩
جباية: ١٧١، ١٨٨، ٢٢٤، ٣١١	الطب القديم: ٥٩
جرايات: ٥٨	عقيرة: ٤١، ٦٧، ١٢٧، ١٧٨، ٢١٦،
جريدة: ٣٠٠	٣٨٠
الجمعية العربية: ٤٤٥، ٤٤٦	عكفة (عقفة): ٦٣، ٢٠٧، ٣٦٠
الحماية: ١٩٢، ٤٣٢، ٤٣٣	عمامة: ٩١
فرص الواجبات: ٢٤٠	غرامة: ١٠٠
خزنة: ١١٩، ١٤٣	فن الرمي: ٥٣
داء: ٧١	فن الطب: ٦٠
دواء: ٥٩، ٦٠	قُبُع: ٩١
دائرة التلغراف: ٣٦٠	قراش: ١٢٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٤٤٤
دائرة تعليم الفنون العسكرية: ٣٢٣	قسطار: ٢٣٦
دائرة المحاسبة: ١٦٠، ١٨٨، ٣٦٠، ٣٨٣	قوة اليقتريقية: ٦١، ٦٢

مصطلحات كثيرة الورود

مصطلحات كثيرة الورود	المالنجوليا: ٢٣٨
بارود، باروت	المالية: ١٨٨، ٢٢٤، ٢٤٢
بندق	مجلس تدقيق الأحكام: ١٦٦
ذخيرة	مجلس الشيوخ: ٤٣٤
رصاص	مجلس النواب: ٤٣٤
سلاح	الحمل اليمني: ٤٢٢
رامي	مخزن: ٤٣٩
رتبة	معزاب: ١٣٣
بلوك: ٥٢، ٦٤، ١٣٢، ١٥٨، ١٥٩، ٣٠٧، ٣٠٦، ١٧٣	معمل: ٥٦، ٥٨، ٦٤، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧
جبخانة: ٩٠، ١٣٤، ٢٠٦	مكتب تعليم التلغراف: ٦٣
دغيت: ٢٢٥	مكتب تعليم الرمي: ٣٢٣
رهينة: ١٠، ٧٥، ٨٥، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١١٦، ١١٩، ١٢١، ١٢٢	مكتب حربي: ٣٢٣، ٥٤
١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٠، ١٧٢، ٢٢٩، ٢٨٠، ٣٢٣، ٣٤٦	ملكي (مدني): ١٢
٣٦٠، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٤١، ٤٥٠	منهل: ٢٣٦
زانة: ٨٠، ٨٦، ٩٥، ٩٦، ١٢٨، ٢١٨	ميل: ٥٣
سرية: ١٧٤	النفير: ٥٣، ١٥٩، ٢١٣
طابور: ٥١، ٥٢، ٦٣، ٦٤، ١٥٨	نقد: ٣٥٧
٣٧٠، ٣٥٩	واجبات: ٨٥، ١١٥، ١١٦، ١٢١
طبجية: ٥٣، ٦٤، ١٧٢، ٣٤٦	١٥٦، ١٦٠، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤
عنوة: ١٧٣، ٢٠١، ٢١٣	٣٤٧، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٦، ٣٨٣

آلات وأدوات

فيلق: ١٥٩، ٥١	بوق: ٦٣، ٥٣
قابسون: ٥٧، ٥٥	تلغراف: ٣٣، ٣٥، ٦٠، ٦١، ١٧٤،
قلعة: ٧٦، ٢٩	٣٦١، ٣٤١
قُلَّة: ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٢٥٥، ٣٣٨،	تلغراف لاسلكي: ٦٢
٤٣٨، ٤١٤	التنك: ٤١٧
كمين: ١٤٢	حديد: ٢٧١، ٥٦، ٣١، ٢٥
متر اليوز: ٢٧١، ٢١٩، ٢٠٩	خنجر: ٣٧٣
مدفع: كثير الورود	دفتر: ١٦٠
مدفع الأبوس: ١٦١	ذراع: ٣٤٥
مدفع انجليزي كبير: ٥٧	الرحى: ١٧٦
مدفع برق لاح: ٤٠٩	ساقية: ٢٣٦
مدفع صغير (عادي الجيل): ٥٧	سُرج: ٥٨
مدفع كبير: ٥٨، ٦٤، ٨٦، ٤٠٩، ٤٣٨،	سفن: ٢٥
النوبة: ١٧٤، ٣٠٦، ٣٤٤	سكة حديد: ٣٠، ٣١، ٤٤، ٦٢،
هاون: ٦٤	٤٤٨، ٤٤٧

آلات وأدوات

آلات الطحن البخارية: ٥٥	سيارة: ٥٧، ٢٧١، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٥٣
آلات هندسية: ٢٥، ٤١٥	سيف: ٨١، ١٤٥، ٣٧٣
الأتومبيل: ٢٩٠	شمندوفار: ٣١
بابور: ٢٥، ٣٠، ٣١، ٤٣، ٤٦، ٦٢،	طبل: ٦٣
٤٤٨، ٤٣٨، ٣٥٥، ٢٩٦	طيارة: ٢٥، ٣٣٧، ٣٣٨
البرق: ٦١	ظرف زجاج: ٥٩
بريد: ٢٢٣، ٦١	عجلة: ٦٤

عمود المخرط: ٥٧	٢٢٨، ٢٣٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠،
عَيْبَة: ٣٨٤	٢٥٢، ٢٥٥، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤،
فانوس: ١٧٦	٣١٠، ٣٣٦، ٣١٤، ٣٦٩، ٣٧١،
فحم حجري: ٤٣٩	٣٧٥، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٢، ٤١٣،
فولاذ: ٢٥	٤١٨، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٥، ٤٤٩،
قارورة: ٥٩	أمير آلاي: ١٥٨، ٥١
لجام: ٥٥	أمير بلوك: ٥٤
مرافع: ٣٧٦	أمير الجيش: ٥٢
مركب بري بخاري: ٤٤٨	أمير القصر السعيد: ٤٨
مركب بغل: ٥٧	أمير طابور: ٥٢
مشعل: ١٧٦	أمير حال الحرب: ٥٣
مصباح: ٥٦	أمين: ٣٨
مكشط: ٥٧	بطريق: ٣٥٥
مكينة: ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٤١٥	بيطري: ٥٨
منارة: ١٧٧	بكباش: ٥٢
مولد القوة الكهربائية: ٦٢، ٣٦٨	جراح: ٥٩
الوظائف والمناصب	حكيم: ٦٠
أستاذ: ٥٧، ٥٩	خدام: ٥٩، ٦٠
أسقف: ٣٥٥	رئيس الأطباء: ٥٩
أمير: ١٢، ١٣، ٣٧، ٤٠، ٤٤، ٥٢،	رئيس بلدية صنعاء: ٧٠
٥٤، ٥٨، ٦٣، ٨٧، ١٢١، ١٢٢،	رئيس العلماء: ١٠٧، ١٠٨،
١٣٢، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٨،	رئيس مجلس التدقيقات: ٣٢٤
١٥٠، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٨، ١٧٤،	شاوش: ٥٢، ٥٣
٢٠٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٢٧،	صدر الأعظم: ٣٤

صيدلي: ٥٩، ٦٠	معاون متصرف: ١٨٨
ضابط: ٥٤، ١٣٢، ١٤٠، ٣٢٦	معاون والي: ٤٤٧
عاقِل: ١٠، ٣٧، ١٧٢، ١٩٠، ٢٣٠	مفتي: ٣٢٤
٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٦، ٣٢٣	مفتي الحنفية: ١٦٧
٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٩٥	مقدم: ٦٨، ١٢٠، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩
عريف: ٥٢، ١٣٩، ١٤٢، ٣٧٩، ٣٨٣	١٣١، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٠، ١٦٣
عامل: مواضع كثيرة	١٧٨، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٧
قاضي: مواضع كثيرة	٢٢٠، ٢٣٣، ٢٥٣، ٣٠٦، ٣٣٥
قائد: ٢٣٤، ٣٣٥، ٣٤٥، ٣٧٦، ٣٧٦	٣٤٥، ٣٤٥، ٣٧٩، ٤٤٤
٣٧٧، ٤١٩	ملازم أول: ٥٢
قائد الجيوش التركية: ١٩، ٢٤	ملازم ثان: ٥٢
قائم مقام: ٦٥، ١٩٥، ٢٤٨، ٣٨٢	منصب: ٢٠٥، ٢٣٣
قومندان: ٤٣، ٥٣، ٢٢٠	ناظر: ٢٤٤
كاتب: ٥٨، ٢٥٧، ٣٧٩	ناظر الأوقاف: ٢٣٢
كاشف: ١٣٣، ٢٢١، ٢٢٣، ٣٨٢	ناظر جماعة: ١١٠
مأمور: ٦٠، ١١٣، ١٨٨، ٢٢٤، ٢٥٥	ناظر رازح: ١١٠
٣١٦، ٣٦١، ٣٨٢، ٤١٣	ناظر ساقين: ١١٠
متصرف: ٨٧، ٩٩، ٣٢٥	ناظر السنارة: ١٠٩
محاسب: ٣٦١	نقيب: ٥٢، ١٩٧، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٥٣
مدير: ٣١٨	٣٠٦، ٣١٥، ٣١٦، ٣٤٢، ٣٤٦
مدير المال: ٤١١	٣٨٧، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٤٩
مشيخ (شيخ): ٣١٢، ٣١٦، ٣٢٤	هيئة أركان الحرب: ٥٢
٣٤١، ٣٤٢، ٣٦٩، ٣٨٧	والي: ١٩، ٢٨، ٤٤، ٤٦، ٥١، ٢٠٦
مشير: ٦١	٢٥٨، ٤٢١

دهن : ٥٦	وزير: ٣٤، ٥١
دهن النفط : ٥٦	وكيل: ١٢٥، ٣٧٩
زيت : ٥٦	وكيل الأمير: ٣٧٧، ٣٧٤، ٣٧٠
سُم : ٣٨٤	وكيل الخارجية: ٣٠٠
سمن : ٤٢١	يوزباشي: ٥٢
الغاز: ٥٦	الحيوان
قات : ١٥٨	أسد: ١٢٢، ١٣٧، ٢٢٧
قاز (كاز): ٤١٧، ٥٦، ٢٩	بغل: ٤٤، ٥٥، ٥٨، ٦٤
قطن : ٤٣١	بقر: ١٧٣
القضب : ٢٤٠	ثعلب: ١٢٢
القهوة: ١٨١	جلد: ٥٨
لباد: ٥٨	خيل: ٥٨، ٦٣، ٦٤، ١٣٥، ٤١٢
	ذئب: ١٥٢، ٢٢٧
	راحلة: ٣١
	شاة: ٢٢٧
	غنم: ١٣٣، ١٧٣
	قرد: ٤١٣
	كلب: ١٥٢
	نسر: ٢٥٥

النبات ومشتقات الحيوان والنبات

بتروول: ٢٩٠
بنزين: ٢٩٠
البن: ١٧١، ١٧٨، ١٨١
حبوب: ١٧٣

خريطة اليمن

